تمت التعديلات والتصويبات المطلوبة
أعضاء لجنة المناقشة

جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية

الجهاد الإسلامي في شرق أفريقية

في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

رسالة مقدمة من

نوال حمزة يوسف الصيرفي

لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد سيد محمد

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ـ وبعـــــد .

فأن الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) موضوع جديد من موضوعات حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين التى امتدت عبر اقطار العالم الاسلامى فى مصر والشام وشمال افريقيه فيما بين القرنين السادس والتاسع للهجرة .

فهى اذن احدى الحلقات فى سلسلة الحركات الجهادية فى العالم الاسلامى والتى شملت القرن العاشر الهجرى ذلك القرن الذى لم تحظ فيه حركة الجهاد بدراسة علمية موضوعية وافية من الباحثين فى عصرنا الحاضر وفى المقابل نجد ان الدراسات الاوروبية التى تناولت حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى قد حفلت بالافتراءات والتضليل فى محاولة منها للتقليل من جهود المسلمين الجبارة للقضاء على الهجمة الصليبية الشرسة التى تعرضوا لها فى ذلك القرن . كما عملت تلك الدراسات الى اخفاء كثير من الحقائق بغية تشويهها ،ولذلك بقيت وجهة النظر الاسلامية حول الموضوع مجهولة ،ومن هنا جاءت اهمية هذه الدراسة .

وقد حاولت الدراسات الاوروبية الحديثة اخفاء الدوافع الصليبية الحاقدة التى دفعت البرتغاليين والاحباش للهجوم الشرس على دويلات الساحل الشرقى لافريقيه فى القرن العاشر ،وبفضل الله استطاعت هذه الدراسة بالاعتماد على الوثائق والمصادر البرتغالية والمصادر العربية وبعض المصادر التركية ان توضح الاهداف الصليبية الحاقدة التى دفعت الصليبيين لايجاد ميدان جديد يضربون فيه الاسلام بعد أن تصدى لهم المسلمون فى مصر والشام وشمال افريقيه وقهروهم وقضوا عليهم منذ عدة قرون..

وقد ارتبطت حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى ببقية حركات الجهاد فى ذلك القرن فى الخليج العربى والساحل الهندى لانها تعرضت لجميع الظروف والملابسات التى احاطت بالمسلمين فى هذه الفترة

وان تميزت عنها بتاريخها الطويل فى حمل لواء الجهاد ضد مملكة الحبشة النصرانية التى جعلت من نفسها حامية للنصرانية فى الشرق الافريقى فكانت أداة فعالة فى أيدى الصليبية العالمية التى كانت تخطط للقضاء على الاسلام والمسلمين ،وكان على مسلمى شرق افريقيه أن يتصدوا للحليفين البرتغال والحبشة ووقع عبء الجهاد الاسلامى ضد الأحباش على الدويلات الاسلامية المطلة على البحر الأحمر ، بينما تصدى للبرتغاليين مسلمو الدويلات الاسلامية المطلة على المحيط الهندى مسطرين بذلك صفحات مشرقة فى تاريخ الجهاد الاسلامى فى القرن العاشر الهجرى .

وقد اعتمد البحث على المعلومات الواردة فى الوثائق البرتغالية المترجمة الى اللغة الانجليزية والتى سبق ان تم نشرها وعلى المصادر البرتغالية المعاصرة للاحداث ،كما اعتمدت الدراسة على المصادر العربية التى دونت فى القرن العاشر الهجرى :
ومن اهم الوثائق التى أفادت البحث فائدة كبيرة تلك التى وردت فى كتاب:
Documents on the Portuguese in Mozambique and Central Africa
" وثائق عن البرتغاليين فى موزامبيق وافريقيه الوسطى "
ويحتوى الكتاب على الوثائق التى تخص تاريخ البرتغاليين فى منطقتى شرق ووسط افريقيه فى الفترة الممتدة بين عامى (١٤٩٧م - ١٨٤٠م) وطبع فى لشبونه عام ١٩٦٩م ،وقد استعان البحث بالوثائق الواردة فى الجزء السادس من الكتاب وهى التى تخص الفترة من ١٥١٩م الى ١٥٣٧م . وقد احتوت هذه الوثائق على معلومات هامة ونادرة عن التعليمات التى تلقاها السفير البرتغالى الى ملك الحبشة رودريجو دى ليما Rodrigo de Lima فى ٢٥ ابريل عام ١٥٢٠م من نائب الملك فى الهند ديوجو لوبيز دى سيكيرا Diogo Lopez de Seqiera كما تضمنت الوثائق الرسائل المتبادلة بين ملك ماليندى وملك البرتغال بين عامى ١٥٠٠م-١٥٢١م ، وتؤكد تلك الرسائل قيام التحالف بين الطرفين .

كما امدت هذه الرسائل البحث بمعلومات وافية عن عمليات القرصنة التى مارسها البرتغاليون ضد سفن المسلمين فى ساحل شرق افريقيه .

واحتوت الوثائق ايضا على الرسائل المرسلة من وكلاء سفالة التجاريين الى الملك البرتغالى فى ٨ أغسطس عام ١٥١٩م و ٢٧ أغسطس عام ١٥٢٧م والتى زودتنا بمعلومات هامة عن تدهور تجارة الذهب فى الساحل ،والاجراءات التعسفية التى طبقها البرتغاليون للقضاء على تجارة السنابك التى زاولها التجار المسلمين هربا من الحصار البرتغالى للتجارة .

ومن الوثائق الهامة التى استمد منها البحث معلومات وافرة وجديدة عن منطقة شرق افريقيه تلك الوثائق التى وردت فى كتاب :

The East African Coast (Select Documents)

" الساحل الشرقى الافريقى " (وثائق مختارة)

وقد جمعها الباحثان فريمان وجرنفيل Freeman & Grenville

وطبع الكتاب فى اكسفورد عام ١٩٦٢م.

وكانت هذه الوثائق خير معين للبحث لاجلاء كثير من الغموض فى عدة جوانب مهمة لم تتطرق اليها المصادر العربية والمراجع الحديثة من قبل وتناولها الباحثون الاوروبيون بكثير من الاختصار ،وهذه الجوانب هى التفاصيل الدقيقة لوصول البرتغاليين الى شرق افريقيه ومعاملتهم للمسلمين فى الساحل ، وتفاصيل عمليات الغزو للدويلات الاسلامية فيه ،وضراوة المقاومة الاسلامية التى واجهها البرتغاليون اثناء الاحتلال ،والوصف الذى دونه البرتغاليون لحضارة الساحل الاسلامية السائدة هناك والرفاهية التى كان يعيش فيها المسلمون عند وصول البرتغاليين،واعطت هذه الوثائق صورة واضحة عن عمليات القرصنة والنهب التى مارسها البرتغاليون قادة وجنودا ضد تجارة المسلمين وادت فى نهاية القرن العاشر الهجرى الى تدمير تجارة الساحل وحضارته . كما اوضحت تلك الوثائق محاولات البرتغاليين نشرالنصرانية الكاثوليكية في ساحل شرق افريقية بواسطة

الجمعيات التنصيرية وفشل تلك المحاولات .

واهم هذه الوثائق السجل الذى يحتوى على تفاصيل اول رحلة لفاسكو دا جاما الى شرق افريقيه بين عامى ١٤٩٧م - ١٤٩٩م ،وكاتب هذا السجل مجهول الهوية ،ويرجح الباحثان أنه كان يعمل على سفينة فاسكو دا جاما.(١)

وقد ترجم هذا السجل الى الانجليزية رافنستين Ravenstein .

ايضا من هذه الوثائق السجل الذى يحتوى على تفاصيل رحلة بدرو الفاريز كابرال Pedro Alvarez Cabral الى البرازيل والهند عام ١٥٠٠م ،وكاتب هذا السجل مجهول الهوية أيضا ،ويرجح فريمان وجرنفيل بأن المؤلف كان يعمل على ظهر سفينة كابرال .(٢)

وترجم السجل الى الانجليزية جرينلى Greenlee .

كما احتوت الوثائق المختارة على الرسالة المرسلة من ملك البرتغال مانويل الى ملك اسبانيا فرديناند وزوجته الملكة ايزابيلا فى ٢٩ يوليو عام ١٥٠١م ،وترجم الرسالة الى الانجليزية جرينلى أيضا .

وتحتوى تلك الرسالة على معلومات قيمه عن أطماع البرتغاليين فى شرق افريقيه ورغبتهم فى السيطرة على مواطن الذهب فيها .

كما احتوت الوثائق على الوصف الذى دونه المؤرخ جاسبر كوريا Gaspar Correa عن رحلته الى شرق افريقيه عام ١٥١٤م فى

---

(١) انظر Freeman & Grenville, The East African Coast, P. 50.

(٢) Ibid., P.50.

كتابه Lendas da India " بلاد الهند"، وترجم الكتاب الى اللغة الانجليزية ستانلى E.J. Stanly وتضمن هذا الوصف رحلة فاسكوا دا جاما الثانية الى الشرق عام ١٥٠٢م .

أيضا من ضمن الوثائق التى وردت فى كتاب " الساحل الشرقى الافريقى " وصف المؤرخ البرتغالى جواو دى باروس Joao de Barros لشرق افريقيه الذى دونه فى كتابه " آسيا " Da Asia .

ويعتبر دى باروس أكثر المؤرخين البرتغاليين دقة ،فقد اتاحت له وظيفته كحافظ للأرشيف فى لشبونه الوصول الى جميع الوثائق الاصلية التى اعتمد عليها مؤلفه " آسيا " والذى أتم تدوينه فى عام ١٥٥٢م وترجمه الى الانجليزية شيال G. M. Theal . (١) وجاء فى كتابه تفاصيل رحلة روى لورنزو رافاسكو Ruy Lourenzo Ravasco القائد البرتغالى الذى وصل الى شرق افريقيه بين عامى ١٥٠٣م – ١٥٠٤م . وتفاصيل بعثة فرانسيسكو دا الميدا الى ساحل افريقيه الشرقى وتدميره لكلوه وممبسه .

ومن الوثائق الهامة أيضا السجل الذى دونه شاهد عيان لعمليات نهب كلوه وممبسة على يدى دا الميدا عام ١٥٠٥م ،وشاهد العيان هذا رجل المانى يدعى هانز ماير Hans Mayer كان مسافرا على ظهر السفينة ساورافائيل Sao Raphael وهى احدى سفن اسطول فرانسيسكو دا الميدا .(٢)

وترجم السجل الى اللغة الانجليزية اكسلسون E. Axelson .

---

(١) Freeman & Grenville, op. cit., P.80

(٢) Ibid., p. 105.

ومن الوثائق ايضا الرسالة التى ارسلها ديوجـو دى الكاسوفا Diogo de Alcasova الى ملك البرتغال مانويل Manuel فى ٢٠ نوفمبر عام ١٥٠٦م ،وهو كاتب فى محطة كوشن التجارية على الساحل الهندى ،وترجم الرسالة الى الانجليزية ثيال .

وتشرح الرسالة طرق تجارة الذهب فى سفالة وبعض الملاحظات عن كلوه وممبسه فى ذلك التاريخ .

ومن أهم الوثائق أيضا رسالة القسيس فرانسيس اكسافيير الموجهة للبابا بول الثالث (١٥٣٤ ـ ١٥٤٩م) فى روما فى ٢٠ سبتمبر عام ١٥٤٢م ،وترجمها الى الانجليزية آلن W. E. Allen . وورد فى الرسالة وصفا مفصلا لحالة الساحل الشرقى لافريقيه وخاصة ماليندى ،واستفاد البحث فائدة كبيرة من وصفه للأحوال الاقتصادية والاجتماعية لمسلمى الساحل قبيل منتصف القرن العاشر الهجرى .

ومن الوثائق الهامة ايضا سجل رحلة اليسوعى مونكلارو فى شرق افريقيه عام ١٥٦٩م ، الذى قدم للتنصير فى شرق افريقيه مع اسطول القائد البرتغالى فرانسيسكو باريتو Francisco Barreto ،وترجم السجل الى اللغة الانجليزية ثيال .

واستفاد البحث من هذه الوثيقة فى التعرف على التحول الذى طرأ على ساحل شرق افريقيه اقتصاديا واجتماعيا ودينيا فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى .

ومن الوثائق التى امدت البحث بمعلومات بالغة الاهمية بالنسبة للثورات التى قادها مسلمو الساحل الشرقى لافريقيه فى اواخر القرن العاشر ،ووصول القائد التركى الامير على لاثارة أهالى الساحل ضد المستعمر البرتغالى

والهجوم الذى شنته قبيلة الزمبا على دويلات الساحل في نهاية القرن العاشر كل تلك المعلومات الهامة والوفيرة استمدها البحث من الوصف الذى دونه الراهب جواو دوس سانتوس Joao Dos Santos بين عامى ١٥٨٦م – ١٥٩٣م فى كتابه " اثيوبيا الشرقية " " Ethiopia Oriental " وترجمه الى الانجليزية اكسلسون Axelson ،ونقله فريمان وجرنفيل فى كتابيهما " الساحل الشرقى الافريقى ".

واخيرا فان الوثيقة التى تصف اول رحلة انجليزية الى ساحل شرق افريقيه بقيادة جيمس لانكستر بين عامى ١٥٩١م – ١٥٩٢م كانت بالغة الاهمية بالنسبة الى البحث وقد استفاد منها فى توضيح أطماع انجلترا فى ساحل شرق افريقية.

كما ان الوثيقة التى دونها جاسبر دى برناردينو Gaspar de Bernadino والتى يصف فيها رحلته الى الساحل للعمل فى ميدان التنصير عام ١٦٠٦ م، أعطت للبحث معلومات قيمه عن حالة الساحل فى بداية القرن الحادى عشر الهجرى (١٧ م) ومظاهر تدهور النفوذ البرتغالى .

ومن اهم المصادر البرتغالية التى اعتمد عليها البحث كتاب المؤرخ البرتغالى دوارتى باربوسا Duarte Barbosa وعنوانه " The Book of Duarte Barbosa " ويتكون الكتاب من جزأين ،ترجمه الى الانجليزية دامز Dames وطبع فى لندن عام ١٩١٨م.

كان باربوسا عاملا للملك البرتغالى فى كنانور على الساحل الهندى ودون كتابه بين عامى ١٥١٧م – ١٥١٨م.(١)

---

(١) Freeman & Grenville, op. cit. p. 127.

وترجع اهمية هذا المصدر الى المعلومات التى احتواها الكتاب عن دويلات الساحل الشرقى لافريقيه من الناحية التجارية والحضارية ومعلومات هامة عن مملكة بناميتابا Benametapa موطن الذهب فى داخل القارة وعمليات التبادل التجارى التى تتم بين المسلمين فى سفالة وتلك المملكة .

وذكر المؤرخ معلومات مفصلة عن تجارة السنابك التى كان يمارسها التجار المسلمون فى تلك الفترة بعد ان سلب منهم البرتغاليون مقاليد التجارة فى السفن الكبيرة .

ويعتبر كتاب المؤرخ البرتغالى الفاريز Alvarez وعنوانه :
Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia(1520-1527)
" قصة السفارة البرتغالية الى الحبشة " بين عامى ١٥٢٠م- ١٥٢٧م الذى ترجمه الى الانجليزية لورد ستانلى Lord Stanley ،من أهم المصادر التى امدت البحث بمعلومات هامة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية فى الحبشة فى بداية القرن العاشر الهجرى ،وبالتحديد الفترة التى سبقت قيام الامام احمد بن ابراهيم بفتوحاته فى الحبشة .

وأورد المصدر معلومات دقيقة عن علاقات المسلمين بالحبشة وانواع الجزية التى كانوا يدفعونها للملك الحبشى . كما اورد معلومات نادرة عن جهاد الامام محفوظ فى مملكة الحبشة لم توردها اى من المصادر العربية او البرتغالية الأخرى ،كما وردت فى هذا المصدر معلومات قيمه عن سفارة بدرو دى كوفيلهام Pedro de Covilham السفير البرتغالى الى الحبشة فى أواخر القرن التاسع الهجرى ،وقد قابل الفاريز دى كوفيلهام فى الحبشة وروى له قصة رحلته الى الحبشة .

كما تضمن كتاب الفاريز الرسائل المرسلة من الملك الحبشى الى الملك البرتغالى والى البابا والى نائب الملك فى الهند ،وقد أفادت هذه الرسائل

البحث فائدة كبيرة لتوضيح أسس التحالف القائم بين الأحباش والبرتغاليين وترجع قيمة هذا المصدر الى كون الفاريز شاهد عيان لكثير من الاحداث والوقائع فى تلك الفترة باعتبار أنه كان أحد رجال الدين الكاثوليك المرافقين للسفير البرتغالى رود ريجو دى ليما الى الحبشة عام ١٥٢٠م.

اما كتاب المؤرخ البرتغالى كاستانهوزو Castanhoso وعنوانه :

The Portuguese Expedition to Abyssinia in (1541 - 1543)

" البعثة البرتغالية الى الحبشة " بين عامى ١٥٤١م-١٥٤٣م. والذى ترجمه الى الانجليزية وايتواى R. S. Whiteway فيعتبر من اكثر المصادر التى افادت البحث فائدة عظيمة فى فترة تاريخية غامضة من القرن العاشر الهجرى ،وهى الفترة التى تناولها المؤرخ بين عامى ٩٤٨هـ - ٩٥٠هـ / ١٥٤١م - ١٥٤٣م وشرحت الظروف المحيطة بانهيار دولة الامام احمد بن ابراهيم فى الحبشة ، ولا يوجد مصدر عربى الى الآن تناول تلك الفترة .

كان ساتانهوزو ضمن الحملة البرتغالية بقيادة استفاو دا جاما Estevao da Gama نائب الملك فى الهند ،فكان شاهد عيان لجميع الاحداث التى واجهت الحملة منذ نزولها فى مصوع عام ١٥٤١م ، ودون فى كتابه هذا الوصف الدقيق لجميع المعارك التى خاضها البرتغاليون ضد المسلمين وخاصة الهزيمة التى حلت بهم فى معركة " وفلا " ومقتل دا جاما كما دون التفاصيل الدقيقة لمعركة " ويناديجا " التى استشهد فيها الامام احمد بن ابراهيم .

وقد مكث كاستانهوزو فى الحبشة تحت رعاية الملك الحبشى جلاديوس حتى عام ١٥٤٤م، ثم عاد الى لشبونه عن طريق القدس حاملا معه رسائل الملك الحبشى الى ملك البرتغال دوم جواو الثالث .(١)

---

(١) Castanhoso, The Portuguese Expedition to Abyssinia, PP. 109 - 111.

وبذلك يصبح مؤلفه هذا هو المصدر الرئيسى والوحيد لأهم الوقائع التى تناولها البحث والتى تتضمن مراحل انهيار دولة الامام احمد فى الحبشة والظروف المحيطة بوصول النجدة البرتغالية الى ملك الحبشة لبنادنجل بقيادة كرستوفاو دى جاما . Cristovao da Gama

كما تضمن كتاب كاستانهوزو وصفا دقيقا للحالة الداخلية لمملكة الحبشة فى تلك الفترة والصراع الذى نشب بين الملك الحبشى جلاديوس والبرتغاليين ـ وعلى رأسهم برموديز Bermudez ـ عقب انتصارهم على المسلمين .

ومن أهم المصادر التى أفادت البحث فائدة كبيرة كتاب المؤرخ البرتغالى فاريا سوزا Faria Sousa الذى عاش فيما بين سنتى (٩٩٩ – ١٠٥٩ هـ / ١٥٩٠ – ١٦٤٩م) .(١)

وعنوانه : The History of the Discovery and Conquest of India by the Portuguese .

(تاريخ كشف وغزو البرتغاليين للهند)

وقد ترجم الكتاب الى اللغة الانجليزية جون ستيفنز John Stevens وهو من ثلاثة اجزاء تحتوى على تاريخ مفصل للنفوذ البرتغالي في شرق افريقية والمحيط الهندى والخليج العربي، وغزو البرتغاليين للبحر الأحمر، وموقف العثمانيين من ذلك النفوذ، ومعلومات تفصيلية عن الحملات العثمانية في المحيط الهندى والخليج العربى والبحر الأحمر وشرق أفريقية .

ويوءخذ على فارياسوزا تعصبه الشديد للبرتغاليين، لذلك كان يجب أخذ رواياته بحذر شديد خاصة فيما يتعلق بالاسلام والمسلمين .(٢)

أما أهم المصادر العربية المعاصر لاحداث الجهاد الاسلامى في القرن العاشر الهجرى فيأتي على رأسها كتاب المورخ عرب فقيه المسمي " فتوح الحبشة "

(١) Every Man's Encyclopedia, Article Faria.

(٢) نوال حمزة الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربى ، ص ٢١ .

ويعتبر كتابه من الوثائق الهامة لحركة الجهاد الاسلامى التى قادها الامام احمد بن ابراهيم فى مملكة الحبشة ،فقد رافق المؤلف الامام احمد فى فتوحاته منذ عام ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨ م .(١)

لذلك اورد تفاصيل الفتح بدقة شديدة ساعدت فى اعطاء صورة واضحة عن الحالة الداخلية لدولة هرر المسلمة فى اوائل القرن العاشر الهجرى ،ومراحل توحيد القوى الاسلامية على يد الجراد ابون بن آدش والامام احمد بن ابراهيم والصعوبات التى واجهت الامام فى توحيد القبائل الصومالية التى تعتبر العمود الفقرى لجيش الجهاد .

كما ان هذا المصدر يعتبر سجلا حافلا بالوصف الدقيق للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية لمملكة الحبشة فى النصف الاول من القرن العاشر الهجرى .

كما استعان البحث بالمعلومات الدقيقة التى أوردها المؤلف عن الحالة العامة للممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة فى بداية القرن العاشر الهجرى وكيفية خضوعها لملوك الحبشة وماهية الجزية التى كانوا يدفعونها لهم . كما استعان البحث بالحقائق الواردة فى هذا المصدر لايضاح كثير مما غمض على الباحثين المعاصرين من سيرة الامام احمد خلال فتوحه للحبشة ،وفى رد كثير من الشبهات التى احاطت به وبالمسلمين .

ومن مصادر البحث الهامة مخطوطه " السلوة فى اخبار كلوه " وهى مجهولة المؤلف ،ويرجع تاريخها الى القرن العاشر الهجرى ،فقد ولد مؤلفها فى ثانى شهر شوال من عام ٩٠٤ هـ وهى مخطوطة مقطوعة النهاية . وقد نقلها المؤلف سعيد بن على المغيرى فى كتابه " جهينة الاخبار فى تاريخ زنجبار"

---

(١) انظر عرب فقيه ،فتوح الحبشة ،ص ١٣٩ .

وتعتبر المخطوطة مصدرا بالغ الاهمية لانها اعطت صورة واضحة عن الدويلات الاسلامية فى ساحل شرق افريقيه المطل على المحيط الهندى وخاصة كلوه التى كانت لها السيادة على الساحل قبل وصول البرتغاليين . كما امدت المخطوطة البحث بمعلومات قيمه عن وصول البرتغاليين الى كلوه وخاصة وصول كل من : فاسكو دا جاما وبدرو الفاريز كابرال و جواو دى نوفا ،وعن كيفية مواجهة المسلمين فى كلوه للصليبيين الذين لم يسبق لهم التعامل معهم .

أما كتاب " النور السافر عن اخبار القرن العاشر " للمؤرخ محيى الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسى (٩٧٨هـ - ١٠٣٨هـ /١٥٧٠م - ١٦٢٨م) وهو من اشهر كتب التراجم للقرن العاشر ،فقد افاد البحث فائدة كبيرة خاصة المعلومات القيمه التى اوردها - رغم اختصارها - عن الامام احمد ابن ابراهيم ،وجهوده فى توحيد القوى الاسلامية ،واعطائه صورة عن بعض الصفات الشخصية للامام احمد .

ومن أهم المصادر التى استفاد منها البحث فائدة كبيرة المصادر اليمنية المعاصرة للاحداث فى القرن العاشر الهجرى والقرن الحادى عشر ومنها مؤلفات المؤرخ اليمنى عبد الرحمن بن على الديبع (٨٦٦هـ - ٩٤٤ هـ / ١٤٦١م - ١٥٣٧م) . وهى " قرة العيون باخبار اليمن الميمون " تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى . و " بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد " تحقيق عبد الله الحبشى . و " الفضل المزيد على بغية المستفيد فى اخبار مدينة زبيد " تحقيق يوسف شلحد .

ومخطوطة المؤرخ اليمنى عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد بامخرمه (٨٧٠هـ - ٩٤٧هـ / ١٤٦٥م - ١٥٤٠م) المسمى " قلادة النحر فى وفيات اعيان الدهر " . وقد حقق بعض نصوص الجزء الثالث من المخطوطة والتى تخص سنوات القرن العاشر الهجرى - الدكتور / محمد عبد العال احمد .

وهناك ايضا مخطوطة " روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح " لعيسى بن لطف الله بن المطهر المتوفى سنة ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م.

ومخطوطة " السنا الباهر بتكميل النورالسافر فى اخبار القرن العاشر " ، للمؤرخ جمال الدين أبى العلاوى محمد الشيلى المتوفى عام ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م.أيضا من المصادر اليمنية كتابات المؤرخ اليمنى يحيى بن الحسين بن الامام القاسم (١٠٣٥هـ - ١١٠٠هـ / ١٦٢٥م - ١٦٨٩م) . وهما مخطوطة " أنباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن " ،و كتاب " غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى " تحقيق الدكتور / سعيد عاشور .

ونظرا للارتباط التاريخى بين منطقتى اليمن وشرق افريقيه ،فقد استفادت الدراسة فائدة كبيرة مما كتبه المؤرخون السابقون وخاصة تدوينهم لعمليات الغزو البرتغالية للبحر الاحمر ومهاجمتهم لعدن وسواحل اليمن وساحل شرق افريقيه ، ومحاولاتهم المتكررة للوصول الى جده ،وموقف حكام اليمن من ذلك الغزو ،وموقف دولة المماليك فى بداية القرن العاشر ثم موقف الدولة العثمانية وتدخلها لحماية البحر الاحمر والخليج العربى بعد سقوط دولة المماليك . كما أفادت هذه المصادر فى التعرف على بداية تأسيس الدولة العثمانية لولاية الحبشة ،وجهودها فى مد نفوذها الى الساحل الشرقى المطل على المحيط الهندى على يد القائد على بك .

كما استعان البحث بالمصدر التركى " تحفة الكبار فى اسفار البحار" للمؤرخ التركى مصطفى بن عبد الله حاجى خليفة الشهير بكاتب جلبى (١٠١٧هـ - ١٠٦٧هـ / ١٦٠٨ - ١٦٥٦م) .[1] وهو كتاب يتناول المعارك البحرية التى خاضتها الاساطيل العثمانية فى البحر الاحمر والخليج العربى والمحيط الهندى والبحر المتوسط فى القرنين العاشر والحادى عشر للهجرة . واستطاع البحث بواسطة هذا المصدر اجلاء كثير من الغموض حول موقف العثمانيين من النفوذ البرتغالى فى البحار الشرقية ،والأسباب التى أحاطت بارسالهم للحملات البحرية للتصدى

---

(١) انظر حاجى خليفة ،كشف الظنون ،جـ١ ،مقدمة الكتاب .

لذلك النفوذ ابتداءً من حملة سليمان باشا الخادم الى الهند وانتهاءً بحملة سيدى على عام ٩٦١هـ / ١٥٥٣م.

وقد ترجم الكتاب من التركية الى الانجليزية جيمس ميتشل James Mitchel تحت عنوان :

The History of the Maritime Wars of the Turks.

" تاريخ حروب الاتراك البحرية " .

أيضا هناك بعض المصادر التى ارخت للدولة العثمانية باللغة العربية وساعدت فى توضيح كثير من الجوانب المتعلقة بالأسباب التى دفعت الدولة العثمانية الى ضم الحجاز واليمن الى نفوذ الدولة ،والمحاولات المتكررة التى بذلتها الدولة لتوطيد سيادتها على اليمن للاحتفاظ بالبحر الأحمر بحرا اسلاميا خالصا ،وجهودها فى اقامة ولاية الحبشة على يد ازدمر باشا .

ومن هذه المصادر كتاب " البرق اليمانى فى الفتح العثمانى " للمؤرخ قطب الدين محمد بن أحمد النهروالى المكى (٩١٧هـ - ٩٩٠هـ/١٥١١-١٥٨٢م) ومخطوطة " الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية " للمؤرخ عبد الله بن صلاح الدين بن داعر المتوفى ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م.

ومخطوطة " نصرة اهل الايمان بدولة آل عثمان " للمؤرخ أبو عبد الله محمد بن أبى السرور البكرى ، المتوفى عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م.

وكتاب " تحفة المجاهدين فى بعض احوال البرتكاليين " للمؤرخ الفقيه زين الدين المليبارى (ق ١٠ هـ) الذى دون تفاصيل الغزو البرتغالى للساحل الهندى ووصول الحملات العثمانية الى الساحل وتفاصيل المعارك التى دارت بين الطرفين هناك .

واخيرا لا يفوتنا ان نشير الى كتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور "

للمؤرخ محمد بن أحمد بن اياس الحنفى (٨٥٢هـ ٩٣٠هـ / ١٤٤٨م - ١٥٢٣م) والذى قام بتحقيقه محمد مصطفى ،فهو يعتبر من المصادر التى افادت البحث فائدة كبيرة خاصة فيما يتعلق بشرح العلاقات بين دولة المماليك و مملكة الحبشة وتفاصيل سقوط دولة المماليك فى ايدى العثمانيين وبداية فرض العثمانيين لنفوذهم فى البحر الاحمر واستنجاد اشراف الحجاز بالسلطان سليم العثمانى لحماية سواحل الحجاز من الهجمات البرتغالية .

وتحتوى هذه الرسالة على مقدمة وستة فصول وخاتمة .

احتوت المقدمة على دراسة لأهم الوثائق والمصادر التى اعتمد عليها البحث

اما الفصل الاول وعنوانه :

" شرق افريقية فى اواخر القرن التاسع الهجرى " ،فقد تناول الموقع الجغرافى والاحوال الاقتصادية والاجتماعية والحضارية للدويلات الاسلامية فى شرق افريقيه بقسميها الشمالى المطل على البحر الاحمر والجنوبى المطل على المحيط الهندى . كما تناول الفصل الحالة الداخلية لمملكة الحبشة من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية حتى يمكن المقارنة بين المجتمعين المتجاورين المجتمع الاسلامى والمجتمع الحبشى النصرانى ،وما سيترتب على تلك الاختلافات من تأثير على حركة انتشار الاسلام بين الاحباش فى القرن العاشر الهجرى .

كما يشرح الفصل شرحا وافيا العلاقات السياسية السائدة بين المسلمين فى الممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة ومملكة الحبشة النصرانية فى القرن التاسع الهجرى ، تلك العلاقات التى توضح تطور حركة الجهاد الاسلامى فى ذلك القرن ومراحلها المتعددة . وتناول الفصل من جهة اخرى طبيعة العلاقات السياسية بين دولة المماليك فى مصر ومملكة الحبشة ،مما يوضح المراحل التى مر بها التحالف البرتغالى الحبشى فى القرن العاشر الهجرى .

اما الفصل الثانى وعنوانه :

" التحالف البرتغالى الحبشى ضد القوى الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى "

فقدوردفى الفصل السفارات المتبادلة بين الاحباش والبرتغاليين منذ أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر للهجرة كما ناقش الفصل تفاصيل غزو البرتغاليين لدويلات المدن الاسلامية المطلة على المحيط الهندى فى اوائل القرن العاشر الهجرى وكيف عانى البرتغاليون من ضراوة المقاومة الاسلامية وكفاح المسلمين ضد ذلك الغزو حتى منتصف القرن العاشر الهجرى كما تم فيه دراسة عمليات الغزو البرتغالية لسواحل البحر الاحمر وذلك تنفيذا لاهم بنود التحالف البرتغالى الحبشى .

وتناول الفصل الثالث وعنوانه :

" قيام حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى "، الاسباب التى ادت الى قيام حركة الجهاد الاسلامى وآراء بعض علماء المسلمين فى اهمية الجهاد فى الاسلام ومبرراته، ثم أجريت فيه دراسة مراحل توحيد القوى الاسلامية فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى بين عامى ٨٩٤هـ - ٩٣٦هـ/١٤٨٨-١٥٢٩م) . وتناول فى شرح تلك المراحل جهود الائمة والقادة فى مملكة هرر المسلمة التى قادت حركة الجهاد فى القرن العاشر الهجرى .

اما الفصل الرابع وعنوانه :

" جهاد الامام احمد بن ابراهيم المجاهد " (٩٣٥هـ -٩٥٠هـ/١٥٢٨-١٥٤٣م) فقد تم فيه دراسة نسب الامام احمد ونشأته حتى وصوله الى الحكم ،ورد الفصل على الشبهات التى احاطت بمولده ونشأته .

ثم تناول بالشرح المسهب فتوح الامام وجهوده المخلصة لنشر الاسلام فى مملكة الحبشة والمعارك التى خاضها الامام اثناء الفتح مما اعطى صورة واضحة عن الصفات الاسلامية والروح الشجاعة والذكاء الحاد الذى اتصف به الامام احمد.

كما تنــــــاول الفصل علاقة الامام بالدولة العثمانية ثم مواجهته للتحالــــف البرتغالى الحبشى ،واخيرا استشهاده المفاجىء. كماوردفي الفصل الردعلى الشبهــــات التى أحاطت بسيرة الامام احمد والمسلمين فى الحبشة معتمدا على الحقائـــــق التاريخية الثابتة وما يمليه العقل والمنطق .

وشرح الفصل الخامس وعنوانه :

" الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فىعصر الامـام نور بن الوزير مجاهد " (٩٥٥هـ – ٩٧٥هـ / ١٥٥٠م – ١٥٦٧م) دور الامام نور بن الوزير مجاهد فــــــى التصدى للتحالف البرتغالى الحبشى ومحاولة الدفاع عن مملكة هرر المسلمـــــة ومحاولاته المتكررة لارجاع مجد المسلمين فى مملكة الحبشة وتحالفه مع الدولـة العثمانية حتى يتمكن من تكوين جيش يستطيع به الصمود امام هجمات ملـــــك الحبشة جلاديوس.كما تم في الفصل شرح الاحوال الداخلية التى احاطت بمملكة الحبشـة بعد زوال دولة الامام احمد وتدخل البرتغاليين فى الشئون الداخلية لمملكـــــة الحبشة ونشوء الصراع الدينى بين الاحباش والبرتغاليين .

وتم في الفصل دراسة الاسباب التى ادت الى التدخل العثمانى فى شرق افريقيــــه وانشاء ولاية الحبشة ومحاولة العثمانيين القيام بمهمة فتح الحبشة مــــرة اخرى . كما بين الفصل اثر النفوذ العثمانى الذى فرضته الدولة العثمانيـــة فى البحر الاحمر على الحالة الاقتصادية فى شرق افريقيه فى النصف الثانى مــن القرن العاشر الهجرى ،مع توضيح الاثر المدمر للنفوذ البرتغالى على دويــلات الساحل الشرقى المطل على المحيط الهندى .

اما الفصل السادس وعنوانه :

" العثمانيون وحركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى النصف الثانــى من القرن العاشر الهجرى "فقد ورد فيه مراحل امتداد النفوذ العثمانى فـــــى البحر الاحمر بعد دخول مصــــــــر فى حوزتهم ثم ضمهم الحجاز واليمـــــن

وامتداد نفوذهم الى شرق افريقية.كماتم في هذ االفصلدراسةتحالف العثمانيين مع مسلمى شرق افريقيه فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ومحاولتهم لمد نفوذهم الى جنوب الساحل الشرقى واثر ذلك على كفاح مسلمى الدويلات الاسلامية الذين حاولوا - بمساعدة العثمانيين - خلع نير السيطرة البرتغالية والآثار التى ترتبت على فشل تلك المحاولة ومنها زيادة ترسيخ اقدام البرتغاليين فى الساحل ببناء قلعة يسوع فى ممبسة .

وأخيرافقدتمثلتفي الفصل دراسة أسباب تدهور النفوذ البرتغالى فى شرق افريقيه فى نهاية القرن العاشر الهجرى وبداية القرن الحادى عشر وتتابع وفود القوى الاوروبية الاخرى الى تلك المنطقة .

واما خاتمة الرسالة فقد تناولت اهم النتائج التى توصل اليها البحث واهم النتائج التى ترتبت على حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى واهمها : أثرها على تغلغل الاسلام فى مملكة الحبشة وتغييره للموازين الاجتماعية هناك .

واشتمل البحث على ملحق لنماذج من الوثائق التى استعانت بها الدراسة وعلى عدة خرائط توضح الممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة والمطلة على البحر الاحمر والدويلات الاسلامية المطلة على المحيط الهندى وخريطة توضح مواطن الذهب بالقرب من ساحل شرق افريقيه .

وانى اتوجه بخالص شكرى وامتنانى لاستاذى المشرف على هذه الرسالة الاستاذ الدكتور / محمد سيد محمد الذى لم يبخل على بارشاداته القيمة فى كل خطوة من خطوات هذا البحث .... جزاه الله عنى خير الجزاء .

وختاما الله أسأل أن أكون قد وفقت فى اخراج هذه الرسالة على الوجه المطلوب وان تكون هذه الدراسة قد اضافت شيئا جديدا على فترة هامة وغامضة فى تاريخ شرق افريقيه الاسلامى الحافل بالبطولات .

والله من وراء القصد انه نعم المولى ونعم النصير

والحمد لله رب العالمين «««««

***

الفصل الأول

شرق أفريقية في أواخر القرن التاسع الهجري

« الخامس عشر الميلادي »

أولاً : الممالك والدويلات الاسلامية في ساحل شرق أفريقية .

ثانيًا : مملكة الحبشة .

ثالثا : العلاقات بين المسلمين ومملكة الحبشة .

أولا : الممالك والدويلات الاسلامية فى ساحل شرق افريقيه :

المقصود من شرق افريقيه فى هذا البحث هو ذلك الجزء الساحلى من القارة الافريقية المطل على البحر الاحمر والمحيط الهندى ،ويمتد من سواكن ومصوع فى الشمال حتى سفالة فى الجنوب ،وقد قامت على الجزء الساحلى المطل على البحر الاحمر وخليج عدن عدة دويلات اسلامية ارتبطت بظروف تاريخية واحدة ،وخضعت لنفس العوامل وذلك فى خلال القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى . فواجهت نفس العداء الصليبى الحاقد من الاحباش والبرتغاليين وقد سميت بدويلات الطراز لانها اذ تطل على البحر الاحمر كانت كالطراز فى الثوب ، اما منطقة الدويلات الاسلامية المطلة على المحيط الهندى فقد اطلق عليها بعض موءرخي القرن العاشر اسم بر السومال[1] وبر الزنج .[2]

أما بالنسبة الى ممالك الطراز الاسلامى المطلة على البحر الاحمر ،فقد بدأ الاسلام ينتشر فى شرق افريقيه منذ عصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ،فكانت هجرة المسلمين الى الحبشة فرارا بدينهم من اضطهاد قريش . ومن ثم اخذ فى الانتشار تدريجيا فى شرق القارة كما انتشر بنفس السرعة فى بقية العالم الاسلامى ،فلم تمض بضعة قرون حتى رأينا هذه الدويلات تنشأ محيطة بساحل البحر الاحمر ومطوقة مملكة الحبشة النصرانية من ناحية الشرق والجنوب وتزاحمها فى عقر دارها .

ولقد اخذت المسيحية فى الحبشة فى التراجع نحو المرتفعات متقوقعة على نفسها تنتهز الفرصة لضرب هذا المد الاسلامى الزاحف سلما .

ولم ينتشر الاسلام فى شرق افريقيه فى ركاب الفتح ،فلم تصل الفتوحات الاسلامية الى تلك الجهات وانما انتشر بواسطة الدعاة النشطين من المسلمين

---

(١) ابن ماجد ،الفوائد فى اصول علم البحر والقواعد ،ص ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٧؛ انظر ايضا سليمان المهرى ،العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية ،ص ٨٦، ٨٧، ٨٨؛ وايضا نفس المؤلف ،المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر ،ص ١٢ ، ١١٢ .

(٢) ابن ماجد ،نفس المصدر ،ص ١٧٠، ٢٢٤؛ سليمان المهرى ،العمدة ،ص ٤٤، ٨٩ ؛ المنهاج ،ص ٥٤ ،٥٥ .

وبواسطة التجار ،والهجرات العربية المتكررة من شبه الجزيرة العربية ومصر وبلاد فارس ،والمصاهرة الى القبائل الحاكمة الموجودة هناك مما ادى الى اعتناق تلك القبائل للاسلام .(١)

وتنحصر دويلات الطراز الاسلامية فيما يلى :-

مملكة أوفات :-

تقع اوفات الىالشمال من اقليم فطجار وشرق اقليم شوا وتضم المنحدرات المؤدية الى نهر عواش ،اما دائرة نفوذها فقد امتدت حتى ميناء زيلع المطل على خليج عدن وكل اجزاء اقليم هرر وامارتى مورا وعدل . ويذكر المقريزى أن مملكة اوفات طولها خمسة عشر يوما فى عرض عشرين يوما .(٢)

وكانت اوفات تعد من اقوى الممالك الاسلامية فى القرن التاسع الهجرى فكانت تسيطر على طرق التجارة الحبشية التى يتحتم المرور بها عند توجهها الى البحر الأحمر .

وقد اسس هذه المملكة قوم من قريش او من بنى هاشم من ولد عقيل بن ابى طالب ،هاجروا الى أوفات وظهرت منهم اسرة حاكمة سميت بأسرة " ولشمع " اشتهر منهم عمر ولشمع وولاه ملك الحبشة الحكم فى مدينة اوفات واخذت قوته فى التعاظم والازدياد ،وعند وفاته فى القرن السابع الهجرى ترك ملكا قويا لابنائه واحفاده الذين بدأوا فى التمرد على سلطة الاحباش بادئين حربا ضارية للاستقلال استمرت طوال القرنين الثامن والتاسع للهجرة .(٣)

وهكذا وضعت اوفات الاساس وبدأت الدور الاول من ادوار حركة الجهاد

---

(١) حسن احمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ،ص ٤٣٢ .

(٢) المقريزى ،الالمام باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام ،ص ٦ ؛على احمد نور ،النزاع الصومالى الاثيوبى ،ص ٢٨؛

Trimingham, Islam in Ethiopia, P. 67.

(٣) المقريزى ،الالمام ،ص ٩ ؛ ابراهيم طرخان ،الاسلام والممالك الاسلامية بالحبشة ،ص ٣٧ .

الاسلامى فى شرق افريقيه .

ويذكر المقريزى ان تاريخ هذه السلطنة ظهر فى حوالى عام ٧٠٠هـ (١٣٠٠م)، وفى عصر عمر ولشمع وأولاده من بعده كانت الحبشة تفرض سلطتها السياسية عليها ،ولكن ذلك لم يستمر طويلا فقد قام أحد أحفاده ويدعى حق الدين بن احمد بن على بن صبر الدين محمد بن عمر ولشمع بتوطيد ملكه داخل اوفات وذلك بالقضاء على من ينازعه الملك من ابناء اسرته وخاصة عمه ملا أصفح استعدادا لخوض حرب جهادية ضد ملك الحبشة .

كانت قوة اوفات العسكرية تبلغ نحو خمسة عشر الف فارس واكثر من عشرين الف راجل وغالب اهلها يتبعون المذهب الشافعى ويتكلمون العربية والامهرية لغة الاحباش .

ولسلطان اوفات مراسم حضارية متميزة فهو يجلس على كرسي ويتزيا بأفخم الملابس ويسير موكبه بالطبل والزمر . واراضى اوفات خصبة موفورة الماء وتزرع قصب السكر والفواكه والخضروات والحبوب وهى كثيرة الماشية ورخيصة الاثمان . اما العملة النقدية التى يتعامل بها اهل اوفات فهى الدراهم والدنانير المصرية بالاضافة الى التعامل بالذهب القادم اليها من بلاد الحبشة من منطقتى داموت Damot وقجام Cojam .(١)

مملكة دوارو :-

تأتى فى المرتبة الثانية بعد اوفات ،اهلها من قبائل السداما Sidama المسلمة وتقع جنوب منطقة شوا والتى تحد اوفات على الضفة اليمنى لنهر عواش Awash ،وتمتد جنوبا الى نهر ويبى Webi

(١) المقريزى ، الالمام ،ص٦ ؛ انظر ايضا ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٣٩؛ فتحى غيث ،الاسلام والحبشة عبر التاريخ ،ص ٨٧ ؛ وايضا عبد الرحمن زكى ، الاسلام والمسلمون فى شرق افريقيه ،ص ٤١ - ٤٢ .

الذى كان يشكل حدودها مع دولة بالي المجاورة وهى تنطبق على ما يعرف حاليا بمنطقة أروسى Arusi وهى مملكة صغيرة الحجم ويقدر ابعادها المقريزى بخمسة ايام طولا ويومين عرضا واهلها من الاحناف ،ورغم صغر حجمها الا انها ذات قوة عسكرية ضخمة تضاهى قوة اوفات .

ويتعامل اهل دوارو بعملة من الحديد تسمى " حَنُكُه " فتباع البقرة بخمسة آلاف حنكة ورأس الغنم بثلاثة آلاف . (١)

مملكة بالـــــى :-

تقع مملكة بالى الى الجنوب من مملكة دوارو بين نهر ويبى Webi فى الشمال وجبال دوريا Doria فى الجنوب وبذلك اصبحت تسيطر على السهل الصومالى . (٢) ومعظم سكان بالى من قبائل السداما Sidama وفى الجنوب تقطن بعض قبائل الغالا الرحل .(٣)

ومملكة بالى طولها عشرون يوما فى عرض ستة ايام وهى اكثر الممالك الاسلامية خصبا واطيب سكنا وابرد هواءاً ،واهلها على المذهب الحنفى اما تعاملهم التجارى فكان عن طريق المقايضة ولا يستخدمون عملة معينة ويخضع

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ٧؛ انظر ايضا حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٥١؛ على احمد نور ،نفس المرجع ،ص ٢٨؛ عبد الرحمن زكى ،نفس المرجع ،ص ٤٤؛ Trimingham, op. cit., P. 67.

(٢) Trimingham, op. cit., P. 67; حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٥١ .

(٣) قبائل السداما : من القبائل الحامية التى استوطنت الحبشة منذ عهود بعيدة ، اعتنق بعض هذه القبائل الاسلام بينما بقى بعضهم الاخر على الوثنية ويقطن السداما حول نهر جبى Gibe وبحيرة أباى Abay واختلط بعضهم بالزنوج ولهذه القبائل فروع كثيرة منهم زنجارو Zinjaro وجافات Gafat والمانشو Mansho والبوشا Bosha . انظر Trimingham, op. cit. PP. 66,180.

الغالا : تعنى كلمة الغالا اى المهاجرون ويسمون قبائل الأورومو Oromo

===/...

الحكم فيها لتدخل ملك الحبشة فيولى منهم من يشاء ويعزل من يشاء .[١]

مملكة هدية :-

تقع مملكة هدية الى اقصى الغرب من الممالك الاسلامية ما بين نهرى عواش وجيبى Gibe وتمتد حتى مقديشو ،وقد عرفت هدية فى اوائل القرن التاسع الهجرى بضخامة قوتها العسكرية بين الممالك الاسلامية ،فقد ذكرها المقريزى على انها اكثر الجميع عسكرا .[٢]

الا ان الوضع تغير مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجرى فقد دب الضعف فى هذه المملكة وحسب رواية الفاريز Alvarez انها اصبحت من الممالك التى عقدت سلما دائما مع ملوك الحبشة ،وتخضع لهم ويتولى ملوكها بأمر من الملك الحبشى حتى أن ملك الحبشة كان يأمر بإقامة الكنائس والاديرة بها وتوزيع القساوسة والرهبان عليها .[٣]

ومن مظاهر خضوعها للاحباش تقديم جزية سنوية من الاموال وتتضمن الجزية تقديم فتاة مسلمة ينصرها لنفسه ،كما حكم عليهم بالا يلبسوا عدة الحرب او يحلموا السلاح او يركبوا الخيل المسرجة .[٤]

== وهم قبائل موطنهم الاصلى فى افريقيه الوسطى قرب بحيرة برجومو Brogomo طردوا من موطنهم الاصلى على يد اعدائهم من القبائل الاخرى فنزحوا الى الصومال والحبشة فى بداية القرن العاشر الهجرى (١٦م) ومع مرور الزمن تجمعت قبائل الغالا فى اتحادين رئيسيين هما الوالو Wallo والياجو Yajju انظر :
Budge, Ahistory of Ethiopia, Vol.II. PP. 616-617,
Trimingham, op. cit. P. 193.

(١) المقريزى، الالمام ،ص ٨،يوسف أحمد، الاسلام فى الحبشة ،ص ٢٦،على أحمد نـور، نفس المرجع ،ص ٢٩، ابراهيم طرخان،نفس المرجع ،٣٩،فتحى غيث،نفس المرجع ،ص ٨٨.

(٢) المقريزى، الالمام ،ص ٧ .

(٣) Alvarez, The Portuguese Embassy, P. 347; Trimingham, Op. Cit.,P.66.

(٤) عرب فقيه ،فتوح الحبشة ،ص ٢٨١، انظر ايضا Alvarez, op. cit., P.110

وتتكون هدية من ثمان مقاطعات ،وطولها ثمانية ايام وعرضها تسعة واشتهرت بتجارة الرقيق الخصيان واغلب رعاياها من الوثنيين من قبائل السداما والجوارجى والشابو .(١)

مملكة ارابينى :-

تقع هذه المملكة فى الشمال الشرقى من بحيرة تانا Tana وتتوسط بين هدية ودوارو ،يبلغ طولها اربعة ايام وعرضها اربعة ايام ومذهب اهلها الحنفية ويتعامل سكانها بالحديد وتسمى الواحدة حنكة وتبلغ قوتها العسكرية عشرة آلاف فارس عدا الرجالة .(٢)

مملكة شرخه :-

تقع غرب أوفات بين هدية ودوارو وهى من الممالك صغيرة الحجم ،فيبلغ طولها ثلاثة أيام فى عرض أربعة أيام وأهلها على المذهب الحنفى وتبلغ قوتها العسكرية ثلاثة آلاف فارس عدا الرجالة .(٣)

مملكة دارة :-

تقع مملكة دارة فى شمال شرق هدية والى الغرب من مملكة اوفات فى منطقة السداما ،ويبلغ طولها ثلاثة ايام فى عرض ثلاثة ايام وهى اضعف الممالك الاسلامية واقلها مساحة واهلها على المذهب الحنفى ،والمعاملات التجارية فيها بالمقايضة .(٤)

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ٧ ، انظر ايضا ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٤٠، على احمد نور ،نفس المرجع ،ص ٢٨ ،٢٩ ،
Trimingham, op. cit., P.66.

(٢) المقريزى ، الالمام ،ص ٧ ،انظر ايضا ،عبد المجيد عابدين بين،الحبشة والعرب ،ص ١٥٦ ،فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ٨٧ ،
Trimingham, op. cit., P.67

(٣) المقريزى ، الالمام ،ص ٨،عبدالمحيد عابدين،نفس المرجع ،ص ٥٦،على أحمد نور ، نفس المرجع ،ص ٢٩ ، Trimingham, op. cit., P. 67;

(٤) المقريزى ، الالمام ،ص ٨ ، ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٤١،يوسف احمد نفس المرجع ،ص ٢٦ ،عبد الرحمن زكى ،نفس المرجع ،ص ٤٣ .

وبالاضافة الى تلك الدويلات الاسلامية قامت ايضا بعض المراكز الاسلامية فى شرق افريقيه ومن اهمها :-

مدينة هرر :

تقع مدينة هرر فى اقصى جبال امحره ، اسسها فى عهد مبكر مهاجرون عرب ، اما من الشمال او من شبه الجزيرة العربية من قريش ،وقد استغرق انتشار الاسلام بها عدة قرون ،وبالتدريج اصبحت مركزا تجاريا هاما ومركزا لنشر الدعوة الاسلامية وفى الغالب كانت تتبع اوفات او عدل من الناحية السياسية حتى اصبحت قاعدة الدولة الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى واصبحت منطلقا لحركة الجهاد الاسلامى على عهد الامام احمد بن ابراهيم .(١)

مدينة سواكن :

مدينة بقرب جزيرة عيذاب وهى مدينة عامرة فى ساحل بلاد البجاه بالقرب من الحبشة .(٢) وأهلها مسلمون ،وصاحب سواكن من قبائل البجاة المسلمين ، ويتاجر اهلها فى الرقيق القادم من الحبشة ومن بلاد البجاة كما يشتغلون ايضا فى صيد اللؤلؤ الجيد .(٣)

جزر دهلك :

قامت امارة بمحاذاة الساحل الافريقى الشرقى يقال لها دهلك

---

(١) محمد المعتصم سيد ،دول اسلامية فى شرق افريقيه ،ص ٢٨، ٢٩؛ وايضا حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٥١؛ وايضا
Trimingham, op. cit., P. 68.

(٢) البجاه : قبيلة من القبائل الرحل نزحوا منجزيرة العرب الى ساحل السودان منذ القدم واستقروا بين نهر النيل وساحل البحر الاحمر وبعد ظهور الاسلام اخذ الاسلام فى الانتشار بينهم ،وينقسم البجاة فى عصرنا الحاضر الى ثلاث قبائل رئيسية هم : البشاريين والهدندوه وبنى عامر، انظر
Macmichael, Ahistory of the Arabs in the Sudan, Vol. I, P.35

(٣) ابو الفدا ، تقويم البلدان ،ص ٣٧١، ٣٨٠؛ الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الاقطار ،ص ٣٣٢ .

وهى مجموعة من الجزر تقع فى البحر الاحمر قبالة مصوع ويحكمها ملك مسلم يخضع لملك الحبشة ويتقرب الى ملك اليمن .(١)

فيذكر ابن الديبع فى احداث عام ٨٣٣هـ ان صاحب دهلك ارسل الى ملك اليمن الظاهر (٢) هدايا من جملتها فيل وأسد وزرافة وجوار وعبيد وزباد ..وغير ذلك (٣)

وهذه العلاقة تبين مدى الاهمية التى تحتلها شبه الجزيرة العربية فى علاقتها مع شرق افريقيه فى القرن التاسع الهجرى وهذا ما سنلمسه من خلال هذه الدراسة لحركة الجهاد الاسلامى التى خاضها المسلمون فى شرق افريقيه ضد الاحباش فى القرن التاسع الهجرى وهو ما يسمى بدور أوفات ودور عدل وكذلك استمرار هذه العلاقة فى القرن العاشر من خلال حركة الجهاد الكبرى التى خاضها الامام احمد بن ابراهيم لفتح بلاد الحبشة .

من استعراضنا للدويلات الاسلامية فى شرق افريقيه المطلة على البحر الاحمر نرى أن مساحة هذه الممالك الاسلامية كبيرة جدا بحيث تمتد من ساحل البحر الاحمر الى منطقة البحيرات الكبرى فى وسط افريقيا ،وهى تفوق فى مساحتها اراضى مملكة الحبشة وبذلك احاط الاسلام بالحبشة من الشرق والشمال والغرب والجنوب ،ففى الشمال تقع مصر ومن الغرب السودان ومن الشرق والجنوب الدويلات الاسلامية مما أدى إلى عزل مملكة الحبشة عن العالم الخارجي .(٤)

لقد كانت تلك الدويلات بمثابة اسواق ضخمة يقصدها ابناء البلاد الاصليين من الصوماليين والدناقل وغيرهم بقصد الشراء والبيع والعمل ،مما ساعد على

---

(١) ابو الفداء ،نفس المصدر ،ص ٣٧٠، ٣٧١؛ عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ص ١٥٨ – ١٦٢.

(٢) هو الملك يحي بن الناصر اسماعيل الملقب بالظاهر (٨٣١هـ – ٨٤٢ من آخر سلاطين بنى رسول فى اليمن . انظر آمنة جلال ،علاقة سلاطين بنى رسول بالحجاز ،ص ١٤١، ٢٣٢ .

(٣) ابن الديبع ،بغية المستفيد ،ص ١٠٨ .

(٤) Trimingham, op. cit., PP. 66, 68;
انظر ايضا ،حسن محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٣٣؛ عبدالرحمن زكى ،نفس المرجع ص ٤٣ .

انتشار الاسلام بينهم .

اما النظام السياسى السائد فى هذه الدويلات فهو النظام الملكى . وتتدخل مملكة الحبشة فى هذا النظام كثيرا ،فتولى من ترضى عنه وتعزل من لا تثق فيه ،وتدفع هذه الدويلات جزية سنوية لملك الحبشة تتمثل فى الاقمشة وغيرها وتنفرد مملكة هدية من سائر الممالك بالضريبة المذكورة سابقا وهى تقديم فتاة مسلمة ينصرها الملك الحبشى لنفسه .(١)

ولم تحاول اى من هذه الممالك الثورة على الحبشة ما عدا اوفات اقوى هذه الممالك ،وذلك لضعف البقية وللتنافس والتفكك السائد بينها ،وبعد المسافة بين مملكة واخرى .

ولعل ترمنجهام Trimingham لم يبتعد عن الحقيقة حين اشار الى انه لو قدر لهذه السلطنات ان تتحد فيما بينها لكانت خطرا على وجود مملكة الحبشة المسيحية القاطنة فى المرتفعات .(٢)

ولعل ايضا مما ساعد على تفكك هذه الدويلات هو توزعها علىمناطق شاسعة تتخللها القفار والبدو الرحل والوثنيون وصعوبة التحرك فى تلك المناطق ،هذا بالاضافة الى عدم وجود جيوش نظامية ،فالجنود فى تلك الدويلات ممن يشتغلون بالزراعة فىمعظم ايام السنة ،وكانت التعبئة العسكرية تستغرق وقتا طويلا نسبيا بالاضافة الى الإضرار بالناحية الاقتصادية فى حالة شن الحرب ضد مملكة الحبشة .(٣)

يذكر المقريزى ان اهالى هذه الممالك يتكلمون العربية بالاضافة الى خمسين لهجة ويكتبون بالحروف الحبشية وكتابتهم من اليمين الى الشمال وعدد حروف هذه اللغة ستة عشر حرفا لكل حرف سبعة فروع مجموعها مائة واثنا عشر حرفا

---

(١) القلقشندى ،صبح الاعشى ،جـ٨ ،ص ١١؛ المقريزى ، الالمام ،ص ٦ ، ابراهيم طرخان،نفس المرجع ،ص ٣٤ ،٣٥ ،يوسف احمد ،نفس المرجع ،ص ٢٧،٢٨ .

(٢) Trimingham , op. cit., P. 66

(٣) المقريزى ، الالمام ،ص ٦ ،الشاطر بصيلى ؛تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ،ص ١٩٠ .

كما يتعامل اهلها بالمقايضة وعمله من الحديد تسمى " حنكة " او بالذهب .

وتقوم الزراعة على الامطار وموسم الحصاد مرتان فى العام .(١)
ويوزع السلطان فيها الاراضى الزراعية والابقار على جنوده وامراء جيشه .
ويستخدمون فى الأوزان الرطل المكون من اثنتى عشرة اوقية وكل اوقية عشرة دراهم
والمكيال يسمى الربعية .

ومن حيث الازياء فى هذه الممالك نرى الملك يعصب رأسه بعصائب من حرير
ويلبس ازارا غير مخيط ،ويشد وسطه بحزام ويضع ازارا آخر على نصفه العلوى ،
اما الامراء والجنود فلهم عصائب من قطن ويلبس الفقهاء العمائم والعامة
الكوافى البيضاء وسلاحهم الحراب والنشاب .(٢)

اما بالنسبة الى دويلات المدن الاسلامية فى شرق افريقيه والمطلة على
المحيط الهندى ، فقد انتقلت الحضارة الاسلامية الى ذلك الساحل عبر الهجرات
العربية المتكررة . فضلاعن الهجرات الفارسية ،وذلك على مدى قرون عديدة وقد
واكب انتشار الاسلام هناك نقل المسلمين لنظم الحياة الاسلامية وتقاليدها
بالاضافة الى انصهارهم مع الشعوب الافريقية ،وقد ادى ذلك الى تكوين الشعب
السواحيلى واصبحت لهم لغة واحدة تسمى اللغة السواحيلية وهى خليط من اللغة
العربية ولغة قبائل البانتو Bantu (٣) وتنتشر حاليا فى معظم اقطار
شرق افريقيه واستطاع المسلمون بذلك ان يؤسسوا دويلات وامارات اسلامية نهضت
بالحياة الاقتصادية والحضارية والسياسية فى تلك المنطقة فقد ازدهرت الزراعة
وراجت التجارة وتقدمت الصناعة وشهدت المنطقة تطورا اقتصاديا لم يكن معروفا
قبل قدوم المسلمين .(٤)

---

(١) المقريزى ،الالمام ،ص ٣ ، ٧ ، ٨ .
(٢) الشاطر بصيلى ،نفس المرجع ،ص ١٩٠ ؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٣٥ ، ٣٦ ؛ عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ،ص ١٥٨ .
(٣) اللغة السواحيلية : هي لغة بانتويه افريقية متأثرة بالثقافة العربية الاسلامية .
(٤) Alpers, Ivory and Sleves, P. 38 - 40 .

ورغم الاختلافات السياسية والمذهبية بين هذه الدويلات الا ان وحدة الدين واللغة جمعت بينها واعطت وحدة تشابه للساحل المطل على المحيط الهندى وهذا ما لاحظه البرتغاليون عند وصولهم الى شرق افريقيه لاول مرة فى بداية القرن العاشر الهجرى (١٦م) وامتدت هذه الدويلات من مقديشو شمالا حتى سفالة جنوبا .

واهم هذه الدويلات :-(١)

مقديشو :

تأسست فى القرن الرابع الهجرى (١٠م) حيث هاجر اليها فى ثلاث سفن سبعة إخوة من الاحساء من قبيلة الحارث ،هربا من الصراع القائم بين الخلافة العباسية والقرامطة ،ونزلوا فى ساحل الصومال واسسوا مدينة مقديشو بعد ان انتصروا على من سبقهم من المهاجرين العرب وخاصة الزيديه ومن ثم اصبحت مركزا تجاريا هاما على الساحل الصومالى .

اشتهرت " مقديشو " بصناعة المنسوجات القطنية الرقيقة التى ذاعت شهرتها فى مصر والعالم الاسلامى كما اشتهرت بثروتها الحيوانية الضخمة من الجمال والاغنام .

وقد وصف ابن بطوطة فى القرن الثامن الهجرى المظهر الحضارى لمدينة مقديشو مثل موكب السلطان والولائم والامراء والوزراء والجنود والالات الموسيقية المستعملة ومراسم الاستقبال للغرباء والقضاء والتجارة ... الخ .(٢)
ولقد امتد نفوذها فى فترات ازدهارها فى القرن الثانى عشر الميلادى فشمل الساحل من كلوه حتى سفالة واستغلت تجارة الذهب بها .

---

(١) انظر الخريطة رقم (٢) .
(٢) ابن بطوطة ،تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ،ص ٢٥٣-٢٥٧ .

وعند وصول البرتغاليين الى مقديشو فى القرن العاشر الهجرى (١٦م) وفى رحلة فاسكو دى جاما Vasco de Gama الاولى بين عامي (١٤٩٧ م – ١٤٩٩م) وجدها مدينة بيضاء كبيرة ذات منازل متعددة الادوار وذات قصور فى وسطها وهى قوية التحصين لها أربعة ابراج من حولها ،كما ان التجارة بها مزدهرة وتكثر السفن فى مينائها خاصة سفن الهند المحملة بالانسجة والتوابل وسفن عدن التى تحمل الذهب والعاج والشمع لذلك فهى من المدن واسعة الشراء ويستخدم أهالى مقديشو السهام المسمومة فى الدفاع عن مدينتهم .(١)

براوة :

تقع مدينة براوة فى شمال نهر جوبا والى الجنوب من مقديشو وقد اسسها الاخوة السبعة الذين أشرنا اليهم عند وصف مقديشو وهى مدينة تجارية هامة لا تقل عن مكانة سابقتها وكان الحكم فيها لكبار الشيوخ من التجار . مر بها البرتغاليون واسترعى انتباههم تقدمها الحضارى فهى عامرة بالدور الضخمة والمساجد كما وجدوا بها اثنى عشرزعيما ينحدرون من سلالة هؤلاء الاخوة السبعة ويحكمون على غرار نظام الحكم الجمهورى بواسطة مجلس يضم هؤلاء الزعماء .(٢)

بات :

هى جزيرة واسعة المساحة ،احدى جزر ارخبيل لامو تحتوى على عدة مدن منها فازة وسيهوى ،كانت تخضع فى بداية الامر لسلطان مقديشو حوالى

---

(١) Journal of the First Voyage of Vasco de G ama (1497-1499), Tr. by Ravenstein" In East African Coast (Select Documents edited by . Freeman & Grenville.", P. 57;
Barbosa, The book of Duarte Barbosa ., Vol,I, P.31;
Hamiltom, In the Wake of Da Gama, PP. 58-59;
Alpers, Ivory and sleves , P. 40,
انظر ايضا جيان ،وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق افريقية ،ص ٣٢٢

(٢) Barbosa, op. cit., P.30; Barros, Da Asia, Tr.,by Theal "In The East African Coast(Select Documents) edited by Freeman & Grenville" P. 84;
انظر ايضا، السيد رجب حراز، افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبى ،ص ٤ ؛
حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص٤٣٧؛ عبدالرحمن زكى،نفس المرجع ،ص ١١٨ .

عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥م وفى مستهل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) استطاع سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانى وهو من سلاطين مسقط ان يتولى الحكم فى بات عن طريق المصاهرة وبذلك اسس بها حكم الاسرة البنهانية .(١)

وفى منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) توسعت سلطة بات من الناحية الشمالية وخاصة تحت حكم محمد الثانى بن احمد (٦٩٠هـ – ٧٣٢هـ / ١٢٩١م – ١٣٣١م) وفرض الجزية على المدن الساحلية شمالا حتى مقديشو وفى عهد خليفته عمر بن محمد (٧٣٢هـ – ٧٤٨هـ / ١٣٣١م – ١٣٤٧م) توسعت بات جنوبا فاستولت على جزيرة ماندا . اما طبيعة نفوذ بات على تلك المناطق فكانت تتمثل فى دفع الجزية للسلطان بالاضافة الى تعيين عامل فى كل مدينة تخضع له ويصرف شئونها غير انه كان لكل مدينة مجلس للشيوخ يشارك العامل فى السلطة .

وبالاضافة الى شهرة بات من الناحية التجارية فقد اشتهرت ايضا بصناعة الاقمشة الحريرية النفسية وفى مجال الزراعة كانت هناك مزراع كبيرة تنتشر على الحزيرة وعلى سواحل القارة تزرع النارجيل والدخن والحبوب . وقد وصفها البرتغاليون فى بداية القرن العاشر الهجرى (١٦م) بانها مدينة جميلة قوية التحصين وبيوتها من الحجر والملاط واهلها فى جهاد مستمر ضد الوثنيين فى داخل القارة .(٢)

لامـــو :

تقع مدينة لامو على جزيرة الى الجنوب الغربى من رأس ديكس والى الشمال

---

(١) المغيرى ،جهينة الاخبار فى تاريخ زنجبار ،ص ٨٩؛ جيان ،نفس المرجع ،ص ٣٤١؛ عبد الرحمن زكى ،نفس المرجع ،ص ١١٩؛ محمد الزبيدى ،هجرة العرب المسلمين الى شرق افريقيه ،مجلة المؤرخ العربى ، العدد ٢٣ ،سنة ١٩٨٣م ،ص ١٠٩ .

(٢) Barbosa, op. cit., P. 29; Chttik, The East coast Madagascar"In The Cambridge History of Africa", Vol.III P.217;

انظر ايضا ،ترمنجهام ، الاسلام فى شرق افريقيه ،ص ٤٥–٤٦؛ جيان ،نفس المرجع ص ٣٤٢؛ حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٧٠ – ٤٧٢ .

من ماليندى وتعتبر لامو من أقدم الامارات الاسلامية التى ظهرت فى ساحل شرق افريقيه ،فقد وفدت اليها الهجرات العربية منذ القرن الاول الهجرى (٧م) ومن اشهر من هاجر الى لامو واسس ملكا بها سليمان وسعيد ابناء عباد الجلندى وهم من شيوخ قبيلة الازد فى عمان وقد رحلوا اليها مع انصارهما بين عامى (٧٥هـ – ٨٥هـ / ٦٩٤م – ٧٠٤م) فرارا من الخليفة عبد الملك بن مروان بعد ان فشلت ثورتهما ضده .

وفى بداية القرن الثانى الهجرى (٨م) استطاع حفيد لهما يسمى الحاج سعيد ان يستولى على السلطة ويؤسس دولة خاصة به .

وعندما وصل اليها البرتغاليون فى القرن العاشر الهجرى (١٦م) وجدوها مدينة مزدهرة لها اسوار حصينة منازلها بيضاء مبنية من الحجر وميناءها يزدحم بالقوارب التجارية من جميع الجهات ؛ وقد اشتهرت بعلاقاتها التجارية مع بلاد فارس وجزيرة العرب .

أما أهلها فهم مسلمون فى جهاد مستمر ضد وثنيي البر الرئيسى .(١)

ماليندى :

تقع ماليندى إلى الشمال من مدينة ممبسة وهى اليوم ميناء فى خليج على ساحل كينيا اسسها مهاجرون من شيراز وهم اتباع السلطان حسن بن على الذى اسس مدينة كلوه ،وقد وصل الى بر الزنج فى سبعة مراكب ،توزعت هذه المراكب على عدة اماكن فى الساحل وذلك حوالى عامى (٣٦٥ هـ – ٣٦٦هـ / ٩٧٥م–٩٧٦م) .(٢)

---

(١) Barbosa, op, cit., P.29;
Hamilton, op. cit., PP. 56 - 57;

حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٣٦ ؛عبدالرحمن زكى ،نفس المرجع ،ص ١٢٠–١٢١ ؛محمد الزبيدى ،نفس المرجع ،ص ١٠٦ .

(٢) السلوة فى اخبار كلوه ،مخطوطة نقلها المغيرى كاملة فى كتابه " جهينة الاخبار فى تاريخ زنجبار " ،ص ٣٧ .

وذكرها الحميرى فى مؤلفه بأنها مدينة كبيرة وحرفة اهلها الصيد بـــرا وبحرا وصناعة الحديد والاتجار به ،وهو المصدر الاول لرزقهم .(١)

وقد ورد فى المصادر البرتغالية وصفا دقيقا لمدينة ماليندى فى مطلـــع القرن العاشر الهجرى (١٦م) ،فعندما القى فاسكو دى جاما مراسيه امامهـــا بين عامى ٩٠٣هـ – ٩٠٥هـ / ١٤٩٧م– ١٤٩٩م أثارت دهشته فخامة المدينـــــــة ورقى سكانها وأبهة ملكها فقد كان الملك يرتدى عباءة ملكية من الدمقـــس الموشى بالحرير الاخضر ويضع عمامة على رأسه ،ويجلس على كرسى من البرونـــز فوقهما الوسائد وتظلله مظلة مستديرة من الحرير القرمزى وبجانبه حارســـه الخاص يحمل سيفا قصيرا فى غمد من الفضة ،كما ان الفرقة الموسيقية الخاصة بالملك كانت تحمل الابواق المنحوتة من العاج فى احجام ضخمة وترقص الخيول على انغام هذه الابواق .

هذا بالإضافة إلى مبانيها العالية المبنية من الحجر والمطلية باللـــون الابيض ولها نوافذ عديدة وتحيط بها بساتين النخيل والخضروات والذرة .(٢) وتبدو هذه المنازل منسقة منظمة على طول شوارع المدينة ،وسكانها من العـــرب والسود والبيض ويرتدون الاقمشة القطنية والحريرية والعباءات الفاخرة واحزمة الوسط الثمينة ويضعون على رؤوسهم العمائم المصنوعة من الاقمشة النفيسة واهلها من كبار التجار يتاجرون بالاقمشة والذهب والعاج والشمع والبهار ومختلف السلع الاخرى ،ويكتظ ميناؤها بالسفن من كافة الانواع ومن مختلف الجهات والاقطـــار كما أن الزراعة مزدهرة بها كزراعة الذرة والدخن والأرز والحنطة ومختلـــف انواع الفاكهة وخاصة البرتقال هذا بالإضافة إلى الثروة الحيوانية الكبيـــرة لديهم .(٣)

---

(١) الحميرى ،نفس المصدر ،ص ٥٤٤ .

(٢) Journal of the First Voyage of Vasco da Gama, op. cit., PP. 53-54, 56.

(٣) Barbosa, op. cit., P. 22;

انظر ايضا: جيان ،نفس المرجع ،ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

ممبســـــــــــــة :

زار ابن بطوطة ساحل شرق افريقيه فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) ووصف ممبسة بأنها جزيرة كبيرة بينها وبين ارض السواحل مسيرة يومين فى البحـــــر وأشجارها الموز والليمون والاترج واكثر طعامهم الموز والسمك وهم شافعيـــة المذهب أهل دين وعفاف وصلاح ويحصلون على الماء العذب بحفر الآبار .(١)

كما يذكر الحميرى فى الروض المعطار بان حرفة اهلها استخراج الحديد وصيد النمور والتجارة .(٢)

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) كانت لكلوه بعض السيادة على ممبسة نظراً لارتباط الاسرتين الحاكمتين برباط المصاهرة حيث كان سلطان ممبسة متزوجا من ابنة سلطان كلوه الا أنه مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشـــر للهجرة كان النزاع على اشده بين ممبسة ومالينيدى مما خدم المصالح البرتغاليـــة فى ذلك الساحل واستمر هذا النزاع حتى نهاية القرن العاشـــــــــــــر .

وكان نظام الحكم فى ممبسة يخضع لمشايخ القبائل ويشكلون مجلســــــــاً لادارة الحكم بها يسمونه وازى Wezee .(٢)

ويصفها البرتغاليون فى مطلع القرن العاشر الهجرى بانها مدينة كبيـــرة تقع على جزيرة وليس لها اسوار من ناحية البحر ولكنها محمية من الجانب البرى بسور . ومنازلها مبنية من الحجر بعضها يتألف من ثلاثة طوابق ومطلية بالجص ومنسقة على جانبى الشوارع ونوافذها وابوابها من الخشب المحفور ،وشوارعهـــا

---

(١) ابن بطوطة ،نفس المصدر ،ص ٢٥٧ .
(٢) الحميرى ،نفس المصدر ،ص ٥٥٢ .
(٣) المغيرى ،نفس المرجع ،ص ٨٣ ؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٤٣ – ٤٤ ، انظر ايضا
Serjeant, The Portuguese off the South Arabian Coast, PP. 9-10

ضيقة جدا وايضا توجد مقاعد حجرية امام جميع المنازل .

اما نساؤها فلباسهن الحرير الفاخر والذهب.وفى مجال الزراعة فهى تزرع البرتقال والرمان والليمون وقصب السكر ومختلف انواع الخضروات والحبوب وماؤها عذب وفير .

اما من الناحية التجارية فميناؤها جيد ترسو فيه جميع انواع السفن والزوارق القادمة من سفالة ومن الهند ومن ماليندى ،واهلها ايضا يتاجرون مع سكان البر الرئيسى فيجلبون منه العسل والشمع والعاج .

واهل ممبسة فى جهاد مستمر ضد وثنيي ذلك البر .(١)

بمبا Pimba (الجزيرة الخضراء) :

هى جزيرة ذات أهمية كبيرة تقع الى الشمال من زنجبار وتبعد عنها اثنين وثلاثين ميلا وعن الساحل ثمانية وثلاثين ميلا واقصى طول لها اثنان وأربعون ميلا وعرضها أربعة عشر ميلا أى أن مساحتها ثلاثمائة وثمانون ميلا مربعا وبها مدينتان تسميان متنبى ومكنبلو . والزعامات على هذه الجزيرة كثيرة ومتعددة .(٢)

وخضعت بمبا فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) لسلطان كلوه وعندما وصل اليها البرتغاليون فى القرن العاشرالهجرى (١٦م) وجدوا خمسة رئاسات على

---

(١) The voyage and Acts of Dom Francisco Viceroy of India, Written in the Ship Sao Rafael of Oporto, Tr. by Axelson " In the East African Coast(Select Documents) edited by Freeman & Grenville" PP. 108 - 110; Barbosa, op. cit., P. 19; Barros, op. cit., PP. 96 - 97; Marsh & Kingsnorth, An Introduction to the history of East Africa, P.11.

(٢) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ،جـ٢ ،ص ١٣٦؛ المغيرى ،نفس المرجع ،ص ٢٥ .

الجزيرة .

ويصفها البرتغاليون بانها مأهولة بالمسلمين ،وتكثر بها غدران المياه ، والمزروعات بها وفيرة جدا حيث يوجد بها الارز والدخن والبرتقال والحمضيات وجميع انواع الفواكه وهى كثيرة المواشى من مختلف الانواع ويزرع فيها قصب السكر ولكن سكانها لا يعرفون كيفية استخراج السكر منه .

كما اشتهرت بمبا بصناعة صوارى السفن وتزود بها السفن التى تحتاجها ويتاجر اهلها مع البر الرئيسى فى قواربهم الصغيرة ذات الصارى الواحد، واهل بمبا يعيشون فى رفاهية تامة ويرتدون الملابس الفاخرة وتتزين نساؤها بالحلى الذهبية والفضية ويرتدين الحرير وتنتشر المساجد فى انحاء كثيرة من الجزيرة .(١)

زنجبار :

زنجبار كلمة عربية محرفة أصلها بر الزنج .

وتسمى زنجبار باللغة السواحيلية " انغوجاء " .(٢) وهى تبعد عن البر الرئيسى مسافة خمسة وعشرين ميلا وتقع إلى الجنوب من ممبسة وبمبا ويفصلها عن الاولى مائة وثمانية عشر ميلا وعن الثانية خمسة وثلاثون ميلا .(٣)

وصفها ابن ماجد البحار العربى الشهير فى نهاية القرن التاسع الهجرى وبداية القرن العاشر بأنها ذات أشجار وانهار وفيها اربعون مسجداً تقام فيها صلاة الجماعة وان اهلها يجاهدون وثنيي البر الرئيسي .(٤)

---

(١) Journal of the First Voyage of Vasco da Gama, op. cit., P. 51; Barbosa, op. cit., P. 26; Barros, op. cit., P. 85;

انظر ايضا ،جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٨٤،٣٤٣؛ترمنجهام ،نفس المرجع ،ص ٥١ .

(٢) انغوجاء : كلمة باللغة السواحيلية مركبة من كلمتين هما انغو : وتعنى الصحن الكبير وجاء : وتعنى امتلأ.اذن معنى انغوجاء هو الصحن الممتلئ.
انظر المغيرى ،نفس المرجع ،ص ١٥ .

(٣) المغيرى ،نفس المرجع ،ص ١٥ - ١٦ .

(٤) ابن ماجد ، نفس المصدر ،ص ٢٩٩ .

كما وصفها البرتغاليون فى اوائل القرن العاشر الهجرى بأنه يسكنها المسلمون والوثنيون • وتنتج الخشب الصالح لبناء السفن والحبال من الياف شجر النارجيل والاقمشة الحريرية والقطنية ويتاجر اهلها بالعنبر والعاج والشمع والعسل والأرز كما يقومون بتربية الماشيةوزراعة الفاكهة والحبوب والحمضيات ويتاجرون ايضا مع البر الرئيسى •

ويعيش سكانها فى رفاهية وتتزين نساؤها بالحلى الذهبية والفضية والملابس الحريرية الفاخرة ،كما توجد على الجزيرة مساجد كثيرة للمسلمين ولها ميناء يحمل نفس اسم الجزيرة (زنجبار)وهو يزدحم بالسفن والقوارب •(١)

مافيا :

تقع جزيرة مافيا بين جزيرة مدغشقر والساحل الشرقى لافريقيه ،وسكانها من المسلمين وهى كثيرة الخيرات الزراعية مثل الحبوب والفواكه وخاصة الحمضيات وقصب السكر ،بالاضافة إلى أعداد الماشية الكبيرة بها ،كما يستخرجون القطران من جذوع الاشجار ولديهم صناعات من سعف النخل ويتاجر أهلها مع البر الرئيسى بالحاصلات الزراعية والمواشى فى قوارب صغيرة ذات الصارى الواحد •

ويحيا أهل هذه الجزيرة فى رفاهية كبيرة فيرتدون الملابس الحريرية والقطنية التى يشترونها فى ممبسة من تجار كمبايا الهنود ،كما ترتدى نساؤها الحلى الذهبية القادمة من سفالة ومن الفضة فيضعن الاقراط والعقود والخلاخل والاساور •(٢)

---

(١) Barbosa, op. cit., P.26; Barros, op. cit., P. 76;
انظر ايضا ،المغيرى ،نفس المرجع ،ص ٩٣ ؛ جيان ،نفس المرجع ،ص ٢١٦-٢١٧٠

(٢) Barbosa, op. cit., P. 26.

وقد خضعت مافيا اواخر القرن التاسع الهجرى وبداية القرن العاشر لحكم كلوه فعندما وصل اليها البرتغاليون وجدوا أن أهلها من رعايا سلطان كلوه .(١)

كلـــــوه Kilwa :-

اسس مدينة كلوه اسرة شيرازية رحلت من بلاد فارس الى شرق افريقيه وهى أسرة السلطان حسن بن على وأولاده الستة ويروى سجل تاريخ مدينة كلوه انه اشترى هذه الجزيرة من صاحبها الوثنى بعد أن دفع له مقابلها كمية كبيرة من الاقمشة متعددة الالوان،ودلالة على ضخامة تلك الكمية ان الوثنى استطاع ان يحيط الجزيرة بتلك الاقمشة .

وفى منتصف القرن الثامن الهجرى (١٤م) انتهى ملك الشيرازيين فى كلوه وانتقل الحكم إلى بيت أبى المواهب واول من تولى منهم الحسن بن طالوت الذى يكنى بأبى المواهب لكثرة مواهبة ومكارمه وهو الذى استضاف لديه ابن بطوطة الرحالة العربى المسلم الذى زار كلوه فى تلك الفترة وتحدث عن هذا السلطان باعجاب كبير كما أشاد بجهاده ضد وثنيي البر الرئيسى وذكر بأن كلوه تعد من احسن المدن على ساحل شرق افريقيه واتقنها عمارة وكلها مبنية بالخشب واهلها شافعية المذهب وهم أهل جهاد ويغلب عليهم الدين والصلاح .(٢)

وبعد ذلك ضعف الامراء من بيت أبى المواهب وانتقل الحكم إلى الملك العادل المقلب بالمطر الجديد وبقى يحكم البلاد اثنين وعشرين عاما .

---

(١) Barros, op. cit., P. 85;
انظر ايضا،جيان ،نفس المرجع ،ص ٣٤٤ ؛ السيد رجب حراز ،نفس المرجع ص ٥ .

(٢) ابن بطوطة ،نفس المصدر ،ص ٢٥٧ – ٢٥٨؛ انظر ايضا ، السلوة فى اخبار كلوه ،نفس المصدر ،ص ٣٧ – ٤٢ .

وهكذا أخذ الملك ينتقل بين هاتين الاسرتين أسرة أبى المواهب والملك العادل حتى كان اخرهم السلطان فضل ابن السلطان سليمان ابن الملك العادل فى بداية القرن العاشر الهجرى (١٦م) وفى عهده كان وصول البرتغاليين الى شرق افريقيه ونزولهم بكلوه .(١)

ولا شك أن النزاع الذى كان قائما على تولى العرش كان من أهم الاسباب التى أدت إلى وقوع كلوه بين براثن البرتغاليين وتحرر كثير من المدن من تبعيتها لها قبل ذلك .

وقد بلغت كلوه أوج ازدهارها فى القرن الثامن الهجرى وبداية القرن التاسع الهجرى اذ امتد سلطانها فشمل الساحل من ماليندى شمالا وحتى سفالة جنوبا واعتنى ملوكها ببناء القصور الفخمة والمبانى المتقنة الصنع التى تدل على حسن الذوق واتقان الهندسة فى كافة الجزر التى تخضع لسلطانها على طول الساحل الشرقى لافريقيه وادخلوا عليها تمدنا ملحوظا .(٢)

ولكى ندرك مدى التطور الحضارى الذى بلغته كلوه نورد هنا ما أوردته المصادر البرتغالية عنها فى بداية القرن العاشر الهجرى .

فعلى سبيل المثال : يصف البرتغاليون النهضة العمرانية لكلوه بأنها مدينة كبيرة ،محاطة بسور وأبراج والمنازل فيها ذات طوابق متعددة تبلغ بعضها اربعة طوابق ،ومبنية من الحجر والملاط ومطلية بالجص المحفور بزخارف فنية متنوعة على غرار المنازل الاسلامية فى اسبانيا والبرتغال وهى تصطف على طول الشوارع فى نظام بديع ولها اسطح مستوية ،اما النوافذ والابواب فهى مصنوعة من

---

(١) السلوه فى اخبار كلوه ،نفس المصدر ،ص ٤٤ - ٥٢ .
(٢) المغيرى ،نفس المرجع ،ص ٦٢ ؛ احمد المعمرى ،عمان وشرقى افريقيه ،ص ٤٧؛ السيد رجب حراز ،نفس المرجع ،ص ٤ ، ٥ .

الخشب المحفور بطريقة ممتازة ،ولكل منزل بستانه الخاص الملحق به ومع ذلك فان الطرقات ضيقة جدا بحيث يمكن القفز من سطح منزل لاخر ،وهذا النظام يتيح لسكان المدينة فرصة اكبر للدفاع عن المدينة اثناء الهجوم عليها ويشغل قصر الملك حيا من احياء المدينة وهو مبنى على نمط القلاع ، اذ فيه الابراج العالية والمنخفضة وله بوابتان تفتح احداهما على الرصيف البحرى والاخرى على المدينة .

اما من الناحية الزراعية فهى خصبة جدا فتزرع الذرة والبازيلاء والقطن وجميع انواع الفواكه والخضروات،والزراعة تعتمد على مياه الآبار والامطار كما تربى ايضا قطعان عديدة من جميع انواع الماشية .

وتشتهر كلوه بصناعة الزيت والشمع والعسل والزبد والعطور الممتازة والزجاج وجميع انواع الاقمشة القطنية . ويتاجر اهلها بالصناعات التى اشرنا اليها بالاضافة الى البخور والذهب والفضة واللؤلؤ .

ويستعمل أهل كلوه عملة من النحاس تشبه السيبتيس Septis وهى وحدة التعامل البرتغالية وتساوى كل اربع قطع منها الريال البرتغالى .

ويمتلك أهالى كلوه مراكب كبيرة حمولة الواحدة منها خمسون طنا عدا الزوارق الصغيرة .

ويرتدى أهلها من الرجال الثياب الفاخرة المصنوعة من الحرير والقطن ويحملون المسابح ،واما النساء فيتحلين بالذهب والفضة كما يضعن الاقراط المرصعة بالجواهر،ويتحدث أهلها باللغة العربية وبها الكثير من المساجد ذات القباب ويشبه أحد هذه المساجد مسجد قرطبة .(١)

---

(١) The Voyage and Acts of Dom FranciscoViceroy of India , op. cit., PP. 106 - 108; Barbosa, op. cit., PP. 17-19 ; Barros, op. cit., P. 85 ; Correa, Lendas da India, Tr. by Stanley " In the East African Coast (Select Documents) edited by Freeman & Grenville, PP. 66-67 .

موزامبيــــــــــــق :

تقع موزامبيق الى الجنوب من كلوه والى الشمال من كليمانى وهى اقــــل شهرة من كلوه وممبسة وماليندى وسفالة . وقد خضعت لسلطان كلوه فى اواخــــــر القرن التاسع الهجرى ورغم ذلك فقد لفتت انظار البرتغاليين بفخامتها ومظهرها الاسلامى الحضارى المميز ،فكانت منازلها مشيدة بالخشب اما المساجد ودار الشيخ الحاكم الذى يدعى " الشريف " فكانت مبنية من الحجر ،ومظهر الرفاهيــــــــة هو الغالب على سكانها حيث انهم يرتدون الثياب الحريرية ويتقلدون السيــــــوف والخناجر ،ولها ميناء ممتاز يعمر بالسفن القادمة من سفالة محملة بالذهب والحديد من اماكن اخرى،ومشحونة بمختلف انواع المتاجر . كما انها مركز هام لاصــــــلاح السفن نظرا لتوفر الاخشاب والمؤن بها .

وتستورد موزمبيق من مافيا والجزر القريبة منها الدخن والأرز والماشية ويكثر فى موزامبيق الوثنيون من أهالى البر الرئيسى .(١)

سفالــــــــــــــة Sofala :-

تقع سفالة فى أقصى جنوب ساحل شرق افريقيه الى الجنـوب من خط الاستواء، وقد استوطنها المسلمون فى وقت مبكر جدا يعود الى القرن الرابع الهجرى(١٠م) وهى مركز تجارة الذهب والحديد .(٢)

خضعت سفالة لنفوذسلطنة مقديشووهاجراليهاكثيرمن المسلمين من سكانها. وعند ظهوركلوه كقوة ذات نفوذعلى الساحل امتدنفوذهاحتى شمل سفاله واستمرهذا النفوذ حتــى وصول البرتغاليين اليها فى القرن العاشر الهجرى.

ومن أهم الوثائق البرتغالية التىاعطت وصفا وافيا للتعامل التجارى فــى

---

(١) Barbosa, op. cit., PP. 15 -16;
انظر ايضا ،جيان،نفس المرجع ،ص ٣١٨ - ٣١٩، ٣٤٥؛ السيد رجب حراز ،نفس المرجع ، ص ٥ ؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٤٣ .

(٢) ابو الفدا ،نفس المصدر ،ص ١٥٦ ؛ المقريزى ، الالمام ،ص ٣٣ .

سفالة فى بداية القرن العاشر الهجرى تلك الرسالة التى بعث بها ديوجو دى الكاسوفا Diogo de Alcasova الكاتب فى محطة كوشين Cochin التجارية على ساحل الهند – الى ملك البرتغال مانويل Manuel فى نوفمبر من عام ١٥٠٦م ،حيث ورد فى الرسالة ان ملك سفالة من المسلمين كما ان جميع أهلها مسلمون مع وجود بعض الوثنيين الذين يستوطنون حولها . وتعتبر جزءًا من مملكة كلوه ويقوم تجارها بدفع الرسوم على بضائعهم فى ممبسة وفى كلوه ايضا سواء من الاقمشة او الذهباو العاج وقد جاء فى الرسالة شرح طريقة دفع هذه الرسوم مفصلا.(١)

ويتحدث مسلمو سفالة اللغة العربية بجانب اللغة السواحيلية ، وكان التجار يفدون إلى سفالة من كلوه وممبسه وماليندى فى مراكب صغيرة تدعى سنابك ممتلئة بأنواع السلع من الاقمشة القطنية والحريريةوالخرز من مختلف الانواعوالالوان ويبيعونه لمسلمى سفالة ويأخذون ثمنه ذهبا بالوزن . ثم يقوم سكان سفالة بتخزين هذه السلع ثم بيعها للوثنيين فى مملكة بناميتابا Benametapa التى تقع فى داخل القارة ويأخذون مقابله الكثير من الذهب من غير وزن .

اما بالنسبة الى العاج فيجمع مسلمو سفالة العاج من القبائل الافريقية داخل القارة عن طريق المقايضة ويبيعونه لتجار مملكة كامبايا فى الهند كما يبيعون ايضا العنبر .

ويرتدى أهل سفالة لباسا من قطعتين قطعة تلبس كالازار من الحرير او القطن والقطعة الاخرى يضعونها على اكتافهم على هيئة الكاب ويضعون على رؤوسهم العمائم،وطعامهم الدخن والأرز والسمك واللحم وبلادهم خصبة وفيرة الماء العذب ويصنع أهلها الاقمشة القطنية البيضاء .(٢)

---

(١) Letter of Diogo de Alcasova to the King Dom Manuel Concerning Sofala, Tr. by Theal. " In East African Coast (Select Documents) edited by Freeman & Grenville", PP. 120 - 124

(٢) Barbosa, op. cit., PP. 6 - 9; Barros, op. cit., PP. 90 - 92 .

نلاحظ من استعراضنا السابق للدويلات الاسلامية التى قامت فى ساحل شرق افريقيه المطل على المحيط الهندى بانها جميعها كانت قائمة على جزر قريبة من الساحل الرئيسى ولا تفصلها عنه الا مسافات قصيرة وقد فضل سكانها المسلمون هذا الوضع لسهولة الدفاع عنها من هجوم السكان الوثنيين القاطنين للبر الرئيسى .

كما أن تلك الدويلات كانت تنقصها القوات الحربية المنظمة التى تقوم عليها الدول ،حيث أن معظم سلاطينها كانوا اصلا من التجار او من المهاجرين واسلافهم الذين اشتغلوا بالتجارة ولم يعطوا للناحية الحربية اهمية كبرى وانما كان يجمع الجيش من السكان وقت الحاجة وسلاحهم القوس والسهام والرماح والدروع .

كما أن من سماتها عدم وجود وحدة سياسية تجمع بين تلك الدويلات وانها كثيرا ما كانت النزاعات تنشب بينها لسبب او لاخر كالنزاع المشهوربين ماليندى وممبسة وان استطاعت بعض منها فرض سيطرتها على معظم الساحل فى فترة من الفترات مثل مقديشو وبات وكلوه،ويرجع ذلك الى اختلاف المذاهب وتعدد القبائل العربية التى استوطنت الساحل .(١)

غيران المسلمين الذين أسسوا تلك الدويلات فى ساحل شرق افريقية قد نقلوا اليها الحضارة الاسلامية وعملوا على تمدين السكان من الزنوج، وادخلوا كثيرا من طرق الرى والزراعة وانواع من الصناعة وطرق الهندسة والبناء المتطور.

وهذا ما اعترف به البرتغاليون وكثير من المؤرخين الاوروبيين المعاصرين فنقرأ لجيمس دفى قوله : " كانت حضارة هذه الامارات تفوق حضارة البرتغال ذاتها فى بداية القرن السادس عشر الميلادى " (٢)

---

(١) جيان ، نفس المرجع ،ص ٣٢٢؛ جمال زكريا قاسم ،الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقيه ،ص ٧٣ ؛ انظر ايضا
Marsh & Kingsnorth, op. cit., P. 7; Chttik, op. cit., P.211.

(٢) جيمس دفى ،الاستعمار البرتغالى فى افريقيه ،ص ٧٩ .

كما يذكر سارجنت Serjeant : " دهش البرتغاليون انفسهم عندما اكتشفوا مثل هذا المستوى المتقدم من الحضارة هناك والذى يصفونه بكلمات رائعة " (١)

ويورد جيان: "كان العرب واعقابهم حيثما استقروا يتركون من دلائل الثروة والرفاهية والنعيم اثراً لايمحى ". (٢)

والاكثر اهمية مما سبق هو نشر المسلمين للاسلام فى تلك المناطق ولو لم تمر على المنطقة ظروف الاستعمار البرتغالى وتكالب الاوروبيين على المنطقة لاستطاع المسلمون اختراق الداخل سلميا ونشر الاسلام بين القبائل الافريقيه الوثنية .

ونجد من الباحثين الاوروبيين من هضم العرب المسلمين حقهم ونسب الى غيرهم من الهنود دورهم فى ارتياد البحار للتجارة . ومن هؤلاء كوبلاند Coupland حيث يقول : " لقد كان العرب فى افريقيه كغيرهم من المستعمرين فى تلك القارة او فى سواها من القارات يشكلون طبقة ارستقراطية العرق وكان المقيمون الهنود .... يرتبطون معهم بصلات وثيقة ، غير انهم لا يشاركون فى الحكم . وكان جزءاً كبير من تجارة المحيط يمتلكها او يديرها الهنود . وحيث ان العرب عامة لم يظهروا استعدادا كبيرا لممارسة فنون تلك المهنة [التجارة] فانه من المحتمل ان الهنود كانوامنذ اقدم الازمنة مثلما هم عليه اليوم سادة المال واصحاب البنوك والصرافين ومقرضى الاموال . ومن المحتمل ايضا ان جزءا كبيرا من التجارة الفعلية كان فى ايديهم او كانيدار من قبلهم لصالح اثرياء الاقطاعيين العرب ." (٣)

ورأى الكاتب هذا بلا شك قائم على العواطف الشخصية وهو لا يغير من الحقائق التاريخية الثابتة التى تؤكد ان العرب كانوا ـ منذ اقدم العصور ـ سادة البحار،

---

(١) Serjeant, op. cit., P. 11.

(٢) جيان ،نفس المرجع ،ص ٣١٨ .

(٣) Coupland, East Africa and Its Invaders, P. 27.

وان كان الهنود يشاركون بجهودهم فى ذلك المجال الا ان دورهم لا يطغى بحال من الاحوال على دور العرب المسلمين فى شرق افريقيه فى مجال تجارة البحار سواء كانوا اصحاب رؤوس الاموال او صغار التجار أو كبحارة.(١)

ايضا يبعد عن الصواب ما اورده ادوارد البرس Adward Alpers من ان علاقة المسلمين مع داخل القارة علاقة عدوان وعداوة اكثرمنهاعلاقةود وتعاون.(٢) بل الاجرى انه كانت هناكعلاقات سلمية فعلية مع قبائل الداخل فى سفالة حيث يتعامل المسلمون معها فى تجارة الذهب والعاج وكما مر بنا فان هناك تعامل تجارى مع الوثنيين فى البر الرئيسى فى ممبسة وبمبا وزنجبار ومافيا وموزامبيق ومما هو جدير بالذكر انه فى سفالة وموزامبيق يكثر قدوم هؤلاء الوثنيين للتعامل التجارى ولا يوجد ما يؤكد ان تعامل المسملين معهم كان تعاملا يتسم بالعداء .

اما عن معارك الجهاد التى كان يشنها سلاطين الدويلات على البر الرئيسى فهى غالبا لا تتعدى حربا جهادية مشروعة للدفاع عن النفس ضد الهجوم الذى يقع على تلك الدويلات من بعض القبائل الوثنية المعادية وهى غالبا ما كانت تغير على الجزر والمدن الاسلامية من اجل السلب والنهب . وما يؤكد هذا الرأى هجوم قبائل الزمبا فى نهاية القرن العاشر على ممبسة وكلوه وتدمير المدينتين .(٣)

أما رأى البرس انهذه الدويلات الاسلامية عبارة عن مجتمعات اسلامية تدار من الخارج فلم تورد المصادر والمراجع المتوفرة ما يؤيد هذا الرأى فمن المعروف ان تلك الدويلات أسسها التجار والمهاجرون الفارون من الاضطرابات فى مواطنهم الاصلية وبالتالى لم تكن لاى دولة اسلامية فى مصر أو الشام او الخليج العربى او اليمن او تركيا سلطة سياسية على دويلات الساحل اذا استثنينا ما حدث فى منتصف القرن السابع عشر الميلادى عندما استنجد أهالى الدويلات بسلاطين عمان بهدف تحرير تلك المنطقة من الاستعمار البرتغالى .

---

(١) جورج فاضلو حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة يعقوب بكر ، ط القاهرة ، ١٩٥٨م .

(٢) Alpers, op. cit., PP. 40 - 41 .

(٣) انظر ما يلى ص ٣٤٧ .

ثانيا : مملكة الحبشـــة :

تعتبر الاسرة السليمانية التى حكمت مملكة الحبشة منذ القرن السابع الهجرى (١٣م) اول اسرة حبشية عملت على ادخال الاساليب الحضارية الى النظام الملكى الحبشى وذلك فى القرن التاسع الهجرى ثم تسخير هذه الاساليب لشن حرب طويلة المدى ضد الممالك الاسلامية المجاورة لها من الشرق والجنوب .

كما عملت على توطيد صلتها بالدول الاوروبية النصرانية للتعاون من اجل القضاء على الاسلام والمسلمين فى داخل الحبشة وخارجها .

تأسست هذه الاسرة على يد يكونو أملاك Yekuno Amlak (٦٦٩ هـ ٦٨٤هـ / ١٢٧٠م - ١٢٨٥م) بعد تعاون مثمر بين البيت السليمانى ورجال الكنيسة وقد يفسر هذا سبب الحروب التى شنها ملوك هذه الاسرة على مملكة اوفات ،خاصة بعد استلام يكونو املاك زمام الحكم . وليس خافيا تكالب رجال الكنيسة الحبشية على تكديس الذهب والفضة ،فالاتفاق المبرم بين اول ملوك هذه الاسرة والكنيسة قائم على اعطائها ثلث الاراضى الحبشية فى حالة توليه العرش .(١)

وقد ظهر هذا الامرجليا فى رسالة يكونو املاك الى السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ - ٦٧٦هـ / ١٢٦٠م - ١٢٧٧م) فى عام ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م وهو يطلب منه مطرانا للكنيسة الحبشية ،فيقول فى رسالته :

" فيرسم مولانا السلطان للبطرك يجهز لنا مطران يكون رجلا جيدا عالما لا يجبى ذهبا ولا فضة ." (٢)

---

(١) Budge, op. cit., Vol. I, P. 285; Trimingham, op, cit., P. 65;
انظر ايضا ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٤٥-٤٦؛ يوسف احمد ،نفس المرجع ص ٣٣-٣٤؛ الشاطر بصيلى ،نفس المرجع ،ص ١٢٢؛ محمد عبد الله النقيره ،انتشار الاسلام فى شـــرق افريقيه ،ص ٢٩٦.

(٢) محي الدين بن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ،ص ٤٣٠-٤٣١؛ نفس المؤلف ،تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور ،ص ١٧١؛ إبن الفرات ،تاريخ إبن الفرات ،جـ٧ ،ص ٢٤ .

ولما كان المسلمون يسيطرون على التجارة والموانئ التجارية المزدهرة المطلة على البحر الاحمر وعلى الاراضى الزراعية الخصبة فان اراضيهم وممتلكاتهم سوف تصبح موردا عذبا للثروة سواء للكنيسة او للعرش الحبشى .

ولوحظ فى بداية القرن العاشر الهجرى (١٦م) أن الرهبان ورجال الدين يشتغلون بالتجارة مخالفين بذلك التعاليم النصرانية .(١)

وقد توالت على المسلمين في شرق افريقية في القرنين السابع والثامن الهجريين (١٣-١٤م)، الضربات المدمرة من مملكة الحبشة ،ولكنهم برهنوا ببراعة فائقة طوال تلك المدة وبعد كل هزيمة تحيق بهم على انهم أشد صلابة وقوة فيجمعون شملهم ويواصلون مسيرة الجهاد ،حتى اثمرت هذه الصلابة والقوة عن قيام حركة الجهاد الكبرى فى القرن العاشر الهجرى.

مع بداية القرن التاسع الهجرى تولى عرش الحبشة عدة ملوك كان لهم دور هام فى توسيع رقعة مملكة الحبشة على حساب الممالك الاسلامية المحيطة بها ومن اهم هؤلاء الملوك :

داود الاول (٧٨٤هـ - ٨١٤هـ / ١٣٨٢م - ١٤١١م) :-

تميز حكم داود الاول بن سيفا ارعد بالصدام المستمر مع دولة اوفات الاسلامية التى اعلنت استقلالها عن الحبشة وكان معظم حملاته ضد حق الدين الثانى (٧٧٨هـ - ٧٨٨هـ / ١٣٧٦م - ١٣٨٦م) وسعد الدين الثانى (ت ٨١٧هـ / ١٤١٥م) .

ويصف كل من المقريزى والعسقلانى حالة بلاد الحبشة فى عصر الملك داود فيقول المقريزى : " والحبشة تسكن بيوتا من قش ... ويأكلون اللحم نيئا ... لا يكادون يعرفون لبس المخيط بل يرتدون ويتزرون فى اوساطهم ،وليس للحطى ديوان لكنه

---

(١) Jones & Monroe, op. cit., P. 74.

اذا خرج للغزو امر جنده فالقى كل منهم حجرا فى موضع يعينه لذلك فاذا رجع من غزواته اخذ كل واحد من العسكر حجرا فما فضل من الحجارة علموا به عدة من هلك منهم ..... " ويقول فى موضع آخر : " كان داود بن سيف ارعد يخرج عريانا وقد عصب رأسه بعصابة خضراء " .(١)

اما علاقة مملكة الحبشة مع مصر فى عصره فكانت متأرجحة بين المداراة للسلطان المملوكى حينا واظهار العداء السافر له حينا آخر فقد اورد المقريزى فى السلوك فى احداث سنة ٧٨٣هـ /١٣٨١م ما يفيد ان داود ارسل حملة لمهاجمة اسوان فى جنوب مصر وذلك على عهد السلطان المملوكى الصالح زين الدين حاجى بن الاشرف شعبان (٧٨٣هـ – ٧٨٤هـ / ١٣٨١م – ١٣٨٢م) .(٢)

بينما يشير ابن تغرى بردى فى احداث سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨١م الى ان داود ارسل سفارة الى السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤هـ – ٧٩١هـ /١٣٨٢م–١٣٨٩م)، تحمل الهدايا الفخمة لاسترضاء السلطان فيقول : " ثم فى تاسع عشرين ذى الحجة قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الحطى واسمه داود بن سيف ارعد ومعهم هدية على أحد وعشرين جملاً فيها من طرائف بلادهم من جملتها قدور قد ملئت حمصا صنع من ذهب اذا رآه الشخص يظنه حمصا وغير ذلك " (٣)

مات داود الاول فى عام ٨١٤هـ/١٤١١م وتولى بعده ابنه شيودور الاول وحكم حتى عام ٨١٧هـ / ١٤١٤م ،ثم تولى بعده ابنه الثانى اسحاق (٨١٧هـ – ٨٣٣هـ / ١٤١٤م – ١٤٢٩م) وقد انتقلت الحبشة فى عهده إلى مرحلة جديدة من التطور حيث أدخل اليها كثيرا من التحسينات من الناحيتين الادارية والعسكرية عن طريق الاستعانة بالمسلمين والاقباط من مصر ،فمثلا استعان ببعض المماليك الفارين من مصر ممن كانوا يعملون فى مهنة الاسلحة (زردكاش) ،حيث أنشأوا له

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ٣–٤٤، انظر ايضا: العسقلانى ، إنباء الغمر بأنباء العمر ج ٢ ،ص ٣١٦ ، ٤٣٥–٤٣٦ .

(٢) المقريزى ، السلوك الى معرفة دول الملوك ،ج٣،ق ٢ ،ص ٤٤٥ .

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،ج١١ ،ص ٢٤٦ .

مخازن للاسلحة (زردخانات) تشتمل على جميع انواع الاسلحة المتطورة آنذاك التى لم تعهد مثلها الحبشة من قبل مثل الدروع والسيوف والرماح والنار الاغريقية ..... الخ .

وايضا استعان اسحاق بمملوك يدعى (الطنبغا مغرق) كان واليا فى بلاد الصعيد ثم فر الى الحبشة ولقى ترحيبا من جانب اسحاق فادخل كثيرا من التحسين والتطوير فى جيش النجاشى مثل نظام التدريب على الاسلحة المختلفة والفروسية وانشأ له ايضا مخازن للاسلحة وملأها بمختلف انواع الاسلحة مما كان يجلبه التجار من مصر الى الحبشة ، اما من ناحية تطوير الادارة فقد استعان اسحاق بشخص من اقباط مصر يعرف بفخر الدولة دخل الى الحبشة بكتاب ارسله البطرك إلى اسحاق ،وهناك وضع له ديوانا للدولة ونظاما لجباية الضرائب كما جعل له موكبا يسير فيه وزيا مختلفا عن بقية شعبه فصار يظهر فى موكب فخم ويمسك فى يده اليمنى صليب من ياقوت أحمر .(١)

كانت علاقات اسحاق مع مصر فى تلك الفترة تتسم بالعداء السافر وانعدمت فيها روح الصداقة فانعكس ذلك بالتالى على المسلمين فى دويلات الطراز الاسلامى فيذكر المقريزى فى احداث سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م ان اسحاق غضب غضبا شديدا لاغلاق السلطان المملوكى الاشرف ابو النصر برسباى (٨٢٥هـ - ٨٤١هـ/ ١٤٢٢م-١٤٣٨م) كنيسة القيامة بالقدس فقام بالتنكيل بالمسلمين فى بلاده : " وقتل عامة من فى بلاده من الرجال المسلمين واسترق نساءهم وأولادهم وعذبهم عذابا شديدا وهدم ما فى مملكته من المساجد وركب الى بلاد جبرت فقاتلهم وقتل عامة من فيها وسبى نساءهم وذراريهم وهدم مساجدهم فكانت ملحمة عظيمة جدا لا يحصى عدد من قتل فيها " .(٢)

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ٤-٥؛نفس المؤلف ، السلوك ،ج٤ ،ق ٢،ص ٨٣٨؛العسقلانى نفس المصدر ،ج٣،ص ٤٣٤-٤٣٦؛يوسف احمد ،نفس المرجع ،ص ٣٢-٣٣ ؛ انظر ايضا Trimingham , op. cit., P. 75.

(٢) المقريزى ، السلوك ،ج٤ ،ق ٢ ،ص ٦٤٩ .

وبذلك قضى اسحاق على دولة أوفات المسلمة وملوكها سعد الدين الثانى (ت ٨١٧هـ) وصبر الدين الثانى ابن سعد الدين (ت ٨٢٥هـ/١٤٢٢م) ومنصور ومحمد ولدى سعد الدين ووضع نهاية للدور الاول من ادوار حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه .

وفعلا تصل رسالة اسحاق الى الفونسو الخامس ملك ارغون (١٤١٦م- ١٤٥٨م)، ويقترح فيها عليه وجوب التعاون ضد مسلمى عدل الذين يهددون مملكته.(١)

وهكذا اتسعت مملكة الحبشة فى عهد اسحاق بحيث شملت الدويلات الاسلامية وبلاد التيجراي وممالك السداما والولامو .

وتوفى اسحاق عام ١٤٢٩م وبوفاته مرت الحبشة بسنوات من الاضطرابات بسبب النزاع حول تولية العرش كما اجتاح البلاد وباء الطاعون بين سنتى ٨٣٤هـ - ٨٣٨هـ / ١٤٣٠م - ١٤٣٤م .(٢)

---

(١) المقريزى ، الالمام ، ص ٥ ؛ نفس المؤلف ، السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، ص ٧٩٥ - ٧٩٦ ، ٨٣٨ ؛ ابن تغرى بردى ، نفس المصدر ، جـ١٤ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ، انظر ايضا
Trimingham, op. cit., P. 76 .

(٢) المقريزى ، الالمام ، ص ٥ - ٦ ؛ العسقلانى ؛ نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ ، وايضا ؛
Trimingham, op. cit., P. 78.

اعتلى بعد ذلك عرش الحبشة النجاشى زرع يعقوب (٨٣٨ هـ - ٨٧٣هـ /١٤٣٤-١٤٦٨م)

ويعتبر زرع يعقوب من أقوى ملوك الاسرة السليمانية حيث بلغت الحبشة أوج قوتها فى عهده الذى استمر اربعة وثلاثين عاما وقد استهل حكمه بتوطيد نفوذه فى الداخل بمواصلة ما بدأه اسلافه من خوض حرب شرسة ضد المسلمين فى مملكة عدل الاسلامية كما ثابر ايضا على زيادة عدد الكنائس والاديرة فى معظم مناطق الحبشة وخاض غمار حرب قمعية ضد قبائل الاجاو Agao الوثنية بهدف تحويلهم الى النصرانية كما نشر الاديرة والرهبان فى مناطقهم ولكن تحويلهم الى النصرانية كان اسميا خالصا على الرغم من انه امر بان يوشموا بعلامة تؤكد ايمانهم بالثالوث المقدس .(١)

ولم يكتف زرع يعقوب بهزيمة مملكة عدل واخضاعها لنفوذه بل عكف على اتخاذ الاجراءات الكفيلة باقامة علاقات مع اوروبا المسيحية من اجل التصدى للقوى الاسلامية المجاورة له فقام بارسال راهبين من الدير الحبشى فى القدس لحضور مجمع فلورنسه (١٤٣١م- ١٤٤٥م) المعقود برئاسة البابا ايوجين الرابع Eugene IV وعرض على البابا ربط كنيسة الحبشة بكنيسة روما ، ومن جهة اخرى قام زرع يعقوب بتهديد السلطان المملوكى جقمق العلائى الظاهرى (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨م - ١٤٥٣م) فأوفد اليه سفارة فى عام ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م يطلب منه ان يعامل الاقباط فى مصر معاملة حسنة تضاهى معاملته الحسنة للمسلمين ،وهى بلا شك ادعاءات كاذبة لم يصدقها السلطان جقمق .

وبوفاة زرع يعقوب عام ١٤٦٨م انتهى عصر القوة والمنعة لامبراطورية الحبشة حيث يبدأ بعد هذا التاريخ العد التنازلى نحو الانحدار الذى ينتهى باجتياح المسلمين للحبشة فى القرن العاشر الهجرى.(١)

---

(١) Budge, op. cit., Vol.I, P. 305; Trimingham op, cit., P. 76.

(٢) السخاوى ، التبر المسبوك فى ذيل السلوك ،ص ٦٨؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ص ٦١، ٦٤ ؛ انظر ايضا Trimingham , op. cit., P. 76.

واول مظاهر هذا الضعف هو انتشار النزاعات الدينية فقد وفدت الى الحبشة كثير من التعاليم المخالفة لتعاليم الكنيسة الحبشية وذلك بعد انتهاء مجمع فلورنسه ،من هذه التعاليم ما تنكر تجسد المسيح مما ادى الى ثورة رجال الدين الاحباش فعقدوا مجلسا طالبوا فيه النجاشى بمحاربة هذه الافكار الواردة والداعين اليهـا .

هذا بالاضافة إلى النزاع على العرش بين ابناء زرع يعقوب ولما تولى عرش مملكة الحبشة ابنه بئيدا ماريام Ba'eda Maryam (٨٧٣هـ – ٨٨٣هـ/ ١٤٦٨م – ١٤٧٨م) استهل حكمه بمواصلة الحرب ضد قبائل الاجاو Agao الوثنية لتحويلهم الى النصرانية بالاضافة الى شن حملة قادها بنفسه ضد مسلمى منطقة الدبعة (دوبا Doba) وهى قبيلة وثنية اعتنق الاسلام بعض فروع هذه القبيلة وكانت تقطن المنطقة الجبلية من وجيرات Woggerat حول امبا آلاجى Amba Alagi . وتستخدم هذه القبيلة طريقة حرب العصابات حيث كانت تهاجم قوافل الاحباش ثم تلجأ الى الفرار ،فلما هاجمهم بئيدا ماريام استطاعوا هزيمة جيشه والحاق خسائر كبيرة به فاضطر الى ترك بلادهم والتوجه الى التجراى Tigray للاقامة بها .

ثم نصب الملك فيما بعد كمينا لبعض جماعات الدبعة وهاجمهم ليلا واوقع بهم مذبحة مروعة قتل فيها الرجال والنساء والاطفال واستولى على ممتلكاتهم واجبر من تبقى منهم على اعتناق النصرانية .(١)

ويذكر الفاريز Alvarez فى القرن العاشر الهجرى أن بلاد الدبعة لم تكن مملكة وانما بها أربع وعشرون زعامة وهى فى حالة حرب دائمة مع ملك الحبشة وهم محاربون أشداء ولديهم قانون يمنع اى شخص من الزواج قبل ان يثبت انه قتل اثنى عشر جنديا من جنود الاحباش .(٢)

كما اخضع بئيدا ماريام قبائل عفار Afar الوثنية الثائرة دوما على حكم الاحباش .

---

(١) Budge, op. cit., Vol.I, PP. 315 0 317.

(٢) Alvarez, op. cit., PP. 108 - 110.

وقد واصل سياسة اسلافه في شن الحروب ضد مسلمي مملكة عدل التي انهكتها الحروب الطويلة فطلب سلطانها محمد بن بدلاى (١٤٤٥ - ١٤٧١م) هدنة بينه وبين الاحباش على ان يدفع جزية سنوية للملك الحبشي [1]. ولكن بعد وفاته قاد بئيدا ماريام حملة اخرى ضد مسلمي عدل وهزمهم واسر الكثير من امرائهم.[2]

توفى بئيدا ماريام وخلفه ابنه اسكندر
(٨٨٣هـ - ٩٠٠ هـ / ١٤٧٨م - ١٤٩٤م)

واصل اسكندر الحرب ضد مملكة عدل وكان يتولى الحكم فيها السلطان شمس الدين بن محمد (٨٧٧هـ - ٨٩٣هـ / ١٤٧٢م - ١٤٨٧م) ورغم انتصارات النجاشي العديدة على المسلمين ونهب مناطقهم وعاصمتهم دكار الا ان الهزيمة حلت به اخيرا في حين ابتدأت انتصارات المسلمين تتوالى منذ ذلك الحين . واما عن علاقاته بمصر فقد سادتها حسن النية من الطرفين،وارسل النجاشي اسكندر سفارة الى مصر في عهد السلطان المملوكي الاشرف ابو النصر قايتباى (٨٧٣هـ - ٩٠١هـ/ ١٤٦٨م - ١٤٩٦م) في عام ٨٨٦هـ /١٤٨١م يطلب فيها تعيين مطران جديد للحبشة ويقول في ذلك ابن اياس : " ثم إن السلطان اكرم القاصد واخلع عليه وانزله في مكان قد اعد له ورتب له ما يكفيه كل يوم إلى أن عاد إلى بلاده وحضر صحبته تقدمةً حافلة للسلطان فأكرم ذلك القاصد جدا . " [3]

تميزت فترة حكم اسكندر بالضعف ،فقد سادت الفوضى بين الجنود فكانوا يضطهدون عامة الشعب بقسوة دون أن يتخذ الاجراءات لمعاقبتهم وقتل اسكندر على ايدى المسلمين في احدى المعارك .[4]

ثم ارتقى عرش الحبشة بعد مقتل اسكندر عمداصيون الثاني وكان طفلا في السابعة من عمره توفى بعد فترة قصيرة واعتلى العرش بعده ناعود Na'od

---

(١) Budge, op. cit., Vol. I, P. 314.

(٢) Trimingham, op. cit., PP. 81 - 82; Budge, op. cit.; PP. 317 - 318;
ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٦٥ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ،ج٣ ،ص ١٧٩-١٨٠.

(٤) Budge, op. cit., Vol. I, PP. 321 - 322.

(١٤٩٤م – ١٥٠٨م) اخو اسكندر .

واصل ناعود الحرب ضد الممالك الاسلامية ، واستطاع أن يهزم جيش امارة بالى الاسلامية ويرغم قائدها على اعتناق النصرانية .

ثم خاض حربا اخرى ضد مملكة عدل الاسلامية وسلطانها محمد بن آزر بن ابى بكر بن سعد الدين الذى حكم عدل لمدة ثلاثين عاما (١٤٨٨م – ١٥١٨م) . وقد استطاع هزيمة السلطان محمد هزيمة منكرة وقتل اعدادا هائلة من المسلمين .(١)

وبعد وفاة الملك ناعود يعتلى عرش الحبشة الملك لبنادنجل (١٥٠٨–١٥٤٠م) وهو الملك الذى وقع عليه عبء مواجهة المجاهد الكبير احمد بن ابراهيم القرين فى فتوحه الكبرى للحبشة .

الاحوال الداخلية للحبشة :–

يلقب ملك الحبشة بالحطى والنجاشى وملك الملوك (نجوسا نجاست Nagusa Nagast) وترجع هذه التسمية الى كونه يحكم ممالك كثيرة تقع تحت يده منها الممالك الاسلامية والنصرانية والوثنية يشير اليها المقريزى، والقلقشندى بانها تبلغ تسعا وتسعين مملكة وقيل ستون مملكة حسب رواية ابن اياس .(٢)

اما الممالك الاسلامية فكانت تخضع للملوك الاحباش الاقوياء وتتمتع فى نفس الوقت بحكم ذاتى اما فى فترات الاضطراب والضعف فكانت تسترد استقلالها .وغالبا ما كان يسمى حاكم المقاطعة المسلم – عدا الملوك – جراد .

وقد حاول الملك الحبشى ان يلحق العائلات المالكة فى الممالك الخاضعة له الى شخصه عن طريق الزواج من بناتها بواسطة جزية يفرضها عليهم ،ويشير الفاريز

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص٦ ؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص٦٦ ؛
Trimingham , op. cit., PP. 82 - 83.

(٢) المقريزى ، الالمام ،ص ٣ ؛ القلقشندى ،نفس المصدر ،جـ٨،ص ٤٣٩؛ ابن اياس ، نفس المصدر ،جـ٥ ،ص ١٢ ؛ وايضا
Jones & Monroe, History of Ethiopia, P. 63.

الى ذلك فيقول : " اعتاد الملوك .... ان يتخذوا لانفسهم خمس او ست زوجات وكانوا يحصلون على هذه الزوجات من بنات جيرانهم من ملوك المسلمين ومن بنات الوثنيين ،وكانوا يتخذون زوجات من بنات ملك دنكلى (الدناقل) ومن بنات ملك عدل ومن بنات ملك هدية " (١)

وقد ادت سياسة الزواج تلك الى ان احدى بنات الملوك المسلمين قد تصبح وصية على عرش الحبشة فمثلا هناك الملكة هيلينا Helen التى ادارت دفة الحكم الحبشى فى بداية القرن العاشر الهجرى ٩١٤هـ - ٩٢٧هـ/١٥٠٨م - ١٥٢٠م عندما كانت وصية على الملك الطفل لبنادنجل (١٥٠٨م - ١٥٤٠م) وهى اول من بدأ المفاوضات مع البرتغاليين لامداد الحبشة بالمعونة العسكرية ،كانت هيلينا هذه ابنة محمد ملك دوارو المسلم .(٢)

ويتم تتويج ملك الحبشة فى العاصمة القديمة اكسوم Axum وعدا ذلك لم يكن له عاصمة ثابتة للاقامة فيها بل كان دائم التنقل بين ارجاء بلاده فى معسكر متنقل من الخيام الضخمة . ويبدو هذا المعسكر فى حجم المدينة ويتكون من خمس خيام للملك محاطة بسور من القماش او بجدار من الواح خشبية سميكة فى حالة بقاء المعسكر مدة طويلة ،وتتخلل هذا السور اثنتا عشرة بوابة ويضم المعسكر ايضا خيام البطريارك وخيام وزير الخزانة المدعو بتوديتا Betodeta وعددها كبير نسبيا بحيث تشكل معا مدينة صغيرة وتضم ايضا خيام رجال الاقطاع والنبلاء من الاحباش . وهناك ايضا خيام عبارة عن كنائس وخيام للسوق التجارى تتم فيها عمليات البيع والشراء وخيام خاصة بمطبخ الملك يجرى فيها اعداد الوجبات الملكية . وخيام للسجن وخيام للقضاء للفصل بين الخصومات وكنيسة تابعة للقضاء واخيرا تأتى مخيمات التجار والخبازين واصحاب الحرف .

ويتم اقامة هذا المعسكر فى سهل فسيح مستو ليتسع لهذا العدد الضخم من الخيام .

---

(١) Alvarez , op. cit., P. 110.

(٢) Budge, op. cit., Vol.I, P. 326;

عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ،ص ١٨٨ .

وكان تنقل الملك الحبشى يتم فى هدوء مستقلا عن معسكره فكان يركب بغلا يقوده ستة وصفاء ،وتعلو رأسه مظلة من الستائر الحمر المرفوعة على اعمدة ،وامام الموكب كان يسير عشرون وصيفا تتقدمهم ستة بغال مسرجة وستة خيول مسرجة ايضا يقود كلا منها اربعة رجال بالاضافة الى الاسود الاربعة التى تنتقل معه اينما رحل ،وتقاد كل منها بسلسلتين ويسير امام تلك الاسود مائة رجل يحمل كل منهم جرة مملوءة باللحم ومائة آخرون يحمل كل منهم سلة مملوءة بالخبز .

اما عن خزينة الملك الحبشى فان هذه الخزينة تزداد كل عام،ومحتوياتها من الحرير والاقمشة الهندية الرقيقة والمطرزة ومن الذهب والفضة،ومصدر هذه الثروات غالبا من الجزية التى يدفعها الملوك الخاضعون له والضرائب التى يقدمها جميع التجار الذين يمرون بمملكته وتوضع هذه المدخرات فى سلال تقفل بجلود البقر وتخاط بسيور جلدية طرية ويخفى الملك هذه السلال فى حفر فى باطن الارض او فى كهوف وذلك لانه يصعب حمل هذه الخزينة التى تتزايد كل عام .

وكان احد هذه المخابىء يقع بالقرب من منزل بيرو دى كوفيلهام Pero de Covilham السفير البرتغالى الذى استوطن الحبشة ويذكر الفاريز Alvarez بأن دى كوفيلهام ذكر له بأن الذهب الموجود فى ذلك المخبأ يكفى لشراء العالم وذلك لان كمية كبيرة تضاف اليه فى كل عام ولا يؤخذ منه شىء ابدا .

اما بالنسبة للاقمشة والحرير فكثيرا ما يهبها الملك الحبشى للاديرة والكنائس .(١)

وبالنسبة للجزية التى كان يتقاضاها الملك فهى تختلف حسب المنطقة التى تأتى منها فمثلا جزية مملكة القجام Gojame بلغت ثلاثة آلاف بغل وثلاثة آلاف حصان وثلاثة آلاف بساط مصنوعة من القطن والصوف وتشبه السجاد . هذا بالاضافة الى ثلاثين الف قطعة قماش قطنى وثلاثين الف اوقية من الذهب .

---

(١) Alvarez , op. cit., PP. 341 - 342 .

وجزية البحر نجش (حاكم المنطقة الساحلية) تتكـــون ايضا من الخيول والاقمشة والحرير الهندى ،ومعظم الخيول التى تدخل ضمن الجزية تأتى مـــن مصــــــر ومن جزيرة العرب ٠

وهكذا بالنسبةلبقية الممالك الخاضعة للملك الحبشى ويسمى الشخص المكلف باستلام الجزية من مبعوثى الملوك بتوديتا Betudeta بمعنى وزيــــر الخزانة (١) ٠ واما طريقة استقبال الملك لمن يريد المثول بين يديه من حكـــام المناطق او الملوك فهى كالتالى :

لا يسمح بأى حال من الاحوال لاى حاكم ان يتوجه الى البلاط دون ان يستدعى من قبل الملك الحبشى ٠ وان استدعى فهو ينطلق من مملكته ويأخذ معه زوجته واطفاله وممتلكاته لانه يغادر الاراضى متوقعا عدم العودة اليها ٠ وعند وصولـــه الى خيام الملك يقيم لنفسه خياما بالقـــرب مــــــن البلاط وغالبا ما يبقى مكانه شهرا او شهرين فىانتظار مثوله امام الملك ،وفى خلال مــــدة انتظاره لا يظهر فىملابسه الفاخرة او فى ابهته المعتادة بل يكون عارى النصف العلوى وعلى كتفه فروة خروف،وعندما يأذن له الملك بالدخول يرتدى ملابسه الفاخرة مرة اخرى فان خرج وعاد الى خلع ملابسه وارتداء فروة الخروف حينئذ يعرف الناس ان الملك لم يشمله برعايته وبعد ذلك يذاع سبب استدعائه ٠ فان اصــــدر الملك امره باعادة الحاكم الى مملكته فانه يعود سريعا واذا جرده من مملكته فانه يمضى من خمس الى سبع سنوات دون ان يبتعد عن البلاط ،ولا يمكنه الخروجمنه دون اذن ويصبح بمرور الوقت مهملا يتجول على بغل ويرافقه اثنان او ثلاثة رجال (٢) اما بقية رجاله فيعودون مع الملك الجديد الى منطقتهم ٠

اما اذا استدعى السادةوالنبلاء للحرب فان دخولهم الى الملك لا يؤخـــر فيدخلون حال وصولهم ولا يمكثون بجانب البلاط اكثر من يومين ٠ وتقضــــى قوانين الملك بأن يقوم النبلاء باستدعاء مائة الف من الرجال اذا ما تطلـب الامر ذلك خلال يومين واما المحاربون فلا يتقاضون اجرا ثابتا بل على كل مقاتـــل ان يحضر طعامه معه وهو يتكون من دقيق الشعير والدخن اما اللحوم فيحصلـــون عليها اثناء الطريق اما بالنسبة الى الاسلحة فهى تتكون من الرماح والسيـــوف والدروع والاقواس والسهام واربعة عشر مدفعا متحركا اشتراها الملك الحبشـــى

(١) Alvarez, Op. Cit., P. 321 .

(٢) Ibid, PP. 338 , 339 .

من الاتراك فى بداية القرن العاشر الهجرى .

وللجيش ابواق و صنوج وطبول نحاسية وطبول خشبية تأتيهم من مصر بواسطة التجار . وكان الملك الحبشى يعيش فى عزلة، فلم يكن يرى الا من قبل كبار موظفى دولته ،ويعرض نفسه لعامة شعبه ثلاث مرات فى العام فى ايام الاعياد الدينية فقط .

وللملك وزيران للشئون العسكرية ويجلس احدهما عن يمينه والاخر عن شماله وكذلك قاضيان مستشاران احدهما عن يمينه والاخر عن شماله بالإضافة الى كاتب الملك وقسيس الملك الذى يسمى كابيتا Cabeata .

وجميع موظفى البلاط الحبشى كالحجاب والبوابين والمراقبين وسياس الخيل وعازفى الابواق ورؤساء الحرس والطباخين يتوارثون وظائفهم وتنتقل اليهم من الآباء ويرثها عنهم الابناء ثم الاحفاد عدا الوصفاء ،اذا كان يخدم شخص الملك وصفاء من الصبية المسلمين او الوثنيين من اسرى الحرب وذلك بعد اعتناقهم النصرانية لان ملوك الحبشة كانوا لا يثقون فى ابناء جلدتهم لانهم غالبا ما يفشون اسرارهم،وايضا هناك رئيس الوصفاء ويدعى ابدناجو Abdenago .(1)
ومن العادات الملكية الحبشية ابعاد جميع سلالة البيت الملكى من الذكور باستثناء ابناء الملك الذى على رأس الحكم واحفاده ولم يكن من حق الاناث المطالبة بالعرش .

وبعد تتويج الملك يجرى نفى جميع اخوته الى منطقة منعزلة هى منطقة جبال العنبا ولا يستطيعون الصعود الى الجبل الا بواسطة السلالم لشدة وعورته ويبقون هناك تحت حراسة مشددة حيث يعيشون فى رفاهية مع اسرهم ويموتون وهم منقطعين عن اى اتصال مع المملكة ولا يسمح لاحد بالاختلاط بهم والا انزل به اشد العقوبة ولم يكن يطلق سراح احد اخوة الملك الا عندما تنقرض سلالته وعندها

---

(1) Alvarez, op. cit., PP. 169, 275, 276, 321,354,340,406-410
Jones & Monroe, op. cit., PP. 65 - 71; Trimingham, op. cit., PP. 78 - 79 .

يستدعى احد هؤلاء الاخوة لاعتلاء العرش .

وعندما حاصر الامام احمد بن ابراهيم جبال العنبا كان بها من أولاد الملوك الفان وثلاثمائة رجل وامرأة .(١)

واخيرا يصف الفاريز Alvarez الحكم الحبشى فى بداية القرن العاشر الهجرى فيقول : " لولا اساءة كبار القوم معاملة الناس لكان فى البلاد فاكهة وزروع كثيرة ، ان كبار القوم يأخذون كل ما يملكه الناس ولا يتركون لهم اكثر من حاجاتهم وما هو ضرورى لحياتهم " .(٢)

المظاهر الدينية الحبشية :

اعتنقت الحبشة النصرانية على المذهب اليعقوبى .(٣) واظهر ملوك الحبشة تعصبا شديدا لهذا المذهب والمقريزى يشير الى ذلك فيقول :

" والحبشة قوم يدينون بالنصرانية من قديم ويعتقدون مذهب اليعقوبية ، وهم يتشددون فى ديانتهم تشددا زائدا ويعادون من خالفهم من سائر الملل اشد عداوة ويعادون الطائفة الملكية (٤) من النصارى بحيث ا خبرنى من دخل منهم الى بلاد الحبشة انه اظهر بها انه يعقوبى خوفا من القتل لو علموا انه ملكى.(٥)

ونظرا لارتباط الكنيسة الحبشية بكنيسة الاسكندرية فيجرى الاتصال دائما بين ملوك الحبشة وسلاطين دولة المماليك لطلب مطران قبطى يعينه بطرك الاسكندرية لتولى رئاسة الكنيسة الحبشية حيث لا يتم تعميد الاحباش الا بهذا المطران .(٦)

---

(١) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٢٣١، ٣٩٥، انظر ايضا
Budge, op. cit., Vol.I, P. 320; Jones & Monroe, op. cit., P. 71.

(٢) Alvarez, op. cit., PP. 408 - 409 .

(٣) اليعقوبية : هم اتباع بطرك الاسكندرية منهم من قال ان المسيح هو الله تعالى ومع ذلك فقد قتل وصلب ومات وبقى العالم ثلاثة ايام بلا مدبر . انظر القلقشندى ، نفس المصدر ، جـ١٣، ص ٢٧٨.

(٤) الملكانية : وهم اتباع كنيسة روما يعتقدون بالتثليث قائلين بان كلا من الاب والابن والروح القدس اله ، انظر القلقشندى ، نفس المصدر ، جـ١٣، ص ٢٧٦.

(٥) المقريزى ، الالمام ، ص ٣ .

(٦) يدعى المطران فى اللغة الحبشية ابونا Abona وتعنى الاب انظر ، عرب فقيه نفس المصدر ، ص ١٥٣ .

ويشير القلقشندى الى حرمة هذه التقاليد وقدسيتها لدى الاحباش فيقول :
" ولاوامر البطرك عنده [اى ملك الحبشة] ما لشريعته من الحرمة واذا كتب كتابا فأتى ذلك الكتاب اول مملكته خرج عميد تلك الارض فحمل الكتاب على رأس علم ولايزال يحمله بيده حتى يخرجه من ارضه وارباب الديانة فى تلك الارض كالقسوس والشمامسة حوله مشاة بالادخنة فاذا خرجوا من حد ارضهم تلقاهم من يليهم وكذلك فى كل أرض بعد أرض حتى يصلوا الى امحره ... ثم لا يتصرف الملك فى امر ولا نهى ولا قليل ولا كثير حتى ينادى للكتاب ويجتمع له يوم الاحد فى الكنيسة ويُقرأوا لملك واقف ثم لا يجلس مجلسه حتى ينفذ ما أُمره به " (١)

ويذكر عرب فقيه أهمية المطران بالنسبة للاحباش فيقول :
" ولأن النصارى لا يقوم دينهم الا ببترك من ارض مصر، ويعطون لصاحب مصر الف اوقية ذهبا ويشترونه بها وهو نصرانى رئيسهم ويسمونه أبون وما يفعل الملك الا بكلامه ويعظمه النصارى ،والقسيسون والرهبان ولا يفعلوا الا بأمره واذا غضب عليهم يقول : اخذت عليكم دينكم وطلقت نساءكم وحرمت عليكم النبيذ فاذا قال لهم ذلك لم يزالوا يتشفعون عنده ويرضونه بالمال ويصومون كذلك حتى يقول لهم : رددت عليكم دينكم ونساءكم ونبيذكم فيفرحون " (٢).

اما الفاريز فيذكر بعض هذه التقاليد فيقول :
" ان من عادة برسترجون [القديس يوحنا ويقصد الملك الحبشى] وجميع رعيته الا يمر احدهم على اية كنيسة وهو يمتطى حصانا ، ان الراكب يترجل عن دابته قبل ان يصل الى الكنيسة ويمر عليها سائرا على قدميه يجر دابته من لجامها وان ما تجاوز الكنيسة عاد الى الركوب ". (٣)

وكما اشرنا سابقا فان الكنيسة الحبشية تسيطر على ثلث اراضى الدولة وبذلك اصبحت قوة هائلة تسيطر على مجرى الاحداث السياسية فى الحبشة ،وتوجيه

---

(١) القلقشندى ،نفس المصدر ،جـ٨ ،ص ٣٩ – ٤١ .

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٥٣.

(٣) Alvarez , op. cit., P. 411 .

سياسة ملوك الحبشة بما يرضى اهواء الكنيسة وخاصة فيما يخص الحرب الدائرة ضد الممالك الاسلامية فى شرق مملكة الحبشة وجنوبها .

ومن مهام الكنيسة أيضا تنصير الشعوب الوثنية التى كانت تسكن الهضبة فقد حاول العديد من ملوك الحبشة اخضاع هذه القبائل وادخالهم فى النصرانية باستخدام القوة والاضطهاد .

ولقد تأثرت الطقوس الكنسية الحبشية ببعض العادات الوثنية مثل : الصرخات الوحشية والرقص اثناء الاحتفالات الدينية الكبيرة . وايضا الاغتسال فى عيد الغطاس Epiphany وهو اكبر احتفالات الكنيسة الحبشية حيث كان احد مظاهر هذا الاحتفال هو ان يستحم الرجال والنساء عراة كما ولدتهم امهاتهم فى احدى البحيرات او الانهار طوال يوم كامل ويعتبرونه احياء لذكرى تعميد السيد المسيح وكان على رأس المشاركين فى هذه الطقوس الملك والابونا (المطران) .(١)

ومن المظاهر الوثنية التى لم تستطع الكنيسة الحبشية القضاء عليها حتى القرن العاشر الهجرى (١٦م) تعدد الزوجات اللامحدود فكثير من الاحباش وعلى رأسهم الملك يتخذون خمس او ست او سبع زوجات رغم تحريم الكنيسة لذلك .(٢)

الاحوال الاقتصادية والاجتماعية للحبشة :

يتعامل الاحباش فى اسواقهم التجارية بالمقايضة وبقطع من الحديد بدلا من النقود ان كل عشر او احدى عشرة واحيانا اثنتى عشرة قطعة من الحديد تساوى فى قيمتها درهما برتغاليا او كروزادو Cruzado .(٣)

---

(١) Jones & Monroe, op. cit., P. 75 ; Budge, Op. Cit., Vol.I. P. 307.

(٢) Alvarez , op. cit., PP. 45, 110.

(٣) الكروزادو Cruzado (جنيه ذهب) والاوقية من الذهب تساوى اثنى عشر كروزادو ، انظر Alvarez, op. cit., P. 315.

ويتم ايضا تداول الملح بدل النقود فى جميع بلاد الحبشة وكل ست او سبع قطع من الملح تعادل قطعة واحدة من الحديد . أما الذهب فيستخرج من مملكة داموت Damute واهلها يقومون بحرث وحفر الارض وعندما تهطل الامطار فانها تجرف التربة وتخلف الذهب النظيف على سطحها ويجمعون هذا الذهب ليلا على ضوء المشاعل لانه يلمع على ضوئها .

وتشتهر داموت Damute ايضا بتجارة العبيد وتمد بها كثيرا من البلدان مثل شبه جزيرة العرب وفارس والهند ومصر واليونان .(١)

ويمارس المسلمون فى مملكة الحبشة جميع انواع التجارة من الاقمشة وغيرها وكبار التجار من المسلمين .

اما بيع الاطعمة فهى من اختصاص الاحباش النصارى لانهم لا يأكلون الاطعمة التى يصنعها المسلمون او اللحوم المذبوحة على الطريقة الاسلامية . ويجلب التجار المسلمون الى الحبشة كثيرا من السلع الهامة مثل الاسلحة والخيول الاصيلة من جزيرة العرب ومصر ،فيقوم الحكام والملوك بتربية الكثير منها والعمل على تكاثرها فى حظائرهم .

واما من الناحية الزراعية فيزرع فى الحبشة القمح والشعير والدخن والبقول والخضار والفواكه وخاصة العنب والحمضيات وكذلك قصب السكر بكميات كبيرة ولكنهم لا يعرفون كيفية استخراج السكر منه ،كما انهم لا يزرعون اى نوع من انواع البهارات ويزرع لديهم القطن لصناعة الاقمشة القطنية .(٢)

وهناك ايضا صناعة الانسجة الصوفية ويعتنون بتربية النحل للاستفادة من العسل والشمع .

والمدن الحبشية غير محاطة بالاسوار ولا توجد بها حصون او قلاع والمدن بها قليلة ومعظمها قرى ، اما البيوت فهى مستديرة الشكل وذات طابق واحد ومسقوفة بالاخشاب ومحاطة بالافنية وينام الناس فيها عادة على جلود الثيران

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ٧ ؛ Alvarez, op. cit., PP. 317, 348-349.

(٢) Alvarez, Op., Cit., PP. 116, 336 , 406.

وبعضهم على اسرة مصنوعة من شرائط من نفس الجلد ولا يوجد لدى عامة الاحباش اى نوع من المناضد او الاقمشة لتغطية الموائد ويأكلون فى اوانى من الفخار ويأكل الكثير من الناس اللحم النئ وبعضهم يأكله مشويا .

ويلبس الاعيان والرهبان والكهان والقساوسة الملابس الكاملة ولكن معظم الناس عراة النصف العلوى ويضعون على اكتافهم فروة خروف ربطت قدماها الاماميتان والخلفيتان معا .

ولم يستخدم سكان الحبشة حتى بداية القرن العاشر الهجرى (١٦م) الكتابة فى التعامل التجارى او الاجتماعى حتى ان القضاه كانوا لا يدونون شيئا . فجميع الاحكام تصدر شفهيا ويؤمر بها عن طريق الرسل والشئ الوحيد الذى كان يدون فى مملكة الحبشة هو ممتلكات الملك الحبشى فهى تدون عند تسلم الجزية والفضل فى ذلك راجع ايضا الى الاستعانة بالمسلمين والاقباط من مصر فى تنظيم الديوان الملكى الحبشى كما ذكرنا سابقا .(١)

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ٣ ، ٤ ؛
Alvarez, op. cit., PP. 403 - 412 .

ثالثا العلاقات بين المسلمين ومملكة الحبشة :

تميزت العلاقة بين الدويلات الاسلامية فى ساحل شرق افريقيه ومملكة الحبشة بطابع الحروب المستمرة التى لم تنقطع منذ ان اعتنق الاسلام كثير من القبائل الافريقية التى تستوطن ساحل شرق افريقيه والسهول المحيطة بالهضبة الحبشية مثل : قبائل الباريا Baria والبجاه Beja والبيلان Bilan والمانسا Mansa والساهو Saho وبعض فروع السداما Sidama والدناقل (عفار Afar) والصوماليين . (١)

وهذا الامر لم تتقبله مملكة الحبشة النصرانية المتأثرة بالنزعة الصليبية العالمية التى سادت روح تلك العصور (مابين القرنين السادس والحادى عشر للهجرة "١٢م - ١٧م") والتى لاتزال آثارها واضحة حتى العصور الحديثة .

واصبح خوض غمار الجهاد بالنسبة الى المسلمين فى شرق افريقيه ضرورة ملحة للبقاء ودفاعا مستمرا عن النفس والعقيدة [يستوى فى ذلك ان يبدأ المسلمون حركة الجهاد أو أن يدافعوا عن أنفسهم ضد العدوان الحبشى النصرانى] واصبح الطابع العام للحملات الحربية التى يشنها المسلمون على مملكة الحبشة هو طابع الجهاد لرفع راية الاسلام ويشترك فيها - بجانب الملوك - الرجال والنساء ، الاغنياء والفقراء ، وعامة الشعب المسلم وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء والائمة .

وتزعمت حركة الجهاد ضد مملكة الحبشة دولة اوفات المسلمة وعلى رأسها حكامها من امراء بنى ولشمع وغالبا ما كانت تتبعها بقية الدويلات الاسلامية وتشاركها فى خوض غمار الجهاد .

وقد استمر دور اوفات طوال القرن الثامن الهجرى، ومع بداية القرن التاسع الهجرى (١٥م) انتهى هذا الدور ليبدأ دور " عدل " تحت قيادة امراء بنى ولشمع ايضا الذين نقلوا مقر حكمهم من اوفات الى عدل بعد ان حل الدمار

---

(١) Trimingham , op. cit., PP. 30 - 31.

بأوفات على يد النجاشى اسحاق عام ٨١٧هـ / ١٤١٥م .

واستمر دور عدل حتى بداية القرن العاشر الهجرى (١٦م) حيث بدأ دور هرر او حركة الجهاد الاعظم على يد المجاهد الكبير احمد بن ابراهيم المجاهد عندما قارب نجم اوفات على الافول كانت احوالها الداخلية تسوء ،فقد دب النزاع بين افراد البيت الحاكم وانتهى هذا النزاع باعتلاء " حق الدين الثانى" للعرش حوالى عام ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م وبعد ان وطد حكمه داخليا بالقضاء على عمه ملا اصفح الذى استنجد مرارا بالنجاشى الحبشى سيف ارعد (٧٤٥هـ – ٧٧٥هـ / ١٣٤٤ ١٣٧٣م) ليمده بالمساعدة للقضاء على حق الدين . ثم انشأ حق الدين لنفسه عاصمة جديدة فى ارض " شوا " سماها وحل)بعد ذلك اعلن استقلاله التام عن مملكة الحبشة واعد عدته ليخوض حروبا طويلة الاجل ضد الملك الحبشى سيف ارعد فكانت بينهما بضع وعشرون معركة فى مدة تسع سنين انتصر فيها عليه فى عدة معارك وبعد وفاة سيف ارعد اعتلى ابنه ودم ارعد (٧٧٥هـ – ٧٨٤هـ / ١٣٧٣م – ١٣٨٢م) العرش الحبشى فدخل حق الدين معه فى معركة قوية على ارض شوا سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م هزم فيها حق الدين واستشهد فى تلك المعركة وضاعت جثته بين جثث القتلى .(١)

ويصف المقريزى حق الدين بأنه كان شجاعا مقداما قوى النفس عجولا مهابا وحكم مدة عشرسنين.(٢)

بعد استشهاد حق الدين الثانى تولى الحكم فى اوفات اخوه السلطان سعد الدين ابو البركات محمد بن على بن صبر الدين محمد ولشمع (٧٧٦هـ – ٨٠٥هـ /١٣٧٤م – ١٤٠٢م) وواصل مسيرة الجهاد فى مدة ثلاثين سنة هى مدة توليه الحكم فكثرت غاراته واتسعت مملكته وازدادت حركة جيوشه ضد الحبشة وتتابعت انتصاراته على قادة الملك الحبشى ؟ ومنهم؛ أمن مرفي ، وزلن نجش وفتح بلاد زلان وزمدوه وبالى وامحره وغنم فى معاركه مع الاحباش غنائم

---

(١) يذكر المقريزى فى الالمام ،ص ١١ بان المعركة الاخيرة التى خاضها حق الدين عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م كانت ضد الملك الحبشى داود (١٣٨٢م – ١٤١١م) والارجح انها كانت ضد الملك الحبشى ودم ارعد (١٣٧٣–١٣٨٢م) لان تاريخ استشهاد حق الدين لا يتفق مع فترة حكم الملك الحبشى داود .

(٢) المقريزى ، الالمام ،ص ١١ ؛حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٥٦؛محمد عبد الله النقيرة ،انتشار الاسلام فى شرق افريقيه ،ص ٢٩٩ ؛ انظر ايضا Trimingham , op. cit., P. 74.

هائلة حتى بلغت حصته الخاصة اربعين الف بقرة ،فرقها جميعها على الفقـــراء والمساكين والجنود حتى لم يجد ما يأكله .

وبلغ عدد امراء سعد الدين عشرة امراء من اشهرهم الامير أسد الذى عرفت عنه الشجاعة والاقدام وهو الذى دحر القائد الحبشى زلن نجش وقضى عليه والامير محمد الذى استشهد فى معركة ضد الملك الحبشى داود .

وفى عام ٨٠٥هـ /١٤٠٢م أرسل داود احد قادته ويدعى باروا Barwa للقضاء على سعد الدين فخرج سعد الدين بجموع المسلمين وقد تحالفوا على الموت فى سبيل الله ويصف المقريزى هذه المعركة بقوله :

" فكانت بينهما وقعة شنيعة استشهد فيها من المشايخ الصلحاء اربعمائة شيـــخ فاستمر القتل فى المسلمين حتى هلك اكثرهم وانكسر من بقى " (١)

وهرب سعد الدين والملك الحبشى فى آثاره الى ان التجأ الى جزيرة زيلع فحاصره الاحباش وقطعوا عنه الماء الى أن وشى به احد الخائنين ودلهم على طريقه فوصلوا اليـــــه فقاتلهم وهو مجهد من العطش حيث منع الماء عنه ثلاثة ايام وبذلك احاطوا بـــه واصابوه فى جبهته فوقع على الارض وانهالوا عليه بالطعنات وهو يتشهد .

وهكذا دخل الاحباش الى أُوفات وجميع بلاد المسلمين هناك وخربوها وهدموا المساجد وبنوا بدلا منها الكنائس وتعرضت البلاد للسلب والنهب والاسر وهـــرب اولاد سعد الدين وهم : صبر الدين على ومعه تسعة من اخوته الى ملك اليمـــن الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل من سلاطين بنى رسول باليمن (٨٠٣ هـ - ٨٢٧ هـ / ١٤٠٠م - ١٤٢٣م) الذى استضافهم واكرمهم وامدهم بالمساعدة اللازمة من خيـــول وعتاد حربى ثم عادوا الى وطنهم ساحل شرق افريقيه ، ونزلوا بمكان يسمى سباره واستقروا هناك لتجميع قواتهم من جديد لمواصلة الجهاد .

وهكذا انتهى دور اوفات كقاعدة ومركز لحركة الجهاد الاسلامى فى ساحل شرق

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ١٣ .

افريقيـــــــه .(١)

وتلقب أولاد سعد الدين عند عودتهم بلقب امراء عدل واتخذوا من دكار عاصمة لهم.(٢)
وأصبحت اوفات منذ ذلك الوقت تعرف باسم بر سعد الدين اى ارض سعد الدين وذلك تخليدا لذكرى ذلك المجاهد العظيم سعد الدين ابو البركات.

عاد امراء أسرة ولشمع تحت قيادة اخيهم الاكبر صبر الدين على الثانى، وجمعوا حولهم عساكر أبيهم فى سبارة ثم اتجهوا لمهاجمة الاحباش فى دكار واستطاعوا هزيمتهم واسترداد هذه المنطقة واتخذوها عاصمة لهم. ثم سار صبر الدين الى سرجان ووقعت معركة مع الاحباش انتصر فيها صبر الدين واحرق كثيرا من الكنائس وغنم غنائم كثيرة لا تحصى.

أخافت هذه الانتصارات نجاشى الحبشة اسحاق فجمع له الجموع وجرد ضده جيشا ضخما بقيادة عشرة من الامراء وعلى رأسهم القائد بخت بقل، واستطاع هذا الجيش هزيمة صبر الدين والمسلمين الذين اصبحوا مطاردين من بلد الى بلد والاحباش فى آثارهم، اما الاراضى والمدن الاسلامية فقد استولى عليها الاحباش وعاثوا فيها فسادا مدة سنة كاملة.

ولكن صبر الدين استطاع تجميع قواته وجرد جيشا اسلاميا بقيادة اخيه محمد ويساعده القائد المسلم حرب جوش الذى كان فى السابق احد امراء النجاشى ثم اعتنق الاسلام على عهد سعد الدين ابو البركات، سار هذا الجيش الى بلاد رطوى ووقعت هناك معركة ضخمة قتل فيها كثير من امراء الملك الحبشى وقتل صبر الدين بنفسه القائد الحبشى بخت بقل واحرق بيت الملك الموجود هناك ثم عاد الى عاصمته دكار وبعث حملة بقيادة اخيه الى قلعة بروت ففتحها

---

(١) المقريزى، الالمام، ص ١٣، ١٤؛ العسقلانى، نفس المصدر، جـ٢، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ ابن الديبع، قرة العيون باخبار اليمن الميمون، جـ٢، ص ١٢١؛ نفس المؤلف بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد، ص ١٠٣؛ ابراهيم طرخان، نفس المرجع ص ٥٧-٥٨؛ عبد المجيد عابدين، نفس المرجع، ص ١٧٨-١٧٩؛ محمد عبد الله النقيرة، نفس المرجع، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) تقع "دكار" جنوب شرق هرر، انظر Trimingham, op. cit., P. 74.
وانظر ايضا Encyclopaedia of Islam , Art. Adal, P. 176.

صلحا ،وحملة بقيادة اميراسمه عمروالى بلادلجب وامحره ولكن المسلمين هزموا هزيمة منكرة وقتل معظم افرادالجيش المسلم بها . ورغم ذلك استمرصبرالدين فى قيادة المسلمين ورفع راية الجهاد حتى توفاه الله سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م بعد ان مكث فى الحكم ثمانى سنين وقد اشتهر صبر الدين بالشجاعة والقوة والصبر فتذكر المصادر الاسلامية انه هزم فى بعض معاركه وكاد الاحباش ان يقبضوا عليه واثناء فراره اعترضه نهر عرضه عشرة اذرع فوثب بفرسه فتعداه وخلصه الله ونجا .(١)

أما علاقة صبر الدين الثانى باليمن فلم تنقطع مدة حكمه بل كان يبعث باخوته لطلب الامدادات العسكرية من السلطان الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل وكان هذا لا يبخل فى مساعدة المسلمين للوقوف فى وجه الاضطهاد الحبشى .

وقد ذكرت المصادر اليمنية أن السلطان الناصر قد امدهم عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م بمائتى فرس مع عتادهم الحربى ولم يزل يجرى عليهم الخيرات حتى قويت شوكتهم.(٢) بعد وفاة صبر الدين تولى الحكم اخوه منصور بن سعد الدين (٨٢٥هـ - ٨٢٨ هـ / ١٤٢٢م - ١٤٢٤م) ويسانده فى ادارة الحكم اخوه محمد واول معركة خاضها الاخوان معركة وقعت فى جداية وفيها مقر الملك الحبشى اسحاق بن داود وانتصر فيها الاخوان واسرا صهر الملك ،والتجأ حوالى ثلاثين الفا من الاحباش الى جبل منحا فحاصرهم منصور مدة شهرين ثم خيرهم بين الدخول فى الاسلام او اللحاق بقومهم ،فاسلم منهم عشرة آلاف واطلق سراح من بقى فعادوا الى بلادهم وغنم غنائم كثيرة لا تحصى ولكن اسحاق كان له بالمرصاد فجرد لقتاله جيشا ضخما كالجراد المنتشر ،وقاتل منصور ومحمد فى مقدمة المسلمين ولكن الهزيمة حاقت بهم بعد ان قتل كثير من المسلمين وقادتهم ووقع الاخوان فى اسر الملك الحبشى اسحاق الذى سجنهما لديه فى عام ٨٢٨هـ/١٤٢٤م وظلا فى السجن حتى وفاتهما وقد استمر حكم منصور مدة سنتين فقط .(٣)

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ١٤-١٥؛ العسقلانى ،نفس المصدر ، ج٢،ص ٢٣٧-٢٣٨؛ ج٣، ص ٢٨٨،وايضا ،

Budge, op. cit., Vol.I, P. 302.

(٢) ابن الديبع ،قرة العيون ،ج٢،ص ١٢٤؛ نفس المؤلف ،بغية المستفيد ،ص ١٠٥؛ يحي بن الحسين ،غاية الامانى ،ج٢ ،ص ٥٦٥-٥٦٦ .

(٣) المقريزى الالمام ،ص ١٥ ؛ نفس المؤلف ، السلوك ،ج٤،ق ٢،ص ٨٣٩؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٦٠ ؛ محمد عبد الله النقيرة ،نفس المرجع ،ص ٢٢٣.

ثم قام بالامر بعد سجن منصور ومحمد اخوهما جمال الدين محمد بن سعد الدين (٨٢٨هـ – ٨٣٥ هـ / ١٤٢٤م – ١٤٣١م) ومدة حكمه سبع سنين قضاها اولا فى توطيد دعائم حكمه داخليا ثم فى مواصلة حركة الجهاد الاسلامى بحيث انزل الفزع والرعب فى قلوب الاحباش مدة حكمه ٠

فقد ثارت بعض القبائل الخاضعة لحكم عدل فجرد حملة بقيادة القائد حرب جوش فاخضعهم ودفعوا له زكاة اموالهم ٠

وبعد ذلك تفرغ لمواجهة الاحباش واسترداد بلاد المسلمين منهم ،فبعث قائده حرب جوش الى بالى وخاض مع اعدائه معركة شرسة استبسل فيها المسلمون نظرا لقلة عددهم وكثرة اعداد الاحباش وكتب الله لهم النصر ٠

ومن المعارك التى انتصر فيها جمال الدين انتصارا حاسما معارك : جداية وبجره وبالى وامحره ودوارو وغنم فى هذه المعارك غنائم كثيرة لا تحصى حتى بيع رأس الرقيق بربطة ورق وامتلأت بلاد الهند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والعراق وفارس من رقيق الحبشة ٠

وقد انتهز جمال الدين موت النجاشى اسحاق عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م واضطراب الاحوال الداخلية فى مملكة الحبشة (٨٢٤هـ – ٨٣٨هـ) وقاد حروبا متتالية للقضاء على سطوة ملوك الحبشة وقد طارد بعض الملوك الذين تولوا الحكم بعد اسحاق حتى اضطرهم الى الاعتصام بقمم المرتفعات هربا منه ٠

وقد انتهز الاحباش فرصة توغله فى الهضبة الحبشية خلف الملك والتفوا من ورائه بغية محاصرته والاستيلاء على الاراضى الاسلامية ،فرجع جمال الدين مسرعا،ويحدثنا المقريزى انه قطع مسافة عشرين يوما فى سبعة ايام ورغم الانهاك والتعب الذى اصاب جنوده خاض معركة قوية ضد الاحباش فى هرجاى ولم يمكنهم من تنفيذ خططهم ولكن لم يكن النصر حاسما ٠

وفى عام ٨٣٥ هـ /١٤٣١م ثار على جمال الدين بنو عمه وقتلوه بعد ان امضى سنوات حافلة بضروب الشجاعة والاقدام مجاهدا فى سبيل الله ٠ وتشير اليه المصادر الاسلامية بانه كان من خير الملوك دينا ومعرفة وقوة وشجاعة ومهابة وجهادا

وكان عفيفا ناسكا ،صاحب الفقهاء والعلماء ونشر العدل بين رعيته وقمع اهل الفساد وازال المنكرات واتسعت مملكته وكثرت عساكره وانتشر الاسلام انتشارا واسعا بين الاحباش فى عهده واقر كل من اسلم من امراء الاحباش على بلاده وجعله واليا من قبله .(١)

وبعد استشهاد جمال الدين تولى الحكم فى مملكة عدل اخوه شهاب الدين احمد بدلاى (٨٣٥هـ - ٨٤٧هـ / ١٤٣١م-١٤٤٣م) واول عمل قام به هو الظفر بقاتل اخيه والاقتصاص منه . ثم سار على سيرة سلفه الصالح فى الجهاد ورفع راية الاسلام فاغار على الاحباش وهزمهم فى عدة معارك وغنم غنائم كثيرة من الاموال والاسلحة مما ساعد على زيادة قوته وعتاده الحربى ،كما قام بهدم الكنائس التى بناها الاحباش فى بلاد المسلمين واسترد امارة بالى وورد اليها الف بيت من المسلمين كان الاحباش قد اجبروهم على النزوح كما بعث اخاه خير الدين لمهاجمة قادة الملك الحبشى زرع يعقوب (٨٣٧هـ - ٨٧٣هـ / ١٤٣٤م - ١٤٦٨م)ففتح بلدان عديدة وقتل قائدين من قادته وخرب لهم ست كنائس .

وفى عام ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م انتشر وباء الطاعون فى الحبشة والاراضى الاسلامية وقضى على كثير من النصارى والمسلمين واصاب الجانبين بالانهاك والضعف وخاصة مملكة عدل بحيث استطاع الملك الحبشى زرع يعقوب فى عام ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م مهاجمة مملكة عدل وقتل سلطانها شهاب الدين احمد بدلاى الذى وقف يدافع ببسالة عن عدل وبعد مقتله استلم قيادة المعركة اخوه خير الدين ولكنه هزم ايضا ،وفر من بقى من جيش المسلمين الى نهر عواش فلحقهم القائد الحبشى دجان صاجانا Djan Sagana وهم يستعدون لعبور النهر فابادهم جميعا وقطع رأس خير الدين وحمله إلى زرع يعقوب الذى سبق له أن أمر بتقطيع جثة شهاب الدين احمد بدلاى الى قطع وزعت على انحاء الحبشة لتعلق ابتهاجا بانتصاره . ثم أمر الملك الحبشى بتوزيع الغنائم التى غنمها من بلاد المسلمين على الكنائس .(٢)

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ١٥-١٩؛ نفس المؤلف ، السلوك ،جـ٤ ،ق ٢،ص ٨٣٩-٨٤٠ ؛ العسقلانى ،نفس المصدر ،جـ٢ ،ص ٤٣٦؛جـ٣ ،ص ٤٨٧-٤٨٨؛ الشوكانى ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،جـ٢ ،ص ١٤٢؛ ابراهيم طرخان،نفس المرجع ،ص ٦٠-٦١ .

(٢) Budge, op. cit., Vol.I, PP. 307 - 308.

وكان حاضرا تلك الاحداث مبعوث السلطان المملوكى جقمق العلائى الظاهرى المدعو يحي بن أحمد شاد بك ،فأجبره زرع يعقوب على ان يسير إلى موقع المعركة ليرى السلطان شهاب الدين مقتولا وذلك نكاية بالمسلمين • فلما بلغ السلطان المملوكى ما حدث غضب غضبا شديدا فأحضر البطريرك وأمر بضربه وهدده بالقتل ثم أمره بإرسال كتاب بخطه مع رسول من قبله الى الملك الحبشى ليبلغه تهديد السلطان حتى يرفع أذاه عن المسلمين هناك • كما جهز السلطان المملوكى موفدا من قبله يدعى الامير مثقال الحبشى الى محمد بن شهاب الدين بدلاى الذى استقر بعد وفاة ابيه فى حكم مملكة عدل ،وابلغه الرسول رسالة السلطان قائلا له انا نكرم من عندنا من النصارى رعاية لكم خوفا على مملكتكم لقلة عدد المسلمين وضعفهم فاجاب السلطان محمد بما معناه الا تتكلفوا ذلك فحزب الله هو المنصور وافعلوا ما أمرتم به من عز الدين وذل الكفر ،ثم ذكر له ما فعله المجاهدون الأول من أسرة ولشمع مع مملكة الحبشة فى فترات القوه والمنعة •

كانت سيرة السلطان شهاب الدين احمد بدلاى حسنة ،فقد اشتهر بالعدل ومحاربة الفساد فأمنت الطرقات وامتنع الناس عن الظلم واحكم الرقابة على عساكره حتى لا يشتكى منهم عامة المسلمين ،كما رخصت الاسعار على ايامه •(١)

وكما ذكرنا فقد اعتلى حكم عدل السلطان محمد بن شهاب الدين احمد بدلاى (٨٤٧هـ – ٨٧٦هـ / ١٤٤٣م – ١٤٧١م) بعد استشهاد ابيه •

وقد عمل زرع يعقوب على توسيع رقعة مملكة الحبشة على حساب الممالك الاسلامية حيث استولى على " اوفات " وفطجار وبالى ودوارو وهديه فامتدت مملكته شمالا حتى مصوع وسهول السودان ولحقت بالمسلمين الهزائم المتتالية حتى ان السلطان محمد عرض الهدنة على الملك الحبشى بئيدا ماريام بعد وفاة زرع يعقوب فى مقابل جزية سنوية وهذا مما جعل بئيدا ماريام يتفرغ لقتال قبيلة

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ١٩–٢٠؛ نفس المؤلف ، السلوك ،جـ٤ ،ق ٢ ،ص ٩٤٠ – ٩٤١؛ العسقلانى ،نفس المصدر ،جـ٣ ،ص ٤٨٨؛ السخاوى ، التبر المسبوك ،ص ٧١ – ٧٢، ٧٩ •

الدبعة الداخلة فى الاسلام حديثا .(١) وكذلك بعض القبائل الوثنية .(٢)

وفى عام ٨٧٦هـ / ١٤٧١م توفى السلطان محمد بن شهاب الدين وتولى الحكم بعده ابنه شمس الدين بن محمد (٨٧٧هـ – ٨٩٣هـ / ١٤٧٢م – ١٤٨٧م) وقد تصدى هذا السلطان للملك الحبشى بئيدا ماريام وكان النجاشى قد تصدى للاداى عثمان حاكم زيلع عام ٨٧٦هـ / ١٤٧١م الذى رفع راية الجهاد فى مملكة عدل لأحد قادة السلطان شمس الدين للتحرر من السيطرة الحبشية واستطاع النجاشى هزيمة عثمان وأسر الكثير من امراء عدل ولكن الهزيمة لم تكن حاسمة فقد تحالفت قبائل عفار Afar مع المسلمين واندلعت نار الحرب مرة اخرى على طول الحدود الشرقية لمملكة الحبشة ، ولذلك بعث الملك الحبشى بجيشين الى عدل فى عامى ٨٧٨هـ ، ٨٧٩هـ / ١٤٧٣م ، ١٤٧٤م ، بقيادة محارى كرستوس وجبر اياسوس ولكنهما هزما هزيمة منكرة على ايدى المسلمين وقتل القائدان الحبشيان .(٣)

وبعد وفاة بئيدا ماريام وتولى ابنه اسكندر (٨٨٣هـ – ٩٠٠هـ / ١٤٧٨م – ١٤٩٤م) واجه هذا الملك مهمة القضاء على المقاومة الاسلامية فى عدل وفى البداية استطاع احراز بعض الانتصارات فدمر ونهب العاصمة دكار Dakar واحرق مساجدها الا أن المسلمين لحقوا به وهزموه هزيمة منكره وتشتت جيشه ونجا بنفسه بصعوبة كبيرة . (٤)

ويذكر ابن البديع انه فى عام ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م ارسل سلطان اليمن شمس الدين بن طاهر بن معوض الاموى العمرى من سلاطين الدولة الطاهرية (٨٥٨ هـ – ٨٨٣هـ / ١٤٥٤م – ١٤٧٨م) الى المجاهد فى سبيل الله شمس الدين بن محمد مائة وخمسة أفراس من الخيل العربية والسيوف والرماح والدروع اعانة له ويرجو من الله ان يتقبل هذا العمل الصالح منه ، ثم فى سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٦م ارسل له مرة اخرى من عدن نيفا وخمسين فرساً تكملة للعدد السابق اعانة له فى سبيل الله .(٥)

(١) اعتنق بعض فروع هذه القبيلة الاسلام فى القرن السابع الهجرى (١٣م) ويحتلون اقصى الحافة الشرقية للهضبة فى الطريق الى دباروا Debarwa ومنطقتهم طريق للقوافل . انظر
Trimingham, op. cit., P. 81

(٢) Budge, op. cit., Vol, I, P.P. 314 - 316.

(٣) Ibid., P. 318 .

(٤) Ibid., P. 321.

(٥) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١٥٠ – ١٥٤ .

وهذا يعكس العلاقات القوية بين المسلمين وخاصة بين مسلمى ساحل شرق افريقيه واليمن حيث برهنت هذه العلاقات فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين على ان المسلم أخ للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا مهما بعدت الشقة والمسافات

وفى عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م تولى العرش العدلى السلطان محمد بن آزر بن أبى بكر بن سعد الدين (٨٩٤هـ - ٩٢٤هـ / ١٤٨٨م - ١٥١٨م) وقد حكم عدل مدة ثلاثين سنة وجاهد ضد الاحباش فى بداية حكمه ثم التزم جانب الهدنة معهم فى سنوات حكمه الاخيرة وهذا ادى الى انتقال راية الجهاد من اسرة سعد الدين الى امراء هرر .

واول هؤلاء الامراء الامير محفوظ الذى انهك الاحباش بغاراته المتتالية عليهم فى فترات الصوم الكبير وذلك فى عهد الملك الحبشى اسكندر والملك ناعود . ولكن ناعود استطاع هزيمة جيش بالى وارغم حاكمها المدعو وناج دجان Wanag Djan على التنصر بعد ان اسره وسجنه ثم عفا عنه وعينه حاكما على بالى ولكنه كان قد قرر الفرار إلى عدل والنجاة بدينه وفعلا استطاع الهرب مع عدد كبير من جيشه وأفراد عائلته وفى طريق عودته الى عدل هاربا من الاحباش عاجلته المنية عند نهر ويبى Webi . وفى معركة لاحقة أسر الاحباش ابن وناج دجان المدعو سيموا ونصروه وعينه الملك ناعود حاكما على احدى مناطق بالى وبقى بهاحتى فتحها الامام احمد بن ابراهيم عام ٩٣٦هـ /١٥٢٩م.(١)

وفى نهاية فترة حكم السلطان محمد بن آزر ساد اسرة سعد الدين المنازعات والاضطرابات ، حتى أن السلطان عندما خرج للجهاد ضد الحبشة منى بهزيمة منكرة على ايدى الاحباش ثم قتل غيلة من قبل صهره محمد بن ابى بكر بن محفوظ عام

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٠٤ - ١٠٦ ،
Budge, op. cit., Vol. I, PP. 324 - 325 .

٩٢٤هـ / ١٥١٨م.(١)

وهكذا انتهى دور مملكة عدل فى الجهاد ضد الحبشة وابتدأ دور هرر او مرحلة الجهاد العظيم الذى تمخض عن فتح مملكة الحبشة ونشر الدين الاسلامى داخل الهضبة الحبشية معقل النصرانية .

أما العلاقة بين مصر ومملكة الحبشة فهى علاقة قديمة ترجع الى تاريخ اعتناق الاحباش للنصرانية على المذهب اليعقوبى (الارثوذوكسى) وهو عقيدة النصارى فى مصر ، ورئيس هذه الطائفة هو البطريرك ومقره فى الاسكندرية ، ولذلك ارتبطت الكنيسة الحبشية بالكنيسة المصرية منذ القرن الرابع للميلاد وحتى منتصف القرن العشرين وبالتحديد حتى عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، حيث سمح البطريرك للأحباش باختيار مطران حبشى من جنسهم ، غير إن هذه العلاقة لم تكن هى العلاقة الوحيدة بين البلدين بل ان هناك الدير الحبشى الموجود فى القدس والذى كان مخصصا للحجاج الاحباش الذين كانوا يحجون الى القدس وباعداد كبيرة .

كان هؤلاء الحجاج هم صلة الوصل بين مملكة الحبشة والحركة الصليبية الاوربية التى سادت ما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين (١٢ - ١٤ م) حيث كان الملوك الاحباش على دراية بما يحدث فى مصر والشام من معارك بين المسلمين والصليبيين .

وقد حاولت الحبشة فى عدة مناسبات المشاركة فى هذه الحركة بالاتصال بالعالم المسيحى الغربى فمثلا نرى الملك الحبشى يكونو أملاك مؤسس الاسرة السليمانية يوفد سفارة الى الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثامن باليولوجس (١٢٦١م - ١٢٨٢م) محملة بالهدايا من ضمنها الزراف ، اما ابنه ودم ارعد (Wedem Arad ٦٩٩هـ - ٧١٤ هـ / ١٢٩٩م - ١٣١٤م) فقد بعث برسالة الى البابا كليمنت الخامس فى افنيون بفرنسا.(٢) ورغم عدم معرفة مضمون الرسالة

---

(١) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٢٠٠ - ٢٠١؛ عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٥-٦؛ محمد عبد الله النقيرة ، نفس المرجع ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣؛ انظر ايضا ،
Trimingham, op. cit., PP. 80 - 83.

(٢) Budge, op. cit., Vol.I, P. 285;
ابراهيم طرخان ، نفس المرجع ، ص ٤٨ - ٥١ .

الا ان ظواهرالامور تدل على ان الاتصالات قديمة بين الحبشةواوروبا .

ويذكر المقريزى بعض هذه الاتصالات التى اقامها الملك الحبشي اسحاق مع أوربا (٨١٧هـ - ٨٣٣ هـ / ١٤١٤م - ١٤٢٩م) فيقول :
" ثم كتب الى ملوك الفرنج يحثهم على ملاقاته لإزالة دولة الاسلام وواعدهم على ذلك ".(١)

اما موقف دولة المماليك من الحبشة فكان يتوقف على عاملين هامين :-

أولا : الحذر الشديد من جانب المماليك لكون الحبشة دولة نصرانية وعلى اتصال بأوروبا النصرانية التى لازالت جيوشها الصليبية تشن هجمات على السواحل المصرية والشامية .

وثانيا : ما لمسه السلاطين فى دولة المماليك من عمليات الاضطهاد والانتقام التى تقودها مملكة الحبشة ضد الدويلات الاسلامية المحيطة بها من ناحية الشرق والجنوب . فكانت العلاقات بين الدولتين بين مد وجزر ،بين حسن النية والشكوك .

وكان الملك الحبشى فى الغالب وعند حاجته الى مطران جديد للكنيسة الحبشية يقوم بإرسال سفارة إلى مصر تحمل رسالتين احدهما للسلطان والاخرى لبطريرك الاسكندرية يطلب فيها تعيين المطران الجديد ،ورسالته الى السلطان كانت تحفل بالالفاظ المنمقة والالقاب الفخمة والدعاء للسلطان وبرفقتها هدايا فخمة وكميات من الذهب لاسترضاء السلطان المملوكى . وهذه كلها امورشكلية يعرف السلطان مدى زيفها ويعلم بما يلاقيه مسلمو الحبشة من اضطهاد ودمار وعنف وانه لولا الحاجة الماسة لما كاتبه الملك الحبشى بهذا الاسلوب وهو ما اشار اليه القلقشندى فيقول : " ولولا انه معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبه وانه لا يصح تعمد معمودى الا بالاتصال من البطريرك ،وان كرسى البطريرك كنيسة الاسكندرية فيحتاج الى اخذ مطران بعد مطران من عنده ،لشمخ بانفه عن المكاتبة

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ٥ .

لكنه مضطر الى ذلك ." (١)

وقد أصر سلاطين المماليك على ان يكون الاتصال بين الحبشة وكنيسة الاسكندرية عن طريق السلطان المملوكي وليس اتصالا مباشرا لارتياب المماليك فى هذه الاتصالات خاصة وان الملوك الاحباش كانوا يظهرون بمظهر حماة النصرانية فى مصر ويهددون فى كثير من رسائلهم السلطان المملوكي اذا لم يحسن معاملة الاقباط النصارى ويقومون باضطهاد المسلمين فى بلادهم والانتقام منهم اذا علموا باغلاق السلطان المملوكي كنيسة القيامة بالقدس .

كما أن الحبشة كانت ملجأ للفارين من النصارى والمسلمين من مصر وهذا أدى إلى استفادة الملوك الاحباش من هذا الأمر حيث ساهم هؤلاء فى تطوير النظام الملكى الحبشى وادخال كثير من النظم الحضارية السائدة فى مصر والعالم الاسلامى الواسع فعملوا على تطوير الجيش الحبشى والموكب الملكى وملابس الملك ونظام جمع الضرائب وكتابة الرسائل ..... الخ .

ولو استعرضنا العلاقات بين الدولتين المملوكية والحبشية فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) لتبين لنا مدى الاثر الذى تركته العلاقات الصليبية الاوروبية مع الحبشة على هذه العلاقات .

ففى عصر الملك داود الاول (١٣٨٢م - ١٤١١م) نرى ان هذا الملك سار على نهج من سبقه وهى تملق سلطان مصر بالرسائل المنمقة والهدايا وفى نفس الوقت يشن حروبا انتقامية ضد الدويلات الاسلامية المطلة على البحر الاحمر كما ان هذا التودد لا يمنعه من تهديد مصر من ناحية الجنوب فيذكر المقريزى فى احداث سنة

---

(١) القلقشندى ،نفس المصدر ،جـ٨،ص ٣٩؛سعيد عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ،ص ٢٥٣ - ٢٥٨،٢٥٤؛نفس المؤلف ،بعض اضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة ،ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ،٣١٠ .

٧٨٣هـ / ١٣٨١م وفى عصر السلطان المملوكى الصالح زين الدين ابو الجود حاجى (٧٨٣هـ — ٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م) فيقول : " ورد الخبر بأن متملك الحبشة داود بن سيف ارعد الملقب بالحطى انفذ جيشا الى اطراف معاملة اسوان فاوقعوا بالعربان ونال اهل الاسلام منهم بلاءا كبيرا فبعث الامير الكبير الى " متى بن سمعان " بطريق النصارى اليعاقبة بالمعلقة من مدينة مصر يأمره ان يكتب الى صاحب الحبشة يمنعه من التطرق الى بلاد المسلمين فأجاب بعد امتناع وكتب اليه بما اقترحه عليه الامير الكبير من ذلك ،وكتب السلطان اليه كتابا بالانكار عليه وندب لرسالته البرهان ابراهيم الدمياطى نقيب قاضى القضاة المالكى وجهزه بما يليق به ." (١)

وهذا يؤكد ان هناك تآمر بين الحبشة والصليبيين فى اوروبا لمهاجمة مصر من الجنوب .

ويصف ابن تغرى بردى فى احداث سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م سفارة الملك داود الى السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤هـ — ٧٩١هـ / ١٣٨٢م — ١٣٨٩م) فيقول : " ثم فى تاسع عشرين ذى الحجة قدمت الحبشة بكتاب ملكهم الحطى واسمه داود بن سيف ارعد ومعهم هدية على احد وعشرين جملا فيها من طرائف بلادهم من جملتها قدور قد ملئت حمصا صنع من ذهب اذا رآه الشخص يظنه حمصا وغير ذلك " (٢)

كما يشير العسقلانى الى سفارة اخرى من النجاشى داود الى السلطان الظاهر برقوق فى سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م فيقول : " وفى آخر السنة وصلت رسل الحبشة بهدايا جليلة ايضا ." (٣)

اما السلطان المملوكى المؤيد شيخ (٨١٥هـ — ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ — ١٤٢١م)فكان على دراية بما يفعله النجاشى ضد المسلمين فى الحبشة لذلك كان يتخذ من البطريرك القبطى وسيلة ضغط على النجاشى ليرفع اذاه عن المسلمين . ففى عام ٨٢٢ هـ / ١٤٩٢م استدعى السلطان المؤيد بطريرك النصارى ووبخه فى مجمع من

---

(١) المقريزى ،السلوك ، جـ٣ ،ق ٢ ،ص ٤٤٥ — ٤٤٧ .

(٢) ابن تغرى بردى ،نفس المصدر ،جـ١١ ،ص ٢٤٦ .

(٣) العسقلانى ،نفس المصدر ،جـ١ ،ص ٣١٦ .

القضاه والمشايخ والعلماء وقرعه وانكر عليه ما بالمسلمين من الذل فى بلاد الحبشة وهدده بالقتل واصدر امرا بان لا يباشر احد من النصارى فى دواوين السلطان والامراء وغيرهم الا ان هذا المرسوم لم ينفذ كما يذكر المقريزى بعد ذلك .(١)

وهكذا اخذت العلاقات بين الدولتين فى التوتر شيئا فشيئا خاصة عندما ازدادت هجمات القراصنة الصليبيين على شواطىء مصر والشام ،فنقرأ للمقريزى فى احداث عام ٨٢٥هـ / ١٤٢٢م فىعصرالسلطان المملوكى الاشرف برسباى(٨٢٥هـ - ٨٤١هـ/ ١٤٢٢م - ١٤٣٨م) : " وفى هذا الشهر كثر عبث الفرنج بالسواحل وهجم فىالليل غرابان فيهما طائفة من الفرنج على ميناء الاسكندرية فوجدوا فيها مركبا للتجار فيه بضائع بنحو مائة الف دينار ، فاقتتلوا معهم عامة الليل...واحرقت مركب التجار فاتت نار الفرنج على سائر ما فى المراكب من البضائع ومضى الفرنج نحو برقة فاخذوا ما قدروا عليه ثم عادوا الى الاسكندرية ومضوا الى نحو الشام " .

هذه الهجمات اثارت غضب السلطان المملوكى لثقته بان هناك تآمر ضد الدولة يحيكه الصليبيون بالتعاون مع نصارى الشام ،لذلك اصدر امره فىنفس السنة باغلاق كنيسة القيامة بالقدس .(٢)

والمرجح ان غلق الكنيسة كان لهذا السبب وليس لمعاملة الملك الحبشى بالمثل لانه اضطهد المسلمين فى بلاده كما يذكر البعض .(٣)

الا ان ردة الفعل لدى الملك الحبشى اسحاق - الذى علم باغلاق الكنيسة - كانت سيئة للغاية حيث نكل بالمسلمين وشن حربا متواصلة ضدهم افنى فيها اعدادا كبيرة منهم .(٤)

---

(١) المقريزى ، السلوك ،جـ٤ ،ق ١ ،ص ٤٩٣ - ٤٩٤؛جـ٤،ق ٢ ،ص ٦١٠؛ العسقلانى ،نفس المصدر ،جـ٣ ،ص ١٩٤ .

(٢) المقريزى ، السلوك ،جـ٤ ،ق ٢،ص ٦١٧ - ٦١٩ .

(٣) انظر عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ،ص ١٧٩ .

(٤) المقريزى ، السلوك ،جـ٤ ،ق ٢ ،ص ٦٤٩ .

وازدادت العلاقات سوءا عندما فتحت مصر جزيرة قبرص عام ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦م التى كانت وكرا للقراصنة الصليبيين واسرت ملكها " جانوس لوزجنان " فما كان من اسحاق الا ان عبر عن مشاعر التضامن وقام بارسال سفارة الى ملوك اوروبا يدعوهم للاشتراك مع الحبشة لشن حملة صليبية جديدة ضد مصر حيث يهاجمها هو من الجنوب والأوروبيون من الشمال واستخدم في ذلك أحد التجار واسمه نور الدين على بن محمد التبريزى . الذى كان يعمل فى تجارة الاسلحة بين مصر والحبشة وقد حاز على ثقة اسحاق للقيام بهذه المهمة ولكن انكشف امره فى مصر عند عودته من اوروبا عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م وحوكم واعدم جزاء خيانته للاسلام والمسلمين (١) وتوفى اسحاق فى السنة التالية .

اما زرع يعقوب فقد أرسل سفارة إلى السلطان المملوكى جقمق العلائى الظاهرى (٨٤١هـ - ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨م - ١٤٥٣م) عام ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م برسالة تفوح منها رائحة التهديد والانذار بالاضافة الى ما جاء فيها من بطلان وزيف يتعلق بمعاملته الحسنة للمسلمين فيقول فى رسالته :

" ليس يخفى عليكم ما فى بلادنا الواسعة من المسلمين تحت حكمنا ونحن لهم ولملوكهم مالكون ولم نزل نحسن اليهم فى كل وقت وحين ومن تقدم من ابنائنا واجدادنا لم يزالوا بهم متوصين ولانفسهم واموالهم حافظين ،سامعين لاقوالهم رادعين من يتعرض اليهم ونحن على ما كان عليه آباؤنا سالكون فى طريقهم غير متعرضين لاقامة مساجدهم ولا إلى أيام أعيادهم وأيام مواسمهم وملوكهم عندنا بالتيجان الذهب،راكبون الخيول المسومة،وعامتهم فى اسبابهم آمنون مطمئنون على انفسهم واولادهم واموالهم راكبون البغال فى احسن الاحوال ولا نأخذ منهم جزية ولا شيئا لا قليلا ولا كثيرا ولا نشوش عليهم اصلا ... وليس يخفى عليكم ولا على سلطانكم أن بحر النيل ينجر اليكم من بلادنا ولنا الاستطاعة على أن نمنع الزيادة التى تروى بها بلادكم عن المشى اليكم .... "(٢)

---

(١) المقريزى ، السلوك ،جـ٤ ،ق ٢ ،ص ٨٣٨؛ ابن تغرى بردى ،نفس المصدر ،جـ١٤ ،ص ٣٢٤ - ٣٢٦؛ سعيد عاشور ،بعض اضواء جديدة ،ص ٣١٢ ؛ الشاطر بصيلى ،نفس المرجع ،ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) السخاوى ،نفس المصدر ،ص ٦٨ - ٧١ .

وبمقارنة ما ورد في هذه الرسالة مع وصف حال المسلمين في الحبشة الذى اورده عرب فقيه في بداية القرن العاشر الهجرى على لسان احد سكان هديه يتبين بطلان ادعاءات زرع يعقوب فيما يخص الحرية والمساواة التي ادعى بأن المسلمين يتمتعون بها ،هذا بالاضافة إلى الحروب المتواصلة التي يضطهد بها المسلمون فقد ورد في فتوح الحبشة لعرب فقيه أن أهل هدية كانوا يقدمون للملك الحبشي فتاة مسلمة ينصرها لنفسه فقالوا : " قد حكم على ابائنا المتقدمين وكان اقوى منهم وحكم علينا الا نلبس عدة الحرب ولا نمسك السيف ولا نركب خيولنا بالسروج الا على متن ظهورها وحكم علينا ان نعطيه البنت ونعطيه مخافة ان يقتلنا ويخرب مساجدنا " .(١)

وحال المسلمين هذه لم تكن تخفى على السلطان المملوكي لذلك أوفد يحي بن أحمد بن شاد بك رسولا من قبله للنجاشي ومعه كتاب يتضمن عدم الموافقة على ما طلبه الملك لكون نصارى الديار المصرية قد كثر تعديهم واستطالتهم بالمبالغة في البناء واحداث الكنائس وغير ذلك .

ولكن هذا الجواب أثار سخط الملك الحبشي فاخر رسول السلطان لديه وقاد حملة حربية على عدل وقتل فيها شهاب الدين احمد بدلاى وأرسل الرسول ليرى جثة بدلاى نكاية بالمسلمين وعلى رأسهم السلطان المملوكي .(٢)

وهكذا استمر توتر العلاقات بين الدولتين خاصة انه قد نمى إلى علم السلطان وجود إتصالات بين ملك الحبشة زرع يعقوب وملوك اوروبا من أجل تكوين جبهة موحدة ضد الدولة الاسلامية ،لذلك داخله الشك بان يكون هناك تعاون في هذا الامر بين البطريرك المصرى وملك الحبشة خاصة وان الدولة كانت في معارك مستمرة مع القراصنة الصليبيين في جزيرة رودس في البحر المتوسط . لذلك استدعى البطريرك في سنة ٨٥٢هـ وضربه وحبسه واشهد عليه ان لا يكتب الى ملك الحبشة بنفسه ولا بوكيله لا ظاهرا ولا باطنا ولا يولى احدا في بلاد الحبشة

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٨١ .

(٢) السخاوى ،نفس المصدر ،ص ٧١ – ٧٢ ؛عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ص ١٨١ – ١٨٥؛محمد عبد الله النقيرة ،نفس المرجع ،ص ٣٠١-٣٠٢؛زاهر رياض ،مصر وافريقيا ،ص ١٠١ – ١٠٣ .

لا قسيسا ولا أعلى منه ولا دونه إلا بإذن من السلطان ،ووقوفه على كتابته وانه متى خالف ذلك انتقض عهده وضربت عنقه .(١)

واستمرت مملكة الحبشة فى استفزاز المسلمين ،فقد تتابعت الاخبار الى الدولة المملوكية بان ملك الحبشة زرع يعقوب قد بنى ما يقارب مائتى مركب لغزو المسلمين والاستيلاء على سواحل ارض الحجاز ،وايضا انه يعمل على قطع مسيرة نهر النيل على ارض مصر ولكن هذه الاخبار لم يأخذها السلطان المملوكى على محمل الجد باعتبار ان هذه من المستحيلات ولا يمكن للحبشة تنفيذها عمليا .(٢)

وبعد موت زرع يعقوب اخذت العلاقات بين البلدين تأخذ طابع الهدوء ،فقد لجأ المماليك الى غض النظر عن تصرفات الملوك الاحباش نظرا للمشاكل الداخلية التى تواجه الدولة ووصولها لمرحلة الشيخوخة .

ففى سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م ارسل الملك الحبشى اسكندر سفارة الى السلطان المملوكى الاشرف قايتباى (٨٧٣هـ - ٩٠١هـ / ١٤٦٨ - ١٤٩٦م) برفقتها الهدايا الفخمة وقد قابلها السلطان بالترحيب والاكرام وسمح لهم باخذ مطران جديد لكنيسة الحبشة وهو ما جاءوا من اجله .

وفى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م بعثت الملكة هيلينا Illeni الوصية على العرش نيابة عن الملك لبنادنجل الطفل (٩١٤هـ - ٩٤٧هـ / ١٥٠٨م - ١٥٤٠م) سفارة الى السلطان قانصوه الغورى (٩٠٦هـ - ٩٢٢هـ / ١٥٠١م - ١٥١٦م) بهدايا لم تستحوذ على رضا السلطان لضآلتها ،وكان غرض السفارة هو تسهيل مهمة الوفد فى عبور مصر الى القدس لزيارة كنيسة القيامة وقد اكرمهم السلطان وسهل مهمتهم للسفر إلى القدس ،بعد أن مكثوا لديه ثلاثة ايام .(٣)

---

(١) السخاوى ،نفس المصدر ،ص ٢١٠؛سعيدعاشور ،بعض اضواء جديدة ،ص ٢٩٠- ٢٩١.
(٢) السخاوى ،نفس المصدر ،ص ٣٠٩؛سعيد عاشور،بعض اضواء جديدة ،ص ٣١٨- ٣١٩.
(٣) ابن اياس ، نفس المصدر ،ج٣ ،ص ١٧٩، ١٨٠؛ج٥ ،ص ١٠ - ١٢ .

وفى السنة التالية ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م سقطت دولة المماليك فى ايدى العثمانيين الذين ورثوا دور المماليك فى الدفاع عن الحرمين الشريفين والعالم الاسلامى وكان فى مواجهتهم التحالف البرتغالى الحبشى .

....

الفصل الثاني

التحالف البرتغالي الحبشي ضد القوى الإسلامية

"في القرن العاشر الهجري (١٦م)"

أولاً: السفارات بين الأحباش والبرتغاليين.

ثانيًا: غزو البرتغاليين لدويلات المدن الإسلامية في شرق أفريقية في أوائل القرن العاشر الهجري.

ثالثاً: غزو البرتغاليين لسواحل البحر الأحمر في القرن العاشر الهجري.

أولا : السفارات بين الاحباش والبرتغاليين :

تعود الاتصالات الحبشية الاوروبية بشكل عام إلى سنوات مبكرة من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، وهى اتصالات سعى اليها كلا الجانبين للتعاون من أجل تطويق العالم الاسلامى .

كما أبدى ملوك الحبشة رغبتهم الاكيدة فى المشاركة الفعالة فى الحروب الصليبية الدائرة فى المشرق الاسلامى وخاصة ضد دولة المماليك وذلك بوضعها بين فكى كماشة حيث يهاجمها الاوروبيون من الشمال بينما يهاجمها الاحباش من الجنوب وهكذا تظهر مملكة الحبشة بمظهر حامي النصرانية فى الشرق ،ونظرا لبعدها الجغرافى عن مصر وعن الدول الاوروبية جاء دورها ثانويا فلم تستطع تنفيذ المشاريع الصليبية المشتركة بشكل فعال .

ومن أهم هذه الاتصالات وإن لم تكن أقدمها السفارة التى أرسلها الملك الحبشى اسحاق الى ملك ارغونه الفونس الخامس (١٤١٦- ١٤٥٨م) عام ١٤٢٨م يعرض عليه اعداد حملة مشتركة يهاجم فيها ملك ارغونة دولة المماليك بحرا من ناحية الشمال بينما تقوم الجيوش الحبشية بمهاجمة مصر برا من جهة الجنوب وقد علم الملك الحبشى مسبقاً بفتح المماليك لجزيرة قبرص وأسرهم لملكها جانوس عام ١٤٢٦م

وكان رسول إسحاق إلى الفونس تاجرا فارسيا اسمه نور الدين على التبريزى العجمى الذى ادى مهمته جيدا وبلغ الرسالة ثم عاد متنكرا الى ميناء الاسكندرية وبصحبته راهبان حبشيان ،فوشى به أحد عبيده من الجبرت وقبض عليه وحكم بإعدامه وذلك فى عهد السلطان برسباى عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م .(١)

وقد تم الاتفاق فى اثناء المحادثات بين الحبشة وارغونة على ان تعزز هذه الاتفاقية بمشروع مصاهرة متبادلة بين الطرفين حيث يتزوج ملك الحبشة

---

(١) المقريزى ، السلوك ،ج٤ ،ق ٢ ،ص ٧٩٥-٧٩٦؛ ابن تغرى بردى ،نفس المصدر، ج١٤ ،ص ٣٢٤-٣٢٦؛ الشاطر بصيلى ،نفس المرجع ،ص ١٢٧ .

من أميرة ارغونية كما يتزوج ولى العهد البرتغالى من أميرة حبشية .

وقبل أن تصل سفارة اخرى من ملك ارغونة إلى الحبشة تحمل الرد كان اسحاق قد توفى عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م . وقد وصلت سفارة الملك الفونس الخامس إلى الحبشة أواخر سنة ١٤٥٠م على عهد النجاشى زرع يعقوب وفيها أكد رغبته فى أن تهاجم الحبشة مصر من الجنوب بينما يهاجم الملك الفونس بيت المقدس فى فلسطين وأن تعمل الحبشة على تحويل مجرى نهر النيل لتجويع مصر وهى فكرة ظلت ماثلة فى اذهان الاوروبيين وخاصة البرتغاليين حتى تم كشف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الحبشة والهند ،وقد وصل بعض الحرفيين والفنيين فعلا إلى الحبشة لتنفيذ هذا المشروع فى عام ١٤٥٠م.(١)

ولم تكن سفارة التبريزى هى السفارة الوحيدة التى أرسلها النجاشى اسحاق إلى اوروبا بل كانت هناك سفارة اخرى أرسلها إلى ملك فرنسا شارل السابع عام ٨٢٥ - ٨٦٦هـ / ١٤٢٢م - ١٤٦١م يعرض عليه المشاركة فى مشروع غزو مصر وبالرغم من انشغال فرنسا بحرب المائة عام ضد انجلترا ٧٣٨ هـ - ٨٥٧ هـ / ١٣٣٧م - ١٤٥٣م إلا أن الملك الفرنسى أبدى استعداده للمشاركة فى الحرب الصليبية ضد دولة المماليك فبعث بسفارة الى الحبشة مرت فى طريقها بمصر ولم يستطع الوصول إلى الحبشة سوى شخص واحد من أفراد السفارة وهو من اهل نابولى واسمه بطرس.(٢)

وحرص النجاشى زرع يعقوب على استمرار الاتصالات مع اوروبا لضرب دولة المماليك التى كانت تمثل فى ذلك الوقت قلب العالم الاسلامى وحاميته القوية فنراه يعهد إلى رئيس دير الاحباش فى القدس بارسال بعثة من الرهبان الاحباش للاشتراك فى مجمع فلورنسه الدينى (١٤٣٨ - ١٤٣٩م) المعقود برئاسة البابا ايوجين الرابع Eugene IV ومن التوصيات التى أمر النجاشى مبعوثيه بعرضها على المجمع الدينى ربط كنيسة الحبشة بكنيسة روما وفى المقابل يسمح

---

(١) Tamrat, Ethiopia and The Red Sea", In the Cambridge History of Africa" Vol. III, P. 180;
سعيد عاشور ،بعض اضواء جديدة ،ص ٣١٢-٣١٥؛ وايضا ،الحركة الصليبية ،جـ٢ ،ص ١١٥١، حسن احمد محمود ، نفس المرجع ،ص ٤٤٤-٤٤٥.

(٢) سعيد عاشور ،بعض اضواء جديدة ،ص ٣١٣؛ حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٤٥؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٦٢ .

البابا للاحباش باقامة دير لهم فى روما .

ومما يؤكد نجاح هذا المسعى التقرير الذى كتبه حنادى لاستك رئيس هيئة الاسبتارية فى قبرص (١٤٣٧م - ١٤٥٤م) إلى ملك فرنسا شارل السابع (١٤٢٢ - ١٤٦١م) شارحا له الضربات التى كالها ملك الحبشة زرع يعقوب للمسلمين فى بلاده وبان ملك الحبشة قد وجه انذارا نهائيا إلى سلطان مصر بانه ان لم يحسن معاملة النصارى فى بلاده فانه - اى ملك الحبشة - سيقطع مجرى النيل عن مصر .(١)

ولم تخف هذه الاتصالات عن المماليك مما دفعهم إلى مراقبة البحر الاحمر مراقبة دقيقة واغلاقه فى وجه الصليبيين وعدم السماح لهم بالمرور الا بتصريح خاص من السلطان المملوكى .(٢) غير ان البرتغاليين كانوا اكثر الاوروبيين جرأة فى البحث عن ارض البرسترجون او القديس يوحنا حيث كانوا يأملون فى التحالف معه للقضاء على قوة الاسلام والمسلمين .

واول السفارات التى بعث بها ملوك البرتغال إلى الحبشة :

سفارة بدرو دى كوفيلهام Bedro de Covilham

والفونسو دى بايفا Alfonso de Payva

كان بيدرو دى كوفيلهام مواطنا من مدينة كوفيلهام فى مملكة البرتغال ثم عمل لدى ملك البرتغال دوم الفونسو Dom Alfonso (٨٤١هـ - ٨٨٦هـ / ١٤٣٧ - ١٤٨١م) فى وظيفة سائس خيل ورافقه فى تنقلاته وحروبه وبعد وفاته لازم ابنه الملك دوم جواو الثانى Dom Joao II (١٤٨١-١٤٩٥م) حيث خدمه كرئيس للحرس الملكى ثم انتدبه الملك مع شخص آخر من قشتالة يدعى الفونسو دى بايفا للسفر إلى المشرق الاسلامى للبحث عن الملك برسترجون (القديس يوحنا) ومعرفة كل شئ يتعلق به ،ثم البحث عن مواطن البهارات التى تأتى عبر بلاد المسلمين . وأخبره الملك بانه بقبوله هذه المهمة سوف يقدم له [اى للملك] خدمة جليلة .

---

(١) سعيد عاشور ،بعض اضواء جديدة ،ص ٣١٣-٣١٤.

(٢) سعيد عاشور بعض اضواء جديدة ،ص ٣١٦؛ ايضا ، الحركة الصليبية ،ج٢،ص ١١٥٢؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٦٢؛ على احمد نور ، النزاع الصومالى الاثيوبى ص ٣٤-٣٥ .

وقد قبل كوفيلهام وبايفا بالمهمة وسافرا فى السابع من مايو عام ١٤٨٧م وحضر لوداعهما الملك دوم مانويل الذى كان دوقا فى ذلك الوقت واعطاهما خريطة للملاحة .

ولتغطية نفقاتهما أعطاهما الملك اربعمائة جنيه ذهب (كروزادو Cruzado) وسافر المبعوثان إلى برشلونة ومنها إلى نابولى ثم رودس وانطلقا من هناك إلى الاسكندرية متنكرين فى هيئة تاجرين وبعد أن اشتريا كميات كبيرة من العسل سافرا من الاسكندرية إلى القاهرة حيث تعرفا على بعض التجار المغاربة المسلمين وتوجهوا معهم إلى عدن عن طريق ميناء الطور وفى عدن افترق البرتغاليان حيث توجه الفونسو دى بايفا إلى الحبشة وسافر دى كوفيلهام إلى الهند واتفقا على أن يتقابلا فى القاهرة فى موعد محدد ليقدم كل منهما تقريرا عما وجده للملك .

وقد وصل دى كوفيلهام إلى كنانور على الساحل الغربى للهند وزار كل من قاليقوط وجوا ثم عاد إلى هرمز ومنها إلى البحر الأحمر والطور ومن ثم إلى القاهرة . وبحث عن رفيقه بايفا فعلم انه قد مات وبينما كان على وشك العودة إلى البرتغال تلقى خبرا يفيد بأن هناك اثنين من اليهود البرتغاليين يبحثان عنه احدهما حاخام يدعى ابراهام Rabi Abraham والاخر يدعى يوسف Josef وكان اليهوديان يحملان رسائل من ملك البرتغال يأمر فيها مبعوثيه دى كوفيلهام وبايفا بألا يعودا إلى البرتغال حتى يتما مهمتهما كاملة وأن يبعثا برسائل إلى ملك البرتغال لشرح ما توصلا اليه . وأكد الملك على أن مهمتهما الرئيسية هى البحث والتعرف على كل شئ يتعلق بالملك برسترجون (القديس يوحنا) وعلى الفور كتب كوفيلهام إلى ملك البرتغال يشرح له ماتوصل اليه من معلومات عن مواطن البهارات على الساحل الهندى ،كما وصف له الطريق من ساحل شرق افريقيه الى الهند وارسل هذه الرسالة مع اليهودى يوسف ثم سافر مع ابراهام إلى عدن ومنها إلى هرمز حيث تركه هناك ومن هرمز عاد إلى جده ودخل متخفيا إلى مكة والمدينة ثم سار برا إلى سيناء بعد أن اطلع جيدا على احوال المسلمين الداخلية ومدى استعداداتهم الحربية ثم ركب من الطور مرة اخرى إلى زيلع ومن هناك سار برا إلى مملكة الحبشة وتقابل مع الملك الحبشى الاسكندر Alexander (١٤٧٨ – ١٤٩٤م) وسلمه رسائل ملك البرتغال .

وقدقوبل كوفيلهام من قبل الملك الحبشى بالترحاب والتكريم ووعده باعادته إلى البرتغال ولكن الاسكندر توفى قبل أن يفى بوعده وتولى بعده الملك ناعود (١٤٩٤ - ١٥٠٨م) الذى لم يسمح للمبعوث البرتغالى بالعودة إلى وطنه . وهكذا بقى كوفيلهام فى الحبشة حوالى الثلاثين عاما وتوفى هناك بعد أن أدى المهمة الموكلة اليه .(١)

وبهذا ساهم كوفيلهام فى لفت نظر الاحباش إلى قوة مملكة البرتغال وحثهم على عقد تحالف معها وهو ما أُخذت به الملكة هيلينا الوصية على الملك الطفل لبنادنجل عندما بعثت سفيرها ابراهام او ماثيو .

فى بداية القرن العاشر الهجرى استطاع البرتغاليون الوصول إلى شرق افريقيه والهند ووجدوا أنهم قد اقتربوا فعلا من غايتهم وهى الوصول الى الحبشة وايجاد حليف لهم فى منطقة يحيط بهم المسلمون فيها من كل جانب فالبرتغال تبعد كثيرا عن مناطق نفوذهم فى شرق افريقيه وجزيرة العرب والهند .

لذلك عمل القادة البرتغاليون جاهدين للوصول إلى الحبشة فبثوا عيونهم ومبعوثيهم من ساحل شرق افريقيه الجنوبى للاستطلاع وجمع المعلومات فقد بعث القائد البرتغالى الفاريز كابرال عام ١٥٠٠م بأثنين من البرتغاليين من ماليندى للسفر الى الحبشة عن طريق البر وجمع المعلومات ولم يعرف مصير هذين الرجلين بعد ذلك .(٢)

ثم فى عام ١٥١٠م أُنزل البوكيرك رجلين آخرين عند رأس جوردا فوى GordaFui واستطاعا الوصول إلى البلاط الحبشى فى نفس السنة التى بعثت فيها الملكة هيلينا مبعوثها ماثيو .(٣)

---

(١) Alvarez, op. cit., PP. 265-270; Bell, Prtugal and the Quest, PP. 166-168; Tamrat, op. cit., P. 180;

شوقى الجمل ،تاريخ كشف افريقيه واستعمارها ،ص ١٦٤، ١٦٩-١٧٠؛ جيان ،وثائق تاريخية وجغرافية ،ص ٢٠٧ .

(٢) Sousa, The History of the Discovery and conquest of India by the Portuguese, Tr. by John Stevens, Vol. I, P. 56; Hamilton, OP. cit., P. 44.

(٣) Jones & Monroe, op. cit., P. 62.

سفارة ماثيو Mathew :-

جاء على لسان الملك الحبشى لبنادنجل فى رسالته إلى ملك البرتغال دوم مانويل (١٤٩٥-١٥٢١م) بعض المعلومات عن مبعوث الملكة هيلينا المدعو ماثيو من انه كان يمارس التجارة فى الحبشة واسمه الاصلى ابراهام Abraham وانه قد استبدل اسمه الاصلى بماثيو للتخفى حتى يستطيع المرور بوصفه تاجرا فى البلدان الاسلامية وحتى لا يفتضح امر المهمة التى يقوم بها .(١)

وقد فكرت الملكة هيلينا فى ارساله كمبعوث من طرفها إلى ملك البرتغال بعد أن اشتدت الهجمات الاسلامية على مملكة الحبشة من دويلات الطراز الاسلامى وقد أشار عليها كوفيلهام بإرسال سفارة إلى ملك البرتغال لكى تعرض عليه التحالف ومن ثم تستفيد من قواته الموجودة فعلا فى البحر الاحمر والمحيط الهندى ،خاصة بعد أن بلغتها اخبار هزيمة المماليك امام البرتغاليين فى موقعة " ديو" البحرية عام ١٥٠٩م .

وقد اختارت ابراهام او ماثيو لتلك المهمة عام ١٥١٠م وحملته رسالتها بالإضافة إلى قطعة من الصليب المقدس .

سافر ماثيو متخفيا عبر البلاد الاسلامية ومعه صهره وزوجته وخدمه حتى وصل إلى دابول (٢) وهناك كشف أمره المسلمون والقوا به فى السجن ولكنه استنجد فى رسالة بعث بها إلى البوكيرك نائب الملك البرتغالى فى الهند فسارع الى نجدته بمهاجمة السجن وتخليصه من سجنه . بعد ذلك سهل له مهمة سفره من كنانور إلى البرتغال ووصل فعلا إلى لشبونه عام ١٥١٣م وقد استقبله الملك مانويل بالترحاب وتلقى منه قطعة الصليب المقدس بدموع الفرح .(٣)

---

(١) يوحى اسم ابراهام بانه يهودى وقد تخفى واتخذ اسما نصرانيا هو ماثيو للتضليل ،انظر Alvarez, op. cit., P. 391

(٢) تقع دابول على الساحل الغربى للهند الى الشمال من غوا Goa .

(٣) Alvarez, op. cit., PP. 390 - 391; Diffie & Winius , Portuguese Empire, PP. 351 - 352;

غسان الرمال ،صراع المسلمين مع البرتغاليين فى البحر الاحمر ،ص ٩١-٩٢.

وتسلم ايضا رسالة الملكة هيلينا التى تقول فيها :

(السلام على عمانويل سيد البحار وقاهر المسلمين الكفرة ... وصلتنا رسالة من قائد اسطولكم فى بحر الهند يطلب تزويده بالعمال والجند ونحن على استعداد لامداده بما يشاء حيث انه يحارب فى الهند ليدافع عن عقيدة المسيح كذلك بلغنا أن سلطان مصر قد جهز جيشا كبيرا لمحاربة قواتكم ونحن على استعداد لمنازلة اولئك الكفرة ، وإرسال أعداد كبيرة من جنودنا إلى البحر الاحمر ومكة وجده والطور لنقضى قضاء تاما على الكفار ... ونبعث لكم مع رسولنا صليبا مصنوعا من قطعة حقيقية من صليب الصلبوت الذى صلب عليه يسوع الرب كما أننا على استعداد لتقوية أواصر المحبة بيننا وبينكم عن طريق تزويج ابنائنا من بناتكم والعكس ... إن بلادنا داخلية بعيدة عن شاطىء البحر وليس لنا أساطيل ولكننا على استعداد لامدادكم بالرجال والمؤن واذا جهزتم الف سفينة حربية فاننا على استعداد لتقديم الرجال المقاتلين اللازمين لها ... " (١)

وهكذا تحقق للملك البرتغالى حلمه فى الاتصال بمملكة القديس يوحنا لتحقيق اطماعه الصليبية الاستعمارية فى البلاد الاسلامية المطلة على البحر الاحمر والمحيط الهندى .

وقد مكث ماثيو فى البرتغال حتى عام ١٥١٥م حين سمح له بالعودة إلى الحبشة فى صحبة سفير برتغالى آخر يدعى دوارتى جالفاو Duarte Galvao ويبلغ السبعين من العمر .

واستمرت رحلة العودة فترة طويلة حيث مكث ماثيو فى الهند حتى عام ١٥٢٠م وقد مات جالفاو فى الطريق فى جزيرة كمران .(٢)

---

(١) Jones & Monroe, op. cit., P. 62; Tamrat, op. cit., P. 181
أيضا ،
سعيد عاشور ،بعض اضواء جديدة ،ص ٣٢٠-٣٢١؛غسان الرمال ،نفس المرجع ص ٩٤-٩٥؛الشاطر بصيلى ، الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال المجلة التاريخية المصرية ،مجلد (١٢) ،لعام ١٩٦٤-١٩٦٥،ص ١٣٢.

(٢) تقع جزيرة كمران فى ساحل اليمن الى الشمال من الحديدة وجنوب اللحية احتلها القائد البرتغالى لوبوسواريز عام ١٥١٧م لتكون مركزا لتموين اسطوله داخل البحر الاحمر ، انظر،ياقوت الحمدى ،معجم البلدان ،ج٢،ص ١٣٩، وايضا Barbosa, op. cit., P. 52.

وبعـــــد موتــــــــه استبدل جالفاو بالسفير رودريجو دى ليمـــــا Rodrigo de Lima وانزلهم الاسطول البرتغالى فى مصــــوع وبصحبتهم ماثيو الذى داهمه المرض ومات عند دير بيسان Bisan فى مايو عام ١٥٢٠م.(١)

وفى هذه الفترة تنبهت الدولة العثمانية لما يدور فى البحر الاحمـــر وبدأت تضيق الخناق على السواحل فى الحبشة وجزيرة العرب وعلى مدخل البحـــر الاحمر مما صعب مهمة عودة سفارة رودريجو دى ليما .

سفارة رودريجو دى ليما Rodrigo de Lima :

بعد موت السفر جالفاو الموفد من ملك البرتغال قرر نائب الملك الجديـــد فى الهند ديو جولوبيز دى سيكيرا Diogo Lopez de Sequeyra (١٥٢٠ – ١٥٢١م) إعادة السفير الحبشى ماثيو إلى الحبشة وتشكيل بعثة برتغالية تتكون من اثني عشر شخصا واختار لرئاستها صديقه رودريجو دى ليما وهو احـــد القباطنة البرتغاليين وبرفقته الراهب فرانسيسكو الفاريز Francisco Alvarez الذى دون احداث الـــرحلة التى استمرت ستة أعوام. هاجم دى سيكيرا مصوع واستولى عليها بعد أن فر السكان منها وحول المسجد الموجود بها الى كنيسة . ثم ارســل شخصين من قبله الى حرقيقو لمقابلة البحر نجش للتفاوض معه لكى يسهل مهمـــة السفارة البرتغالية ومساعدتها على الوصول إلى الملك الحبشى .

كما زود السفارة بتعليمات نورد هنا أهمها كما جاءت فى الوثيقـــة البرتغالية التى تحمل تعليمات دى سيكيرا لرودريجو دى ليما فى ٢٥ ابريل عــام ١٥٢٠م.

ويتضح لنا من هذه الوثيقة الاهداف الحقيقية من وراء قيام التحالــــف البرتغالى الحبشــــــى .

---

(١) Alvarez, op. cit., P. 390; Diffie & Winius, op. cit., PP. 352 - 353.

من اهم هذه التعليمات :

" ... عليك [دى ليما] ان تخبره [ملك الحبشة] أيضا أن مولاى الملك الراغب فى صداقته لخدمة ربنا يود بناء حصن مجاور لأراضيه لما فى ذلك من خير فى الحفاظ عليها ولذلك فقد يقدم لنا المساعدة والمؤن ،ويمكننا أن ننطلق من هناك بحثا عن اعدائنا فذلك أقرب لنا من القدوم من الهند ... واسرد له كيف كان الملوك السابقين يغزون على الدوام المسلمين ويحتلون العديد من مدن افريقيه بقوة السلاح وكيف أنهم اكتشفوا خلال الستين سنة الماضية العديد من الأراضى والجزر وكيف ثابر مولاى الملك وبكل جد طوال فترة حكمه أكثر من سابقيه وكيف أنه أخذ العديد من المدن الأخرى فى افريقيه والاهم من ذلك كله أن تقدم له وصفا عن استكشاف الهند والممالك والمدن التى اصبحت فى حوزتنا وعلى وجه الخصوص من سفالة حتى بلاد الصين .

- عليك أن تستعلم من القديس يوحنا فيما اذا كان الوقت قد حان ليقدم الى مولاى الملك الرجال الذين قد اعدهم للمساعدة فى غزو القاهرة وأيضا المؤن اذا ما وجدت ،ويجب ان تتعرف على المنطقة التى يمكن لهم ان يأتوا منها
- يجب أن تقدم وصفا بكل هذه الامور إلى الملكة هيلينا وأيضا برسالة الملك المرسلة إليها وكيف أن الملك يعهد بكل شئ إليها بعد أن عرف من مبعوثها ماثيو برغبتها فى نشر عقيدة النصرانية وأنه لذلك أرسل اسطوله هذا كى يطلع على هذه الموانئ والتى تم اكتشافها .
- يجب أن تذهب لزيارة المطران أيضا وأن تسلمه رسالتى وأن تقول له نفس الكلام متحدثا عن السرور البالغ الذى حبا مولاى الملك وجميع النصارى عند سماعهم فضائله ويجب أن تخبره بأن يحث الملك ويقنعه بشن الحرب على المسلمين كما سمعنا بانه حدث ويحدث دائما .
- عليك أن تخبر الملك أنه إذا كان يرغب بشن الحرب على المسلمين فى المناطق الداخلية للبر الرئيسى لشاطئ زيلع فاننى سأحاصر المدينة لأجله وأسلمها إلى من يشاء من أهل بيته واننى إنما افعل ذلك لخدمته ولان مولاى الملك سيسره أن أقدم له أى خدمة استطيع .
- يجب أن تستعلم عن كل أنواع المتاجرة فى البلاد وعن قيمة الاشياء التى

تأتى إلى هناك من الهند ومن البرتغال .

– يجب ان تسعى لمعرفة من اين ينبع نهر النيل وهل يقع رأس الرجاء الصالح ضمن املاك الملك وهل يعلم شيئا عن اسطولنا البحرى من اى مصدر آخر سوانا "(١)

وأهم ما توضحه هذه التعليمات هو الرغبة الاكيدة من جانب البرتغاليين فى مهاجمة السواحل الاسلامية فى البحر الاحمر والحاق أكبر قدر من الضرر والاذى ضد القوى الاسلامية فى ساحل شرق افريقيه ومصر او الدولة العثمانية آنذاك،كما يتبين أن هناك رغبة أكيدة فى تأسيس مراكز برتغالية قوية فى البحر الاحمر تكون قريبة من مناطق نفوذ المسلمين حتى يسهل عليهم إرسال القوات والاساطيل والتدخل السريع بدلا من استدعاء تلك القوات من الهند ولن يتم لهم هذا الامر إلا بمساندة الاحباش .

كما تنهض هذه التعليمات دليلا على دورالكنيسة الحبشية فى إثارة ملوك الحبشة لشن الحروب ضد الدويلات الاسلامية المحيطة بها وإن هذا الدور رأت فيه أحد أهم واجباتها .

وهكذا بعد أن تسلمت البعثة التعليمات من نائب الملك فى الهند سيكيرا سارت باتجاه البلاط الحبشى ونظرا لأن الملك لم تكن له عاصمة ثابتة فقد اضطرت البعثة للسفر مدة طويلة للحاق به واخيرا وبعد مرور ستة اشهر وفى ٢٠ اكتوبر سنة ١٥٢٠م تمت المقابلة بين البعثة وبين الملك لبنادنجل واستعرض الطرفان المصالح البرتغالية والحبشية وامكانية التحالف العسكرى بين الطرفين وتوزيع المهمات العسكرية التى يجب تجهيزها ضد المسلمين من كلا الجانبين .

وطلب الملك الحبشى من الملك البرتغالى بناء قواعد عسكرية فى كل من مصوع وسواكن وزيلع لانه بامكان هذه القواعد أن توقف تقدم الاتراك العثمانيين الذين ضموا مصر لسلطانهم واخذوا يتقدمون إلى اليمن وباب المندب ،خشية أن تكون تلك المدن قواعد عثمانية فى المستقبل .

---

(١) " Instraction given by Diogo lopes to Dom rodrigo da Cunha. Sent As Ambassador to court of prester John . Massawa 1520 April 25" In D ocuments on the Portuguese, Vol. VI, Doc. No. 3, PP. 23 - 29.

كما تعهد الملك الحبشى من جانبه بتزويد البرتغاليين باليد العاملة والمؤن .

وقد أجاب السفير البرتغالى بالموافقة على ما عرضه الملك الحبشى واضاف أن هذه القواعد ستكون محطات انطلاق لغزو الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة وكذلك غزو القاهرة واليمن .

وفى مقابلة أخرى تمت بين الملك لبنادنجل والبعثة اطلع الملك على خريطة أرضية مهداة له من السفير رودريجو دى ليما باسم الملك البرتغالى للمقارنة بين المملكتين وقد تركت هذه الخريطة انطباعا سيئا لدى الملك الحبشى لأنه وجد أن مملكة البرتغال تحتل حيزا صغيرا من الخريطة ولذلك بدأ يشك فى قدرتها منفردة على بناء تلك القواعد العسكرية التى تحدث عنها سابقا وبالتالى فقد الثقة فى قدرة البرتغاليين وحدهم على التصدى للاتراك العثمانيين فى البحر الاحمر ،لذلك لم يكن غريبا أن يكتب إلى ملك اسبانيا يقترح عليه أن يأمر ببناء حصن فى زيلع وأن يصدر كذلك ملك البرتغال امره ببناء حصن فى مصوع وأما حصن سواكن فيقترح أن يكون من نصيب ملك فرنسا وسيكون فى مقدور الملوك الثلاثة حماية البحر الاحمر والاستيلاء على جده ومكة والقاهرة وبيت المقدس.(١)

وقد اقنعه السفير البرتغالى بخطأ رأيه حول قوة البرتغال فرغم صغر حجمها فهى تسيطر على السواحل الممتدة من البرتغال وحول افريقيا وحتى الهند .

ثم قرر لبنادنجل إرسال سفير من قبله للملك البرتغالى مانويل وقد اختار شخصا يتقن اللغة البرتغالية وسبق له زيارة البرتغال ويسمى زاجا زابو Zaga Zabo كما قامت البعثة بالتعاون مع رجال الدين الاحباش بكتابة ثلاث رسائل إلى كل من ملك البرتغال دوم جواو الثالث Dom Joao III ونائب الملك فى الهند ديوجو لوبيز دى سيكيرا والبابا فى روما كلمنت السابع

---

(١) Alvarez, op. cit., P. 311; Kammerer, Lamer Rouge, I ere Partie, PP. 315 - 322; Jones & Monroe, op. cit., PP. 77-78;

محمد البحراوى ،فتح العثمانيين عدن ،ص ٦٨ - ٦٩ .

(١٥٢٣ – ١٥٣٤م) وكل رسالة من ثلاث نسخ بثلاث لغات هى الامهرية والعربية والبرتغالية .

وسنورد فيما يلى الرسالة الموجهة الى ملك البرتغال دوم جواو Dom Joao سنة ١٥٢٤م :

" .... ارجو ان تصل هذه الرسالة الى الملك دوم جواو ملك البرتغال ابن الملك دوم مانويل .. عندما نقلوا إلينا اخبار قوة الملك والدكم وكيف تغلب على قوة المسلمين أبناء محمد حمدت الرب المولى واثنيت عليه لاعلاء ورفعة تاج الخلاص فى بيت المسيحية وكم سعدت حين سمعت حديث بعثتكم التى جاءت لتقيم اواصر المودة والصداقة والتآلف بين الملك وبينى ،ولكى نمزق ونطرد المسلمين الاشرار واليهود والوثنيين من ممالككم وممالكى . وفيما أنا وسط هذه الفرحة سمعت نبأ وفاة الملك والدكم وكان ذلك قبل رحيل سفرائه من بلادنا.. اننى لا أرغب فى استقبال سفراء من ملوك مصر ولا من الملوك الاخرين الذين اعتادوا إرسال سفراءهم لى . إن كل ما أرغب فيه هو وصول سفراء سموكم وهذا ما أتمناه كثيرا وذلك لأن الملوك المسلمين لا يعتبروننى صديقا لهم ليس بسبب عامل الدين وحده وانما بسبب التجارة والسلع التى تعود عليهم بالربح الوفير ،إنهم يأخذون من ممالكى الكثير من الذهب الذى يحبونه اكثر مما يحبوننى بكثير .

اننى لا ابتهج لفرحة اولئك المسلمين ولكننى اتاجر معهم لأن تلك كانت عادة أسلافى .

وانى وإن كنت أتغاضى عن شن الحرب عليهم وتدميرهم فان ذلك لخوفى ان يقوموا بتدمير بيت المقدس فى القدس الذى فيه قبر عيسى المسيح والذى شاء الرب ان يكون بين أيدى المسلمين ... ان مما يحز فى نفسى أيضا عدم وجود أى ملك مسيحى بالقرب منى ليساعدنى ويثلج صدرى ... انظر سيدى لا تكل من قتال المسلمين والوثنيين لأنك بعون الرب ستدمرهم .

لا تقل ان قواتك أقل من قوات والدكم وذلك لانها كبيرة وسيكون الرب فى عونكم .

ان لدى من الرجال ومن الذهب ومن المؤن عدد حبات رمال البحر ونجوم السماء اننا مجتمعين سندمر دولة الاسلام جميعها لا أريد منكم سوى رجال لتدريب شعبنا وتسليحه . "(١)

اما اهم فقرات الرسالة الموجهة إلى نائب الملك فى الهند ديوجو لوبيز دى سيكيرا Diogo Lopez de Sequiera والتى تبين بوضوح محاولة النجاشى الحصول على أكبر قدر من المساعدة لتطوير الحبشة بالاضافة الى التعاون العسكرى الذى تنص عليه الرسائل .

فمثلا يقول : " لقد تناهى إلى سمعى أنك عامل الملك وأنك منتصر فى كل ما أسند إليك ولا تخشى قوات المسلمين الكثيرة العدد أرجوا من جنابكم أن تحققوا لنا رغبتنا وأن توفوا بها بأن ترسلوا لنا بمعلمين فى صياغة الذهب والفضة وفى صنع السيوف والاسلحة الحديدية والخوذ وبنائين لبناء البيوت ومعلمين لزراعة حقول الكروم والحدائق ومعلمين آخرين ممن نحن بحاجة لهم من خيرة معلمى الفنون المعروفة لصناعة الرصاص لسقف الكنائس ولصنع الآجر الترابى فى بلادنا لنسقف به بيوتنا بدلا من القش ... إنى أكتب اليكم بخصوص ما قالته بعثتكم من أنكم ترغبون فى بناء كنيسة وحصن فى جزيرة مصوع وأنكم تطلبون الاذن منى لكم بذلك فلتعلموا أنى أذن لكم ببناء كنيسة وقلعة فى مصوع وفى دهلك وأن تضعوا قساوسة فى الكنائس ورجالا اشداء لحراسة القلاع خوفا من أبناء محمد ... انجزوا هذا بسرعة قبل ذهابكم للهند واقيموا سوقا يتم فيه بيع وشراء السلع ولاتسمحوا للمسلمين بأن يبيعوا او أن يشتروا وليقتصر ذلك على النصارى .... وبعد أن تتموا هذا العمل فى مصوع توجهوا إلى زيلع واقيموا هناك كنيسة وقلعة على النحو المذكور سابقا ....سأبعث لكم طيلة حياتكم بالعون لخوض الحرب وسأمدكم بالرجال والمؤن والذهب وليس فقط وانتم فى مصوع ولكن وانتم فى زيلع وعدل وجميع بلاد الكفار لتهزموا ابناء محمد الهراطقة... هاجموهم من البحر وسنهاجمهم من البر مستمدين العون من التشاور فيما بيننا ومن قوة الثالوث المقدس." (٢)

---

(١) Alvrez, op. cit., PP. 396 - 399.

(٢) Ibid , PP. 369 - 374.

وهكذا نرى الملك الحبشى يأذن ببناء القلاع والكنائس فى اراضى اسلامية لا تخصه ولم تكن فى يوم من الايام اراضى حبشية حتى يستطيع التنصل مستقبلا من وعوده للبرتغاليين وهو ما حدث بعد ذلك فعلا حينما رفض ملوك الحبشة نشر المذهب الكاثوليكى فى بلادهم وبدأوا فى التخوف من تدخل البرتغاليين فى شئون الحبشة الداخلية . وفيما بعد نفذ البرتغاليون بنود ذلك التحالف الواردة فى تلك الرسائل على الوجه المطلوب خاصة فيما يتعلق بمنع المسلمين من التعامل فى تجارة الهند الا بتصريح خاص من البرتغاليين مما أدى إلى الحاق أضرار كبيرة بالتجار المسلمين الذين يتعاملون فى تجارة الهند والصين وشرق افريقيه .

إنتهت السفارة البرتغالية من أداء مهمتها فى الحبشة عام ٩٣٣هـ /١٥٢٦م، وترك الراهب برموديز Bermudez فى الحبشة كمبعوث دائم لدى ملك الحبشة وقد استنجد به النجاشى حينما دعت الحاجة إلى التدخل البرتغالى ضد المسلمين .

وسافرت البعثة إلى الهند على ظهر اسطول برتغالى دخل البحر الاحمر عام ١٥٢٦م ووصلت إلى البرتغال فى عام ١٥٢٧م حيث سلم السفير الرسائل الى الملك البرتغالى .

وقام الفاريز Alvarez بتسليم رسالة البابا كلمنت السابع فى روما عام ١٥٣٣م.

وتعود أهمية سفارة رودريجو دى ليما إلى أنها تمت فى وقت بدأت فيه حركة الجهاد الكبرى فى شرق افريقيه تضيق الخناق على الحبشة وقد استفاد الاحباش من السفارة بشكل كبير لأنهم استطاعوا الحصول على الامدادات العسكرية البرتغالية للوقوف فى وجه المجاهد الكبير الامام احمد بن ابراهيم حيث استنجد النجاشى لبادنجل بالراهب برموديز لكى يطلب هذا بدوره النجدة من البرتغاليين وهو ما حدث بالفعل .

كما ان هذه البعثة قد وضعت وصفا مفصلا للحبشة فى القرن العاشر الهجرى .(١)

---

(١) Kammerer, op, cit., PP. 323 - 335; Diffie & Winius, op. cit., P. 354; Jones & Monroe, op. cit., PP. 62-63.

اذن فهذه السفارات جميعا التى تمت بين الاحباش والبرتغاليين سواء قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح او بعد اكتشافه هى التى مهدت لظهور التحالف البرتغالى الحبشى الذى أدى فى النهاية الى الوقوف فى وجه القوى الاسلامية الناهضة فى شرق افريقيه وأدى الى تفكيكها وان لم ينجح هذا التحالف فى القضاء على قوة الدولة العثمانية العظمى فى ذلك الحين .

....

ثانيا : غزو البرتغاليين لدويلات المدن الاسلامية فى شرق افريقية فى اوائل القرن العاشر الهجرى :

سارع البرتغاليون بعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح إلى فرض سيطرتهم على دويلات المدن الاسلامية فى ساحل افريقيه الشرقى المطل على المحيط الهندى ،تلك الدويلات المزدهرة حضاريا والتى اذهلت حضارتها البرتغاليين الغزاة فانقضوا عليها يدمرونها تدميرا ،تدفعهم الى ذلك الروح الصليبية الشرسة التى سيطرت عليهم .

وفى سنوات قلائل لا تتعدى العشر سنوات كانت معظم تلك الدويلات قد تحولت الى خرائب ومحطات لتموين السفن والاساطيل البرتغالية وكانت الاهداف البرتغالية من وراء الاستيلاء على تلك الدويلات تتلخص فى عدة نقاط :

أهمها القضاء على الاسلام فى تلك المنطقة وذلك بالقضاء على القوة الاقتصادية لتلك الدويلات وازاحتهم كتجار من المحيط الهندى ومن ثم بث البعثات الدينية الكاثوليكية لنشر النصرانية بين السكان .

لذلك كان الصراع دمويا بحيث يمكن القول بأن مسرح الحروب الصليبية قد انتقل فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى من البحر المتوسط إلى المحيط الهندى وانتقلت معها الروح الصليبية الحاقدة التى تميز تلك الحروب من احراق المدن وقتل المسلمين واسترقاقهم والاستيلاء على السفن التجارية وسفن الحجاج .(١)

هذا فضلا عن الاستيلاء على تجارة شرق افريقيه ومصادرة ثرواته من الذهب والعاج والرقيق .(٢)

بالاضافة إلى إيجاد نقاط ارتكاز للاساطيل البرتغالية لإرسال الحملات إلى البحر الاحمر وغلقه امام التجارة الشرقية القادمة من الهند والشرق الاقصى.

---

(١) صلاح العقاد ،جمال زكريا ،زنجبار ،ص ١٦ - ١٨؛حسن احمد محمود ،نفس المرجع ،ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) جمال زكريا ،الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ،ص ٩١-٩٢؛
Diffie & Winius , op. cit., P. 341.

وينبغى أن نشير هنا إلى حاجة البرتغاليين إلى ايجاد محطات لتموين السفن البرتغالية القادمة من البرتغال والمتجهة نحو الهند وذلك لبعد المسافة بين لشبونة وقاليقوط على ساحل الهند الغربى فضلا عن الموقع المتوسط الذى يحتله الساحل الافريقى على طريق رأس الرجاء الصالح .

واخيرا فقد حاول البرتغاليون استغلال الساحل للاتصال بمملكة الحبشة النصرانية بطريق برى يصل بين ماليندى ومملكة الحبشة - نظرا لسيطرة العثمانيين على موانئ البحر الاحمر - وذلك قبيل منتصف القرن العاشر الهجرى ،ويؤكد لنا ذلك ما ورد فى رسالة ملك البرتغال دوم جواو الثالث Dom Joao III الى ملك الحبشة جلاديوس عام ١٥٤٦م ويحث فيها الملك الحبشى على البحث عن ذلك الطريق فيقول : " ولكى يتسنى لنا الوقوف على كل ما يتعلق بكم وبأحوالكم بسرعة أكبر فإن عليكم البحث عن طريق يمتد من بلادكم وممتلكاتكم الى ساحل ماليندى أو إلى أى مكان آخر على ساحل البحر وذلك ليكون الاتصال بيننا أسرع إن هذا حسب ما وردنى من معلومات يبدو أمرا يسيرا ." (١)

صمود مقديشو :

كان أول من وصل إلى مقديشو من القادة البرتغاليين فاسكو دا جاما Vasco da Gama فى طريق عودته من الهند عام ٩٠٥هـ/١٤٩٩م، وعند اقترابه من المدينة أمر رجاله بإطلاق المدافع عليها كاستعراض للقوة البرتغالية وإشاعة الذعر فى قلوب سكانها فاستطاع أن يهدم عددا كبيرا من المنازل وأن يغرق بعض السفن ولكنه لم يفكر فى الرسو بها بلواصل طريقه إلى ماليندى .(٢)

ثم عاد البرتغاليون للاستيلاء على مقديشو عام ١٥٠٦م باسطول كبير تحت قيادة البوكيرك Ilbouquerque وتريستاودا كونها Tristao da Cunha

---

(١) Castanhoso, The Portuguese Expedition to Abyssinia, PP. 110 - 112.

(٢) Journal of the First Voyage of Vasco da Gama, op. cit., P. 57;

جيان ،نفس المرجع ،ص ٢١٠ .

وقد وصلوا إليها بعد أن تم لهم القضاء على براوة وتدميرها ولما علم سكان مقديشو بتدمير جارتهم المسلمة استعدوا للقتال وحصنوا المدينة واحتشد آلاف المحاربين على الشاطئ يطلقون البرتغالى دى كونها إرسال مبعوث من قبله إلى المدينة واختار أحد الصوماليين الذين أسرهم فى براوة ووضع المبعوث فى زورق واتجه إلى الشاطئ فاندفع إليه المحاربون وسحبوه إلى الشاطئ ومزقوه باسلحتهم أمام أعين البرتغاليين ،مما أثار الفزع فى نفوس البرتغاليين خاصة وأن المدينة كانت حصينة بموقعها الفريد حيث تحيط بها المياه الضحلة فلا تستطيع السفن الكبيرة الاقتراب منها ولابد لمن يريد النزول إليها من ركوب الزوارق الصغيرة هذا بالاضافة إلى أن سكانها كانوا من الصوماليين أهل الشدة والبأس والتمرس على القتال بخلاف سكان جنوب الساحل الشرقى الافريقى كما أن اعدادهم كانت تفوق اعداد البرتغاليين .(١)

وهكذا انسحب البرتغاليون تاركين مقديشو بعد أن بدأت الرياح الجنوبية الغربية فى الهبوب مشكلة خطرا حقيقيا على السفن البرتغالية .(٢)

تدميــــــــر براوة :

خضعت براوة للبرتغاليين سلميا بين عامى ٩٠٩هـ - ٩١٠هـ/١٥٠٣ - ١٥٠٤م وذلك عندما كان القائد البرتغالى روى لورنزو رافاسكو Ruy Lourenzo Ravasco يمارس عمليات القرصنة والنهب على الشاطئ الشرقى لافريقيه أثناء محاصرته لمدينة ممبسة . فقد وقعت بين يديه سفينتان وثلاثة قوارب تخص مدينة براوة وتقل على متنها اثنى عشر من شيوخ المدينة وقد افتدى هؤلاء الشيوخ انفسهم وسفنهم فى مقابل إعلان خضوع براوة لملك البرتغال ودفع جزية سنوية مقدارها خمسمائة مثقال من الذهب وطلب هؤلاء الشيوخ من رافاسكو اعطاءهم علما للبرتغال

---

(١) جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٤٨؛
Coupland, op. cit., P. 46; Hamilton, op. cit., PP. 58-59.

(٢) تبدأ الرياح الموسمية فى الهبوب من الشمال الشرقى فى شهر ديسمبر ومن الجنوب الغربى فى شهر مارس واما رياح ديسمبر فكانت تدفع السفن جنوبا الى شرق افريقيه وفى مارس تعود السفن من شرق افريقيه لان الرياح تبدأ فى تغيير اتجاهها فى هذا الشهر ،انظر ؛
Marsh & Kingsnorth, op. cit., P. 1.

حتى يمكنهم الابحار والتجارة بأمان على اعتبار أنهم من اتباع ملك البرتغال ولكى لا يتعرض لهم البرتغاليون فى البحر ويستولون على سفنهم التجارية المحملة بالثروات .(١)

وفى هذا الصدد يذكر جيان بأن رافاسكو لم يقبل من أهل براوة الصلح والخضوع لملك البرتغال لان شيخهم لم يوافق على هذا الامر والمعروف ان براوة لم يكن يحكمها شيخ واحد فقط بل مجلس شيوخ . وقد سبق وان ذكرنا بأن رافاسكو قبل هذا الخضوع واعطى لاهل براوة العلم البرتغالى وهو أمر ثابت فى المصادر البرتغالية والظاهر أن جيان أنكر هذه الواقعة حتى يبرر تدمير براوة ونهبها على أيدى البوكيرك ودا كونها فى عام ٩١٢هـ / ١٥٠٦م.(٢)

ففى هذا العام وصل إلى براوة الاسطول البرتغالى بقيادة الفونسو البوكيرك وتريستاو داكونها وهو مكون من أربعين سفينة حاصرت المدينة للاستيلاء عليها بالقوة ونهب ثرواتها اذ أن خضوعها السابق سلميا لم يكن ليرضى الطبيعة الجشعة للقادة البرتغاليين .

وهكذا خرج أهل براوة مسلحين بالحراب والاقواس والسهام وعددهم ستة آلاف محارب ولكن لم تجد نفعا هذه الاسلحة البسيطة أمام المدافع والبنادق البرتغالية ،وبعد قتال مرير استبسل فيه المسلمون هزموا واستشهد المئات منهم وجرح كثيرون وفر السكان الباقون إلى التلال والغابات خلف المدينة واستباح البرتغاليون براوة نهبا واسرا وقتلا ثم أضرموا فيها النيران وتركوها حطاما أسودا. وبعد هذه المذبحة منح البوكيرك كلا من تريستاو د اكونها وابنه نونو دا كونها Nuno de Cunha لقب فارس.(٣)

---

(١) Barros, op. cit., PP. 78-79.

(٢) انظر جيان ،وثائق تاريخية وجغرافية ،ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

(٣) Barbosa, op. cit., P.30; Hamilton, op. cit. p. 58; Coupland, op. cit., P. 46;

جيان ، نفس المرجع ،ص ٢٤٨؛ شوقى الجمل ،تاريخ كشف افريقيه واستعمارها ص ١٦٧ .

استسلام بــــــــات :

مر فاسكو دا جاما فى رحلته الاولى ببات وقد تصدت له سفينة وثمانيـــة زوارق تابعة لشيخها فقصفها دى جاما بالمدافع فلاذت بالفرار .

وبين عامى ١٥٠٦م - ١٥٠٧م استسلمت بات للبرتغاليين على يدى البوكيـــرك وتريستاو دا كونها ،فبعد ان دمرت معظم مدن الساحل واقربها اليهم بــــراوة وهوجمت مقديشو أصاب الذعر شيخ بات وخشى العاقبة فأعلن خضوعه للبرتغاليـــن واصبحت بات بمرور الوقت محطة تجارية أقام فيها البرتغاليون دارا للجمـــارك يتقاضون فيها مكوسا على البضائع الواردة اليها .(١)

ويشير اليسوعى مونكلارو Monclaro فى عام ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م الـــــى أن نائب الملك فى الهند فرانسيسكو باريتو Francisco Barreto أراد تدمير بات عام ١٥٦٩م لمناهضتها الشديدة للبرتغاليين ولما حاصرهـــا هجرها أهلها ولم يبق فيها الا شيخها واعيان المسلمين الذين افتدوا المدينـة من الحرق باثنى عشر الف كروزادو ،كما يذكر أن أهالى بات من أشد اعـــداء البرتغاليين فى ساحل شرق افريقيه ،فما ان بارح باريتو المدينة حتى انقـــض مسلمو بات على البرتغاليين جنودا وتجارا وقتلوا منهم عدة أنفس وعاد العصيان والتمرد ضدهم مرة اخرى .(٢)

استســــلام لامــو :

أجبرت لامو على الخضوع للسيطرة البرتغالية بعد أن حاصرها البوكيـــرك وتريستا ود ا كونها عام ١٥٠٦م فأعلن شيخها الاستسلام وخرج بنفسه لمقابلـــة دى كونها مبديا له استعداده للدخول فى طاعة ملك البرتغال ودفع جزية سنويـة

---

(١) Journal of the First Voyage of Vasco de Gama, op. cit., P. 57; Oliver & Mathew, East Africa , Vol. I PP. 134-135; Hamilton , op. cit., P. 63.

(٢) Father Monclaro, A Journey from Kilwa to pate in 1569, Tr. by Theal " In East African Coast(Select Documents) edited by Freeman & Grenville." P. 142.

مقدارها ستمائة مثقال من الذهب (حوالى ثلاثمائة وستون جنيها استرلينيا)[١] وقد صورت هذا الامر غنستا هاملتون Genesta Hamilton تصويرا غريبا بقولها أن لامو قد رحبت بالرجال البيض تغمرها الفرحة ،وأن الجزية ضئيلة اذا ما قورنت بما سيعود عليها من حماية وصداقة ملك البرتغال العظيم .[٢]

ومنطق المؤلفة هذا هو بلا شك منطق المستعمر الذى يبرر به عمليات النهب والسرقة والتدمير وباسلوب التمويه واخفاء الحقائق ،والا فكيف تغمر الفرحة لامو المدينة المسلمة وهى تتنازل عن حريتها للبرتغاليين وأية حماية تريدها مدينة تجارية عاشت قرونا فى رفاهية وحرية واستقرار .

خضوع ماليندى :

كانت ماليندى هى الدويلة الوحيدة على ساحل شرق افريقيه التى استغلت غزو البرتغاليين للساحل لتحقيق مصالحها الذاتية على حساب جاراتها المسلمات فالعداوة المستعرة بينهاوبين ممبسة لم تهدأ منذ سنوات طويلة ،وكان الاعتقاد السائد لدى شيوخ ماليندى أن مصالحتهم مع البرتغاليين وخضوعهم لهم وإمدادهم بالمساعدات والمؤن سوف يكفل لهم النصر ضد عدوتهم اللدودة ممبسة التى كانت تسعى لضم ماليندى تحت سلطانها كما أن هذا الخضوع سيبقى على رفاهية المدينة وتجارتها الزاهرة ولكن الذى حدث هى أنها تدهورت كباقى المدن على ساحل شرق افريقيه لأن البرتغاليين ازاحوا التجار الماليندييين وحلوا محلهم واستولوا على سبل حياتهم الكريمة وهكذا دفعت ماليندى ثمن تحالفها مع البرتغاليين فخسرت رفاهيتها وسمعتها بين جيرانها .

اتصلت ماليندى بالبرتغاليين فى أول رحلة لهم الى الهند وهى رحلة فاسكو دا جاما الاولى بين عامى ١٤٩٧م - ١٤٩٩م ففى ١٤ ابريل عام ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م رست

---

(١) جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٤٧ ؛ احمد المعمرى ،عمان وشرق افريقيه ،ص ٥١ ؛
Oliver & Mathew, op. cit., P. 134; Serjeant, op. cit., P. 14; Coupland, op. cit., P. 46.

(٢) Hamilton , op. cit., P. 57.

سفن دا جاما امام ماليندى ونظرا لرغبته فى الحصول على دليل يوصله الى الهند فقد قرر عدم الدخول فى معركة مبكرة مع المدينة وكان على سفينة دا جاما بعض الاسرى ممن استولى على مراكبهم ومن بينهم رجل عجوز وزوجته الشابة .

وفى ١٦ ابريل بعث بالرجل العجوز الى ماليندى للتفاوض مع ملكها ليعطيه الدليل المطلوب واحتفظ بزوجته كرهينة حتى يعود . وبالفعل تمكن العجوز من مقابلة ملك ماليندى وكان يدعى وجراج Wagrag وبلغه الرسالة ،ثم عاد الى دا جاما ومعه بعض من خيالة ملك ماليندى واحد كبراء المدينة وكانوا يحملون بعض الهدايا للترحيب بالقائد البرتغالى وابدى ملك المدينة استعداده لعقد سلام مع البرتغاليين وامدادهم بجميع ما يحتاجونه من ادلاء ومؤن .

وقد ابتهج البرتغاليون بما حدث لان ماليندى أول مدينة فى الساحل لم تواجههم بالعداء وعبر دا جاما عن سروره بإرسال بعض الهدايا التافهة التى لا تليق بما يرفل فيه المسلمون من رفاهية وغنى فى تلك المنطقة وشاهده البرتغاليون بأنفسهم ،وكانت الهدايا تتألف من ثوب واحد من ثياب رجال الدين فى البرتغال وعقدين من المرجان وثلاثة احواض لغسل اليدين وقبعة واجراس صغيرة وقطعتين من قماش قطني مقلم . ولم يكن القائد البرتغالى يملك افضل من هذا لتقديمه .

وفى ١٨ ابريل تقابل ابن ملك ماليندى ويدعى عليا مع دا جاما فى قاربين متجاورين نظرا لرفض دا جاما النزول الى المدينة وقد تبادل الطرفان المعلومات عن شرق افريقيه وعن البرتغال وتعهد الملك بإرسال رسالة او سفير الى ملك البرتغال ،وهنا قام دا جاما بإطلاق الأسرى الذين بحوزته اكراما للملك.

وفى ٢٢ ابريل أرسل ملك ماليندى مبعوثا له إلى دا جاما لتقديم بعض المؤن فقبض عليه دا جاما واخذه كرهينة وارسل إلى الملك يقول بانه يطالب بالربابنة الذين وعده بارسالهم اليه وعندما عرف الملك بالامر قدم لهم الربان الذى سيدلهم على الطريق الموصل إلى الهند .

وفى ٢٤ ابريل أقلع دا جاما إلى الهند تاركا ماليندى وقد اطمأن الى أنه قد اوجد للبرتغاليين موطىء قدم فى شرق افريقيه .

وعند عودة دا جاما من الهند فى طريقه إلى البرتغال رسا بماليندى مرة أخرى فاستقبل هناك بالترحاب والهدايا وقدمت اليه المؤن وكميات كبيرة من البرتقال لمعالجة المرضى من البحارة .

وفى رسالة شفوية طلب دا جاما من ملك المدينة نابا من العاج ليقدمه هدية لملك البرتغال وطلب أيضا أن يقام نصبا تذكاريا على الشاطىء كرمز للصداقة ونفذ الملك ما طلب منه كما بعث برسول له إلى ملك البرتغال بصحبة دا جاما لعقد حلف مع الملك البرتغالى .(١)

ثم عاد البرتغاليون مرة اخرى الى ماليندى فى ٢ اغسطس عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م بقيادة بيدرو الفاريز كابرال Pedro Alvarez Cabral واستقبل فى ماليندى بالترحيب وقدمت إليه المؤن وسبل العلاج للمرضى كما ارسل ملك ماليندى وفدا من قبله للترحيب بكابرال وفى اليوم التالى أرسل القائد البرتغالى هدية فاخرة مع رسالة باللغة العربية من ملك البرتغال إلى ملك ماليندى يبدى فيها سعادته بالتحالف والصداقة بين شعبى البرتغال وماليندى .

ولكى يظهر الملك طاعته وحسن نواياه تجاه البرتغاليين قام بإرسال شقيق زوجته إلى كابرال حاملا خاتمه كضمان للطاعة لملك البرتغال وفى اثناء المحادثات طلب القائد البرتغالى ربانا ليرشده إلى الهند وفى ٧ أغسطس غادر كابرال ماليندى متجها إلى الهند .(٢)

---

(١) Journal of the First Voyage of Vasco de Gama, op. cit., PP. 53 - 58; Bell, op. cit. PP. 212 - 217; Hamilton, op. cit., PP. 34 - 40;

جيان ، نفس المرجع ،ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

(٢) The Voyage of Pedro Alvarez Cabral to Brazil and India 1500, Tr. by Greenlee " In East African Coast (Select Documents) edited by Freeman & Grnville" PP. 61-63; Sousa, op. cit. Vol. I, PP. 55-56;

جيان ،نفس المرجع ،ص ٢١٢ – ٢١٣ .

وفى عام ١٥٠٢م أرسل الملك البرتغالى مانويل فاسكو دا جاما مرة اخرى إلى الشرق فى عشرة سفن فرسا بماليندى حيث استقبله ملكها استقبالا حافلا بالقوارب المزينة والآلات الموسيقية وتحمل هذه القوارب المؤن التى تحتاجها سفن البرتغاليين .

وصعد الملك إلى قارب فاسكو دا جاما وتلقى الهدايا النفيسة المرسلة من ملك البرتغال مع رسالة سطر فيها الملك البرتغالى عبارات المودة والصداقة وبعد ذلك تزود البرتغاليون بالماء والمؤن واصلحوا سفنهم ثم توجهوا إلى الهند.(١)

وبين عامى ٩٠٩هـ - ٩١٠هـ/ ١٥٠٣- ١٥٠٤م قامت ممبسة بالانتقام من ماليندى لمحالفتها البرتغاليين بأن شنت عليها الحرب بحرا وبرا والحقت بماليندى خسائر كبيرة وكانت على وشك السقوط فى ايدى ممبسة لولا وصول القائد البرتغالى روى لورنزو رافاسكو لينجد الحليفة الاولى للبرتغال مستخدما أحدث الاسلحة من مدافع وبنادق ليغير مجرى المعركة ويحولها لصالح البرتغاليين وملك ماليندى .

كانت ممبسة قد حصنت نفسها بما استولت عليه من اسلحة السفن البرتغالية الغارقة بفعل العواصف فى شرق افريقيه فعمل ملكها على تدعيم اسوار المدينة ونصب فوقها المدافع البرتغالية للدفاع عنها من ناحية البحر وجهز جيشا لمنازلة ملك ماليندى برا .

اتفق رافاسكو مع ملك ماليندى على أن يحاصر ممبسة بحرا ويقضى على تجارتها بالاستيلاء على كل سفينة تقترب من المدينة وهذا ما جعل ملك ممبسة يعجل فى الهجوم على ماليندى برا نظرا للخسائر الكبيرة التى لحقت بمدينته نتيجة الحصار وليحمل البرتغاليين على الرحيل . ولكن هذا الهجوم لم يأت بنتيجة نظرا للمساعدات الكبيرة التى تلقاها ملك ماليندى فتراجع ملك ممبسة عن هجومه مما اتاح الفرصة للبرتغاليين قائدا وجنودا ليقوموا بالاستيلاء على

---

(١) Correa, Lendas da India, Tr. by Stanley " In East African Coast (Select Documents) Edited by Freeman & Grenville." PP. 73-75.

معظم السفن التجارية غير المسلحة والمحملة بالثروات الطائلة ويصف المؤرخ البرتغالى المعاصر جواو دى باروس Joao de Barros عمليات القرصنة البرتغالية وقائدها رافاسكو بقوله : " امضى روى لورنزو عدة ايام منهمكا فى الاستيلاء على الزوارق التى كانت تفتدى بمشاقيل من الذهب مما جعل سفينته لا تستطيع حمل المزيد من البضائع ." (١)

واخيرا طلب ملك ممبسة الصلح مع ملك ماليندى لوقف الحرب وبالفعل تم هذا الصلح ورحل رافاسكو متوجها الى الهند .(٢)

وما أن رحل البرتغاليون حتى عادت الحرب بين الجانبين وفى عام ١٥٠٥م ، قدم إلى الشرق فرانسيسكو دى الميدا Francisco de Almeida مبعوثا كنائب للملك فى الهند ولديه أوامر مشددة بالقضاء نهائيا على كلوه وممبسة لانهما كانتا بمثابة شوكتين فى جانب البرتغال . ولدى وصوله قام فعلا بتدمير المدينتين الباسلتين واحرقهما . ثم توجه إلى ماليندى فخرج ملكها المدعو عليا يستقبله مهنئا بهذا الفوز العظيم لأنه لولا تدمير ممبسه تدميرا كاملا لانتقم منه ملكها بعد رحيلهم . حيث أن ملك ممبسة طلب من ملك مالينـدى التعاون معه للوقوف فى وجه البرتغاليين وتوطيدا لهذا التعاون عرض ملك ممبسة المصاهرة بين العائلتين ولكن ملك ماليندى رفض هذا العرض مفضلا التحالف مع البرتغاليين فاقسم ملك ممبسة على الانتقام منه بمجرد رحيل الميدا .

ثم قام الميدا باهداء ملك ماليندى كمية كبيرة من الغنائم التى كسبها من ممبسة مضافة إلى هدايا ملك البرتغال مانويل الذى ارسلها لصديقه المخلص ملك ماليندى .(٣)

---

(١) Barros, op, cit., P. 79.

(٢) Ibid. , PP. 78 - 79;

جيان ، نفس المرجع ، ص ٢١٧ .

(٣) Barros, op. cit., PP. 103 - 104.

وهكذا نجد أن ماليندى بقيت الحليفة الوحيدة للبرتغال على ساحل شرق افريقيه طوال القرن العاشر الهجرى (١٦م) واستغلت هذا التحالف فى القضاء على عدوتها اللدودة ممبسة متجاهلة الضرر الكبير الذى سيعود على دويلات المدن فى ساحل شرق افريقيه نتيجة لذلك التحالف .

ونستنتج مدى عمق العلاقات بين ماليندى والبرتغال من الرسالة التى بعث بها ملك ماليندى المدعو عائل بن على عام ٩٢٨هـ / ١٥٢١م الى الملك البرتغالى مانويل ويقول فيها : " وهذا الميناء ماليندى هو لكم دون ريب كما أن ماليندى كلها دون منازع هى لكم وآمل أن تكون ماليندى محط سرور عظمتكم وأننا اذ نرى رجالكم نضعهم على رؤوسنا". (١)

تدمير ممبسة :

أطلق البرتغاليون على ممبسة لقب " جزيرة الحرب " Island of war ومدينة الفرسان .(٢) فقد وقفت ممبسة فى وجه البرتغاليين منذ وصول فاسكو دى جاما اليها فى رحلته الاولى عام ١٤٩٨م وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى فلم يداخل المسلمين فيها اليأس والقنوط من امكانية طرد البرتغاليين من مدينتهم .

لقد دمرت ممبسة عدة مرات فكانت تنهض بعد كل كبوة وتعيد بناء نفسها وتستعد للجولة التالية .

وصل فاسكو دا جاما إلى ممبسة فى السابع من ابريل عام ١٤٩٨م وكانت اخبار وصوله قد سبقته إلى المدينة فقد علم سكانها بأنه قد قصف بالمدافع مدينة موزامبيق وأنهم ما جاءوا إلى ممبسة الا للتجسس عليهم ثم الاستيلاء على المدينة وتجارتها بعد ذلك . وقد استعد له أهالى ممبسة فارسلوا لمواجهته زورقا مملوءا

---

(١) "Letters from Ale king of Malindi to the King., 1500-1521" In Documents on the Portuguese, Vol. VI, Doc. No.6 P. 46 .

(٢) Hamilton, op. cit., PP. 29, 53; Marsh & Kingsnorth, op. cit., P. 15;
جمال زكريا قاسم ،نفس المرجع ،ص ٩٦ .

بالرجال المسلحين وعند حلول الظلام صعد اربعة رجال من اعيان ممبسة الى سفينة القائد العام للتعرف على احوال البرتغاليين .

وفى اليوم التالى الثامن من أبريل أرسل ملك ممبسة بعض المؤن للسفن البرتغالية من اللحوم والفواكه والماء العذب وذلك حتى يطمئن إليه البرتغاليون ويدخلوا الميناء وهناك يسهل القضاء عليهم .

وفى يوم العاشر من ابريل قرر دا جاما الدخول إلى الميناء واثناء دخوله ارتطمت سفينة القيادة بالسفن الاخرى وتوقفت واثناء ذلك قفز إلى الماء اثنان من الربابنة من موزامبيق كانا على سفينة القيادة وهربا إلى ممبسة وعند ذلك شك البرتغاليون بوجود مؤامرة وقام دا جاما باستجواب اثنين من مسلمى موزامبيق كانا اسيرين على ظهر السفينة وصب الزيت المغلى على جسديهما لكى يعترفا بما يدبره المسلمون ضد البرتغاليين وبذلك حصل على بعض المعلومات عن الخطة التى تدبرها ممبسة. وفى منتصف الليل سبح بعض الرجال المسلحين إلى سفن البرتغاليين وحاولوا قطع مراسيها وحبال الصوارى ولكن أمرهم كشف مبكرا فلم يستطيعوا اتمام المهمة وهربوا باتجاه المدينة .

وبقى البرتغاليون على مسافة ثمانية فراسخ تقريبا من ممبسة واخذوا يتربصون للقوارب بغية الاستيلاء على أحدها للحصول على دليل يرشدهم إلى الهند وفعلا استولوا على قارب كان على ظهره رجل عجوز من اثرياء ماليندى فاخذوه اسيرا مع عائلته ثم توجهوا إلى ماليندى فى ١٤ ابريل .(١)

وفى عام ١٥٠٠م انتقم بدور الفاريز كابرال من ممبسة لتصديها لفاسكو دا جاما بأن قصفها بمدفعيته على حين غرة وهدم كثيرا من منازلها وانزل جنوده إلى الشاطىء حيث عاثوا فى المدينة فسادا ونهبا واسرا وحرقا وفر من أهلها من استطاع الفرار وقتل وأسر من بقى، كما دمروا قلعتها المطلة على الميناء .(٢)

---

(١) السلوة فى اخبار كلوه ،نفس المصدر ،ص ٥٥ ؛
Journal of the first Voyage of Vasco da Gama , op. cit., PP. 51 - 53; Bell, op. cit., PP. 210-212; Hamilton, op. cit., PP. 29-33.

(٢) Hamilton, op. cit., P. 43.

وانقطعت السفن البرتغالية عن ممبسة حتى عام ١٥٠٣م حين وصل اليها روى لورنزو رافاسكو فوجدها مدينة محصنة حيث أقام ملكها عند مدخل الميناء منشآت دفاعية مسلحة بجميع المدافع التى كان قد حصل عليها من سفينة سانشو دى توار Sancho de Toar التى فقدها البرتغاليون بفعل العواصف بالقرب من ممبسة وكانت من ضمن اسطول بدرو الفاريز كابرال عام ١٥٠٠م .

وضرب رافاسكو حصاره حول ممبسة انتصارا لملك ماليندى ونظرا للأضرار التى لحقت بممبسة من جراء الحصار فقد عقد ملكها صلحا مع ملك ماليندى منهيا ذلك الحصار .(١)

وفى عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م دمرت ممبسة ونهبت وسويت بالارض على يد فرانسيسكو دا الميدا وكما ذكرنا سابقا فقد كانت ممبسة محصنة بالمدافع البرتغالية واستعان ملكها ايضا بألف وخمسمائة من الرماة الوثنيين من البر الرئيسى للقارة ،ولكن هذه الاستعدادات لم تستطع الوقوف امام التسليح الضخم للسفن البرتغالية .

حاصر الميدا المدينة من جهتين بعد أن قسم قواته إلى فرقتين وأسر بعضا من أهالى المدينة وحصل منهم على المعلومات التى يريدها حول تحصينات المدينة واستعداداتها لخوض الحرب .

ولقد رفض أهالى ممبسة الاستسلام للبرتغاليين بل ردوا على مبعوث الميدا بأنهم لن يخضعوا بسهولة مثلما خضعت كلوه وأنهم سوف يقاتلون دفاعا عن مدينتهم حتى آخر فرد منهم، وبالفعل الحق المسلمون بالبرتغاليين خسائر كبيرة فى بداية المعركة نظرا لانهم كانوا يستخدمون السهام المسمومة ضد المهاجمين .

وضع الميدا خطة لمهاجمة المدينة وهى التسلل بالمراكب الصغيرة من إحدى نقاط الشاطىء الضعيفة خلف المدينة ووضع جسور خشبية للعبور إليها والتوجه

---

(١) Barros, op. cit., PP. 78 - 79; Hamilton, op. cit., P. 50;

جيان ،نفس المرجع ،ص ٢١٧ .

فوراً لمهاجمة قصر الملك بينما يقوم أفرادآخرون باشعال النار فى المراكب الموجودة فىالميناء والمحملة بالبضائع وذلك لتشتيت انتباه المسلمين .

وبعد أن أحكم البرتغاليون خطتهم تلقى الجنود غفرانا عاما من الرهبان المصاحبين للحملة ثم بدأوا تنفيذ الخطة التى حالفهم فيها التوفيق والنجاح، فهاجموا المدينة على حين غرة وانتقلت المعارك إلى الازقة وأسطح المنازل مكبدين اعداءهم خسائر كبيرة واقتحم الميدا القصر الملكى ووقعت معركة عنيفة داخله قتل فيها معظم المدافعين عنه ،وسقط القصر فى ايدى البرتغاليين فنصبوا على سطحه صليبا دلالة على النصر . وقد فر ملك ممبسة إلى الغابات الواقعة خلف المدينة،وبفرار الملك بدأ السكان فى الفرار ايضا والتخلى عن مدينتهم وقد قام الميدا بتقسيم منازل ممبسة بين قادته وبدأت عمليات الانتقام الدنيئة التى مارسها البرتغاليون ضد الأهالى فقد قتلوا خمسمائة وثلاثة عشر من المسلمين وأسروا ما شاءوا من النساء والاطفال . وحاول الملك الفار انقاذ المدينة من النهب والتدمير فأرسل رسوله إلى الميدا يعرض عليه الاستسلام والخضوع لملك البرتغال فى مقابل سلامة المدينةمن الحرق والتدمير فرفض الميدا طلبه وبرر الرفض بأن قادته وجنوده يرغبون فى نهب المدينة جزاء لما بذلوه فى هذه الحرب .

وفعلا قام الميدا بتقسيم المدينة بين مختلف القادة ومن ثم بدأت عمليات السرقة والنهب ففى يوم واحد جمعوا من الغنائم ما ملأوا به قصر الملك والساحة الممتدة أمامه وحملت تلك الغنائم بعد ذلك إلى ظهر السفن،وتذكر الوثيقة البرتغالية بأن كمية كبيرة من السجاد النفيس قد استولىعليها البرتغاليون وأرسلوا سجادة لا نظير لها فى جمالها وعظم قيمتها مع منهوبات اخرى إلى ملك البرتغال مانويل . (١)

وقبل أنيترك الميدا ممبسة أمر بإضرام النيران فيها وساعد على انتشارها ضيق الشوارع وقرب البيوت بعضها من بعض . وهكذا تركها البرتغاليون أطلالاً خربة ظنا منهم أن هذا سيقضى على روح الجهاد لدى المسلمين إلى الابد .

---

(١) The Voyage and Acts of Dom Francisco Viceroy of India, op. cit., P. 110.

لقد كتب ملك ممبسة متألما إلى ملك ماليندى حليف البرتغاليين يصف له ما حدث لممبسه فيقول :

" السلام عليكم ورحمة الله يا سيد على انى ابعث اليك بهذه الرسالة لاخبرك أن قائدا جبارا قد دخل هذه المدينة فأحرقها ودمرها لقد جاء إلى المدينة بقوة كبيرة وهاجمها بضراوة حتى لم يبق فيها رجلا ولا امرأة ولا شيخا ولا شابا ولا حتى طفلا ولم يسلم حتى من فروا من سخطه إنه لم يكتف بقتل وحرق الرجال بل إنه قتل الطيور فى السماء وإن رائحة الجثث المتعفنة فى المدينة شديدة جدا بحيث أنى لا اجرؤ على الذهاب اليها ولا استطيع أن اقدر ما أخذه من ثروات المدينة ." (١)

ومع ذلك ففى بضع سنوات أعادت ممبسة مدينة المجاهدين بناء نفسها من جديد لتشن حرباً ضد كل من تحالف مع البرتغاليين مثل ماليندى وزنجبار لتقلق راحتهم أو لينضموا إلى صفوفها لمواجهة الغزاة الصليبيين .

وفى سنة ١٥٢٨م وصل إلى شرق افريقيه نونو دا كونها ابن تريستاو دا كونها متوجها إلى الهند بعد تعيينه نائبا للملك هناك . وما أن وصل حتى سارعت كل من ماليندى وزنجبار تجار بالشكوى من ملك ممبسة وتعكف على تقديم كل المساعدات الممكنة لدا كونها لكى يدمر ممبسة مرة أخرى . واتفق نائب الملك البرتغالى مع ملك ماليندى على تسليمه زمام الحكم فى ممبسة فى حالة انتصاره عليها على أن يمده بمائة وخمسين رجلا . ومن جانبه استعد ملك ممبسة بالمدافع والذخائر والمؤن واستعان بخمسمائة من رماة السهام الوثنيين من البر الرئيسى وأبعد الاطفال والنساء والأموال إلى البر الرئيسى للقارة لدرء الخطر عنهم وتجنبا لتكرار المأساة السابقة . وحوصرت ممبسة مرة اخرى ثم هجم عليها البرتغاليون

---

(١) The Voyage and Acts of Dom Francisco Viceroy of India, op. cit., PP. 108 - 111; Barbosa, op. cit., P.21; Barros, op. cit., PP. 96-104; Coupland, op. cit., P. 45; Diffie & Winius, op. cit., PP. 342-343; Hamilton , op. cit., PP. 53-55;

شوقى الجمل ،نفس المرجع ،ص ١٦٧ .

يدكونها بمدافعهم واقتحموها بعد صعوبة بالغة بسبب استبسال اهلها ٠ وبعد اقتحام البرتغاليين للمدينة تراجع المدافعون عنها إلى الغابات والحدائق خلف المدينة مستترين بها ليمطروا اعداءهم بالسهام المسمومة مما أوقع بين البرتغاليين خسائر كبيرة فى الارواح فقرر دا كونها حرق المدينة بما فيها من ثروات ومؤن فسارع ملكها بطلب الصلح مع البرتغاليين لكى ينقذ المدينة ويتعهد بدفع جزية مقدارها الف وخمسمائة مثقال من الذهب سنويا لملك البرتغال كما تعهد أيضا بدفع جزية ثلاثة سنوات مقدما بالاضافة إلى اثنى عشر الف مثقال من الذهب فى مقابل افتداء المدينة من الخراب ٠

وفى تلك الاثناء سلط الله على البرتغاليين الاوبئة تفتك بهم فتكا ذريعا مما جعل دا كونها يشعر بالهزيمة والخزى وبات يتأجج حقدا وكراهية للمسلمين فقرر رفض الصلح رغم دفع ملك ممبسة مبلغ الف وخمسمائة مثقال من الذهب كمقدمة لهذا الصلح وأضرم دا كونها النار فى المدينة ورحل تاركا اياها نهبا للنيران ٠(١)

ويذكر مونكلارو الذى زار الساحل الشرقى لافريقيه عام ١٥٦٩م ان نائب الملك البرتغالى فى الهند السابق دوم بيدرو ماسكارينهاس Dom Pedro Mascarenhas قد بنى قلعة برتغالية فى ممبسة بين عامى ٩٦٢هـ - ٩٦٣هـ/ ١٥٥٤ - ١٥٥٥م ولكن هذه القلعة لم يبق عليها المسلمون كما أن المحاولات التى بذلها الرهبان البرتغاليون لنشر النصرانية فى ممبسة لم تفلح بل إن البرتغاليين فى القلعة كانوا يخافون على انفسهم من هجمات المسلمين بسهامهم المسمومة ٠(٢)

وهكذا لم تخضع ممبسة ابدا للبرتغاليين واستمرت طوال القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى فى مقاومة البرتغاليين دون كلل او ملل ،رغم الخسائر التى

---

(١) جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٦٣ - ٢٦٧،
Marsh & Kingsnorth, op. cit., P. 15.

(٢) Father Monclaro , op. cit., P. 140.

تلحق بها عقب كل حرب تخوضها ولم تترك وسيلة لتدعيم مقاومتها فتحالفت مع الاتراك العثمانيين عام ١٥٨٦م،وفى المقابل اتخذ ضدها البرتغاليون جميع الوسائل لاخضاعها واخرها فى نهاية القرن السادس عشر بالتحديد فى عام ١٥٩٢م ، عندما جعلوها مركزا لادارة حكمهم فى شرق افريقيه بعد ان نصبوا عليها ملكا من ماليندى وبنوا بها حصنهم المشهور" قلعة يسوع " Fort Jesus ولكنهم لم يستطيعوا البقاء طويلا بها فنقلوا مركز اداراتهم الى موزامبيق .

استسلام بمبا :

استسلمت بمبا للبرتغاليين بعد خضوع زنجبار وأعلنت ولاءها لملك البرتغال ودفع جزية سنوية وذلك بين عامى ١٥٠٣هـ - ١٥٠٤م .(١)

وقد تجنبت بمبا التمرد على البرتغاليين كثيرا لذلك كانت محطة آمنة للسفن البرتغالية وجزيرة غنية بالمؤن لامداد تلك السفن وقد اعجب بها البرتغاليون ووصفها كثير منهم بأنها جزيرة غنية .

ورغم استسلامها للبرتغاليين إلا أنها كانت كثيرا ما تتهرب من دفع الجزية لملك البرتغال والسبب يعود فى ذلك - على الأرجح - إلى ضخامة الجزية خاصة بعد أن احتكر البرتغاليون تجارة شرق افريقيه لانفسهم وأبعدوا المسلمين عن ممارستها .

وفى بعض المرات حاولت بمبا التعبير عن رفضها للسيطرة البرتغالية مثلما حدث فى عام ١٥٠٩م حينما رسا أسطول برتغالى فى بمبا مكون من أربع عشرة سفينة بقيادة فرناندو كوتينهو Fernando Coutinho وذلك للتزود بالمؤن وحال نزول بعض رجال الأسطول إلى الجزيرة للحصول على المياه انقض عليهم أهالى بمبا من بين الاشجار الكثيفة يرشقونهم بالسهام والسيوف حتى اجبروهم على التقهقر ومغادرة الجزيرة ولم يدمر البرتغاليون الجزيرة لأن موسم الرياح المواتية للذهاب إلى الهند كان علىوشك الانتهاء لذلك فضلوا الرحيل .

---

(١) ان مقدار هذه الجزية غير معروف بالضبط لان المصادر والمراجع المتوفرة لم تشر إلى ذلك .

وفى العام التالى ١٥١٠م ،وصل إلى شرق افريقيه دوارتى دى ليموس Duarte de Lemos لاستلام منصبه كحاكم للممتلكات البرتغالية فى شرق افريقيه والجزيرة العربية وزار هذا القائد جزر مافيا وبمبا وزنجبار من أجل جمع المبالغ التى لم تدفعها كجزية لملك البرتغال وبعد أن دمر دى ليموس زنجبار حاول شيخ بمبا أن يفاوض البرتغاليين كسبا للوقت فتزرع بجفاف البلاد وقلة الموارد وأرسل إلى الاسطول بعض المؤن ثم قام سرا وفى الليل بالهرب هو وابناء الجزيرة مع اموالهم إلى ممبسة،وفى الصباح كشف البرتغاليون الخدعة وهاجموا الجزيرة ولكنهم وجدوها خاليةمن السكان الذين لم يخلفوا وراءهم شيئا يستحق النهب والسلب .

وفى عام ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م امتنعت بمبا أيضا عن دفع الجزية بحجة ان الجزر الصغيرة الخاضعة لها والتى تسمى جزر كريمبا Kerimba لم تدفع هى الاخرى الاتاوة المفروضة عليها لبمبا مما جعل خزينتها خاوية .(١)

وفى عام ١٥٨٧م شاركت بمبا فى الثورة على البرتغال بمعاونة الاتراك العثمانيين ولكن هذه الثورة باءت بالفشل وعادت بمبا مرة اخرى إلى السيطرة البرتغالية . (٢)

تدمير زنجبار :

كانت زنجبار من المدن التى مر بها فاسكو دا جاما فى رحلته الاولى إلى الهند وذلك فى طريق عودته إلى البرتغال ،ففى شهر مارس من عام ١٤٩٩م رسا على ساحلها وأمده ملكها بالمؤن اللازمة له ثم أبحر دا جاما متوجها الى البرتغال بعد أن مكث بها يوماً واحداً فقط .(٣)

---

(١) Sousa, op. cit., Vol.I PP. 157-158; Gray, History of Zanzibar, PP. 55-56;
احمد المعمرى ،نفس المرجع ،ص ٥١ .

(٢) المغيرى ،نفس المرجع ،ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) Gray, op. cit., PP. 31-32;
جيان ،نفس المرجع ،ص ٢١٠ ؛شوقى الجمل ،نفس المرجع ،ص ١٦٥ .

ولم تفد سفن أخرى إلى زنجبار حتى عام ١٥٠٣م حينما وصل اليها روى لورنزو رافاسكو وبقى بالقرب منها يمارس عمليات النهب والسرقة مدة شهرين استولى فيها على حوالى عشرين مركبا محملة بثروات البلاد وبعد انتهاء الشهرين رسا فى ميناء زنجبار • وفى أحد الايام وصلت إلى رافاسكو رسالة من ملك زنجبار يستفهم فيها عما اذا كان رافاسكو هو الذى يمارس عمليات القرصنة خارج الميناء فان كان الامر كذلك فانه سيغفر له ما الحقه بهم من ضرر شريطة أن يعيد الاسلاب وخاصة المدافع التى كانت الجزيرة قد استوردتها، فأجاب رافاسكو باعذار واهية ورفض تسليم ما استولى عليه وعرض على الملك الخضوع لملك البرتغال وأنه بخضوعه هذا سوف يعيش فى سلام وستزداد ثروته ويصبح أكثر قوة من أى وقت مضى ولكن الملك لم يعر رسالته أدنى اهتمام لأنه يعرف أن ما ورد بها مجرد اكاذيب، وأرسل الملك المراكب الخاصة بحماية الميناء للقبض على سفينة رافاسكو واشتبك الطرفان فى معركة استشهد فيها كثير من المسلمين واستولى رافاسكو على أربعة من مراكب الملك، وهنا تجمع المدافعون عن الجزيرة على شاطئها وعدد هم حوالى أربعة آلاف رجل تحت إمرة أحد ابناء الملك ظنا منهم أن البرتغاليين سينزلون على شاطئ الجزيرة للاشتباك معهم ولكن البرتغاليين استغلوا تجمع الرجال على الشاطئ واطلقوا مدفعيتهم تجاههم وعند أول طلقة تطاير خمسة وثلاثون شهيداً من المحتشدين وكان من بينهم ابن الملك ودافع الباقون ببنادقهم والحقوا بعض الخسائر بالبرتغاليين ولم تجد البنادق شيئا امام المدافع القوية التى كانت تحصدهم حصدا •

بعد ذلك أرسل الملك أربعة من أعيان زنجبار يعرضون الاستسلام لملك البرتغال، ووافق رافاسكو على ذلك وفرض على الملك جزية سنوية مقدارها مائة مثقال من الذهب (حوالى ستون جنيها استرلينيا) عدا المؤن والمواشى •(١)

---

(١) Barros, op. cit., pp. 76-78; Gary, op. cit., PP.32-34; Coupland, op. cit., P. 44 ;

جيان ،نفس المرجع ،ص ٢١٥– ٢١٧ ؛ احمد المعمرى ،نفس المرجع ،ص ٥٠ •

ودفع الملك الجزية فورا ورحل رافاسكو بعد آن برهن للملك عمليا بأن الشجاعة وحدها لاتكفي ان لم تكن مدعمة بالتسليح الحديث الجيدونسي أو تناسي آن روح الجهاد في سبيل الله ستفعل المستحيل لو توفرت لها عوامل التسليح والتنظيم الحربي كوجود جيش منظم للمدينة وفي عام ١٥١٠م عاد البرتغاليون الي زنجبار بقيادة دوراتي دى ليموس لجمع الجزية المتأخرة لعدة سنوات ونظرا لعمليات القرصنة التي مارسها البرتغاليون قادة وجنودا فقد تدهورت التجارة وأصاب دويلات المدن في شرق افريقية الفقر والخراب لذلك لم يكن لدى معظم المدن القدرة على دفع الجزية ومنها زنجبار.

وقد حاصر دى ليموس الجزيرة فهب سكانها يدافعون عن انفسهم وكالعادة لم يستطع الاهالى الصمود أمام المدفعية الثقيلة ففروا ملتجئين إلى الادغال والتلال كما فر الملك إلى البر الرئيسى تاركين المدينة لينهبها البرتغاليون ثم يشعلون فيها النيران .

وفى عام ١٥٢٨م رسا نونو دى كونها على ساحل زنجبار الجنوبى الغربى وهنا تصدى الاهالى لرجاله يقاتلونهم حتى كبدوهم خسائر جسيمة وأرغموهم على ترك الشاطىء فدار دى كونها حول الجزيرة حتى رسا فى مكان يسمح له بالاتصال بالملك الذى سارع إلى امداد البرتغاليين بما يحتاجونه من مؤن ومياه حفاظا على مدينته من التعرض للتدمير مرة اخرى .(١)

وهكذا استمرت زنجبار خلال القرن العاشر الهجرى تنتهز اية فرصة تسمح لها للتمرد على السيطرة البرتغالية رغم قلة امكانياتها فى ذلك الوقت .

أستسلام مافيا :-

استسلمت مافيا للبرتغاليين ولم تحاول التمرد عليهم خوفاً من أن يحل بها ما حل بجاراتها مدن شرق افريقيه من حرق وتدمير والظاهر أنها تبعت فى خضوعها للبرتغال زنجبار وبمبا. وفى عام ١٥١٠م حددت مافيا فروض الطاعة لملك البرتغال

---

(١) Sousa, op. cit., Vol.I, PP. 157-158; Gray, op. cit., PP. 34-36;
احمد المعمرى ، نفس المرجع ،ص ٥١ .

عندما جاءها دوارتى دى ليموس مهدداً فدفعت الجزية مكرهة .(١)

تدمير كلوه :

مر فاسكو دا جاما بكلوه فى رحلته الأولى إلى الهند عام ١٤٩٨م ولكنه لم يتمكن من الرسو بها لذلك تركها وتوجه إلى ممبسة .

وفى السادس والعشرين من يوليو عام ١٥٠٠م وصل بيدرو الفاريز كابرال إلى كلوه فى ست سفن وحال وصوله طلب من ملك كلوه السلطان فضل ابن السلطان سليمان بن الملك العادل الاذن بالدخول الى الميناء فأذن له الملك بذلك .(٢)

ثم أرسل كابرال وفدا برئاسة الفونسو فيرتادو Alfonso Furtado يعرض عليه خضوع كلوه سلميا لملك البرتغال وأن لديهم بضائع من البرتغال ويرغبون فى التجارة مع كلوه فأجابه الملك بأنه يود مقابلة كابرال على شاطىء المدينة ولكن كابرال اعتذر عن النزول مدعيا بأن ملك البرتغال لا يأذن له بالنزول ،وفى الحقيقه أنه كان متهيبا من مؤامرة قد يدبرها له ملك كلوه وأبدى استعداده لاجراء المقابلة فى القوارب فامتنع ملك كلوه ايضا عن الخروج اليه وأرسل السيد لقمان بن الملك العادل فى هيئة وأبهة الملك ،وكعادة الملوك خرج السيد لقمان فى احتفال كبير على الشاطىء بين عزف الابواق وقرع الطبول ونشر الاعلام وفى المقابل أبدى البرتغاليون احتفالهم بالمناسبة باطلاق مدافعهم التى احدثت اصواتا رهيبة مفزعة فاعطت موفد الملك وأهل كلوه انطباعا سيئا عن البرتغاليين وتأكد لهم بأنهم قراصنة،فافترق الطرفان بسرعة وأرسل ملك كلوه إلىالقائد البرتغالى يخبره بأن كلوه ليست فى

---

(١) Sousa, op. cit., Vol.I PP. 157-158; Serjeant, op. cit., P. 14 .

(٢) تذكر المصادر والمراجع البرتغالية ان ملك كلوه المعاصر لدى جاما فى رحلته الاولى وكابرال كان اسمه السلطان ابراهيم وفى الحقيقة ان نظام الحكم فى كلوه يجعل لكل ملك وزير وامير وكان الامير فى عهد السلطان الفضل ابن سليمان (الذى تولى الحكم عام ٩٠١هـ وقتل فيما بعد على يد ابراهيم) يدعى ابراهيم .أى أن السلطان الذى يحاصر داجاماوكابرال كان السلطان الفضل ابن سليمان .
انظر السلوه في اخبار كلوه ، نفس المصدر ، ص ٥٠ ـ ٥٥ .

حاجة إلى بضائع البرتغال وأن البرتغاليين هم مجرد قراصنة .

وبقى كابرال حوالى ثلاثة أيام دون أن يمده أهل كلوه بالمؤن والمياه واستعد ملكها لمواجهتهم باستقدام الرماه والمحاربين من البر الرئيسى للقارة خوفا من قيام البرتغاليين باقتحام كلوه بالقوة .

وحينما رأى كابرال تلك الاستعدادات قرر الرحيل إلى ماليندى وترك المدينة للانتقام منها فى فرصة اخرى .(١)

وفى عام ١٥٠٢م عاد فاسكو دا جاما مرة اخرى إلى الهند واثناء مروره بشرق افريقيه قرر التوقف فى كلوه للانتقام منها لاساءتها معاملة البرتغاليين ولاخضاعها للنفوذ البرتغالى والاستيلاء على ثرواتها التى اذهلت البرتغاليين ، وبالفعل رسا فى ميناء كلوه باسطوله الضخم ، وأرسل فى الحال بربان مسلم كان اسيرا لديه ليستدعى الملك أو أحد رجاله للتفاوض معه . وهدد باقتحام المدينة إن لم يفعل وجاء رد الملك قائلا لدا جاما أن عليه أن يبعث له بورقة تحمل توقيعه يتعهد فيها بالا يمسه بسوء وإلا يجبره على شئ فوافق دى جاما وبعث اليه بالورقة .

وكما حدث مع الفاريز كابرال فقد قرر ملك كلوه عدم الذهاب شخصيا وارسال شخص آخر مكانه على أنه الملك ولكن هذه الحيلة لم تنجح وكشفها البرتغاليون لأن جواسيسهم كانوا علىعلم بما يدور فى المدينة .

ويذكر مؤرخ السلوة فى اخبار كلوه هذه الاحداث فيقول : " ثم سافروا الى منلد .(٢)فتلقوهم غاية التلقى ... ثم تركوا عندهم سبعة أنفس من النصارى المتنصرة وقالوا لهم : اثنان يجلسان عندكم وأربعة أرسلوهم الى جوزرات [كجرات على الساحل الغربى للهند] عند السلطان محمود ،وواحد أرسلوه إلىكلوه ،ثم سافروا .... فقام النصرانى فى البلاد فتجسس على أحوال البلد وبحث عن جميع

---

(١) السلوه فى اخبار كلوه ،نفس المصدر ،ص ٥٦ ؛
The Voyage of Pedro Alvarez Cabral, op. cit., Vol.I. PP. 60-61; Sousa, op. cit., Vol.I, PP. 54-56; Hamilton, op. cit., PP. 42 - 43;
جيان،نفس المرجع ،ص ٢١٢ .

(٢) يقصد هنا اسطول بدرو الفاريز كابرال ومنلد هى ماليندى .

الامور .... وفى السنة الثامنة بعد التسعمائة من الهجرة سنة الجمعة وصل نوخذ [ربان السفينة] المرتى [فاسكو دا جاما] المذكور اولا فى عدة مراكب ولما وصل طلع اليهم ذلك النصرانى واخبرهم بجميع الاخبار وعن احوال البلاد وذكر لهم انه لا يصلح للولاية على كلوه سوى الحاج محمد بن ركن الدين .(١) لانه صاحب فضل ومروءة وصاحب البلد الذى فيها ليست له مروءة مع كثرة الاموال لكنكم اشترطوا عليهم بان يطلعوا اليكم الامير ابراهيم ... فارسل النصرانى فى طلب الامير فارادوا ان يشخصوا له شخصا آخر كما تقدم فنبههم ذلك النصرانى فلم يجدوا منه بدا ." (٢)

واما خيانة محمد بن ركن الدين هذا وطمعه فى عرش كلوه فقد كان أحد اسباب انتصار البرتغاليين على كلوه واخضاعها للتاج البرتغالى .

واخيرا سار الملك لمقابلة دا جاما مع كبار وجهاء كلوه ومن بينهم محمد بن ركن الدين وصعد الى سفينة القيادة البرتغالية فاستقبل بجفاوة وعرض دا جاما رغبته فى خضوع كلوه لملك البرتغال ومبطنا هذا العرض بالتهديد إن لم يدفع جزية سنوية من الذهب والمجوهرات الثمينة دلالة على هذا الخضوع فاجابه الملك بانه سيكون سعيدا لو أن القائد اكتفى بالسلام والصداقة دون ابتزاز للمال وان من العار عليه أن يدفع الجزية وأنه لا يرغب فى هذا الخضوع المذل، فاستشاط دا جاما غضبا وأقسم أمام الملك إن لم يخضع لمطالبه سيحيل مدينته إلى كوم من الحجر وسيحرق أبناء شعبه بالنار فأجابه الملك بأن من الخير له أن يكون ابن آوى حرا على أن يكون كلب صيد مربوط بسلسلة من ذهب .

وعندما تأزم الموقف أذن دا جاما للملك ووفده بالانصراف مهددا إياه انه بمجرد وصوله إلى شاطئ المدينة سوف يدمرها، فتدخل اعضاء الوفد وطلبوا من دى جاما مهلة للتشاور مع الملك واعطائه الجواب وبضغط من بقية

---

(١) ورد فى المصادر البرتغالية اسم محمد بن ركن الدين باسم محمد اركون Mohamed Arcone انظر
Correa, op. cit., P.68.

(٢) السلوه فى اخبار كلوه ،نفس المصدر ،ص ٥٦ – ٦٨ .

الوفد وافق الملك على إعطاء الجزية للبرتغاليين مقابل سلامة مدينة كلوه من الدمار وكانت الجزية عبارة عن أساور ولآلىء ومجوهرات تقدر قيمتها بخمسة آلاف كروزادو او ما يعادلها من الذهب والفضة ،وذلك بالاضافة الى مقدار الجزية من مثاقيل الذهب .

ولكي ينكل الملك بمحمد بن ركن الدين جزاء خيانته طلب من دا جاما ابقاءه لديه كرهينة حتى يرسل اليه الجزية .

وبقى الاسطول ستة أيام سمح دى جاما خلالها لجنوده بالنزول إلى كلوه للترفيه عن انفسهم،وكالحيوانات المسعورة انقضوا على المدينة سلبا ونهبا واسرا للنساء فبلغ عدد الاسيرات اكثر من مائتى امرأة .

ويبرر المؤرخ البرتغالى المعاصر كاسبركوريا افعالهم المشينة بأن النساء هن اللواتى هربن من منازلهن وطلبن اللجوء إلى البرتغاليين ليعتنقن النصرانية لأن المسلمين يعاملون نساءهم معاملة قاسية أدت إلى هروبهن .(١)

ولا يحتاج هذا التبرير الساذج الى المناقشة حيث أن أفعال البرتغاليين الوحشية قد صبغت كل تحركاتهم فى شرق افريقيه والخليج العربى والهند .

ولما علم الملك بما أحدثه البرتغاليون فى المدينة رفض دفع الجزية فانتقم دا جاما من محمد بن ركن الدين بأن وضعه عاريا فى أحد القوارب ليحترق تحت اشعة الشمس حتى قام بافتداء نفسه بعد أن رفض الملك دفع الفدية له .

ولما أوشك دا جاما على تدمير المدينة رضخ الملك ودفع الجزية ومقدارها الف وخمسمائة مثقال من الذهب (حوالى تسعمائة جنيها استرلينيا) وذلك انتظارا لفرصة افضل للتخلص من السيطرة البرتغالية ثم رحل البرتغاليون متوجهين إلى مالیندى (٢) .

---

(١) انظر Correa, op. cit., PP. 71-73.

(٢) Carrea, op. cit., PP. 66-71; Sousa, op. cit., Vol.I, PP. 64-65; Oliver & Mathew, op. cit., Vol.I, P.134; Hamilton, op. cit., P.44; Coupland, op. cit., P.44; جيان ،نفس المرجع ،ص ٢١٤ .

وفى الثانى والعشرين من يوليو عام ١٥٠٥م وصل إلى كلوه القائد البرتغالى فرانسيسكو دى الميدا فى ثمانية سفن ودخل الميناء فى مظاهرة احتفالية باطلاق المدفعية عدة مرات لاشعار أهل كلوه بمدى قوة البرتغاليين وسطوتهم .

وخرج لاستقبال البرتغاليين محمد بن ركن الدين الطامع فى عرش كلوه فأعطاه الميدا رسالة إلى الملك ابراهيم يوبخه فيها لعدم استقباله لهم فرد عليه الملك بأنه غاضب جدا من القادة البرتغاليين الذين يمارسون عمليات القرصنة فى البحر فقد استولوا على سفينة له كانت قادمة من سفالة محملة بالبضائع الثمينة وعلى الرغم من أنها كانت ترفع العلم البرتغالى الذى أعطاه إياه فاسكو دا جاما لكى لا تتعرض سفنه للنهب والسلب . ورد عليه الميدا بأنه سيتخذ اجراءات لمعاقبة من استولى على سفينته ولكنه يريد مقابلته فى الحال ،فوافق الملك على لقائه فوق شاطئ المدينة وبعد أن استعد الميدا للمقابلة وخرج إلى الشاطئ وسط دوى المدافع وصيحات رجاله وتحيط به الاعلام تخلف الملك عن الحضور مما أثار غيظ الميدا فقرر الهجوم على المدينة فى اليوم التالى .

وفى الحقيقة فان الميدا كان يتحين أية فرصة للقضاء على الملك ابراهيم واستبداله بملك آخر موال للبرتغاليين حتى يضمن خضوع كلوه نهائيا .

وفى فجر الخميس الرابع والعشرين من يوليو قسم الميدا قواته إلى قسمين القسم الأول بقيادة ابنه دوم لورنزو Dom Lorenzo وعهد إليه بمهاجمة قصر الملك والقسم الاخر بقيادته ليتولى الهجوم على المدينة وقبل بدء القتال جمع كبير القساوسة الجنود وأسبغ عليهم غفرانا عاما طبقا للتعاليم البابوية التى تمنح الغفران لكل من يحارب ضد المسلمين وهى الطقوس التى اتسمت بها الحروب الصليبية عامة .

بعد ذلك تسلم بدرو كام Pedro cam احد القادة البرتغاليين راية الصليب لرفعها فوق المدينة بعد الانتصار .

وهكذا نزلت الحشود البرتغالية على شاطئ كلوه ولكن الأهالى والمدافعين عنها لم يخرجوا إلى البرتغاليين وفضلوا الدفاع عن المدينة داخل الأزقة الضيقة ومن فوق أسطح المنازل وبالفعل فقد نجحت هذه الخطة فى الحاق الخسائر الكبيرة بالبرتغاليين حيث امطرهم الأهالى بالحجارة والسهام من شرفات المنازل واسطحها

ونظرا لضيق الشوارع فقد أتاح ذلك للمدافعين الانتقال من سطح منزل لآخر بسهولة كبيرة .

ولكن الأسلحة المتطورة تغلبت فى النهاية واستطاع البرتغاليون قتل كثير من المسلمين بطلقات البنادق واستطاعوا فى النهاية الاستيلاء على المدينة. أما قصر الملك فقد كان محاصرا وفجأة ظهر على أحد ابراج القصر رجل يرفع راية الاستسلام ويشير إلى البرتغاليين بأن الملك يريد تسليم نفسه إليهم وقام الرجل بركز الراية على إحدى شرفات القصر متظاهرا بالذهاب لاستدعاء الملك ثم لم يظهر مرة اخرى وكشف البرتغاليون الخدعة حيث تمكن الملك من الهرب الى البر الرئيسى للقارة من الابواب الخلفية للقصر حاملا معه اهله ومعظم متاعه وثروته وفى الحال أمر الميدا جنوده وقادته باستباحة المدينة للسلب والنهب والاسر عدا منزل محمد بن ركن الدين حيث أمر جواو دى نوفا Joao de Nova بأن يتولى البرتغاليون مهام حراسته ثم نصب راية الصليب فوق القصر بأيدى قساوسة الفرنسيسكان ثم بعد ذلك منح الميدا كثيرا من جنوده لقب فارس .

واستدعى محمد بن ركن الدين ونصبه ملكاً على كلوه بدلا من الملك ابراهيم الهارب وذلك فى احتفال كبير على الشاطئ .

وعاون الملك الجديد البرتغاليين فى بناء قلعتهم على أرض كلوه واستغرق البناء عشرين يوما استخدموا خلاله حجارة منازل كلوه بعد أن هدموا أحسنها وأكبرها حجما وأطلق على القلعة اسم سانتياجو Santiago وترك الميدا مائة وخمسين من الضباط والجنود لحماية القلعة بقيادة فرانسيسكو كوتينهو Francisco Coutinho وبهذه الاجراءات ظن البرتغاليون بأنهم قد استولوا على كلوه نهائيا ووطدوا السيطرة البرتغالية عليها .(١)

وما أن رحل الميدا حتى سادت الفوضى فى كلوه فقد دبر الملك الهارب ابراهيم مؤامرة لاغتيال محمد بن ركن الدين وقام ابن الاخير للمطالبة بدم ابيه

---

(١) The Voyage and Acts of Dom Francisco Viceroy of India, op, cit., PP. 105-107; Barbosa, op. cit., PP. 18-19; Barros, op. cit., PP. 80-96; Diffie & Winius, op. cit., P. 342 ; Hamilton, op. cit., PP. 50-52;
جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

وبذلك اشتعلت الحرب الأهلية فى كلوه بين أنصار الطرفين واشترك فيها البرتغاليون وانضموا إلى أتباع محمد بن ركن الدين وتضررت القلعة كثيرا من تلك الحرب وتهدمت اجزاء كثيرة واستمر هذا الحال طوال سنة ١٥٠٦م حتى وصل نائب الملك فى الهند الفونسو البوكيرك فى نفس السنة ،فأمر بهدم قلعة كلوه لأنها لم تعد صالحة للاستعمال وأمر أن ينقل قائدها الجديد فرانسيسكو بيريرا Francisco Periera إلى جزيرة سوقطرة . وقبل رحيل بيريرا قام باستدعاء الملك الهارب ابراهيم وأرجعه إلى عرش كلوه منهيا بذلك تلك الحرب الاهلية ورحل عن المدينة تاركا كلوه تعيد بناء نفسها من جديد . (١)

وهكذا فشل البرتغاليون فى خطتهم لاحلال صنيعة لهم مكان الملك الشرعى كما فشلوا فى إخماد روح الجهاد بين المسلمين فى كلوه .

تدمير موزامبيق :

تعتبر موزامبيق من أهم المراكز البرتغالية على ساحل شرق افريقيه فقد خضعت للسيطرة البرتغالية فى وقت مبكر عن جاراتها وذلك لحاجة البرتغاليين الماسة لوجود تلك المحطة حيث تنتظر فيها السفن شهوراً أوأسابيع لتتزود بالمؤن ويعالج المرضى وترمم وتصلح التالف منها ثم تنتظر الرياح المواتية للابحار إلى الهند أوإلى البرتغال .

وأول من وصل من القادة البرتغاليين إلى موزامبيق هو فاسكو دا جاما فى رحلته الاولى فى أول مارس عام ١٤٩٨م وهنا لاحظ بأنه قد وصل إلى حدود العالم الاسلامى من ناحية الجنوب حيث ازدهار الحضارة والعمران ورواج التجارةوانتشار الثراء ما جعله يصاب بالدهشة فثارت فى نفسه الاطماع للاستيلاء على كل ذلك .

---

(١) Barros, op. cit., PP. 114 - 119; Barbosa, op. cit., PP. 17 - 19;

جيان نفس المرجع ،ص ٢٣٨ – ٢٤٣ .

ظن أهالى موزامبيق فى بداية الأمر أن القادمين هم من المسلمين الاتراك أو المغاربة من الشمال فرحبوا بهم ولكنهم سرعان ما كشفوا خطأهم عندما بدأ البرتغاليون يسألونهم عن وجود نصارى على الجزيرة أو وجود مملكة مسيحية بالقرب منهم وهذه الاسئلة تركت انطباعا لدى السكان بأن البرتغاليين هم صليبيون جاءوا للتجسس على أحوال المسلمين توطئة للسيطرة فيما بعد على بلادهم .

ولذلك انقطعت الصلات بين سلطان المدينة والاهالى وبين البرتغاليين فلم يتعامل معهم أحد بعد ذلك، وبصعوبة شديدة استطاع دا جاما الحصول على مرشدين ليدلانه على سبل الابحار فى شرق افريقيه بعد أن دفع لكل منهما ثلاثين مثقالاً من الذهب .

ولكن الرياح لم تكن مناسبة للابحار لذلك بقى دا جاما أربعة اسابيع بجانب موزامبيق وبما أن أهالى موزامبيق لم يتعاملوا معه ورفضوا امداده بالماء فقد قرر دا جاما الحصول على الماء بالقوة لذلك نزل إلى الشاطىء مع رجاله المسلحين لمهاجمة ينابيع الماء فتصدى لهم السكان بأسلحتهم التقليدية ووقعت معركة حامية بين الطرفين انتهت بعد أن استخدم البرتغاليون مدافعهم فدمروا اجزاء كثيرة من الجزيرة وقتلوا كثيرا من المدافعين عنها ثم حصلوا على المياه التى يريدونها واقلعوا متجهين ناحية الشمال باتجاه كلوه .(١)

وفى عام ١٥٠٠م جاء بدرو الفاريز كابرال إلى الهند وفى الطريق القى مراسيه بالقرب من سفالة وبدأ يمارس عمليات القرصنة بالاستيلاء على السفن الاسلامية التجارية المحملة بالذهب والفضة مما أثار الفزع فى المدن الاخرى واقربها موزامبيق . وعندما رسا فى موزامبيق فى ٢٠ يوليو من نفس السنة لم يقاومه أهلها لأن ذكرى مهاجمة دا جاما لها قبل عام واحد فقط لم تمح بعد خاصة وأنها لا تملك من وسائل الدفاع والهجوم المتطورة ما تستطيع به الوقوف

---

(١) Bell, op. cit., PP. 206 - 210; Hamilton, op. cit., PP. 26 - 28;

جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

فى مواجهتهم لذلك أمدت موزامبيق كابرال بما يحتاجه من المياه والمؤن وايضا المرشدين وتركته يتجه إلى كلوه .(١)

وفى عام ١٥٠٧م تمكن البرتغاليون من بناء قلعتهم فى موزامبيق وذلك على يد غوميز دى آبرو Gomez de Abro بحيث أصبحت من أكبر القلاع وأكثرها قوة وكانت مزودة بمختلف الاسلحة واطلقوا عليها اسم قلعة ساو سباستياو Sao Sabastiao وعينوا عليها قائدا عسكريا لادارة التجارة وجمع الثروات للتاج البرتغالى وبمرور السنين أصبح هذا المنصب يباع لمن يدفع أكثر فنجد أن على قائد القلعة أن يدفع مبلغا معينا عند تعيينه فى هذا المنصب فى مقابل الدفاع عن القلعة وادارة شئون الدولة والتجارة مما جعل هؤلاء القادة يستغلون مناصبهم للاثراء السريع عن طريق النهب والسرقة والاحتكار فانتشرت الفضائح والشكاوى بين البرتغاليين .

وهكذا بقيت موزامبيق فى قبضة البرتغاليين الحديدية طوال القرن العاشر الهجرى يستغلون خيراتها الطبيعية فى إمداد السفن بالمؤن هذا بجانب احتكارهم لتجارتها الرائجة فى الذهب والعاج .(٢)

تدمير سفالة :

لقد كان الملك البرتغالى دوم مانويل يعتقد يقينا بأن فى شرق افريقيه وفى سفالة بالذات توجد مناجم الذهب التى كان يحلم بالاستيلاء عليها ووضع يديه على مناجمها ـ وهو ما ثبت خطأه فيما بعد ـ ،ففى الرسالة التى بعث بها الملك مانويل إلى الملك فرديناند ملك اسبانيا وزوجته الملكة ايزابيلا فى ٢٩ يوليو عام ١٥٠١م يشرح لهما نتائج رحلة كابرال فيقول : " صاحبى الجلالة الاب والام المعظمين ... لقد كان بدرو قد أرسل إحدى هاتين السفينتين إلى

---

(١) The Voyage of Pedro Alvarez Cabral, op. cit., P. 60; Sousa, op. cit., Vol.I. PP 54-55;
جيان ،نفس المرجع ،ص ٢١١ .

(٢) Barbosa, op. cit., pp. 15-16; Coupland, op. cit., PP. 46- 47;
جيمس دفى ، الاستعمار البرتغالى فى افريقيه ،ص ٨٦-٨٧؛ جيان،نفس المرجع ،ص ٢٤١

سفالة وهى منجم ذهب اكتشف مؤخرا ." (١)

ولقد فشل بدرو الفاريز كابرال عام ١٥٠٠م فى تأسيس مركز للتموين فى سفالة .

أما مهمة فاسكو دى جاما فى رحلته الثانية الى الهند عام ١٥٠٢م فكانت اخضاع كلوه فلم يتفرغ لأمر سفالة وكذلك كانت مهمة روى لورنزو رافاسكو عام ١٥٠٣م التى انحصرت فى اخضاع زنجبار وجاراتها .

لذلك أرسل ملك البرتغال مانويل عام ١٥٠٥م اسطولا بقيادة بيدرو دى انايا Pedro de Anaya للقيام بمهمة انشاء قلعة ومركز للتموين فى سفالة فوصل أمام المدينة فى سبتمبر عام ١٥٠٥ وكان يحكم سفالة آنذاك شيخ طاعن فى السن يناهز السبعين من العمر ويدعى يوسف وهو نائب عن سلطان كلوه فى سفالة .

ولكن بعد أن سقطت كلوه فى أيدى البرتغاليين خلع يوسف طاعة كلوه ولكن القدر لم يمهله حيث جاء دوره للخضوع هو الآخر . وقد خاف يوسف أن يصيب سفالة ما أصاب كلوه لذلك أعلن ترحيبه بأنايا وبدأ بالتفاوض معه لبناء مركز لتموين السفن البرتغالية Feitoria وقلعة محصنة بالاسلحة للحامية البرتغالية التى ستقيم فى سفالة على أن يساعد الشيخ يوسف فى البناء بأن يقوم الاهالى في سفالة بانجازه .

وهكذا تم البناء فى شهر نوفمبر من نفس العام ونظرا لندره الحجارة فقد اقيمت المنشآت باللبن .

ولكن هذا الاستسلام لم يكن ليرضى أهالىسفالة المسلمين الذين وجدوا انفسهم بدون مصادر للرزق فقد انتقلت مقاليد التجارة من أيديهم إلى أيدى الدخلاء لذلك ضغطوا على الشيخ لنقض الاتفاق المذل مع البرتغاليين ثم اخذ

---

(١) The Voyage of pedro Alvarez Cabral, op. cit., P. 64.

الاهالى استعدادا للحرب واستقدموا محاربين آخرين من القبائل الافريقية فى الداخل،ثم انقضوا على البرتغاليين وقاموا بتخريب قلعتهم وخاضوا حربا يائسة معهم استبسلوا فيها ولكن قتل معظمهم باسلحة البرتغاليين الحديثة التى كانت تحصدهم حصدا وقتل الشيخ المسن على يد انيايا .

وقد لعبت الخيانة دورها فى هذه الهزيمة حيث نقل أخبار ما يجرى بين اهالى سفالة من استعدادات إلى البرتغاليين حبشى يدعى أكوت نصبه البرتغاليون بعد ذلك على عرش سفالة مكافأة له على خيانته .

وبعد هذا الانتصار الذى حققه البرتغاليون سارعوا إلى هدم المنازل وجمع حجارتها لبناء حصن جديد أقوى من سابقه ليصمد أمام هجمات الاهالى فى المستقبل ثم اجتاحت البلاد الاوبئة التى اخذت تفتك بالبرتغاليين وكان من ضحاياها بيدرو دى انيايا،فعين الميدا نائب الملك فى الهند جونزالو فاز دى غويسى قائداً على حصن سفالة .

وبالاستيلاء على سفالة ظن الملك البرتغالى وقادته بأنهم وضعوا أيديهم على مواطن الذهب والثروة وأنها ستعود عليهم بأرباح خيالية ولكن الذى حدث هو العكس فسفالة لم تكن تنتج الذهب وانما كانت وسيطة تجارية بين القبائل الافريقيه فى الداخل - المنتجة للذهب - وبين تجار الهند والشرق الاقصى والبلاد الاسلامية الاخرى . (١)

وقد أصدر الملك البرتغالى أمره بابعاد التجار المسلمين عن المتاجرة بذهب سفالة واعتراض كل سفينة تجارية لتفتيشها والاستيلاء عليها إن خالفت ذلك الأمر وأعطت هذه التعليمات الفرصة للبرتغاليين ليمارسوا النهب والسلب وأعمال القرصنة كما يشاءون بحجة مخالفة التجار المسلمين لأوامر الملك البرتغالى

وقد أحجمت قبائل البانتو المحاربة التى تنتج الذهب فى الداخل عن

---

(١) " Letter From Andre Dias to the King. Mozambique 1520 August 5 " In Documents on the Portuguese, Vol. IV, Doc. No.5 P. 43.

التعامل مع البرتغاليين وفضلت التعامل مع التجار المسلمين باستخدام طرق داخلية جديدة لا تمر بسفالة وهكذا أصبح التجار المسلمون يحصلون على الذهب عن طريق التهريب رغما عن البرتغاليين وأستمر الحال على ما هو عليه حتى منتصف القرن العاشر الهجرى حين تنبه البرتغاليون لما يجرى وقرروا مهاجمة قبائل البانتو في الداخل والاستيلاء على مواطن الذهب .(١)

وقد حاول بعض الباحثين تغيير الحقائق التى تؤكد على عداء المسلمين فى الساحل الشرقى لافريقيه للمستعمر البرتغالى وجهادهم المستمر للتخلص من السيطرة البرتغالية وذلك بالتأكيد على أن التآلف كان يسود بين السواحليين المسلمين وأسيادهم النصارى وأن الضرر الوحيد الذى نتج عن الاستعمار البرتغالى هو أنه افقر الدويلات الساحلية المزدهرة .(٢)

وقد تناسى هؤلاء ان الاستعمار الغاشم الذى يفقر الشعوب لا يمكن ان تسود بينه وبين تلك الشعوب أية الفة او مودة . وبذلك تكون البرتغال قد فرضت سيطرتها على معظم ساحل شرق افريقه والدويلات الاسلامية الواقعة عليه المطلة على المحيط الهندى .

ونلاحظ أن جميع دويلات المدن إما أنها قد استسلمت للبرتغاليين خوفا وعجزا وإما أنها دمرت وأصابها الخراب ولم تنج أى منها من السيطرة الغاشمة للبرتغاليين .

ولو حاولنا تحديد اسباب الهزائم المتتالية التى أصابت هذه الدويلات لوجدناها تعود للأسباب الآتية :
أهمها التفكك السياسى بين تلك المدن والنزاع المستمر بينها على السيادة فى الساحل فمثلا كانت مقديشو تفرض سلطتها على الساحل فى فترة من الفترات وفى

---

(١) The Voyage of Pedro Alvarez Cabral, op. cit., P. 59; Barbosa, op. cit., P.9; Coupland, op. cit., P.44; Diffie & Winius, op. cit., PP. 342-344; Oliver & Mathew, op. cit., Vol.I, PP. 134-135;
جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٢٥-٢٢٧، ٢٣٥-٢٣٧؛ جيمس دفى ،نفس المرجع ،ص ٨٤-٨٦.

(٢) Diffie & Winius, op. cit., P. 349.

فترات اخرى ماليندى وممبسة واخيرا كلوه واستغل البرتغاليون هذا التفكك والاختلاف فى بث الفرقة والنزاع بين المسلمين وسخروه لخدمة اهدافهم وقد مر بنا كيف هزمت كلوه وممبسة وسفالة نتيجة لتعامل الخائنين والوشاه مع البرتغاليين .

أيضا هناك موقف ماليندى المشين فقد رحبت بالغزاة البرتغاليين طوال القرن العاشر الهجرى بل وتحالفت معهم ضد ممبسة فكانت بمثابة شوكة فى جانب المسلمين لانها لم تقف موقفا سلبيا إزاء ما يحدث لجاراتها فحسب بل شاركت فى مديد العون والمساعدة للأعداء وذلك بإمدادهم بالمؤن وفتح ابوابها لهم ومن ثم تحريضهم للهجوم مرات متتالية على ممبسة وتدميرها لمجرد تصفية حسابات قديمة كانت بينهمارغم عرض ملك ممبسة على ماليندى الانضمام الى صفوفه فى مكافحة الغزو البرتغالى ولكن دون جدوى فالاحقاد كانت أعمق من مشاعر الأخوة الاسلامية

واخيراً فإن تفوق الاسلحة البرتغالية جعل ميزان القوى يميل لصالح البرتغاليين ،فالدويلات الإسلامية فى شرق افريقيه كان يغلب عليها الطابع التجارى ولم تخض حروبا كبيرة تستدعى جلب احدث الأسلحة التى كان يمتلكها العثمانيون آنذاك وهى ما تسمى بالاسلحة النارية من بنادق ومدافع وغيرها فأسلحتها التقليدية من سيوف ودروع وسهام وحراب كانت كافية لكل دويلة فى الدفاع عن نفسها سواء ضد منافساتها أو ضد القبائل الوثنية البدائية التى كانت تغزوها من القارة فى بعض الاحيان .

فلما تعرضت للغزو البرتغالى سقطت معظم هذه الدويلات بسبب افتقارها لأسلحة البرتغاليين المدمرة ولو قدر وكانت لديها اسلحة حديثة لتغير الموقف كثيراً فى تلك المنطقة .

وعندما استوعبت الدويلات الاسلامية هذا الدرس جيدا حاولت فى السنوات الاخيرة من القرن العاشر الهجرى التحالف مع العثمانيين وهى القوة الاسلامية العظمى فى ذلك الوقت للوقوف فى وجه البرتغاليين والتصدى لهم .

ثالثا : الغزو البرتغالى لسواحل البحر الاحمر فى القرن العاشر الهجرى :

استطاع البرتغاليون على يد الفونسو دى البوكيرك Alfonso de Albuquerque الطموح أن يعززوا نفوذ الامبراطورية البرتغالية فى بحار الشرق بايجاد مراكز لهذا النفوذ على اليابسة وذلك ببناء الحصون والقلاع والمراكز التجارية فى كل من ساحل شرق افريقيه وجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الاحمر والخليج العربى .

وايضا لإحكام السيطرة على أهم منافذ التجارة الشرقية إلى اوروبا وهى الخليج العربى والبحر الاحمر كما أن تنفيذ هذه السياسة ستتيح للبرتغاليين الوصول إلى الحبشة بسهولة وانزال امداداتهم ومبعوثيهم إلى الملك الحبشى فى مصوع وزيلع ودهلك بالإضافة إلى تحقيق هدفهم الصليبى الأول وهو الوصول إلى مكة والمدينة والعبث بالمقدسات الاسلامية وقد أورد ابن اياس بأن الشريف بركات أمير مكة قبض على ثلاثة أشخاص من الفرنج فى عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م دخلوا إلى مكة متنكرين فى زى المماليك واتضح للشريف بأنهم جواسيس من الفرنجة فأرسلهم إلى السلطان المملوكى .(١)

مما يؤكد أن عزم البرتغاليين على مهاجمة الحرمين الشريفين كان عزما أكيدا اتخذوا له كافة الوسائل والاستعدادات وظنوا أنهم بذلك سوف يخضعون المسلمين جميعا .(٢)

بدأ البوكيرك فى تنفيذ سياسته تجاه البحر الاحمر عندما كان قائدا لاحد الاساطيل البرتغالية قبل أن يصبح نائبا للملك فى الهند فاستولى على جزيرة سوقطرة التى تقع بالقرب من مدخل البحر الاحمر عام ٩١٣هـ / ١٥٠٧م وذلك لمراقبة الأوضاع التجارية وانتهاز الفرصة للهجوم على بوابة البحر الاحمر عدن .

---

(١) ابن اياس ،نفس المصدر ،جـ٤ ،ص ١٩١ .

(٢) Stripling, The Ottoman Turks and The Arabs, P. 34; حسن احمد محمود ، التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب ،مجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٢ لعام ١٩٨٠م ،ص ٢١٧ ؛ الشاطر بصيلى ، الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال ،ص ١٣٧ .

كما أن سوقطره كانت مركزا للهجوم على السفن التجارية الداخلة الى البحر الاحمر والاستيلاء عليها .

وقد عين البوكيرك نائبا للملك البرتغالى فى الهند عام ٩١٥هـ / ١٥٠٩م ، وقام بالهجوم على عدن عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م بعد أن تأكد له أن عدن هى بوابة البحر الاحمر وليست سوقطرة وأن الاستيلاء على عدن سوف يحول دون وصول المماليك لمهاجمة البرتغاليين على الساحل الهندى وبذلك يتم ضرب الدولة المملوكية اقتصاديا وعسكريا .

وفى يوم الخميس السادس عشر من شهر المحرم عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م وصل البوكيرك بأسطوله المكون من ثمان عشرة سفينة ودخل البرتغاليون ميناء عدن وحاصروا المدينة وكان الوالى على عدن مرجان الظافرى من قبل السلطان عامر بن عبد الوهاب من بنى طاهر المقيم فى زبيد . ولم يبذل مرجان أى جهد للتصدى للغزاة البرتغاليين مما عرضه لنقمة المحيطين به بل لقد أرسل إلى البرتغاليين المؤن والهدايا على أمل أن يتركوا الميناء ولكن البوكيرك أجابه بأنهم لم يأتوا للتزود بالمؤن ولكن للاستيلاء على المدينة فإما أن يسلمها اليهم طوعا وإلا أخذوها قهرا ،وفى يوم السبت قاموا بضرب المدينة بالمدافع والبنادق كما استولوا على الزوارق والسفن التجارية المحملة بالبضائع والموجودة بالميناء ثم نصبوا السلالم على سور المدينة وتسلق أربعون برتغاليا جدران السور ودخلوا إلى المدينة واستولوا على حصن الخضراء فهاجمهم المسلمون مستخدمين اسلحتهم البسيطة والحجارة بينما تراجع مرجان الظافرى وقد استبد به الرعب وتحصن بقصره، و بعد مجهود من المحيطين به اقنعوه بالتصدى للبرتغاليين فخرج هو والمسلمون لقتالهم والحقوا بهم الهزيمة فتدافع البرتغاليون إلى السور يحاولون الفرار وأدى ازدحامهم على السلالم إلى تحطمها مما دفع الباقين إلى الالقاء بانفسهم من فوق السور وهم مثقلون باسلحتهم وأرديتهم الحربية الثقيلة وقد قتل بعض البرتغاليين ومنهم اثنان من القادة وجرح الكثيرون وانتقم الصليبيون لهزيمتهم بأن قصفوا المدينة بالمدافع فدمروا حوالى عشرين منزلا فوق سكانها واشعلوا النيران فى الميناء فأتت على المراكب الموجودة به ثم تركوا عدن وهم يجرون أذيال الخيبة والفشل .

بعد ذلك توجه البوكيرك إلى المخاشم البقعة والمتينة والحديدة ـ وكلها على ساحل اليمن ـ ولم يهاجم اية واحدة منها لأن الاهالى كانوا مستعدين لملاقاته فالقى مراسيه فى جزيرة كمران فى اوائل شهر صفر وبعد أن نهبها بقى فيها حتى منتصف جمادى الاولى ثم عاد لمهاجمة عدن مرة اخرى . وانفصل عن اسطول البوكيرك سفينتان توجهتا إلى زيلع حيث أضرمتا النيران بالميناء ثم عادت للانضمام الى بقية الاسطول المحاصر لعدن .

أحرق البرتغاليون حوالى العشرين مركبا فى الميناء ثم انتهزوا فرصة طول الظلام فنزلوا فى الزوارق لمهاجمة المدينة ولكن أهل عدن وحراسها كانوا لهم بالمرصاد فوقعت معركة على الساحل بين الطرفين انهزم فيها البرتغاليون وقتل وجرح كثير منهم ،واستخدم المسلمون فى هذه المعركة المدافع التى دمرت كثيراً من سفن الاعداء . عندئذ قرر البوكيرك الرحيل إلى الهند وترك عدن لمهاجمتها مرة اخرى فى وقت لاحق .(١)

وبعد وفاة البوكيرك عام ١٥١٥م أسند منصب نائب الملك فى الهند إلى خليفته لوبو سواريز دى البيجاريا Lopo Soarez de Albegaria فعكف على تنفيذ نفس المخطط الذى وضعه البوكيرك من قبل وهو اغلاق منافذ التجارة الاسلامية فى الخليج العربى والبحر الاحمر لذلك قرر فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م مهاجمة عدن مرة أخرى كما قرر مهاجمة جده وضرب الاسطول المملوكى الموجود فى البحر الاحمر والمهيأ للتوجه إلى الساحل الهندى .

ورافق سواريز فى حملته إلى البحر الاحمر المبعوث الحبشى ماثيو والمبعوث البرتغالى دوارتى جالفاو Duarte Galvao لكى ينزلا فى مصوع .

---

(١) بامخرمة ،قلادة النحر،ج٣ تحقيق محمد عبد العال ،ص ١١١-١٢٥؛ ابن الديبع قرة العيون ،ج٢ ،ص ٢١٦-٢١٨؛ ايضا ، الفضل المزيد ،ص ٣٤٥-٣٤٨؛ ابن المطهر روح الروح ، ق٢٨ - ٢٩ ؛ يحي بن الحسين ، ابناء ابناء الزمن ،ق ٤١؛ ايضا غاية الامانى ،ج٢ ،ص ٦٤٠؛ ابن داعر ، الفتوحات المرادية ،ق ١٦٦ - ١٦٧؛ حسن احمد محمود ، التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب ،ص ٢٢٢؛

Barbosa, op. cit., Vol.I , P. 57.

كان أسطول سواريز يتكون من أربعين سفينة عليها الغا جندى وكانت تضم ثمان سفن من حاملات المدافع . ولما رسا فى ميناء عدن فى الرابع من مارس عام ١٥١٧م استقبله الامير مرجان الظافرى مرحبا وقدم له ما يحتاجه من المؤن والمرشدين لإرشاده إلى الطريق لجده فاكتفى سواريز بذلك ولم يحاول الهجوم على عدن والاستيلاء عليها لأن هدفه الراهن هو الوصول إلى جده والاستيلاء عليها وتدمير الاسطول المملوكى .

أما موقف الامير مرجان الظافرى من حملة لوبو سواريز وإمداده بما يحتاجه للهجوم على جده فهو موقف يفسره الحقد الذى كان يملأ صدر الظافرى ضد الامير سلمان والامير حسين الكردى لانهما حاولا الاستيلاء على عدن قبل قدوم حملة سواريز وتحطيمهما تحصينات المدينة بالمدافع ولكنهما تراجعا خائبين إلى جده مرة أخرى ويقدم لنا بامخرمة المؤرخ المعاصر للاحداث عرضا للاحوال السائدة فى عدن عند قدوم حملة لوبو سواريز فيقول : " وفى هذه السنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) ، وصل الفرنج من الهند إلى بندر عدن فى ثلاثين خشبة مظهرين النجدة لأهل عدن على المصريين ولم يغيروا شيئا فى البندر ولا غيره ونزل منهم جماعة إلى الساحل وواجههم الامير مرجان بالساحل وقدم لهم الضيافة العظيمة إلى مراكبهم وطلبوا ربابين تسير بهم إلى جده فدفع اليهم الامير جماعة ربابين من أهل الشام بالكره من الربابين لذلك بعد أن أخيفوا وتجوروا فلم يعذرهم الامير فى ذلك كفاية لشر الفرنج " (١)

وفى ٧ مارس ١٥١٧م عبر سواريز باب المندب متوجها إلى جده وفى الطريق استولى على عدة سفن تجارية وعند وصوله وجد الامير سلمان مستعدا له وفى تلك الاثناء هبت الرياح العاصفة بحيث لم يتمكن سواريز من الرسو بميناء جده فسار الامير سلمان بسفنه لمهاجمة البرتغاليين على بعد ثلاثين كيلو مترا من

---

(١) بامخرمة ،نفس المصدر ،ص ١٩٧ - ١٩٩ .

الميناء واستطاع بمدافعه أن يدمر ثلاث سفن برتغالية وهنا اقلع سواريز هاربا بما بقى من سفنه باتجاه اليمن وطارده الامير سلمان حتى ميناء اللحية باليمن واستولى على احدى السفن البرتغالية واسر من عليها من البرتغاليين وارسلهم إلى القاهرة . (١)

اتجه سواريز بعد ذلك إلى كمران ولكنه فقد طريقه فى البحر الاحمر بحيث وجد سفنه بالقرب من سواكن فنزل البرتغاليون بها بحثا عن الماء فلم يجدوا شيئا منه فتوجهوا إلى جزر دهلك بعد أن أشار عليهم بذلك سفير الحبشة ماشيو الذى كان يرافق الحملة . وفى دهلك مكثوا لمدة شهر ثم أبحروا باتجاه كمران حيث عاثوا فيها فسادا فنهبوا واحرقوا ما شاء لهم واثناء انتظارهم فيها انتشر الوباء بينهم فمات عدد كبير من الجند كما لقى السفير البرتغالى جالفاوحتفه،وهكذا لحقت الاضرار والخسائر الفادحة بأسطول لوبوسواريز . بعد ذلك ابحر متجها إلى باب المندب وقبل تركه للبحر الاحمر أراد الوصول إلى زيلع لمهاجمتها وتدميرها لكى يقدم نوعا من المساعدة للملك الحبشى إذ أن زيلع كانت ميناء لاقليم عدل مركز المجاهدين المسلمين فى دول الطراز الاسلامى وفى تلك الفترة كانت الحرب على أشدها بين المسلمين والاحباش وبالفعل تمكن لوبو سواريز من إحراق زيلع وتدميرها وبذلك أوقف المسلمون هجماتهم ضد مملكة الحبشة لبعض الوقت .

ثم توجه سواريز إلى عدن لمهاجمتها فوجد أميرها قد أعاد تحصينها ودعم دفاعاتها فى فترة غياب سواريز فى البحر الاحمر هذا بالاضافة إلى تدهور حالة الاسطول البرتغالى وانهيار الروح المعنوية بين الجند فاكتفى بما زوده به أميرها مرجان الظافرى من المؤن وعاد أدراجه إلى الهند .(٢)

---

(١) بامخرمة ،نفس المصدر ، ص ١٩٩ - ٢٠٢؛ ابن اياس ،نفس المصدر ،جه ،ص ٢٠٣؛ زين الدين ،تحفة المجاهدين فى بعض احوال البرتكاليين ،ص ٤٩؛يحي بن الحسين ،غاية الامانى ،ج٢ ،ص ٦٥٨ .

(٢) Barbosa, op. cit., Vol.I, P. 35; Kammerer, op. cit., 1 ere partie, PP. 265-274; Serjeant, op. cit., P. 17;

محمد البحراوى ، فتح العثمانيين عدن ،ص ٧٨-٨٠؛غسان الرمال ،نفس المرجع ، ص ٢٦٠-٢٦٢؛حسن احمد محمود ،التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب ، ص ٢٢٣.

ولكن الفشل الذى لحق بلوبو سواريز فى حملته على البحر الاحمر لم يثنه عن عزمه فى إعادة المحاولة مرة اخرى .

فبعد تحطيم زيلع واحراقها كانت بربرة هى هدفه الثانى ولكن الخسائر الكبيرة التى منى بها وتدهور حالة جنوده من الناحية الصحية والنفسية لم تمكنه من تنفيذ ما عزم عليه لذلك قرر إرجاء الامر للعام التالى .

وفى عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م بعث بست سفن من غوا بقيادة انطونيو دى سالدانها Antonio de Saldanha للاستيلاء على بربره وتحطيم سفن القوى الاسلامية فى البحر الاحمر .

وبالفعل تمكن سالدانها من الاستيلاء على المدينة ونهبها وتدميرها بدون أن يلقى مقاومة تذكر ولكن البرتغاليين لم ينعموا كثيرا بهذا الانتصار فقد تأكد لديهم أنه من المستحيل الاحتفاظ بمراكز ثابتة على سواحل البحر الاحمر بعد أن تمكن العثمانيون من ضم دولة المماليك إلى امبراطوريتهم ودخولهم القاهرة، وانتشار اساطيلهم الحربية فى البحر الاحمر، لذلك ترك سالدانها بربرة وتوجه فى نفس العام إلى هرمز ومنها إلى الهند .(١)

وفى عام ٩٢٧هـ /١٥٢٠م عاد البرتغاليون مرة اخرى الى البحر الاحمر فى حملة جديدة بقيادة ديوجو لوبيز دى سيكيرا Diogo Lopez de Sequeira نائب الملك الجديد فى الهند الذى خلف لوبو سواريز وتعود اهمية حملته الى انه استطاع ان ينزل بعثة برتغالية إلى الحبشة هى بعثة رودريجو دى ليما واعادة المبعوث الحبشى ماثيو الى الحبشة الذى لم يتمكن من العودة الى الحبشة مع حملة لوبوسواريز.

كان أسطول دى سيكيرا يتكون من ست وعشرين سفينة والف وثمانمائة مقاتل وعند دخوله إلى البحر الاحمر توقف بعدن ولكنه لم يهاجمها فقد كان يرغب فى مهاجمة جده ولكنه علم بوجود أسطول عثمانى بالقرب منها للدفاع وهو أسطول حسين الرومى الذى كان يرغب فى فرض النفوذ العثمانى على اليمن ولما علم

---

(١) Barbosa, op. cit., Vol.I, P. 33; Kammerer, op. cit., 1 ere partie, P. 274.

حسين بوصول البرتغاليين عاد مسرعا إلى جده للدفاع عنها .

ولم يتمكن دى سيكيرا من الوصول إلى جده بسبب هبوب الرياح القوية المعاكسة كما أنه فضل عدم الاشتباك مع الحشود العثمانية فيها فحول اتجاهه إلى دهلك ثم إلى زيلع حيث احرق المدينتين واتجه بعد ذلك إلى مصوع وكانت أنباء وحشيته قد سبقته إلى المدينة ففر سكانها منها مما اتاح الفرصة للبعثة البرتغالية برئاسة دى ليما للنزول إلى الاراضى الحبشية برفقة السفير الحبشى ماثيو .

وبعد أن أتم دى سيكيرا مهمته عاد متجها إلى عدن حيث زوده حاكمها مرجان الظافرى بما يحتاجه من مؤن وتوجه إلى هرمز .(1)

وفيما بين عامى ٩٢٧هـ - ٩٣٣هـ / ١٥٢٠م - ١٥٢٦م حاول البرتغاليون مرتين إرسال حملات إلى البحر الاحمر لإعادة بعثة دى ليما إلى الهند لمعرفة نتائج تلك البعثة ومباحثات التحالف بين الجانبين الحبشى والبرتغالى إلا أن تلك الحملتين بقيادة دوم لويس Dom Luis فى عام ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م الذى استطاع مهاجمة ميناء الشحر فى حضرموت ونهبه والاخرى كانت فى عام ٩٣١هـ / ١٥٢٤م بقيادة دى سيلفيرا De Silveira الذى تمكن من مهاجمة ميناء عدن وفرض الجزية على حاكمها .

وبعد مرور عامين من الحملة الاخيرة وبالتحديد فى عام ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م ، أرسلت حملة برتغالية إلى البحر الاحمر لاعادة بعثة دى ليما بقيادة هيكتور دى سيلفيرا Hector de Silveira الذى مر فى طريقه على حضرموت واستولى على ظفار وخربها ثم دخل البحر الاحمر واستولى على دهلك ومصوع وفرض على المدينتين جزية سنوية تؤدى إلى ملك البرتغال وفى حرقيقو تمكن من التقاط بعثة دى ليما ومعهم سفير جديد من الحبشة

---

(١) بامخرمة ، نفس المصدر ، ص ٢١٣-٢١٧؛ يحيى بن الحسين ، غاية الامانى ، ص ٦٦٣ ؛ Kammerer, op. cit., 1 ere partie, PP. 277-279; Serjeant, op. cit., PP. 352 - 353.

الى البرتغال .(١)

وقد واصل البرتغاليون إرسال الحملات إلى البحر الاحمر للقضاء على الاساطيل العثمانية الموجودة فيه بالاضافة إلى ايجاد مراكز برتغالية على الساحل الحبشى لمواصلة انزال السفارات إلى الملك الحبشى والمحافظة على الصلة بين الطرفين ففى عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م أبحر القائد انطونيو دى اميراندا Antonio de Amiranda من غوا فى عشرين سفينة قاصدا مدخل البحر الاحمر لاعتراض السفن الاسلامية الداخلة اليه وفى طريقه مر بالشحر لمهاجمتها ولكنه لم يستطع لوجود السفن العثمانية بالقرب منها فواصل دى اميراندا طريقه إلى زيلع فدمرها وعاد إلى الخليج العربى .

وهكذا استمرت محاولات البرتغاليين للاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية (الشحر وحضرموت) وعدن وجده عدة سنوات متتالية دون أن يحققوا نتائج ايجابية تذكر فقد وقفت الاساطيل العثمانية لهم بالمرصاد .(٢)

كذلك لم يستطع البرتغاليون التوغل شمالا فى البحر الاحمر حتى عام ١٥٤١م عندما قاد نائب الملك فى الهند استفاو دى جاما Estevao de Gama اسطولا ضخما ودخل به إلى البحر الاحمر لانزال الامدادات العسكرية البرتغالية لملك الحبشة وهى عبارة عن اربعمائة جندى لنجدة الملك الحبشى لبنادنجل ضد الإمام احمد بن ابراهيم ووضع هذا الجيش تحت قيادة اخيه كريستوفاو دى جاما Christovao de Gama .
وصل استفاودى جاما إلى سواكن فهرب سكانها وملكها إلى الداخل تاركين المدينة ولكن الملك عادواكرم وفادة دى جاما حتى لا يدمر المدينة ولما علم بنية القائد البرتغالى فى الوصول إلى السويس وتدمير الدفاعات العثمانية بها أرسل سراً من يخطر أهلها بقدوم البرتغاليين .

---

(١) Alvarez, op. cit., PP. 360 - 363; Kammerer, op. cit., 1 ere partie, PP. 332-333;
غسان الرمال ،نفس المرجع ، ص ٢٦٨ – ٢٧٠ .

(٢) خضع جنوب شبه الجزيرة للنفوذ العثمانى بين عامى ١٥٣٨ – ١٥٣٩م، انظر الشيلى ، السنا الباهر ،ق ٤٠٤ – ٤٠٥؛
Serjeant, op. cit., PP. 28-29.

ولكن دى جاما اكتشف ما فعله ملك سواكن فانتقم منه بأن هاجم مدينة سواكن بالف جندى وانزلوا مذبحة كبيرة بالسكان ونهبوا المدينة بحيث حصل كل جندى على أربعة او خمسة آلاف كروزادوثم أحرق المدينة بكاملها ٠

بعد ذلك توجه ستيفن دى جاما إلى ميناء الطور فتصدى لهم العثمانيون ووقعت معركة بين الطرفين انتصر فيها البرتغاليون ولكن خاب أملهم فى نهب الغنائم حيث لم يجدوا فى المدينة شىء يذكر ٠

ثم توجه القائد البرتغالى إلى السويس لمحاصرتها وتدمير مركز بناء الاساطيل العثمانية بها وتجهيزاتهم الحربية وقد نصب الاتراك له كمينا بحيث تركوه ينزل إلى اليابسة لمهاجمة المدينة ثم طوقوه بمائتين من الجنود واستخدموا فى قتالهم مع البرتغاليين المدافع والبنادق والحق العثمانيون بهم هزيمة منكرة وحملوهم على التراجع بعد أن اصيبوا بخسائر كبيرة ٠

وهكذا تراجع دى جاما الى مصوع وأنزل الامدادات العسكرية لملك الحبشة ثم عاد ادراجه الى الهند ٠(١)

بعد حملة ستيفن دى جاما قرر العثمانيون مضاعفة قواتهم فى البحر الاحمر ومنع اى سفينة برتغالية من الدخول اليه والقضاء على أية محاولة للاتصال بين الاحباش والبرتغاليين وبعد هذا التاريخ تصدى العثمانيون للسفن البرتغالية وأجبروها على التراجع وخاصة بعد أن استولوا على مصوع وحرقيقو عام ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م وجدير بالذكر أن الحملات البرتغالية لم تتوقف ولكنها لم تحقق أية مكاسب فى البحر الاحمر وهى على النحو التالى :-

- حملة لويس فيجويرا Luis Figueyra عام ٩٥٧هـ /١٥٥٠م٠
- حملة جون بيكسوتو John Peixoto عام ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م
- حملة كرستوفاو هوميم بيريرا Christovao Homem Pereyra عام ٩٦٨هـ /١٥٦٠م

---

(١) Sousa, op. cit., Vol.II. PP. 21-23; Serjeant, op. cit., P. 19 ؛ السيد رجب حراز ،نفس المرجع ،ص ٢٩ ؛ غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٢٧١-٢٧٥ ٠

- حملة هيروم دى مسكارينهاس Hierome de Mascarenhas
عام ٩٨٩هـ / ١٥٨١ م
- حملة رو ى دى كامارا Ruy de Camara
عام ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م .(١)

(١) Sousa, op. cit., Vol.II, PP. 151,203;
Vol.III, PP. 29-30;
غسان الرمال ، نفس المرجع ، ص ٣٠١ - ٣١٧ .

الفصل الثالث

قيام حركة الجهاد الإسلامي في شرق أفريقية

"في القرن العاشر الهجري"

أولاً : أسباب قيام حركة الجهاد الاسلامي .

ثانياً : مراحل توحيد القوى الاسلامية في شرق أفريقية في القرن العاشر الهجري (٨٩٤هـ - ٩٣٦هـ / ١٤٨٨م - ١٥٢٩)

أولا : أسباب قيام حركة الجهاد الاسلامى :

تعتبر حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى حلقة من سلسلة حركات الجهاد ضد الصليبيين فى تلك الفترة فأينما وجد الاعتداء الصليبى كانت القوى الاسلامية تهب لرد الاعتداء سواء فى البحر الاحمر أو جنوب شبه الجزيرة العربية أو الخليج العربى أو الساحل الغربى للهند .

وشرق افريقيه هى إحدى المناطق الاسلامية التى ابتليت بالمؤامرات الصليبية والعدوان الصليبى ،فكان من الضرورات الملحة قيام حركة جهادية كبرى يقوم بها المسلمون هناك للقضاء على التهديد المستمر من مملكة الحبشة النصرانية ضد المسلمين خاصة بعد اتصال البرتغاليين بالاحباش ووضع بنود التحالف القائم بينهما موضع التنفيذ . وقد نصت تلك البنود على القضاء على المسلمين فى بحار الشرق والاستيلاء على الاماكن المقدسة الاسلامية فى مكة والمدينة والقضاء على الدويلات الاسلامية المحيطة بالحبشة (١) .

ولقيام حركة الجهاد اسباب عديدة بالاضافة الى مواجهة العدوان الصليبى فهناك الحفاظ على تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجتمعات الاسلامية والحفاظ على كرامة المجتمع المسلم فى شرق افريقيه ،وتأمين القوة والحرية له وتأمين السبل لنشر العقيدة الاسلامية فى الحبشة ،واخيرا الحفاظ على الازدهار الاقتصادى فى المجتمعات الاسلامية فى شرق افريقيه .

اما بالنسبة لاهم هذه الاهداف وهو مواجهة العدوان الصليبى فقد حثت الشريعة الاسلامية بنصوص القرآن الكريم والاحاديث الشريفة على مواجهة العدوان بالمثل ويصبح القتال فى هذه الحالة فرض عين على كل مسلم حسبما أشار الى

(١) انظر ماسبق من ص ٩٤ وما بعدها .

ذلك بعض العلماء المسلمين .(١)

يقول الله عز وجل فى كتابه الكريم : " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين " (٢)

وقال تعالى ايضا : " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين " (٣)

ويقول عز وجل : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " (٤)

وكما هو معروف فقد لعبت الحبشة دور حامية المسيحية فى الشرق عدة قرون واستمرت فى الهجوم والعدوان على الدويلات الاسلامية فى شرق افريقيه لتأكيد هذا الدور والظهور بمظهر البطولة امام بقية العالم الغربى النصرانى .(٥)

وقد قامت الحبشة بهذا الدور منذ أواسط القرن السادس الهجرى (١٢م) ، عندما بدأ ميزان القوى فى الحروب الصليبية يميل لصالح المسلمين فى مصر والشام والبحر المتوسط وبدأ الصليبيون يواجهون الهزائم المتتالية على ايدى المسلمين .

وقد استغل الأوروبيون وجود هذه المملكة النصرانية وسط الدول الاسلامية للتحالف معها بهدف القضاء على القوى الاسلامية المجاورة لها . وكما هو معروف

---

(١) انظر ابن كثير ، الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ص ٦٢ - ٧٢ ؛ محمود محمد على الجهاد فى التشريع الاسلامى ، ص ٥٣ ؛ صالح اللحيدان ، الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع ، ص ١٤١ .

(٢) سورة التوبة آية (٣٦).

(٣) سورة التوبة آية (١٢٣).

(٤) سورة البقرة آية (١٩٤).

(٥) Tamrat, op. cit., P. 179.

فالاتصالات بين أوروبا والحبشة تعود الى عصر الحروب الصليبية فى الشام حيث أقام الاحباش ديرا لهم فى بيت المقدس كان نواه الاتصال بين الحبشة وأوربا النصرانية .

وبعد اندحار الصليبيين من الشام لم ييأسوا من الرجوع مرة اخرى إلى بيت المقدس ولكن بالتعاون مع الاحباش فى هذه المرة .(١)

وكان على المسلمين فى شرق افريقيه مواجهة هذا الخطر الصليبى المشترك فى القرن العاشر الهجرى (١٦م) فقامت الدويلات الاسلامية فى شمال الساحل الشرقى لافريقيه وعلى رأسها سلطنة هرر بمواجهة العدوان الحبشى ،كما قامت الدويلات الاسلامية فى جنوب الساحل بمواجهة العدوان البرتغالى . لذلك شهد القرن العاشر الهجرى حركة جهاد كبرى خاضها المسلمون بعقيدة قوية وعزيمة ثابتة رغم الخسائر والهزائم المتتالية التى حلت بهم . ونورد فيما يلى بعضاً من اعترافات رجال الدين المسيحى والمؤرخين الاوروبيين والتى تصف الروح الصليبية الحاقدة التى كان يواجهها المسلمون فى شرق افريقيه فى تلك الفترة والتى دفعتهم إلى رفع راية الجهاد طلبا لاعادة الحق الى نصابه وعزة الاسلام والمسلمين .

يصف الراهب اليسوعى فرانسيس اكسافيير Francis Xavier ماليندى فى عام ١٥٤٢م عندما مر بشرق افريقيه وهو فى طريقه إلى الهند .(٢)

---

(١) حسن احمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ،ص ٤٤٢ – ٤٤٣ ؛ Tamrat, op. cit., P. 178.

(٢) ارسل اكسافيير هذه المعلومات فى رسالة بعث بها من غوا على الساحل الهندى الى القيادة اليسوعية Jesuites . فى روما فى ٢٠ سبتمبر من عام ١٥٤٢ م.

فيقول : " إن النصارى الذين يموتون هناك يدفنون فى قبور كبيرة تقام فوقها الصلبان ولقد أقام البرتغاليون على مقربة من هذه المدينة صليبا كبيرا من الحجر وهو مطلى بالذهب وفى غاية الجمال .

والله يعلم مدى الراحة التى لقيناها عند رؤيتنا له وادركنا كم هى عظيمة قوة الصليب ،ينتصب وحيداً ومنتصراً فى بلاد الإسلام . " (١)

وجاء فى رسالة الملك الحبشى لبنادنجل إلى الملك البرتغالى دوم جواو والتى بعث بها إليه عام ١٥٢٦م ما يلى : " سيدى لا تكل من قتال المسلمين والوثنيين لأنك بعون الرب ستدمرهم . لا تقل إن قواتك أقل من قوات والدكم وذلك لأنها كبيرة وسيكون الرب فى عونك . إن لدي من الرجال ومن الذهب ومن المؤن عدد حبات رمال البحر ونجوم السماء واننا مجتمعين سندمر جميع دولة الإسلام ." (٢)

وأيضا جاء فى رسالته إلى نائب الملك البرتغالى فى الهند ديوجو لوبيز دى سيكيرا والتى ارسلها فى نفس العام :
" سابعث لكم طيلة حياتكم بالعون لخوض الحرب وسأمدكم بالرجال والمؤن والذهب .... لتهزموا أبناء محمد الهراطقة ولقد تمكنت بعون سيدتنا الملكة القديسة مريم أن أهزمهم وستهزمونهم أنتم ايضا . هاجموهم من البحر وسنهاجمهم من البر . " (٣)

اما السير واليس بدج Sir Wallis Budge فيقول :
" إن النصارى الأحباش يكنون لأتباع الرسول محمد كرها شديدا لا يموت " (٤)

---

(١) Epistolae St. Francisci Xavieri, (1535 - 48) Tr. by W. Allen " In East African Coast (Select Documents) edited by Freeman & Grenville." P. 135.
(٢) Alvarez , op. cit., P. 399.
(٣) Alvarez, op. cit., P. 374.
(٤) Budge, op. cit., Vol.I, P. 330.

ويؤكد الباحثان ديفى و وينيوس Diffie & Winius الاهداف الصليبية بالنسبة للبرتغاليين بقولهما :-

" كان البرتغاليون يولون النصرانية رعايتهم فى كل مكان من نصف الكرة الارضية الأسيوى والأفريقى التابع لهم ... وهم يعتبرون ذلك بمثابة ضرب من الفرائض السماوية يدعمها التأييد البابوى ." (١)

أما بالنسبة إلى المصادر الإسلامية فلم تغفل عن الاشارة إلى الاهداف الصليبية للأحباش فى مهاجمتهم للمسلمين فى شرق افريقيه فيذكر المقريزى ما فعله الملك الحبشى اسحاق بن داود ضد المسلمين فيقول :-

" ثم كتب إلى ملوك الإفرنج يحثهم على ملاقاته لازالة دولة الاسلام وواعدهم على ذلك ." (٢)

وقد فسر ترمنجهام Trimingham أهداف الجهاد الاسلامى بعدة تفسيرات أول هذه التفسيران بأن الجهاد حركة توسعية قامت بها القبائل البدوية الرحل للبحث عن اراضى خصبة جديدة فيقول : -

" بدأ زمام المبادرة فى الصراع ينتقل إلى أيدى القوى السواحلية المسلمة التى كانت قوة توسعها تكمن فى القبائل الرحل الباحثة دوما عن أراضى خصبة غير أراضيهم المجدبة ."(٣)

وفى موضع آخر يقول :

" ولم يتغير الموقف إلا عندما أصبحت هرر القاعدة الرئيسية للمسلمين ..لان هرر كانت على اتصال مباشر بقبائل عفار والصومال المولعة بالقتال والتى كانت تبحث دوما عن طريقة توسع بها مناطقها ذات المناخ القاسي الذى

---

(١) Diffie & Winius, op. cit., P. 340.

(٢) المقريزى ، الالمام ، ص ٥ وايضا ، السلوك ، جـ٤ ، ق ٢ ، ص ٦٤٩، وايضا العسقلانى نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٣) Trimingham , op. cit., P. 79.

لا يشجع على المعيشة ." (١)

وقد لقى هذا الرأى تأييدا من بعض الباحثين موءكدين على هذه النظرية .(٢)

وهذا الرأى بلا شك بعيد عن الصواب فقد استعان المجاهد احمد بن ابراهيم فعلا بقبائل عفار والصومال فى جهاده الكبير فى الحبشة لأنها قبائل تتميز بالصلابة والتمرس على القتال والصبر ،ثم إن هذه القبائل كانت قد أسلمت منذ فترة طويلة ولم يدفعها للخروج مع الامام سوى الرغبة فى الجهاد فى سبيل الله فلو أنها خرجت للبحث عن اراضى خصبة لكانت قد اجتاحت الحبشة قبل إسلامها كما فعلت قبائل الغالا الوثنية فى أواخر القرن العاشر الهجرى .

والتفسير الثانى الذى وضعه ترمنجهام لحركة الجهاد هو صلة المسلمين فى شرق افريقية بالعالم الاسلامى وأن هذه الصلة هى التى كانت تمد المسلمين في شرق افريقية بالمعونة لمواصلة الحروب ضد مملكة الحبشة . فيقول : " على الرغم من أن السلطنات كانت تهزم باستمرار إلا أنها كانت دوما تستعيد نشاطها بسبب روابطها مع العالم الاسلامى الأوسع ." (٣)

ولا ننكر نحن الصلات العميقة بين أجزاء العالم الاسلامى وخاصة الصلة الروحية التى كانت تربط مسلمى شرق افريقيه مع بقية المسلمين وعلى الاخص المسلمين فى شبه الجزيرة العربية ومصر إلا أنها لم تتعد هذه الصفة إلا فى الفترات الحرجة والتى كان يشعر فيها أمراء المسلمين فى شرق افريقيه بأن الدمار والهزيمة سيحيقان بالمسلمين المحيطين بالحبشة عندئذ يسارعون بطلب النجدة من إخوانهم كما حدث عندما استنجد أبناء سعد الدين بملوك اليمن فى القرن التاسع الهجرى ،وكما حدث عندما استنجد الامام احمد بن ابراهيم

---

(١) Trimingham, op. cit., P. 69.

(٢) انظر الشاطر بصيلى ،تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ،ص ١٨٨.

(٣) Trimingham , op. cit., PP. 75-76.

بالعثمانيين الموجودين آنذاك باليمن أيضا وهذا العون بلا شك ضرورى بين أبناء الأمة الاسلامية الواحدة . كما أن هذا التعاون ضرورى لمواجهة التحالف الأوربى الحبشى الذى استمر قرون عديدة .

أما التفسير الأخير الذى وضعه ترمنجهام لحركة الجهاد والذى اخذ به بعض الباحثين هو أن الحرب الناشبة بين المسلمين والأحباش كان صراعا على السيادة السياسية على أكبر قدر من الأراضى .(١)

ومما لا شك فيه أن مملكة الحبشة النصرانية كانت تهدف الى الاستيلاء على الأراضى الاسلامية وتحويل المسلمين بها إلى النصرانية بالقسوة والاضطهاد ولو لم يتصد لهم المجاهدون المسلمون لتحقق لهم هذا الامر بكل سهولة ويسر .(٢)

إذن فحركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه تمثل فى المقام الاول محاولة الحفاظ على العقيدة الاسلامية والدفاع عنها واسترداد ما سلبه الاحباش من الأراضى الاسلامية وضمان أمن وحرية المسلمين فى اراضيهم .

أيضا من أسباب قيام حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه هو الحفاظ على حرية وكرامة المجتمع الاسلامى فقد حرص المسلمون على تطبيق الشريعة الاسلامية فى مجتمعاتهم لأن الإسلام عقيدة وأسلوب حياة ولأن تطبيق الشريعة يكفل للمسلم حريته فى العبادة وفى الامور الاجتماعية الاخرى فى ظروف حياة آمنة مستقرة .

---

(١) Trimingham , op. cit., P. 65;
انظر ايضا ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ١٦ – ١٧ ، ٤٥ ، وايضا محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ،ص ٣٢ .

(٢) توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ،ص ١٣٥ – ١٣٦ .

وهذا الأمر لم يتوفر للمجتمعات الاسلامية وهى خاضعة للسيطرة الحبشية النصرانية لذلك قامت حركة الجهاد الإسلامى امتثالا لقول الله سبحانه وتعالى :
" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . " (١)

ولقد شكا أهل هدية معاناتهم من السيطرة الحبشية للإمام احمد بن ابراهيم بقولهم :
" وحكم علينا ألا نلبس عدة الحرب ولا نمسك السيف ولا نركب خيولنا بالسروج الا على متن ظهورها وحكم علينا أن نعطيه البنت ونعطيه مخافة أن يقتلنا ويخرب مساجدنا وإذا أرسل الينا الذى يتقبل البنت والمال اخرجنا له البنت على السرير ونغسلها ونكفنها بثوب ونصلى عليها ونحسب انها ميتة ونعطيها له ." (٢)

ويشير الفاريز Alvarez إلى هذه الجزية بقوله :
" كان الملوك يتخذون زوجة أخرى من بنات ملك دنكلى (الدناقل) ومن بنات ملك عدل ومن بنات ملك هديه ."(٣)

وهكذا نجد أن كرامة المسلمين كانت تمتهن بشكل مستمر فكون المسلم يدفع جزية من المال لغير المسلم كان ذلك كافيا لإلحاق العار بالمسلمين فكيف إذا اشترطت الجزية اعطاء الملك الحبشى صفوة بنات ملوك المسلمين ينصرها الملك لنفسه ويتخذها زوجة له لانجاب ذرية من تلك الزوجات يناصبون المسلمين العداء .

---

(١) سورة التوبة آية (٢٩).

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٨١ .

(٣) Alvarez, op. cit., P. 110;

لم يثبت من المصادر العربية أن عدل كانت تدفع لملك الحبشة هذا النوع من الجزية بل الثابت أن هدية هى التى كانت تقدم بنات ملوكها كنوع من الجزية للملك الحبشى .

وقد صور بعض الباحثين هذه الزيجات على أنها أمر طبيعي وأن خضوع المسلمين للأحباش أمر لا بأس به فمثلا يرى البعض ما يلي :-
" اما عن وضع المسلمين عموما وكيانهم فى هيكل البنيان الحبشى فانه كان وضعا لا بأس به فان جماعات كثيرة منهم كانت خاضعة مباشرة لسلطان ملوك الحبشة لا يناصبونهم العداء كما وصل عدد كبير من المسلمين إلى بلاط ملوك الحبشة فعملوا فيه .... وكان طبيعيا جدا أن يحدث هذا الاتصال الشخصى المباشر بين المسلمين والأحباش آثاراً اجتماعية ولعل أقرب مثل على ذلك ما كان يتم من مصاهرات بين أسر الطرفين ،ومن هذا زواج ملك الحبشة بثيد ماريام من امرأة عربية ." (١)

وهكذا قامت حركة الجهاد الاسلامى للدفاع عن كرامة المسلمين وحريتهم فى أوطانهم ويشير إلى ذلك عرب فقيه فيقول :
" وكانت الكفرة فى زمان سعد الدين وفى زمان من تولى هرر بعده وفى زمان الجراد ابون يغزون بلاد المسلمين وقد أخربوها مرارا كثيرة حتى انه كان فى بعض بلاد المسلمين ناس يسلمون لهم الخراج إلى أن تولى الامام احمد ومنعهم من ذلك وفتح بلادهم ." (٢)

ومن أهم أهداف الجهاد الاسلامى عامة هو تأمين سبل نشر العقيدة الاسلامية خاصة إذا اعترض سبيلها اجواء من الحقد والكراهية والاضطهاد لمن أسلم كما هو حال الدعوة الاسلامية فى شرق افريقيه .

قال الله تعالى : " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ."(٣)

---

(١) محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ،ص ٣١ .
(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٨ .
(٣) سورة البقرة ، آية (١٩٣).

فالجهاد شرع فى الإسلام لوقف اضطهاد الناس واجبارهم على تجنب الدخول فى الاسلام ودفع الضرر عمن أسلم حتى لا يحمل على الارتداد عن دين الله ، وتمهيد الطرق والسبل أمام الدعاة لمباشرة رسالتهم ألا وهى الدعوة الى التوحيد .(١)

ولقد تعرض المسلمون فى شرق افريقيه على مدى قرون طويلة لعمليات الاضطهاد لإجبارهم على ترك دينهم وتعذيب وقتل من أسلم منهم ليرتد عن الاسلام .

ويورد واليس بدج Wallis Budge القصة التالية عن عمليات الاضطهاد التى واجهها من أسلم من الاحباش فى منطقة بقل زر Bekuel Zar على عهد الملك عمداصيون الاول (١٣١٢م – ١٣٤٢م) .(٢) فيقول :

" وبعد مسيرة ستة أيام وصل [اى عمداصيون] الى بقل زر حيث اقام معسكره وأرسل فى طلب الحاكم المسلم وهدده بتدمير بلاده إن هو لم يسلمه كل من ارتد عن النصرانية واعتنق الاسلام . وحين جىء بهؤلاء اليه وجد أن بعضهم كانوا رهبانا وشماسين فيما كان بعضهم جنودا فى جيش الملك وحين لم يعط هؤلاء أى رد على توبيخات الملك القاسية لهم استبد به الغضب فأمر بجلد كل منهم ثلاثين جلدة بسوط من الحبال وبأن يوسموا بالعلامات التى يوسم بها العبيد على الصدر والكتفين وبأن يوضع طوق حديدى حول عنق كل منهم وبأن تقيد أيديهم بالسلاسل، ولعلمه بأن الحاكم المسلم كان يضمر الثورة فى قلبه قيد يديه بالحديد وخرب بلاده ." (٣)

وقام هذا الملك ايضا بالقبض على حاكم شرخا المسلم المدعو يوسف وأمر بحرقه حيا لأنه شارك فى ثورة دوارو التى حاولت الافلات من السيطرة

---

(١) محمود محمد على ،نفس المرجع ،ص ٤١ ؛ صالح اللحيدان ،نفس المرجع ص ١٤٤.

(٢) بقل زر اسم لنهر كبير يقع فى المناطق الحدودية بين الدويلات الاسلامية وهضبة الحبشة ، انظر عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣٩ ، ١١١.

(٣) Budge, op. cit., Vol.I, P. 297.

الحبشيـــــــــة .(١)

ويؤكد ترمنجهام بأن أحد اسباب شن الاحباش للحروب ضد المسلمين هـــو اعتناق كثير من القبائل الوثنية للاسلام مما اثار الفزع لدى الاحباش مـــن ازدياد رقعة بلاد الاسلام .(٢)

وقد حرص المسلمون فى شرق افريقيه أثناء الجهاد على دعوة الاحبـــاش للدخول فى الإسلام او دفع الجزية أو القتال ولم يكرهوا أحدا على اعتنـــاق الاسلام بل تركوا لهم حرية العقيدة ورغم ذلك فقد دخل الاحباش فى دين الـــله افواجاً عن اختيار واقتناع وذلك ما سنلمسه فيما يلى من فتوحات الامـــام احمد بن ابراهيم .

كما كان للفقهاء والدعاة دور كبير فى حركة الجهاد الاسلامى على مـــر العصور فكلما لمسوا تهاونا أو تقاعسا عن الجهاد ضد السيطرة الحبشيـــة بين المسلمين استنهضوا هممهم بتذكيرهم بما ورد فى القرآن الكريم مـــن آيات الجهاد والدعوة اليـــــه .

ففى عهد الملك عمداصيون قام شيخ اسمه صالح ويعمل قاضياً بدعوة المسلمين إلى خلع نير السيطرة الحبشية وأنكر عليهم اعطاءهم الجزية وهم مسلمـــون لنصرانى . وقد تحالف مع جمال الدين سلطان اوفات وبقية ملوك الدويـــلات الاسلامية على الجهاد فى سبيل الله ورغم الهزيمة التى لحقت بالمسلميـــن واستشهاد الشيخ صالح إلا أن الفقهاء واصلوا دورهم فى حركة الجهاد فيما بعد .(٣)

وفى القرن التاسع الهجرى سار سعد الدين ابو البركات يجاهد فى مملكـــة الحبشة ضد الملك الحبشى داود (١٣٨٢م – ١٤١١م) وكان يرافقه الشيوخ والفقهاء

---

(١) Budge, Op. Cit., Vol. I, P. 298.

(٢) Trimingham , op. cit., P. 65.

(٣) Budge, op. cit., Vol.I, PP. 292-293;

سعيد عاشور ،بعض اضواء جديدة ،ص٣٠٦ ؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجـــع ، ص٥٤ – ٥٥ .

بلغ عددهم اربعمائة شيخ .(١)

ولم تخل حركة الجهاد الكبرى فى القرن العاشر الهجرى من هذا الدور العظيم الذى لعبه رجال الفقه وعلماء الشريعة الاسلامية فيذكر عرب فقيه بأن مفتى المسلمين السيد أبو بكر بن نصر الدين بن محمد المكنى بأرشونه كان يرافق الامام احمد بن ابراهيم فى معركة صمبر كورى وباقى غزواته ،ويصفه المؤلف بأنه من الصالحين كثير القراءة لا يسير ولا يقعد ولا يقوم ولا يركب الا وهو يقرأ القرآن وهو خطيب وامام المسلمين يوم المجاهدين فى الصلاة قبل بدء القتال ولا يقرأ فى الصلاة الا آيات الجهاد .(٢)

وقد أنكر دور الفقهاء والشيوخ والائمة بعض من الباحثين وفسروا هذا الدور بتفسيرات جائرة لا تتفق مع المنطق والحقائق التاريخية لتاريخ شرق افريقيه .

من هذا قول البعض فى معرض الحديث عن الدويلات الاسلامية فى بر سعد الدين :

" واستطاع رجال الدين توجيه الافراد إلى الطريق الذى يتمشى مع نزعاتهم ورغباتهم التى ورثوها عن قبيلتهم ولم يعملوا على التخلى عنها بعد اعتناقهم دين الاسلام ،وصار بذلك ظاهرهم الإسلام وباطنهم مليء بالرواسب القبلية وكان رائد هؤلاء الفقهاء الوصول إلى كراسى الحكم عن أى طريق وبأى ثمن ..... الخ"(٣)

ونتساءل بدورنا هل الفقهاء جميعا كانوا حديثى عهد بالاسلام ؟؟

وهل نطلق لقب فقهاء ورجال الدين علي بعض المشعوذين ومن يتكسب من وراء الدين مثل محمد أبوعبد الله الذى أورد قصته كمثال وهي قصة أوردها ترمنجهام في كتابة .(٤)

---

(١) المقريزى ، الالمام ،ص ١٣ .

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٤٣ – ٤٤ .

(٣) الشاطر بصيلى ،تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ،ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٤) انظر الشاطر بصيلي،المرجع السابق ،ص ١٨٩،وانظر ايضا :
Trimingham, Op. Cit., P. 70 .

ايضا من اهم اهداف حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه:

هو الحفاظ على الازدهار الاقتصادى فى الدويلات الاسلامية . فرغم التفكك السياسى السائد بين الدويلات الاسلامية فى شرق افريقيه إلا أنها كانت غنية اقتصاديا وحضاريا ،ثم أن موقعها الممتاز الذى يطل على البحر الاحمر والمحيط الهندى قد هيأ لها أسباب هذا الرقى لسهولة اتصالها بالعالم الخارجى تجاريا عن طريق البحر وكانت التجارة أحد أهم اسباب ثرائها ورفاهيتها كما أن هذه الدويلات قد سيطرت على طرق التجارة البرية مع مصر ومع الحبشة

وقد شعر ملوك الاحباش بهذا التفوق الاسلامى فنظروا لتلك الممالك بعين الحسد وسعوا مرارا لتدميرها وفك العزلة التى أحاطت بالحبشة خاصة بعد وصول الأسرة السليمانية إلى عرش الحبشة .(١)

وقد تعرضت طرق التجارة البرية بين مصر والحبشة للمتاعب نتيجة الهجمات الحبشية على الدويلات الاسلامية ،كما تعرض التجار المسلمون للاضطهاد فى الفترات التى كانت تسوء فيها العلاقات بين مصر والحبشة فمثلا قبض ملك الحبشة سيفا ارعد (١٣٤٤م - ١٣٧٢م) على التجار المسلمين فى بلاده وأعدم بعضهم وسجن البعض الآخر وأرغم فئة أخرى على التنصر ،كما أرسل فرقة من جيشه لاعتراض طريق القوافل بين مصر والحبشة مما الحق بالتجارة ضررا بالغا .(٢)

وقد تناول بدج Budge أهداف حركة الجهاد الاسلامى بطريقة مغرضة فيقول :

" وكان الملاحون المسلمون الذين كانوا يتاجرون معهم [اى مع مسلمى

---

(١) سعيد عاشور ،بعض اضواء جديدة ،ص ٢١٠ ؛حسن احمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٥٢ ؛يوسف احمد ،نفس المرجع ،ص ٣١ - ٣٢ ؛جمال زكريا قاسم ،نفس المرجع ،ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) Budge, op. cit., Vol.I, P. 299;
حسن محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٥٦ ؛ ابراهيم طرخان ،نفس المرجع ،ص ٥٦ .

شرق افريقية [يحثونهم على مهاجمة الاحباش على الهضبة وعلى الاستيلاء على العاج وجلود الفيلة وسواها واللبان والتوابل والذهب الذى كانوا يعتقدون بوجوده بكميات لاحصر لها ." (١)

والجدير بالذكر أن الحبشة لم تكن موطنا شهيرا للعاج [وان وجد بها] كما هو الحال مع دويلات المدن الاسلامية المطلة على المحيط الهندى [كلوه ، ماليندى ، ممبسة ، سفالة ، موزامبيق] التى اشتهرت بتجارة العاج ، كما أن اللبان اشتهر به جنوب جزيرة العرب اما التوابل فموطنها الهند والشرق الاقصى ولم يستخدمها عامة الاحباش فى اطعمتهم بل كانت تعتبر من الهدايا التى تقدم لملوك الحبشة . (٢)

وهذه الحقائق كان التجار المسلمون يعرفونها بلا شك لانهم كتجار كانوا يتوغلون فى الحبشة ويعرفون بالتالى ما تحتويه من الموارد التجارية .

وبالتالى فلا حاجة لتجار المسلمين للقيام بتحريض المسلمين فى شرق افريقيه لمهاجمة الهضبة الحبشية للاستيلاء على ثرواتها المزعومة .

وقد أيد رأى بدج هذا بعض الباحثين بدون بذل اى جهد لمناقشته . (٣)

ولم ينهض المسلمون مجاهدين فى الحبشة إلا كما سبق القول للدفاع عن عقيدتهم ونشرها ثم المحافظة على الازدهار الاقتصادى والحضارى للمجتمع المسلم والقضاء على المؤامرات الصليبية التى كانت تحاك ضده للقضاء على ذلك الازدهار .

وقد أدرك الصليبيون فى العالم الغربى الاوروبى أهمية الازدهار الاقتصادى للمسلمين وللعالم الاسلامى لذلك دعا اصحاب المشاريع الصليبية العالم النصرانى للتعاون مع الاحباش للقضاء على القواعد الاقتصادية للعالم الاسلامى وهى طرق

---

(١) Budge, op. cit., Vol.I, P. 288.

(٢) Alvarez, op. cit., PP. 175, 406.

(٣) انظر ابراهيم طرخان ، نفس المرجع ، ص ٥٩ .

التجارة الشرقية وأهمها البحر الاحمر الذى اعتبر فى ذلك الوقت بحيرة اسلامية خالصة قبل اكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح .

ومن هذه المشاريع :

مشروع الاسقف الدومينيكانى وليم آدم William Adam الذى زار جزيرة سوقطرة فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى (٨ هـ) ووضع اقتراحات بأن يحاصر الصليبيون الاوروبيون تجارة البحر الاحمر بمساعدة الاحباش للقضاء على قوة المسلمين .(١)

وهناك مشروع آخر وضعه مارينوسانودو Marino Sanedo من مدينة البندقية فى كتابه " سر الاخلاص للصليب " Secreta Fidelium Crucis.

وقد قدم كتابه هذا للبابا يوحنا الثانى والعشرين John XXII فى سبتمبر عام ١٣٢١م وفيه يؤكد على أن الحملات الصليبية والتجارة مسألتان لا يمكن الفصل بينهما وأن الحرب الاقتصادية يجب أن تحكم تحركات الصليبيين وبحث على خنق مصر واضعافها اقتصادياً واذا ما تحقق ذلك فيمكن غزو دولة المماليك بكل سهولة ويسر ويتم هذا الأمر بإيقاف التجارة مع مصر عن طريق السيطرة على طرق التجارة وخاصة تجارة البحر الاحمر . وبسقوط دولة المماليك سوف تستسلم جميع البلدان المحمدية الباقية لجموع الصليب دون عناء .(٢)

كما اقترحت البرتغال على ملكة الحبشة هيلينا بواسطة سفيرها بدرو دى كوفيلهام أن تحتل قوة بحرية كبرى كالبرتغال المراكز التجارية الساحلية فى الشرق وأن تحول دون اتصال مسلمى الحبشة بالعالم الاسلامى .(٣)

---

(١) Tamrat, op. cit., P. 179.

(٢) Atiya, The Crusade in the Later Middle Ages, PP.115-124

(٣) Trimingham, op. cit., P. 83.

وقد تحققت هذه المشروعات الصليبية على ايدى البرتغاليين عندما استطاعوا عبور رأس الرجاء الصالح والسيطرة على تجارة الهند واغلاق طرق التجارة فى الخليج العربى والبحر الاحمر وتحالفوا مع الاحباش للقضاء على الدويلات الاسلامية فى شرق افريقية وعلى قوتها الاقتصادية . فنجد الملك لبنادنجل يستحث نائب الملك البرتغالى فى الهند ديوجو لوبيز دى سيكيرا لاحتلال مصوع ودهلك وزيلع وهى من المنافذ التجارية للمسلمين على البحر الاحمر وأن يمنع المسلمين بها من مزاولة التجارة إلا بترخيص منه شخصيا ويطلب منه أيضا بأن تقتصر التجارة على النصارى فقط .(١)

إذن فحركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه كان لابد لها من التصدى لكل تلك المحاولات التى هدفت لاضعاف المسلمين فى شرق افريقيه بقطع مصادر الرزق عنهم وحتى لا يكون ذلك بداية للسيطرة على العالم الاسلامى الكبير .

---

(١) Alvarez, op. cit., PP. 371 - 374.

ثانيا : مراحل توحيد القوى الاسلامية فى شرق افريقيه

(٨٩٤هـ - ٩٣٦ هـ / ١٤٨٨م - ١٥٢٩م):

منذ عام ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨م تولى عرش سلطنة عدل الاسلامية فى شرق افريقيه من أسرة سعد الدين السلطان محمد بن آزر بن أبى بكر ،واستمر حكمه لمدة ثلاثين عاما حتى عام ٩٢٤ هـ / ١٥١٨م .

وكان فى بداية حكمه مواظبا على الجهاد إلا أن الاحوال الداخلية للدولة تغيرت وسادها الضعف والتزم السلطان محمد جانب الهدنة مع الاحباش ،مما أضعف هيبة السلطان أمام جموع المسلمين ،وجعل زمام المبادرة ينتقل تدريجيا من أسرة سعد الدين إلى يد فئة قوية هى فئة الامراء العلماء الذين اشربوا حب الجهاد وتلقبوا بلقب " امام " . واستعانت هذه الفئة بالفقهاء والدعاة لنشر الوعى الاسلامى بين المسلمين وتهيئتهم مستقبلا لخوض حركة الجهاد كما عهدت اليهم بنشر الثقافة الاسلامية بين القبائل الصومالية للاستعانة بها فى خوض غمار الجهاد الاكبر ضد مملكة الحبشة .

ولقد خطط هؤلاء الامراء لتغيير خط سير الجهاد التقليدى الذى استمر قرون عديدة والذى كان يقتصر على بضع هجمات يشنها المسلمون على الحدود الحبشية ثم العودة إلى قواعدهم وكان من نتيجة ذلك أن الهزيمة لحقت بهم تلو الهزيمة ،لذلك وضع هؤلاء الامراء نصب أعينهم فتح بلاد الحبشة جميعها أى ضم الهضبة الحبشية إلى دار الاسلام يسكنها شعب الحبشة المسلم وبذلك يمكن وقف الهجمات المستمرة التى يشنها الاحباش ضد المسلمين .

وهكذا انقسمت السلطة فى مملكة عدل بين فريقين ، السلطة الاسمية وعلى رأسها ملوك عدل التقليديون من أسرة سعد الدين والسلطة الفعلية فى أيدى الامراء الذين سيقودون حركة الجهاد وبيدهم القوة الحقيقية فى مملكة عدل .

وأول هؤلاء الامراء الامير عثمان حاكم زيلع الذى أعلن الجهاد ضد مملكة الحبشة سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م .(١)

دور الامام محفوظ فى توحيد القوى الاسلامية
(٨٩٤هـ – ٩٢٢هـ / ١٤٨٨هـ – ١٥١٦م)

ظهر دور الامام محفوظ فى قيادة حركة الجهاد الاسلامى على عهد السلطان محمد بن آزر بن أبى بكر وشن غاراته على الحبشة محاولا فتحها لفترة امتدت اكثر من ثمانية وعشرين عاما واشتبك مع ثلاثة ملوك حكموا الحبشة بالتوالى وهم الاسكندر (١٤٧٨م – ١٤٩٤م) والملك ناعود (١٤٩٤م – ١٥٠٨م) والملك لبنادنجل (١٥٠٨م – ١٥٤٠م) . بدأ الامام محفوظ يغير على الحبشة ويغزوها مدة اثنى عشر عاما من حكم الملك الحبشى الاسكندر ،وفى احدى المرات هاجم الملك الاسكندر وجنوده عاصمة عدل دكار فدمروها وخربوا مساجدها ولكن عند انسحابه طارده الامام محفوظ والحق به خسائر كبيرة فقتل وأسر كثيرا من جنده وفر باقى الجيش تاركين ملكهم وحيدا مع قلة من اتباعه ،ومع ذلك فان الاسكندر استطاع الفرار وعاد إلى مقره فى تاجولات Tagulat ولم يلبث بعد فترة أن اغتيل على يد قائد الحرس الملكى ويدعى زاسيلوس Zaselus .(٢)

لقد اعتاد الإمام محفوظ أن يغزو الحبشة كل عام اثناء فترة الصيام الكبير عند النصارى حيث يكون الاحباش اكثر وهنا وضعفا فكان محفوظ يتوغل كثيرا فى بلاد الحبشة فمرة يغزو امحره ومرة اكسوم او فطجار وهكذا .
وفى عهد الملك ناعود واصل محفوظ غزواته فى بلاد الحبشة رغم اعتراض الملك محمد بن آزر الذى كان يحبذ سياسة السلم مع الاحباش . فكان محفوظ

---

(١) حسن احمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٠ – ٤٦١ ، انظر ايضا Trimingham , op. cit., P. 81; Tamrat, op. cit., P. 166.

(٢) Alvarez, op. cit., P. 307; Budge, op. cit., Vol.I, PP. 321-322; Tamrat, op. cit., P. 167.

يغنم ويأسر ويرسل من تلك الغنائم إلى ملوك المسلمين كهدايا فى مقابل امداده بالاسلحة لمواصلة الجهاد ٠

وتصدى الملك ناعود لإحدى هجمات محفوظ فساق اليه جيشا ضخما عسكر فى منطقة حصينة وانتظر هجوم جيش المسلمين ،فلما اقتحم المسلمون معسكره وفطنوا للكمين المنصوب لهم هرب بعضهم وقتل الكثيرون منهم وتبعهم الملك الحبشى حتى العاصمة دكار واسترد ما غنموه من الاسرى ،والماشية ،وعلى مشارف العاصمة استقبل ناعود وفدا من الملك محمد بن آزر يعرض عليه الصلح على أن يعيد له كل الاسرى الذين أسرهم محفوظ فى غزواته الأخيرة ٠

وبقى الملك الحبشى خمسة عشر يوما بالقرب من عدل حتى استرد كل الأسرى ،ورغم ذلك صمم محفوظ على مواصلة الجهاد فبعد هذه الهزيمة بعث بالقائد وناج دجان ليغزو الحبشة ،ولكن دجان هزم وأسر ثم أطلق سراحه ومات اثناء فراره إلى عدل وواصل ابنه سليمان من بعده مسيرة الجهاد ٠

وفى عام ١٥٠٨م مات الملك ناعود حين تصدى للدفاع عن مقاطعة اوفات ضد احدى غزوات الامام محفوظ الذى كان يحاول استردادها من الاحباش ٠(١)

وفى السنوات الاولى من حكم الملك الحبشى لبنادنجل واصل الامام محفوظ مسيرة الجهاد لاسترداد المناطق الاسلامية التى اغتصبها الاحباش ففى عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م سار الامام محفوظ لاسترداد فطجار وعند وصوله اليها فر الاحباش إلى التلال المجاورة ولكن الإمام طاردهم وأحرق جميع الكنائس والأديره التى استحدثوها فى منطقة فطجار وأسر أعدادا كبيرة من جنود الأحباش والمزارعين وقام بالعفو عن المزارعين وأمرهم أن يزرعوا فى العام القادم قمحا وشعيرا حتى يجد ما يكفى لاطعام جنوده وخيولهم عند عودته اليهم

---

(١) Budge, op. cit., Vol.I, PP. 324-325; Trimingham, op. cit., PP. 82-83; Tamarat, op. cit., P. 167; Burton, op. cit., P. 179;

حسن احمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦١ ٠

مرة اخرى فى العام الذى يليه ، أما جنود الاحباش فقد خاطبهم قائلا : " ايها الاوغاد يا من تأكلون خبز الملك وتحرسون مملكته على نحو سيء سأقطع رؤوسكم بالسيف " ، وأمر باعدام خمسة عشر جنديا منهم . (١)

وهكذا اثبت الامام محفوظ فى معاملته للمزارعين فى هذه الموقعة الاخلاق الاسلامية العالية التى اتصف بها ، فقد ادخل الاعجاب بجانب الرهبة فى نفوس الاحباش ، ويصفه المؤرخ الفاريز Alvarez بقوله : " لقد كان من المؤكد وجود قائد مسلم عظيم فى مملكة عدل يدعى محفوظ مازال أهل هذه البلاد يتغنون به فى اسفارهم ." (٢)

وفى العام التالى ٩٢٢هـ / ١٥١٦م سار الامام محفوظ الى فطجار مرة أخرى وكان يرافقه فى هذه المرة الملك محمد بن آزر الذى حاول بخروجه فى تلك الحملة أن يبرهن للمسلمين بأنه مازال على خطى اسلافه ملوك اسرة سعد الدين الذين قضوا وهم يحملون راية الجهاد .

وفى هذه المرة كان الملك الحبشى لبنادنجل قد علم بوجهة الإمام محفوظ بواسطة عيونه الذين بثهم فى مملكة عدل لتقصى أخبار الإمام ، لذلك أعد الملك الحبشى لجيش الإمام كمينا مميتا ، فقد كان هناك واد سحيق بين فطجار وعدل يدعى دل ميده ترتفع على كلا جانبيه جبال وعرة شديدة الانحدار ، وعند طرفى هذا الوادى ممران على درجة كبيرة من الضيق ، وقد قسم الملك الحبشى قواته قسمين : قسم تحت قيادته وتمركزت عند الممر الأول والقسم الاخر تحت إمرة أحد قادته وتمركزت عند الممر الثانى وما أن دخل الامام بقواته إلى ذلك الوادى حتى اقفلته الجيوش الحبشية عند الممرين واصبح المسلمون محصورين بين فكى كماشة .

---

(١) Alvarez, op. cit., PP. 307 - 308.

(٢) Ibid., PP. 307 - 308.

وهنا فر ملك عدل مع أربعة من الخيالة تاركا الإمام محفوظ ليواجه مصيره وحده . وقبل بدء المعركة طلب الإمام أعظم فرسان الحبشة واشجعهم لمبارزته . فانبرى له راهب من قادة الملك الحبشى يدعى جبر اندرياس Gabri Andreas وبعد استبسال طويل من الإمام - الذى تقدمت به السن - أمام هذا الراهب استشهد الإمام محفوظ على يده ثم دارت المعركة بين الطرفين وقاتل المسلمون وهم محاصرون بالقوات الحبشية ولم تكن لهم فرصة كبيرة للنجاة فجميع الممرات المؤدية إلى عدل مقفلة ،وحاقت الهزيمة بالمسلمين وأبيد معظم جيش الإمام الذى بلغ حوالى اثنا عشر الف من المجاهدين واستطاع بعضهم الهرب إلى الجبال حيث هلكوا من الجوع والعطش . ثم سار الملك الحبشى إلى عدل ودخلها ثم دمرها بعد أن اقتحم القصر الملكى ونهبه ونهب جنود الاحباش البلاد الاسلامية وحملوا معهم من الثروات ما استطاعوا حمله .

كما احتزوا رأس الإمام محفوظ وطافوا به فى جميع أرجاء الحبشة فرحين بالنصر الذى احرزوه على هذا القائد المسلم الكبير الذى دوخ الاحباش طوال ثلاثين عاما .(١)

واستمر الاحباش يطوفون برأسه حتى وصول بعثة رودريجو دى ليما الى الحبشة عام ١٥٢٠م اى بعد استشهاده بأربع سنوات ، ويصف الفاريز مؤرخ بعثة دى ليما افتتان الاحباش بالامام محفوظ فيقول :

" وكان عامة الناس والغلمان والفتيات يقيمون به [برأس الامام] مهرجانا كبيرا فى كل يوم سبت وكل يوم أحد . وفى أيام الشعائر ،ومازال يطاف به فى البلاط الحبشى حتى الآن ويبدو لى انه سيبقى هناك إلى الأبد فهم مفتونون جدا به . " (٢)

---

(١) Alvarez, op. cit., PP. 307-310; Budge, op. cit., Vol.I, PP. 328-329; Burton, op. cit., P. 180; Trimingham, op. cit., PP. 83-84; Tamrat, op. cit., P. 167.

(٢) Alvarez, op. cit., P. 310.

وفى نفس العام ١٥١٦م دمـــــــر لوبـو سواريز Lopo Soarez مدينة زيلع وأحرقها فقد كان حاكم المدينة يخوض مع الامام محفوظ معركتـــه الاخيرة ضد مملكة الحبشة .

ويدعى بعض الباحثين الاوروبيين بأن الاتراك العثمانيين قد أمدوا الإمام محفوظ بالمساعدات العسكرية والمعنوية مما يفسر المدة الطويلة التى جاهـــد فيها بالحبشة .(١)

والجدير بالذكر أن العثمانيين لم يضموا مصر الى ممتلكاتهم الا فـــى عام ١٥١٧م أى بعد استشهاد الامام محفوظ بعام واحد وهذا يؤكد بطلان التفسيـــر السابق .

وباستشهاد الامام محفوظ تسلم مهمة توحيد القوى الاسلامية فى شرق افريقيه واعدادها للجهاد الجراد آبون بن آدش .

فبعد الهزيمة التى لحقت بالمسلمين سادت الفوضى والنزاعات الداخليـــة فى مملكة عدل ،ففى عام ١٥١٨م قتل السلطان محمد بن آزر جزاء خيانتــــــه للامام محفوظ على يد صهره محمد بن أبى بكر بن محفوظ واستولى على الحكـــم فى عدل لمدة سنة ثم قتل على يد ابراهيم بن احمد صاحب بلاد هوبت الذى بقـــى على عرش مملكة عدل مدة ثلاثة أشهر ثم توالى على حكم عدل خمسة من الطامعيـــن فى العرش خلال سنتين . واستمر النزاع بين أسرة سعد الدين والامراء حتى وصول القائد الجراد ابون الـــــى الحكم .(٢)

---

(١) Burton , op. cit., P. 179.

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٦ ؛ Tamrat, op. cit., P. 167; Trimingham, op. cit., P. 84.

دور الجراد أبون بن آدش فى توحيد القوى الاسلامية :
(٩٢٨هـ - ٩٣٤هـ / ١٥٢١م - ١٥٢٧م) (١)

وصل الجراد أبون إلى عرش عدل بعد أن خاض حربا ضد الامير منصور بن محفوظ لمدة خمسة أشهر . واستمر حكم الجراد أبون مدة سبع سنين واستطاع فى هذه الفترة إعادة الهدوء والاستقرار إلى مملكة عدل واصلاح أحوالها الداخلية بما يتمشى مع الكتاب والسنة لأنه كان يعلم حق العلم أن البناء الداخلى للدولة أساس متين لتهيئة المسلمين للقيام بالجهاد والفتح ،وساعده على اتباع هذا الطريق الجهود المخلصة للعلماء والفقهاء والمشائخ ،فكانوا يشدون من أزره ويؤيدونه وينشرون الوعى والثقافة الاسلامية بين المسلمين .

ويورد عرب فقيه أحوال مملكة عدل فى عهد الجراد ابون فيقول :
" وملك الجراد ابون سبع سنين وأقام الحق وحكم ،وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ،وقتل قطاع الطريق ،وأبطل الخمور واللعب والرقص بالطبول ،وعمرت البلاد ،وأحب الاشراف والفقهاء والفقراء والمشايخ ،واستولى على ملكه وأصلح الرعية ."(٢)

ولما رأى سلطان عدل المبعد من أسرة سعد الدين أبو بكر بن محمد بن آزر التفاف المسلمين حول الجراد أبون وخروج السلطان من بين يديه أخذ فى اعداد عدته للهجوم على الجراد أبون والقضاء عليه واسترداد ملكه وكان أبو بكر قد نقل مقره من دكار إلى هرر عام ١٥٢٠م وبذلك أصبح على اتصال وثيق بقبائل الصومال واستفاد من بعض الخارجين على سلطة الجراد أبون من اللصوص وقطاع الطرق بأن جمعهم وسار بهم إلى زيلع وفاجأ الجراد أبون وقتله فى عام ١٥٢٧م.

(١) المقصود بالجراد هو حاكم الولاية أو المقاطعة الاسلامية وهو لفظ يستخدمه المسلمون في شرق افريقية في القرن العاشر الهجرى لكل من يتولي حكم احدى المناطق من قبل ملك عدل. انظر عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٩٤ ، ١٠٧ .

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٦ - ٧ ؛ انظر ايضا ،حسن احمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٢ ؛ محمد عبد الله النقيره ،نفس المرجع ،ص ٢٢٨ .

وبعد مقتل الجراد ابون سادت الفوضى مملكة عدل مرة أخرى فقد أبطل السلطان ابو بكر جميع الاصلاحات التى أُدخلها الجراد أبون فظهر قطاع الطرق مرة اخرى وانتشرت الخمور والمنكرات والمظالم . (١)

دور الامام احمد بن ابراهيم المجاهد في توحيد القوى الاسلامية (٢)
(٩٣٤هـ - ٩٣٦هـ / ١٥٢٧م - ١٥٢٩م)

تأثرت الاوضاع الداخلية فى عدل تأثرا كبيرا بعد مقتل الجراد أبون فعادت الفوضى ودب الخلل بعد زوال الاصلاحات التى قام بها الجراد أبون وهنا قام العلماء والمشايخ والفقهاء مرة اخرى بمحاولة إعادة الوضع الطبيعى لمملكة عدل الاسلامية ولكن كان لابد من قوة لتساعد فى تنفيذ القرارات وحماية الأمن ولم يكن أُمامهم إلا إختيار واحد وهو اتباع الجراد أبون وجنده .

خرج اتباع الجراد أبون فارين من عدل وقد ولوا قيادتهم للجراد عمر دين وكان من بين الفرسان الامام احمد بن ابراهيم . واستقر هؤلاء فى منطقة تسمى " هوبت " ،وفى تلك الاثناء تعرضت عدل لهجمة حبشية بقيادة احد بطارقة الملك الحبشى ويدعى فانيل Faneel وكان حاكما على دوارو . وهاجم هذا البطريق ورجاله هوبت وغيرها من المناطق الاسلامية فنهبوا واسروا النساء والاطفال واستولوا على اعداد كبيرة من المواشى .

فلما سمع جند الجراد أبون بما حدث خرجوا لمواجهة الجيش الحبشى وخاضوا معركة عنيفة ضدهم قرب نهر كبير يسمى عقم واستبسل المسلمون فى تلك المعركة فكان الرجل منهم يقاتل عشرة رجال وبذلك استطاع المسلمون - برغم قلة عددهم بالنسبة لأعداد الاحباش - دحر الجيش الحبشى الذى ولى الأدبار هاربا - وغنم المسلمون كمية كبيرة من الاسلحة بالاضافة إلى

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٧ ؛
Trimingham, op. cit., P. 85.

(٢) اطلق الباحثون الأوربيون على الامام أحمد لقب (جران)وهي كلمة في اللغة الصومالية تعني الأشول أو الأعسر وفضلنا اطلاق لقب المجاهد عليه وهو اللقب الذى اطلقه عليه المؤرخون المسلمون أمثال عرب فقيه وغيره .

الغنائم الأخرى كما استردوا جميع الاسرى الذين أسرهم الاحباش وعادوا ظافرين إلى منطقة تسمى زيفة واستقروا بها .

وكانت هذه المعركة هى بداية الفصل بين السلطان أبو بكر بن محمد وبين القوة الجديدة النامية بقيادة عمر دين والامام احمد بن ابراهيم فقد عجز السلطان عن حماية الدولة بينما استطاع الفريق المنافس أن يذود عن البلاد بل ويدحر الاحباش ويجبرهم على الفرار ،وهكذا تدهورت هيبة السلطان فى أنظار المسلمين ولم يقف بجانبه فى مواجهة منافسيه إلا من استمالهم من القبائل الصومالية .

وكان لابد من حسم الموقف فتتولى قيادة الجهاد قوة فتية تؤمن بربها وبالجهاد فى سبيله بدلا من السلطة التقليدية التى جعلت همها المحافظة على وضعها المتخاذل أمام الاحباش .

ففر السلطان أبو بكر هاربا من عاصمته هرر إلى منطقة تسمى كداد فى بلاد الصومال ،وتبعه الإمام أحمد وعمر دين إلى نفس المنطقة ووقعت معركة بين الطرفين انتصر فيها الإمام أحمد واصحابه وغنموا اسلحة كثيرة ثم عادوا الى مركز الحكم فى هرر .

ولكن السلطان أبو بكر لم ييأس من استرداد ملكه فجمع الجموع من قبائل الصومال وعاد لمهاجمة هرر ،وخشى الإمام وأصحابه على هرر من الدمار فخرجوا منها وتوجهوا إلى جبل فى منطقة هوبت وتحصنوا به فتبعهم السلطان أبو بكر وحاصرهم حتى أرهقوا من هذا الحصار الطويل فنزل الإمام احمد واصحابه من الجبل لمواجهة السلطان ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها السلطان وقتل القائد عمر دين وعاد الامام احمد وباقى أصحابه برفقة السلطان إلى هرر وتوسط بعض مشائخ المسلمين فى عقد الصلح بين الطرفين .(١)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٨ – ١٠ ؛
Tamrat, op. cit., PP. 167-169.

ولكن لم ينته النزاع عند هذا الحد فلم يكن السلطان ليضع ثقته في الإمام أحمد كما أن الامام كان يدرك تمام الإدراك أن فتح الحبشة لن يتم وامثال السلطان ابو بكر على رأس الحكم .

وتدهورت الأحوال الداخلية في عدل تدهورا شديدا فإن كثرة الحروب والمنازعات أدت إلى انتشار الفساد والمظالم وامتنع السلطان أبو بكر عن تطبيق الشريعة الاسلامية التي تعتبر الأساس في إصلاح احوال المجتمع الاسلامي كما أنه تصدى للفقهاء والعلماء والمشائخ وأبعدهم ونكل بهم مما زاد من بغض الرعية له .

كان الإمام أحمد بن ابراهيم الذي تولى قيادة الجند قد أخذ في الاعداد للفتح الكبير للحبشة وتطلب هذا الإعداد من الإمام توحيد القوى الاسلامية في مملكة هرر وهذا التوحيد لن يتم إلا على دعامتين :

أولا : الاصلاح الداخلي ويتم بالقضاء على السلطان ابو بكر وتولية اخيه عمر دين الذي سيكون أكثر طوعا وتنفيذا لآراء الامام وحتى يتم تطبيق الشريعة الاسلامية وإعطاء الفرصة للفقهاء والعلماء لنشر الثقافة الاسلامية واستنهاض همم المسلمين للجهاد ،كما أن ثبات الاحوال الداخلية في هرر سيوء من ظهر الإمام فلا يتعرض للمباغتة .

ثانيا :تكوين جيش إسلامي قوي روحيا و ماديا وإيجاد مصادر بشرية لامداد هذا الجيش بالجنود متى أراد وبأي اعداد يريدها .

أما بالنسبة للدعامة الاولى وهي تأمين الجبهة الداخلية فقد استطاع الإمام بعد عدة معارك خاضها ضد السلطان أبو بكر أن يهزمه وأن يولي مكانه اخاه السلطان عمر دين وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فيمابعد .

اما بالنسبة إلى تكوين الجيش فقد اكتشف الامام أن القوة الفعلية لتدعيم الجيش هو انضمام القبائل الصومالية إلى صفوفه . لقد ادرك الامام القوة

الهائلة للقبائل الصومالية عندما كان يستعين بها السلطان ابو بكر للوقوف فى وجه منافسيه كالجراد ابون والامام أحمد فأراد الإمام أن يوجه الطاقة الهائلة لهذه القبائل إلى ناحية الجهاد فيستفيد منها فى وجهين : الاول تحقيق حلمه الكبير فى فتح الحبشة ،والثانى اتقاء شر بعض هذه القبائل التى كانت تتصف دائما بالتمرد والاستقلالية وحتى يضمن عدم انضمامها لأى منافس يحاول طعن حركة الجهاد من الخلف وخاصة من ملوك أسرة سعدالدين. وقد اتبع الإمام أحمد بن ابراهيم عدة أساليب لجمع شمل القبائل الصومالية وضمها الى جيش الجهاد .

أحد هذه الاساليب أنه كان يتدخل للصلح بين القبائل فى حالة قيام نزاع فيما بينها فمثلا... نراه يتوسط بين قبيلتين كبيرتين هما جرى والمريحان وينهى الخلافات القائمة بينهما .(١)

ولكن هذه الطريقة لم تكن مجدية فى جميع الأحوال لذلك قرر الإمام أحمد اتباع أسلوب أكثر فاعلية وهو إخضاع هذه القبائل بالقوة واجبارهم على دفع الجزية له ،خاصة وأن بعض هذه القبائل كانت تنتهز فرصة خروج الإمام للتصدى للاحباش فتهاجمه من الخلف وتغير على قوافل التجار المارة بهرر لنهبها وسلبها وقطع الطريق على المسلمين .

وبعضها الآخر كان يعادى القبائل الصومالية التى تدخل فى صلح مع الامام فتغير عليها وتعمل فيها السلب والنهب مما جعل القبائل المتصالحة تجأر بالشكوى لدى الامام .

وهكذا لم يجد ثمة مندوحة عن أن يشن حربا لا هوادة فيها ضد قبيلتى المريحان وهبرمقدى ،ويطاردهم حتى يوصلهم إلى ساحل البحر الاحمر ويخرب بلادهم وينهبها نهبا ذريعا عدة مرات حتى أجبرهم على الاستسلام والدخول فى طاعته ودفع الجزية والانضمام إلى جيش الجهاد .(٢)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٨ .
(٢) المصدر السابق ،ص ٢٢ - ٢٣ .

وبعد الهزائم التى حلت بهاتين القبيلتين تتابعت القبائل الصومالية للدخول فى طاعة الإمام أحمد بن ابراهيم معلنة إنضمامها الى جانبه .

ولم يكن انضمام القبائل الصومالية من الأمور اليسيرة الهينة فقد عانى الإمام كثيرا من تراجعها وخذلانها له اثناء القتال - وذلك فى بداية انضمامها له - فالإمام يريد الفتح والتوغل فى مملكة الحبشة وهذه القبائل تصبوا إلى الغنيمة والعودة إلى مقرها بأسرع وقت ممكن ،ولكن قوة العزيمة التى يتميز بها الامام أحمد استطاعت ترويضهم ،فكان الإمام يتظاهر بالموافقة على رجوعهم الى بلادهم ولا يلبث بعد مدة قصيرة أن يخرج بهم مرة أخرى إلى الجهاد . وكثيرا ما خذله بعض من فرق هذه القبائل فكانوا يهربون من ميدان القتال من غير علم الامام فكان يلحق بهم مع جنده المخلصين فيعيدونهم بالضرب .(١)

وقد تيقن الإمام أن القوة والعنف سيخضعان هذه القبائل رهبة وخوفا وسيدفعون له الجزية ولكنه لم يستفد منهم فى جهاده فى مملكة الحبشة ذلك الجهاد الكبير الذى يحتاج إلى قوة العقيدة والفداء لدى المجاهد المسلم حتى لا يتراجع أمام الاعداء ، لذلك لجأ إلى اساليب أكثر فاعلية معهم فقد صاهر بعض من تلك القبائل بأن زوج اخته فردوسه لرئيس قبيلة جرى المسمى متان بن عثمان بن خالد الصومالى .

كما أنه كان يتألف قلوبهم بكثير من الغنائم التى كان يغنمها من الاحباش وخاصة أموال ملك الحبشة فكان يترصد القوافل التجارية التى تخص الملك الحبشى والتى تمر ببلاد المسلمين ويستولى على أمواله ويرسلها إلى القبائل الصومالية ،كما أنه باع حلى نسائه وأثاث بيته وجهز بها اسلحة ومعدات القتال لتلك القبائل .(٢)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٤ - ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ،ص ٣٤ ،٣٦.

وخلال ذلك كان الإمام يرسل اليهم الفقهاء والدعاة والائمة لنشر الوعى الاسلامى بينهم وحضهم على الجهاد فى سبيل الله ،وفى نفس الوقت كان يبعث بالرسائل إلى رؤساء تلك القبائل يستحث فيهم همة الجهاد وطاعة الله وحب الفداء من أجل رفع راية الاسلام ويذكرهم بقول الله عز وجل : " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله . " (١)

وقد أثمرت دعوته إلى الجهاد بحيث أنه لما نادى فيهم بالتجمع للخروج للجهاد لبت القبائل النداء فى الحال وسارت اليه قبائل : هبرمقدى والمريحان وجرى ويبرى وغيرها .(٢)

وهكذا تتابعت القبائل الصومالية الواحدة تلو الاخرى بروح جديدة وعزيمة قوية ،طائعة مختارة لكى تنضم إلى جيش الامام احمد بن ابراهيم وليتوجه بهم فى أولى غزواته لاسترداد المناطق الاسلامية التى استولى عليها الاحباش قبل أن يتوغل فى مملكة الحبشة فاتحاً مجاهدا .

وهكذا بدأ الامام احمد بن ابراهيم يفتح صفحة جديدة فى تاريخ الجهاد الاسلامى ضد مملكة الحبشة .

---

(١) سورة التوبة ،آية (٤١) .

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣٤ – ٣٦ ،
Tamrat , op. cit., P. 170; Trimingham , op. cit., P. 86 .

الفصل الرابع

جهاد الإمام أحمد بن ابراهيم المجاهد
(٩٣٥هـ - ٩٥٠هـ / ١٥٢٨م - ١٥٤٣م)

أولاً: نسب الإمام أحمد ونشأته حتى وصوله الى الحكم

ثانياً: فتوح الإمام أحمد بن ابراهيم في مملكة الحبشة (٩٣٥هـ - ٩٤١هـ / ١٥٢٨م - ١٥٣٤م)

ثالثاً: استنجاد الإمام أحمد بن ابراهيم بالدولة العثمانية واستشهاده .

أولا : نسب الامام أحمد ونشأته حتى وصوله الى الحكم .

تعددت الروايات عن نسب الإمام أحمد بن ابراهيم المجاهد فقد أورد بعض الباحثين أن الامام كان ابنا لاحد قساوسة ايجو Aijo ولكنه ترك موطنه الاصلي ورحل الى عدل حيث اعتنق الاسلام .(١)

ولكن هذه الرواية ليس لها ما يؤيدها في كتاب فتوح الحبشة ، اذ الأقرب إلى الحقيقة أنه من أسرة مسلمة اشتهرت بمشاركتها في حركة الجهاد منذ أزمنة طويلة ، فقد وصفه مؤلف الفتوح بقوله : " سلالة السادة المجاهدين." (٢)

وفي موضع آخر من فتوح الحبشة ورد على لسان أهل أماجه المسلمين - عندما نزل الامام احمد بينهم فأرادوا اقناعه بالعدول عن التوغل في مملكة الحبشة - قولهم : " .... وآباؤك واجدادك والأمير على والأمير محفوظ صهرك والجراد ابراهيم (والد الامام) والسلاطين المتقدمة ممن ملك بر سعد الدين لم يكن أحد منهم يقصد ملك الحبشة إلى بلده ومسكنه ." (٣)
ويفهم من النص أن الإمام أحمد بن ابراهيم ينحدر من اسرة مسلمة لها وزنها في حركة الجهاد الاسلامي منذ مدة طويلة .

ونستنتج مما ورد في فتوح الحبشة أن مسقط رأس الامام أو بالاحرى بلده أو قريته كانت بلدة هوبت .(٤)

وتقع هذه البلدة بالقرب من هرر ، وقد نشأه أبوه نشأة اسلامية قوية وفقهه في الدين وعلوم الشريعة وغرس في نفسه حب الجهاد في سبيل الله .

---

(١) توماس أرنولد ، نفس المرجع ، ص ١٣٧ ؛ عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ص ١٩٢ ؛ عبد الرحمن زكي ، نفس المرجع ، ص ٤٩ ، فتحي غيث ، نفس المرجع ، ص ١٥٠ .
(٢) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٤ .
(٣) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٤٧ .
(٤) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ١١ .

ويقدر ترمنجهام تاريخ مولد الامام بعام ١٥٠٦م / ٩١٢هـ ووفاته بعام ١٥٤٣م/ ٩٥٠هـ (١)، وما أن شب عن الطوق حتى تدرب على الفروسية وفنون القتال وانضم الى فرسان الجراد أبون ،وظهرت مواهبه القيادية بعد مقتل الجراد أبون ،ثم تزوج من أبنة الامام المجاهد محفوظ (دلونبره) وبذلك كسب ولاء اتباع الامام محفوظ بالاضافة الى اتباع الجراد أبون .

وما أن بلغ من العمر واحدا وعشرين عاما حتى كان قد بدأ فتوحاته فى مملكة الحبشة .(٢)

ولقد لمس الامام أحمد ما أصاب المسلمين من ضعف ورأى تفرق كلمتهم والنزاع السائد على السلطة فى هرر وسيطرة الأحباش على المناطق الاسلامية ،فنذر نفسه لاصلاح أحوال المسلمين واحياء حركة الجهاد ونشر الاسلام فى كافة أرجاء الحبشة .

وكان للامام أحمد دوره البارز فى توحيد القوى الاسلامية فى شرق افريقيه قبل أن يصل إلى الحكم ولكن هذا الدور لم يؤت ثماره حتى استطاع الامام أن يقض على السلطان أبو بكر ويضع يده على السلطة الفعلية فى هرر .

كانت العلاقة بين السلطان أبو بكر والامام أحمد علاقة يسودها الشك والحذر من جانب الطرفين ،فبعد انتصار الامام على جيش الحبشة وقائده فانيل عند نهر عقم خاض الامام حربا ضد السلطان ولكنه هزم، وعقد الصلح بين الطرفين وعاد الامام وجنوده الى هرر ،وفى تلك الاثناء كان السلطان يعد عدته للغدر بالإمام وأصحابه فنقض الصلح معهم وأمر بمصادرة أسلحة الإمام وخيوله وقبض على بعض المقربين منه وقتلهم وأبعد المشايخ والفقهاء والعلماء وتوعد الامام بالقتل .

---

(١) Trimingham , op. cit., P. 85.

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٧ ، ٢٢ ، ٣٧، انظر ايضا
Trimingham, Op. Cit.,PP. 85-86 ; Serjeant, Op. Cit.,P.19.

خرج الامام هاربا فى جنح الظلام ومعه ثلاثة من الخيل والتجأ إلى منطقة تسمى زعكه تبعد مسيرة يوم عن هرر ولكنه لم يستطع البقاء فيها فعاود الفرار إلى منطقة أخرى تسمى رباط البقر، ثم تركها بعد مدة قصيرة وفر إلى منطقة اخرى تسمى شيح .

وظل الامام يتنقل فاراً من قرية إلى قرية وفى الطريق كان ينضم إليه بعض من اتباعه وجنوده حتى وصل أخيرا إلى مسقط رأسه هوبت وفى تلك الاثناء كان السلطان ابو بكر يبعث الجواسيس للبحث عنه ومعرفة مكان اقامته للقبض عليه وقتله، وما أن سمع بأن الامام قد استقر فى هوبت حتى سار اليه فى جيش كبير وهاجم قرية الامام ونهب بيوته وأمواله وخرج الإمام فارا من هوبت والسلطان أبو بكر يتبعه من منطقة إلى منطقة ومن قرية إلى قرية ووقعت عدة معارك بين الطرفين أثناء المطاردة ولم تحسم أى من هذه المعارك لصالح أحد الطرفين .

واخيرا عاد الامام وأصحابه إلى هوبت مرة أخرى ،فأرسل اليه السلطان ابو بكر جيشا بقيادة أحد امرائه ويدعى شنبرى ودارت معركة بين الامام والقائد انتهت بانتصار الامام ومقتل شنبرى وغنم الإمام أسلحة الجيش وخيوله .

ولما علم السلطان بمقتل قائده وهزيمة جيشه هرب إلى بلاد الصومال وخلف فى هرر خمسة من قادته لحمايتها، كان من بين هؤلاء القادة كوشم ابا بكر الذى خرج فى جيشه لملاحقة الامام فى زعكه ولكنه هزم وفر هاربا إلى هرر لاعادة تجميع قواته والاستعداد لمنازلة الامام مرة اخرى ،فى تلك الاثناء كان الامام يعد عدته للدخول إلى هرر وأخذها عنوة من اتباع السلطان وبالفعل وقعت معركة بين الامام وبين قادة السلطان فى موضع يسمى شمنجود انتصر فيها الإمام وغنم من الاسلحة والخيول اعدادا كبيرة استفاد منها فى دعم جيشه وبعد هذا الانتصار دخل الامام ظافراً إلى هرر وأمسك زمام الحكم وبدأ فى ممارسة السلطة واصلاح احوال البلاد ،ولم يرض السلطان ابو بكر عن تلك النتيجة ،فقد استطاع أن يؤلف جيشا ضخما من القبائل الصومالية والتقى الخصمان فى العاصمة القديمة دكار وقد تحصن جيش السلطان فى جبل فى نفس المنطقة وهذا سيجعل أمر انتصار الامام

مستبعدا وهنا تدخل الفقهاء والعلماء والمشايخ للصلح بين الطرفين واقترحوا تقسيم السلطة بين السلطان أبو بكر والامام أحمد بن ابراهيم وأن يتخذ كل واحد منهم مقرا مستقلا له ،فوافق الامام على هذا الاقتراح حقنا لدماء المسلمين وانهاء للحرب ،وبذلك تم الاتفاق وعقد الصلح وعاد السلطان ابو بكر إلى عاصمته هرر واتخذ الامام من بلدة سيم مقرا له . واصبحت السلطة الفعلية فى يد الامام والسلطة الاسمية فى يد السلطان ، وصار للامام التقديم والتأخير والغزو والجهاد " ولم يكن للسلطان غير خراج البلد يأكله ".(١)

وأول مظاهر ممارسة الامام للسلطة أنه عمل على تطبيق الشريعة الاسلامية ومحاربة الفساد وأقام نظام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقضى على قطاع الطرق وكرم العلماء والفقهاء ،هذا بالاضافة الى أنه عكف على اصلاح الجيش وامداده بالأسلحة والرجال استعدادا لفتح الحبشة .

وفى اختبار أولى للجيش قاد الامام احمد جيشه وهاجم منطقة دوارو وانتصر على الاحباش وغنم منهم غنائم كثيرة . وفى طريق عودته إلى هرر كمن له الاحباش وانزلوا بجيشه هزيمة نكراء قتل فيها كثير من امراء جيشه وأسر آخرون .

وعاد الامام الى زعكه فى طريقه إلى هرر ليعيد ترتيب جيشه ومداواة جرحاه وفى تلك الأثناء أظهر السلطان أبو بكر العداوة مرة اخرى للامام مستغلا الهزيمة التى لحقت به من الأحباش ليضعف موقفه أمام جموع المسلمين ،فنصب كمينا للامام يريد قتله فعادت الحرب مرة أخرى بين السلطان والإمام وانتهت هذه الحرب بقتل السلطان أبو بكر والقضاء على أسباب النزاع والفتنه ،وكان بامكان الإمام أحمد أن يبعد أسرة سعد الدين نهائيا عن الحكم وينفرد به بعد أن أصبح الامر بين يديه ،ولكنه لم يرد لاى حرب داخلية أن تستعر وتعيق تحقيق هدفه الاكبر وهو فتح مملكة الحبشة . لذلك قام الإمام أحمد بتنصيب أخ السلطان ابو بكر المدعو عمر دين ملكا اسميا على هرر ،وكان ذلك فى عام ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م.(٢)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٠ - ١٤ .

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٦ - ١٧ ؛ العيدروس ، النور السافر، ص ١٩٨؛ الحنبلى ،شذرات الذهب ،جـ٨ ،ص ٢٠٠؛

Tamrat, op. cit., P . 169.

ويورد بعض الباحثين أن السلطان أبو بكر استطاع استمالة اعوان الامام أحمد ومن ضمنهم الامير حسين الجاترى وذلك للقبض على الإمام ونقله إلى السلطان ليقتله ،وقد استطاع الامير حسين تنفيذ المهمة الموكولة اليه ولكن الامام فر من الأسر وأرسل مجموعة من رجاله قتلوا السلطان . (١)

وهذه الرواية ليس لها ما يؤيدها فى فتوح الحبشة ،فحسين الجاترى يعتبر من أكثر الأمراء المجاهدين اخلاصا للامام أحمد ،وقد شاركه فى معظم غزواته ،كما أنه يعتبر من أحد قادة الامام وكان يبعثه لفتح منطقة أو اخرى فقد ارسله مثلا على رأس جيش لفتح بلاد أوفات . (٢)

أيضا ولاه الامام أحمد أميرا على منطقة دوارو بعد فتحها ،وكان الامير حسين بمثابة المستشار للامام ،وهو الذى أشار على الامام بقتال السلطان عمر دين عندما انقلب على الامام وأراد طرده من هرر .(٣)

وبعد أن أتم الإمام أحمد مهمته فى توطيد نفوذه فى مملكة هرر تفرغ لاصلاح الجيش وبدأ جهوده فى توحيد القبائل الصومالية وضمها لجيش الجهاد .

وقد استغل الملك الحبشى لبنادنجل انشغال الإمام فى الأمور الداخلية فأرسل جيشا للاغارة على مملكة هرر بقيادة القائد الحبشي ديجلهان عام ٩٣٤هـ/١٥٢٧م الذى ورد اسمه فى فتوح الحبشة دجلحان - وبالفعل تمكن القائد الحبشى من نهب أموال المسلمين وتخريب أطراف بلادهم وسبى نسائهم ،ومن بينهن والدة أحد أمراء الامام احمد ويسمى ابو بكر قطين .

ويسرد لنا بدج Budge قصة هذه الام فيقول : " قبض ديجلهان على فاطمة والدة أبو بكر وحين وقفت أمام ديجلهان قالت له : ما الفائدة من

(١) ابراهيم محمد حسن ،الامام احمد بن ابراهيم الصومالى ،ص ٥٠.
(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٥ .
(٣) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٩ ،٩٠ .

آسرى انه سيكونبداية الحريق وسيتحول انتصارك إلى هزيمة ، إن ابنى رجل شجاع وقوى وهو مستعد للقتال وقدماه تجريان بسرعة للحرب ولإراقة الدماء ومن المؤكد إنك إن لم تعدنى فإن ولدى لن يهدأ له بال حتى يخلصنى من بين يديك . ولم تكد تتم المرأة كلامها حتى ظهر جران [الامام احمد] فجأة وانقض عليهم كالصاعقة ." (١)

وقد سار الإمام بجيشه يتبع أثر جيش ديجلهان للحاق به ، ونزل الامام عند نهر يسمى عقم وبث عيونه لتقصى أخبار الجيش الحبشى فأتته الأخبار بوجود القائد الحبشى وجيشه فى مكان يسمى الدير فتبعهم الإمام وجنده وهم على أتم الاستعداد لخوض المعركة . وقد نظم الامام جيشه مكونا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وزحف لملاقاة الأحباش ولما رآهم الأحباش اشتبكوا معهم فى معركة طاحنة استبسل فيها المسلمون "ونادوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ، ورجت الارض من تحتهم" فوقع الرعب فى قلوب الاحباش وولوا هاربين بعد أن قتل منهم عدة ألوف وأسر المسلمون منهم أكثر من أربعمائة وغنموا غنائم لا تحصى من الاسلحة والخيول والمواشى بالإضافة الى استرجاع جميع ما نهبه الأحباش فى المرة الأولى من بلاد المسلمين ، وأرسل الامام أحمد مجموعة كبيرة من الأسرى الى الوالى العثمانى فى زبيد . ممايشير الي أن هناك صلة صداقة بني الامام أحمدوحكام اليمن وغالباماتكون تلك الهدايا وسيلة لامداده بالأسلحة كلما احتاج اليها.

وتعتبر حملة ديجلهان آخر هجوم قامت به مملكة الحبشة ضد الدويلات الاسلامية ، فقد تحولت بعدها من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع فحسب .(٣)

وبعد هذا النصر الكبير تفرغ الامام لتوحيد القبائل الصومالية بحيث ما أن حل عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م حتى كان الامام يفتح بلاد الحبشة وينتقل من نصر الى نصر .

الا أن هذه الانتصارات وهذا التفوق لم يكن ليرضى السلطان عمر دين

---

(١) Budge, op. cit., vol. I, PP. 327-328

(٢) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٢١ .

(٣) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ١٩ – ٢٢ ، انظر أيضا

الذى حاول عام ٩٣٥هـ أن يتآمر على الامام ويطعنه فى الظهر بعد انتصاره الكبير فى معركة صمبر كورى . واتخذ حجته فى هذا التمرد هو أن الامام أمر باخراج الزكاة فى مصارفها الشرعية وكان السلاطين المتأخرين يأخذونها لأنفسهم . واستغل السلطان عمر وجود الامام فى زربه بعيدا عن هرر وهاجم اتباع الامام وعبيده الموجودين فى هرر واستولى على خيولهم واسلحتهم وأموالهم . وتدخل فى الأمر الفقيه أبو بكر الأرشونى الذى انكر على السلطان أفعاله ،فرد عليه السلطان بأن على الامام أن يترك باقى اسلحته وخيله وجنده ويرحل هو وزوجته وأولاده إلى أى مكان خارج بر سعد الدين مثل اليمن أو مكة المكرمة ،وفى حالة عدم تنفيذه لهذا الأمر فسوف يدبر له من يقتله .

ولما بلغ الإمام ذلك عن طريق الفقيه أبو بكر ،استشار أصحابه وأمراء جيشه فأشار عليه الأمير حسين الجاترى – وأيده جميع القادة فى ذلك – بتجميع القبائل الصومالية وبقية جيشه المتفرق فى البلاد ومحاصرة السلطان فى هرر والقضاء عليه .

وبالفعل جمع الامام جموعه وسار إلى منطقة قريبة من هرر تسمى ويلقم استعدادا لمنازلة السلطان عمر ،فلما علم السلطان بوصول الامام ودنو الخطر من ملكه توسل إلى الفقهاء والمشايخ للتدخل بينه وبين الامام لعقد صلح معه ،وهكذا تدخل الفقهاء مرة أخرى لعقد الصلح ،ووافق الامام كعادته حقنا لدماء المسلمين .(١)

وهكذا عادت الأمور إلى نصابها ودخل الامام أحمد إلى هرر منصوراً مظفراً ،وأخذ فى الاستعداد لمواصلة الفتح فى مملكة الحبشة .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٨٩ – ٩١ .

ثانيا : فتوح الامام احمد بن ابراهيم فى مملكة الحبشة

(٩٣٥ هـ - ٩٤١هـ / ١٥٢٨م - ١٥٣٤م)

لم تكن فتوحات الامام أحمد بن ابراهيم فى مملكة الحبشة وليدة الصدفة أو الحظ ولكنها نتيجة التخطيط الطويل والسليم ووراء كل ذلك العقيدة القوية والإيمان الصادق الذى دفع بالامام أحمد ليخوض ميدان الجهاد مذللا كل العراقيل والصعوبات التى واجهته سواء من ناحية توحيد الجبهة الداخلية أو توحيد القبائل الصومالية أو إمداد الجيش بالأسلحة . وقد سطر الإمام صفحات مجد وفخار فى تاريخ الجهاد الاسلامى ، فقد كانت فتوحات الامام سريعة ومذهله ،فقد اجتاح مملكة الحبشة وسيطر على أكثر من ثلثيها فى ست سنوات فقط ٩٣٥هـ - ٩٤١هـ / ١٥٢٨م - ١٥٣٤م وظل يطارد الملك الحبشى لبنادنجل معظم تلك الفترة حتى ألجأه فى النهاية إلى الجبال فى اقصى الشمال الغربى للحبشة ومات الملك وهو مطارد ومعوز وفى أشد حالات البؤس .

وكان لفتوحات الامام أثرها الكبير فى نشر العقيدة الاسلامية وتحرير معظم سكان الحبشة من نير الكنيسة ولعل هذا يفسر دخول الأحباش بالاعداد الهائلة فى الاسلام خلال سير الفتوحات الاسلامية على عهد الامام أحمد .

أصبح جيش الامام يتكون من القبائل الصومالية بالاضافة إلى المجاهدين من سكان الدويلات الاسلامية على الساحل الشرقى لافريقيه ومن المجاهدين من جزيرة العرب المتطوعين للجهاد .

وقد خرج الامام بالجيش متوجها إلى الحبشة فى أولى غزواته وهى:

فتح بادقى :-

وقعت هذه الغزوة فى عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م وتعتبر أول امتحان لقدرة القبائل الصومالية على الصمود فى ميدان الجهاد ،وقد خرج الامام مع الجيش والقبائل تسير الواحدة تلو الأخرى وكل قبيلة ترفع العلم الخاص بها ونزلوا فى بداية الأمر فى بلدة تسمى زيفة ومكثوا بها ستة أيام ثم

تركوها إلى منطقة بها نهر كبير يسمى الدير وأثناء بقائهم على ذلك النهر وصل خبر خروج جيش الامام للجهاد إلى ملك الحبشة لبنادنجل الذى كان يقيم فى أرض بادقى ،وفى الحال جمع الملك بطارقته وحجابه وكبار رجال دولته للمشورة فقرر بعد ذلك الرحيل إلى أمحره لجمع المزيد من الجيوش وترك فى بادقى أحد بطارقته ويدعى عثمان بن دار على ،وكان عثمان مسلما من أسرة مسلمة ولكنه أسر على زمن السلطان محمد بن آزر وأجبره الملك الحبشى على التنصر ثم عينه بطريقا على بادقى .(١)

وفى أمحره جمع الملك الحبشى جيشا ضخما من قبائل التجراى والقجام وبقى مدر والعنقوت ،وعين لقيادة هذا الجيش أربعة وعشرين بطريقا وبقى هناك انتظارا لما تسفر عنه معركة الامام مع بطريق بادقى . وقد جمع البطريق عثمان بن دار على جيشا كبيرا فى بادقى من أهل دوارو وبالى وأهل الماية والجنز وأرعن وفطجار والداموت . وكان عدد أمراء جيشه سبعة بطارقة على أتم الاستعداد لمواجهة جيش الامام .

وكان الامام أحمد يعسكر فى منطقة الدير ثم تركها ورحل إلى منطقة نهر بقل زر ،ورتب جيشه وقسمه ،ووزع الرايات على قادته ،فأعطى راية بيضاء للوزير عدلى وراية حمراء لصهره متان بن عثمان وراية تجمع بين اللونين الاصفر والاحمر للوزير نور بن ابراهيم ، أما راية الامام احمد فكانت بيضاء وأطرافها حمراء ومكتوب عليها آيات الفتح والنصر من سور القرآن الكريم .(٢)
كما كتب على الراية ايضا بيتان من الشعر هما :-

الحرب إن باشرتها فلا يكن منك الفشل
واصبر على اهوالها لا موت الا بالأجل

وتمركز الامام فى قلب الجيش يحيط به مائتا فارس من اخلص اتباعه واصحابه

---

(١) البطريق كلمة تعنى قائد الجيش وغالبا ما يكون الحاكم لاحدى الولايات أو المناطق ونستنتج ذلك من قول المؤرخ عرب فقيه عن سيموا بن وناجان بانه قد أسره الأحباش ونصروه وبطرقوه موضع أبيه .
أنظر عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٠٧ .
(٢) الآية من ١ - ٣ من سورة الفتح ،والآية ١٣ من سورة الصف ،والآية ٢١ من
===/...

والمقربين منه مثل الامير حسين الجاترى والامير زحربوى محمد ابن عمه وكوشم ابو بكر والجراد أحموشه بن أحمد والجراد عبد الناصر ، وصبحو الدين وفرشحم سلطان بن على وفرشحم دين والامير ابو بكر قطين واورعى أبون بن عثمان وغيرهم . ثم سار الامام بجيشه من بقل زر إلى نهر كوبه ويفصل بينه وبين نهر عواش صحراء قاحلة ولا يمكن السير بها الا ليلا من شدة القيظ وقلة الماء لذلك عقد الامام مجلسا للشورى فى أمر مسير الجيش فى هذه الصحراء واتفقت الآراء على السير نهارا وبالفعل تمكن المسلمون من عبور الصحراء نهارا رغم الجهد والعطش حتى وصلوا إلى نهر عواش وبقوا هناك مدة للراحة ثم تركوا النهر وتوجهوا إلى أرض مرجاى وتزودوا منها بمؤونة الجيش ثم واصلوا سيرهم ونزلوا فى اماجة وهى بلدة من بلدان المسلمين استولى عليها الاحباش واصبحت خاضعة للملك الحبشى وبقى الإمام فيها ثلاثة أيام ولما علم أهل أماجة بنية الامام للتوغل فى مملكة الحبشة قالوا له : " إن ملك الحبشة معه قوة عظيمة وخيله لا تحسب وعدة من الدروع والخوذ والرجال والدرق لا يحصيهم الا الله تعالى ،وآباؤك واجدادك والامير على والامير محفوظ صهرك والجراد ابراهيم والسلاطين المتقدمة ممن ملك بر سعد الدين لم يكن أحد منهم يقصد ملك الحبشة الى بلده ومسكنه ،ولكن يغزون إلى أطراف البلاد ويغنمون ويرجعون ،واذا تبعهم أحد من الكفرة قاتلوا عما فى أيديهم وأنت تريد تقصد ملك الحبشة إلى وطنه والآن ستهلك المسلمين ." (١)

فأجابهم الامام : " الجهاد فى سبيل الله ما هو بتعب على المسلمين ،ونحن ما مرادنا إلا الجهاد ،ومن قتل منا صار الى الجنة ومن عاش منا عاش سعيدا ونحن نعرف أن ملك النصرانية وناج سجد [لبنادنجل] فى قوة وكثرة ولكن نحن ما نقاتلهم لا بكثرة ولا بقوة ،وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى اكرمنا الله به ." (٢)

=== سورة المجادلة ،والآية ٤٧ من سورة الروم ،والآية ٥١ من سورة غافر، والآيات من ١٧١-١٧٣ من سورة الصافات ،والآية ١٢٦ من سورة الاعرافه والآية ١٤٦ من سورة البقرة ،والآية ١٨١ من سورة آل عمران ،والآية ٧٧ من سورة النساء ،والآية ٢٧ من سورة المائدة ، انظر عرب فقيه ،نفس المصدر ص ٤١-٤٣.

(١) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٤٨ .

عند ذلك رحب أهل أماجه بجيش الامام وأمدوه بالمساعدة وانضم منهم من انضم إلى جيش الجهاد . ثم سار الإمام متوجها إلى أرضجان زلق وعسكر بالقرب من جبل فى تلك المنطقة يدعى جبل كسم وقد تحصن بذلك الجبل طلائع الجيش الحبشي بقيادة البطريق نصر بطريق مرجاى وهو من المسلمين الذين اجبرهم الاحباش على التنصر واشتبك المسلمون مع ذلك الجيش واستطاعوا هزيمته وغنموا منه اثنى عشر فرسا عدا البغال والمواشى الشئ الكثير ،وفر باقى الاحباش واستبشر المسلمون خيرا وبأن هذا هو أول النصر وعرف الإمام عن طريق الأسرى بعض المعلومات عن الملك الحبشى واستعداداته وأماكن تجمع الجيوش الحبشية .

ثم توجه الإمام إلى فطجار مارا بها فى طريقه إلى بادقى وعسكر بالقرب من بيوت الملك وخزائنه داخل المنطقة وأرسل من يتقصى له اخبار الجيش الحبشى فلم يجدوا من يخبرهم بالحقيقة لأن النصارى كانوا يجزمون على أن بادقى لا يوجد بها اى جيش للملك وكانت مكيدة وقع فيها المسلمون فقد توجه المسلمون الى بادقى على ظهور البغال لاعطاء الخيول قسطا من الراحة وأسلحتهم فى أغمدتها فلما هموا بدخول قرية بادقى فوجئوا بالجيش الحبشى وهو كالجراد المنتشر وأفراده مستعدون للقتال وكان يفصل بين بادقى وجيش المسلمين نهر سمرما ،فعسكر الجيش الحبشى على إحدى ضفتى النهروأصبح النهر حائلا بين الطرفين . وقد أشار الامام على المسلمين بأن لا يتعجلوا خوض المعركة وليصبروا حتى يتمكن من إيجاد مكان صالح للمناورة على ظهور الخيول ولخوض المعركة ولكن بعض قادته اصروا على منازلة الاحباش وعبور النهر ومنهم الوزير عدلى ،وأمام اصرارهم سمح الامام للوزير وفرقته بالاشتباك مع الجيش الحبشى ، فعبروا النهر ولكنهم هزموا هزيمة منكرة على أيدى الاحباش واستشهد من المسلمين اعداد كبيرة وغرق منهم جماعة فى مياه النهر وفر من بقى راجعا إلى جيش الامام أحمد وتبعهم الأحباش يريدون القضاء على جيش المسلمين ،فلما رأى الامام هزيمة الوزير عدلى نصب خيمته فى موضعه دلالة على أن الامام سيقاتل فى ذلك الموضع لا يتعداه فإما النصر او الشهادة

فقد قال له أصحابه : " يا إمام المسلمين اضرب الآن خيمتك ونقاتل قتال العرب يعنى بهم الصحابة رضى الله عنهم ." (١)

ثم قسم الإمام الجيش إلى ثلاث فرق أحداها بقيادة متان الصومالى وهى ميمنة الجيش والثانية بقيادة الوزير عدلى وهى فى الميسرة والثالثة بقيادة الامام أحمد نفسه وهى فى قلب الجيش . وأما الفرقة الأولى فقد عبرت النهر وخاض المسلمون القتال مع ميمنة الجيش الحبشى حتى غابت الشمس وفصل الظلام بين الفريقين كذلك كان الامام أحمد يقاتل بفرقته قلب الجيش الحبشى قتالا مستميتا مع أصحابه المخلصين المجاهدين حتى حلول الظلام ،وأما الوزير عدلى وهو أمير الميسرة فقد كانت فرقته متخصصه فى رمى القوس فأخرج لهم الأحباش قبيلة وثنية تدعى قبيلة المايه وهم يستخدمون السهام المسمومة التى إذا أصابت شخصاً تطاير شعره عن رأسه من شدة سميتها .

وقد أمر الامام أفراد الفرقة المتخصصة في الرماية بأن يجمعوا السهام التى يرميهم بها الاعداء والا يتركوها على الارض حتى لا يسترجعها الاعداء ليرموهم بها مرة اخرى .

واستمر القتال بين الوزير عدلى وقبيلة الماية حتى فرق بينهم الظلام .

وبات المسلمون والخيول ملجمة منذ يومين لم تفك الجمتها ولا سروجها وفى تلك الليلة هرب بعض المسلمين من ذوى النفوس الضعيفة الى المعسكر الحبشى وتنصروا لما رأوه من هول القتال وشدته .

كما أرادت فئة اخرى من المسلمين الفرار من ميدان القتال والعودة الى قراهم فكان الامام واصحابه يردونهم إلى ساحة المعركة ويحرضونهم على

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٥٤ .

القتال بآيات الجهاد فيقول لهم الامام : " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ." (١)

" اصبروا لعل الله يأتى بالنصر من عنده ." (٢)

ولكن لا حياة لمن تنادى فما أن طلع النهار حتى فرت معظم القبائل التى خرجت مع الامام ولم يبق معه غير أربعين فارسا من أخلص اصحابه ونحو عشرين راجلا . فتبع الامام واصحابه الفارين يردونهم لميدان القتال وارسل الامام بعض فرسانه الى بداية الطريق وكمنوا للفارين وأمروهم بأن يقتلوا كل من لا يريد الرجوع الى المعركة ،وتصدى لهم فرسان الامام وقالوا لهم : " أين المفر . وأقسموا بالله أن من يتقدم منكم نحن أحق بقتله والا فارجعوا واثبتوا وقاتلوا الكفرة ومن قتل منكم كان مصيره إلى الجنة ومن عاش منكم عاش سعيدا ." (٣)

وهكذا استطاع الامام اعادة القبائل الى ميدان القتال ،وكان الفقيه أبو بكر أرشونه يحرض المهزومين على الجهاد ،وتلا عليهم قول الله عز وجل " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين " (٤)

وقال الامام للفارين : " أين بلاد المسلمين من بلاد الكفرة ؟ والله ما يخرجكم الا سيوفكم والضرب والطعن ،أتفرون من الكفرة وما هو الا أجل قد كتب ." (٥)

ثم سار الإمام وجيشه متوجها إلى فطجار وفى الطريق كمنت فرقة من الجيش الحبشى للمسلمين ووقعت بين الطرفين معركة أبيدت فيها الفرقة الحبشية . ثم نزل المسلمون على نهر عجام جى وحطوا رحالهم وأعلفوا خيولهم وبغالهم

---

(١) سورة آل عمران ،الآية ٢٠٠ .
(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٥٧ — ٥٨ .
(٣) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٥٨ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٤٩ .
(٥) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٥٩ .

وتناولوا طعامهم وقد مضى عليهم يومان لم يأكلوا خلالها شيئا ، ومكثوا هناك مدة يومين واثناء بقائهم على النهر وصل اليهم ثلاثة آلاف نفر من قبيلة الماية الوثنية اصحاب السهام المسمومة وكانوا يقصدون الملك الحبشى مددا له وظنوا بأن معسكر المسلمين هو معسكر الجيش الحبشى وحدثت معركة بين الطرفين قتل فيها معظم أفراد القبيلة وأسر المسلمين الباقين منهم .(١)

موقعة صمبر كورى :-

وقعت هذه المعركة بعد موقعة بادقى فىمستهل شهر رجب من عام٩٣٥هـ/١٥٢٨م. مكث المسلمون على نهر عجام جى يرتاحون بعد معركة بادقى فى حين وصل الملك الحبشى بجيشه وكبار قادته إلى بادقى للحاق بجيش المسلمين ولما علم بتراجع جيش المسلمين عن المنطقة كرم قادة الجيش وأنعم عليهم بالهبات وأسند اليهم المناصب الهامة فىالدولة ،ثم سار لملاحقة جيش الامام أحمد الذى سار بالمسلمين عائدا الى بلاده هرر لتعبئة قواته من جديد ، فلما وصل المسلمون الى أماجة وأثناء عبورهم لمنطقة صمبر كورى إلى الشرق فى طريقهم الى هرر فاجاهم الملك الحبشى بأن طوق الجيش المسلم من ناحية الشرق وأغلق فى وجوههم طريق العودة .

وكان الملك لبنادنجل يصيح فى قادة جيشه يقول لهم : الحقوه ولا تطلقوه [أى الامام أحمد بن ابراهيم] وكان الجيش الحبشى يفوق الجيش المسلم عددا وعدة بمراحل كثيرة فقد أجمعتالمصادرالنصرانية والاسلامية على تفوق جيش النجاشى عدديا .(٢)

ويصف عرب فقيه الجيش الحبشى بأنه كالجراد المنتشر ويبلغ تعداده ستة عشر ألف فارس مجهزين بالخيول والاسلحة وأما المشاه ممن يحملون السهام

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٥٠ - ٦٠؛حسن احمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٤ - ٤٦٥؛محمد عبد الله النقيرة ،نفس المرجع ص ٢٣٠؛يوسف أحمد ،نفس المرجع ،ص ٣٥ - ٣٦،محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ،ص ٣٦ .

(٢) Tamrat, op. cit., P. 172.

والأقواس والحراب والسهام المسمومة اكثر من مائتى ألف ، أما عدد فرسان المسلمين فهم خمسمائة وستين فارسا ومشاتهم اثنا عشر الفا .(١)

فلما رأى المسلمون الاعداد الهائلة للجيش الحبشى لم يداخلهم الفزع، بل صمموا على النصر أو الشهادة ،ورتب الامام أحمد جيشه وقسمه الى قلب وجناحين وميمنة وميسرة وقال :"اللهم اجعل كلا منا صابرا ولدينك ناصرا" (٢) وكان الامام يحتل قلب الجيش ويحيط به كبار أصحابه وعددهم خمسمائة من المجاهدين وكانوا لا يفارقونه فى حضر ولا سفر ورافقوه فى جميع مراحل كفاحه من أجل الدفاع عن العقيدة الاسلامية .

ثم قام الإمام خطيبا فى جند المسلمين وقال لهم :
" أنا أقول لكم مثل ما قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا الى جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين ،للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .(٣)

ثم صلى المسلمون ركعتين وانتظروا وصول الجيش الحبشى . ثم زحف الجيشان حتى التقيا . فكان الصف الواحد من الجيش الحبشى يعادل فى العدد خمسة صفوف من جيش المسلمين حينئذ صاح الامام أحمد بجند المسلمين يقول لهم: اذكروا الله تعالى ولا تنظروا اليهم وانظروا إلى الأرض واستعينوا بالله عليهم واصبروا والله معكم فتنصروا والله ناصركم ومعينكم . وقام الفقيه أبو بكر أرشونه فخطب عند راية الامام وحرض المسلمين على القتال حتى وجلت القلوب وذرفت العيون وقال :

" معاشر المسلمين إن الجنة قد زخرفت والنار قد غلقت والملائكة قد اشرفت والحور العين قد تزينت فابشروا بالحياة السرمدية . (٤)

---

(١) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٦٢ — ٦٥ .
(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص٦٣.
(٣) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٦٥ .
(٣) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٦٧—٦٨ .

ثم قرأ : " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ." (١)

وبينما المسلمون مستعدون للقتال صاح الملك لبنادنجل على عساكره بالهجوم فحملوا على ميمنة المسلمين حملة رجل واحد ثم اختلط الجيش بالجيش وكثر الغبار وعلا صهيل الخيل ونادى الفقهاء " يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم اصبروا قليلا تنالوا كثيرا فهذه الحور العين تحت ظلال السيوف وأطراف الأسنة ".(٢) وبينما المعركة فى أوجها تراجعت ميسرة المسلمين من الصوماليين بعد أن أجهدهم القتال فانهزموا وتبعهم المشركون وقتلوا منهم ثلاثة آلاف ،وأما ميمنة المسلمين من قبيلة الحرله فقد تكاثرت عليهم جموع الأحباش ولكنهم صبروا وثبتوا لهم فكلما .أبادوا كتيبة دفع اليهم الأحباش كتيبة اخرى.

واستمر القتال حتى كلت الاذرع وكثر القتلى وخيم الغبار حتى لم يعد المسلم يعرف صاحبه ،ولم يزل القتال مستمرا من الضحى حتى المغيب عندها بدأ الأحباش فى التراجع والفرار بعد أن قتل منهم عدة آلاف وعدد الجرحى لا يحصى ،ونادى المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وأنزل الله النصر والقى الرعب فى قلوب الأحباش ،فتبعهم المسلمون وهم يأسرون ويقتلون حتى عم الظلام ،كما قتل كثير من قادة الملك الحبشى ومن كبراء دولته ،أما شهداء المسلمين من الصومال والحرلة والملساى ،ومن العرب خمسة آلاف شهيد وغنم المسلمون من الخيول والسيوف والدروع ومعدات الحرب ما لا يحصى .

وهكذا خاض المسلمون معركة من المعارك الفاصلة فى تاريخ الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه ،لتبدأ بعدها سلسلة من الانتصارات الاسلامية الرائعة ويعتبر بعض الباحثين الأوروبيين أن معركة صمبر كورى كانت نقطة تحول رئيسية فى سير حركة الجهاد حيث كسر الامام أحمد العمود الفقرى للمقاومة الحبشية

---

(١) سورة التوبة ،آية ١١١ .

(٢) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٦٩ .

ولم يستطع الملك لبنادنجل بعد هذا النصر الذى حققه المسلمون تجنيد جيش كالذى حشده فى معركة صمبر كورى .(١)

وبعد هذا النصر أراد الامام أحمد مطاردة الجيش الحبشى وأن يستمر فى الفتح الا أن معظم قادته أشاروا عليه بالتريث وقالوا له : " يا امام المسلمين قد ترى الآن ما نزل بنا وقد قتل من عسكرنا ،والجروح فاشية فينا وقل زادنا ،والآن تنزل بنا إلى بلادنا ونرتب عسكرنا ونغزو مرة أخرى ."

فوافق الامام على ذلك الرأى وعاد الى هرر وبقى بها شهرين ونصف هما شعبان ورمضان والنصف الأول من شوال من عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م.(٢)

فتح دوارو :-

بعد أن استراح الامام وجيشه فى هرر قرر الخروج مرة اخرى للجهاد فى سبيل الله فخرج بجيشه غازيا فاتحا إلى منطقة دوارو وذلك فى منتصف شهر شوال من عام ٩٣٥هـ ،ودوارو من الممالك الاسلامية التى استولى عليها الأحباش وحولوها إلى مقاطعة تابعة لهم .

وصل الإمام أحمد إلى دوارو فى الليل وقسم جيشه إلى فرقتين احداها بقيادة الوزير نور بن ابراهيم والفرقة الثانية تحت قيادته وكان الهجوم فى مطلع الفجر فلم يلق مقاومة تذكر من الأحباش فغنم غنائم كثيرة . وفى اليوم التالى أرسل الامام فرقة من جيشه إلى أرض جواتر بالقرب من دوارو فأغاروا عليها وغنموا كثيرا ،ثم أنضم الامام أحمد إلى تلك الفرقة

---

(١) Tamrat, op. cit., PP. 172 - 173.

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٦١ - ٧٣ ؛يوسف احمد ،نفس المرجع ،ص ٣٥ ؛ حسن احمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٤٦؛ Tamrat, op. cit., PP. 172-173; Trimingham, op. cit., P. 87; Budge, op. cit., vol. I, P. 328.

فى أرض جواتر وساروا إلى منطقة أخرى من دوارو تدعى أدل مبرق ،وقد تصدى لجيش الامام بطريقها ويدعى أبيل ،فوقعت معركة بين الطرفين فى أحد الاودية الضيقة فى المنطقة انتهت بانتصار المسلمين وأسر البطريق أبيل ،وقد فدى نفسه وأطلق سراحه فيما بعد ،وغنم المسلمون فى هذه الغزوة غنائم كثيرة وكان يحكم دوارو من قبل الملك الحبشى بطريق يدعى رأس بنيات وقد علم بهجوم المسلمين على منطقته فجمع جيشا ضخما وأغلق طريق العودة على المسلمين وهو الطريق الوحيد للخروج من دوارو • فتشاور الامام أحمد فى الأمر مع قادة جيشه وقرر الاستعانة بالبطريق أبيل المأسور لديه ،فأمر باحضاره وقال له: " ان هؤلاء الكفرة إن منعونا الطريق قتلناك وبعدما نقتلك نقاتلهم فاذا قتلنا فى الجهاد فنعم المراد •" (١)

فأجابه البطريق بأنه سيتوسط لدى البطريق رأس بنيات بأن يغادر جيشه تلك المنطقة ليتمكن المسلمون من العبور على شرط ألا يحرق المسلمون كنائس الملك فى دوارو فوافق الامام على هذا الشرط وارسل البطريق أبيل رسوله الى رأس بنيات يعرض عليه الأمر ويقول له : " قد شرطت على المسلمين شرطا على أنهم لا يحرقون كنائس الملك ،وعلى أنك ترتفع من هذه الطريق التى أنت فيها وتخليها لهم ،فان أبيت ذلك أعطى الله النصر للمسلمين عليك ويحرقون كنائس الملك على ذلك ،والآن أرسل الضيافة للمسلمين والهدية للإمام أحمد ،فانى قد عقدت لك الصلح على هذا " (٢)

فقبل البطريق رأس بنيات بهذا الصلح وأرسل رسولا إلى الإمام يعلن عن رضاه بالصلح وعلى أن يدفع الجزية للمسلمين فى مقابل أن يرجع المسلمون عن بلده وألا يدمروا الكنائس التى بناها الملك الحبشى • فوافق الإمام أحمد وسار هو وجيشه إلى أرض رأس بنيات وتقبل الهدية من البطريق دلالة على عقد الصلح ثم سار الامام إلى منطقة تدعى ورقال ففتحها ثم واصل سيره إلى منطقة جان عنبا فعسكر بها وقسم الغنائم على الجيش ثم رحل إلى بلدة تدعى ترفر وأثناء بقائه بها جاءه أحد بطارقة

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٧٦ •

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٧٧ •

الملك الحبشى ويدعى راجح - كان مسلما ثم نصره الملك الحبشى - يعلن اسلامه وانضم إلى صفوف الإمام وكان له عوناً فىإرشاده الى أماكن تجمع الجيوش الحبشية ومواطن الضعف فى تلكالجيوش . ثم بث الامام عيونه لتقص أخبار الجيش الحبشى فجاءته الأخبار بأن الكفرة مجتمعون فى موضع يسمى بور وهو نهر كبير يمكث بقربه الجيش الحبشى ليلا ويتحصن بالجبل أثناء النهار .

وقد قرر الإمام مفاجأة الأعداء ليلاً علىالنهر فأرسل اليهم فرقة من جيشه مكونة منخمسمائة نفر منالمشاة وأُسند قيادة هذه الفرقة إلى راجح على أن يتبعه الإمام مع باقي الجيش .

وتقدمت فرقة راجح ولكنهم ضلوا الطريق فى الظلام فعادوا إلى معسكر المسلمين بعد أن تركه الإمام وسار فى المقدمة مع ثلاثين فارسا من أخلص اتباعه ،فلما وصل الامام الى نهر بور لم يجد فرقة المشاة وقائدهم راجح فتشاور مع أصحابه فأشاروا عليه بخوض القتال وقالوا له : " نتوكل على الله ونكبسهم والله يعطينا النصر ." (١)

ووافقهم الإمام أحمد على رأيهم واستعدوا للقتال وما أن بزغ الفجر حتى هجموا على الجيش الحبشى الذى كان تحت قيادة البطريق فانيل واستمر القتال فترة إنهزم بعدها المشركون وعلى رأسهم البطريق وغنم المسلمون غنائم كثيرة وأُسروا ثلاثة من بطارقة الملك الحبشى هم البطريق كفليه والبطريق برين والبطريق كولى وقتل من الجيش الحبشى مائةجندى . وطارد المسلمون فلول الجيش حتى وصلواالى نهرآخريدعى بوس وعند هذا النهر عسكر الإمام وفرسانه وقضى صلاة الصبح وأراح المسلمون خيولهم وسقوها وتناولوا طعامهم ،وبينما هم على ذلك اذا بجيش للحبشة يطوق المسلمون من جميع الجهات بقيادة البطريق رأس بنيات الذى نقض الصلح وقاد جيشه،وكان يتألف من ستمائة فارس ومعه معظم بطارقة دوارو وأحاطوا بالامام أحمد وفرقته،واحتلوا الجبال

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٨١ .

المحيطة بالمنطقة بحيث لم يعد أمام المسلمين سوى الاحتماء بالأشجار على ضفاف النهر .

وأيقن الامام أحمد واصحابه أن قيامتهم ومحشرهم فى ذلك المكان . فتشاور الإمام وأصحابه وقرروا خوض القتال حتى آخر نفر منهم وقال الامام لاصحابه : " أنا وأنتم فى هذا الأمر سواء فاستعينوا بالله على أعداء الله وقاتلوا على دينكم وشرعكم فمن قتل منا صار الى الجنة ومن عاش عاش سعيدا (١).

وأخذ الأعداء يقذفونهم بالحجارة فلما رأوا أن الحجارة لا تصل الى المسلمين نزلوا من الجبل ليقتربوا من المسلمين وكان هذا من تيسير الله عز وجل حيث يستطيع المسلمون الاشتباك معهم بعد أن تركوا أماكن تحصنهم بالجبل . وكان مع المسلمين بندقية واحدة يحملها رجل يدعى عثمان فأطلق البندقية على قائد المشاة الأحباش فقتله فحينئذ كبر المسلمون تكبيرة واحدة وحملوا حملة رجل واحد ،واقتتلوا مع المشركين قتالا شديدا حتى انهزم البطريق رأس بنيات وفر هاربا يتبعه أصحابه وطارده المسلمون فصاح البطريق فى أصحابه يحرضهم على العودة لقتال المسلمين ويقول لهم : أيهزمكم عشرون فارسا من المسلمين وأنتم ستمائة ما بين فارس وراجل ؟ فعاد الهاربون لميدان المعركة واستمرت المعركة ساعات أخرى ،حتى انهزم الأحباش وفر البطريق رأس بنيات وطارده المسلمون حتى فرق بينهم الظلام ،وغنم المسلمون غنائم لا تحصى من الخيل والمواشى والاسلحة والخيام وغيرها .

وأرسل الامام ليبشر باقى الجيش بالنصر وأمرهم أن يلحقوا به ،ثم نزل فى بلد يسمى غفة للراحة والصلاة ،ووصل باقى الجيش الإسلامى بعد يومين واستراح المسلمون ستة أيام ثم ساروا إلى بلد يسمى زواحه ففتحوها وغنموا منها .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٨٤ .

وهنا أراد الامام أحمد الاستقرار فى الحبشة وطلب من عسكره وأهله اللحاق به الى مكانه ليواصل الجهاد من داخل الأراضى الحبشية حتى تصبح أرض للاسلام ،ولكن الجيش لم يقبل بذلك فأشار عليه أصحابه بالعودة الى هرر وقالوا له : " هؤلاء الجيش قد تعبوا ولا هم راضون بالجلوس ولكن نرجع بهم الى بلادنا وان غزونا بعد هذا وأردت أن تجلس جلسنا ." (١)

فوافقهم الامام على ذلك ودخل كثير من أهل دوارو فى الاسلام وانخرط كثير منهم فى جيش الجهاد .

وعاد الامام متجها الى هرر وفى الطريق عسكر عند نهر الدير ووزع الغنائم حسب الشرع وأخرج الزكاة ثم دخل الى هرر منصورا مظفرا . ثم توجه بعد ذلك الى زربه وسرح الجيش وأمر المجاهدين بالراحة واصلاح السلاح واعداد الخيول حتى يدعوهم للجهاد مرة أخرى ،وتفرغ هو للاصلاح بين القبائل واعدادها للجهاد فى سبيل الله مرة أخرى .(٢)

فتح بالى :-

بعد غزوة دوارو بقى الامام فى هرر عدة أشهر من سنة ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م حتى يتم استتباب الأمور الداخلية وإنهاء التمرد الذى قاده السلطان عمر دين وبعد عقد الصلح بين الامام أحمد والسلطان وبعد أن أعاد ترتيب القبائل التى سوف تخرج معه للجهاد قرر الإمام أحمد أن يخرج للجهاد فى سبيل الله مرة أخرى ،فاستشار قادته واصحابه فى الاتجاه الذى سيسلكه هذه المرة فاجمعوا على الاتجاه نحو منطقة بالى المسلمة التى ترزح تحت نير السيطرة الحبشية ،ولكن كانت هناك عقبة أمام جيش الامام وهى انعدام مصادر المؤونة للجيش من الطعام والكساء والخيام وغيرها . فقرر الامام أحمد الاستعانة

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٨٧ .

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٧٤ – ٨٩؛ حسن أحمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٥؛ محمد عبد الله النقيرة ،نفس المرجع ،ص ٢٣١؛ فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ١٥٢ ،
Tamrat, op. cit., P. 173; Budge, op. cit., vol.I, PP.328.333; Trimingham, op. cit., P. 87.

بأسر الأشراف المستوطنين فى الدويلات الاسلامية فى شرق افريقيه ومنهم الشريف علوى بن على الشاطرى والشريف محمد بن عمر الشاطرى والشريف على بن عمر الحسينى . وقد طلب الامام أحمد حضورهم اليه وعرض عليهم الأمر فرحبوا فرحين بتجهيز جيش الجهاد بما يحتاجه من المؤونة والخيام . كما ساهم كثير من المسلمين فى تجهيز جيش بالى .

وهكذا سار الجيش بقيادة الامام متجها نحو بالى فى شهر رمضان من عام ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م ونزلوا فى منطقة تسمى دلفاى وهى من المناطق الاسلامية، فرحب سكانها المسلمون بالجيش وأعانوهم بالمدد والطعام ،وكذلك خرج لاستقبالهم الأشراف النازلون فى دلفاى واستضافوا الجيش واكرموه ،وبعد أربعة أيام واصل الجيش مسيرته نحو بالى وبعد ستة أيام وصلوا إلى مكان يسمى ميزا فعسكروا به وقسم الامام جيشه إلى قسمين وأسند إمرة القسم الأول إلى أورعى أبون والقسم الآخر بقى تحت قيادته واتفقوا على أن يسير كل قسم فى جهة وأن يلتقوا فى موضع يسمى أدل جلات وعلى كل فريق أن يتتبع أخبار الجيش الحبشى ومكان وجوده .

وصادف الامام فى طريقه مجموعة من رجال النصارى وهم فى طريقهم الى بلاد المسلمين لإعلان إسلامهم فاستضافهم الامام فى معسكره وحصل منهم على معلومات قيمة عن احوال الجيش الحبشى واستعداداته الحربية ،وكان يحكم بالى من قبل الملك الحبشى بطريق يدعى أزماج دجلحان [أو أزماج ديجلهان] صهر الملك لبنادنجل وقد خرج من بالى فى ذلك الوقت لزيارة الملك الحبشى وقد ترك بدلا عنه فى حكم بالى بطريقا آخر يدعى شنكور وكان يقيم فى منطقة زلة،وفى منطقة أخرى من بالى تدعى قاقمة كان يوجد بطريق آخر يدعى تخلى أمانوت [أو تكلا أمانو] وكان هذا البطريق مسلما من أتباع الجراد أبون وقد ولاه الامام أحمد منصبا فى دولته ولكنه ظلم الرعية وآذاهم فشكوه الى الامام أحمد فعزله ولكنه أعلن سخطه على الإمام وهرب إلى ملك الحبشة لبنادنجل وتنصر عنده فولاه بطريقا على قاقمة .

وقد طلب الامام أحمد من هؤلاء الداخلين فى الاسلام أن يدلوا جيشه على

طريق قاقمة فوافقوا على ذلك ..

وجهز الامام ثلاثين فارسا من أمهر فرسان المسلمين وأسند قيادتهم الى أبو بكر قطين وأمرهم بالتوجه مع الأدلاء إلى قاقمة لأسر تخلى أمانوت وقال للأمير أبو بكر : " اذا لم تجيء بتخلى أمانوت وتمسكه أسيرا الى عندنا ما نعدك من الرجال ." (١)

وقرأ المسلمون الفاتحة وودعهم الإمام وتوجهوا إلى قاقمة وكان الوقت عصرا ،ثم مضى الإمام مع باقى الجيش إلى منطقة تسمى عقرى فوصلها فى وقت السحور ويعتبر أهل عقرى من المسلمين الخاضعين لملك الحبشة ،فخرجوا مرحبين بالإمام وجيشه وبعد استراحة الجيش عبر المسلمون جبلا فى المنطقة فوصلوا الى أرض واسعة من الاراضى التى يسكنها النصارى فهاجموها ثم واصلوا السير حتى وصلوا إلى بلد أدل جلات التى اتفق الامام مع اورعى أبون على الالتقاء بها فعسكر المسلمون بها مع الامام ومكثوا ينتظرون وصول القسم الآخر من الجيش .

أما أورعى أبون فقد هاجم قاقمة وفتحها وغنم منها غنائم كثيرة وأما الأمير أبو بكر قطين الذى أرسله الامام ليأسر تخلى أمانوت فقد حاصر بيته ليلاً دون أن يعرف عدوه عن الأمر شيئا وما أن طلع الفجر حتى شن فرسان المسلمين الهجوم على منزل تخلى أمانوت واقتحموها وكان يحيط بالمنزل حرسه الخاص من جنود الأحباش فحدثت معركة بين الطرفين انتصر فيها الأمير أبو بكر وقبض على تخلى أمانوت بصعوبة بالغة بعد أن تقاتل معه فترة طويلة ،وأسره هو وزوجته وعاد الى معسكر الامام أحمد فى أدل جلات ، فأرسل الإمام تخلى أمانوت هدية الي حاكم عدن الطاهرى ويدلنا ذلك على الصلات الوثيقة بين الامام أحمد وحكام اليمن سواء كانوا عثمانيين أو طاهريين وذلك لكي يكونوفي مساندته وقت الحاجة . ثم سار الامام الي نهرونبات ومن هناك أرسل سرية من جيشه بقيادة الأميرزحربوى محمد وأمره أن يسيرالي أرض مالو في وسط بالي لفتحها فوصلها الاميرزحربوى وفتحها وغنم غنائم كثيرة ثم عاد الى معسكر الامام في أدل جلات .

---

(١) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٩٥ .

واستعد الامام بعد ذلك لفتح زله التى كانت تحت حماية البطريق شنكور وقد سمع البطريق بما فعله الامام مع تخلى أمانوت وسقوط معظم مناطق بالى فى يده ،فجمع جيوشه واستعد لمواجهة الامام واتجه نحو معسكره ،وعندما اقترب شنكور من معسكر المسلمين أرسل فرقة من جيشه مكونة من ستين فارسا لاستطلاع اخبار جيش المسلمين ، فتسللوا الى طريق المعسكر وقتلوا بعضا من المسلمين فانتبه المجاهدون لما يجرى وركبوا خيولهم وحملوا اسلحتهم وخرج الامام وبعض من أصحابه يتعقب المهاجمين فلم يلحق بهم . وارسل الامام سرية بقيادة الامير أبو بكر الى نهر وبى للاستيلاء على مواشى الجيش الحبشى التى كانت ترعى هناك فاستطاع أن يستولى عليها جميعا ويعود بها الى جيش الامام فى هيبوت .

أما البطريق شنكور فقد قسم جيشه إلى ثلاث فرق للهجوم على مقدمة جيش المسلمين ووسطه والساقة حيث تختص كل فرقة بجهة معينة .

ووقعت المعركة بين الطرفين استبسل فيها المجاهدون والحقوا الهزيمة بجيش شنكور ففر هاربا ولم تلحق بأى من الطرفين خسائر تذكر . ثم لجأ الأحباش إلى جبل فى المنطقة فاعتصموا به وبقى المسلمون يعسكرون بالقرب من نهر الوبى وعقد الامام مجلسا للشورى من اجل التوصل الى خطة ناجحة لفتح بالى والتعرف على أسلوب الحرب الذى يتبعه الأحباش للحرب فى هذه المنطقة .

وفى اليوم التالى هاجم الجيش الحبشى جيش المسلمين ووقعت معركة طاحنة بين الطرفين انتصر فيها المسلمون وقتل بطريقان من قادة الأحباش وبعد عدة أيام وأثناء سير المسلمين هاجمهم الأحباش مرة أخرى بقيادة البطريق سيموا بن وناج جان وهو ابن حاكم بالى المسلم وناج جان الذى أسره الملك ناعود وأجبره على التنصر كما أسر سيموا هذا ونصّره الملك الحبشى ناعود وعينه بطريقا على إحدى مناطق بالى وقد تصدى الامام احمد للبطريق سيموا وهزمه شر هزيمة والجاه الى الفرار بعد أن قتل كثير من أفراد جيشه .

ثم سار الإمام أحمد بجيش الجهاد إلى موضع يسمى دل باد وعسكر فيه ووزع

الغنائم ثم واصل المسير الى نهر وبى فوصل اليه بعد ستة ايام وبعد ذلك توجه إلى هرر مظفرا وبقى بها نحو شهرين .(١)

موقعة انطاكية :

وقعت معركة انطاكية فى منطقة دوارو فى شهر رجب من سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م. بقى الامام احمد فى هرر مدة شهرين عقب عودته من فتح بالى ثم قرر الخروج مرة اخرى للجهاد فى مملكة الحبشة وأخذ فى الاعداد للجيش بتجميع القبائل الصومالية فى زربه وأرسل إلى زيلع يطلب شراء الأسلحة وفى هذه المرة طلب شراء مدافع من اليمن ليستعين بها فى الفتوح وبالفعل فقد اشترى له امير زيلع ما يريده من المدافع وبلغ عددها سبعة مدافع جاءت من اليمن برفقة سبعين رجلا من قبيلة المهرة لتشغيل المدافع والمشاركة فى الجهاد وترأس السبعين رجلا الشريف محمد بن أحمد المرزوق . ووصلت الأسلحة والمدافع والوفد إلى الامام أحمد فى زربه فأكرمهم ورحب بهم .(٢)

ثم توجه الامام بالجيش إلى بلدة زيفة ومكثوا بها فترة ثم واصلوا المسير حتى وصلوا الى نهر كبير يدعى شيح ومنه وصلوا إلى نهر الدير فعسكروا به عدة أيام للراحة ،ثم زحفوا إلى بقل زر وفيها قسم الامام أحمد الجيش الى ثلاث فرق واتجه إلى نهر عواش وعسكر بالقرب منه ثم استشار الامام قادة الجيش وأصحابه حول وجهة الجيش القادمة فأشاروا عليه أن يتجه الى دوارو لاستكمال فتحها فوافقهم على ذلك وأرسل فرقة الوزير عدلى إلى بلاد الدبعة من الوثنيين لجمع الميرة من المواشى ،ثم سار الامام وجيشه إلى دوارو فوصلوا إلى موضع يقال عنه عرقوبى وفيها وجدوا أن الملك الحبشى قد استعد لمواجهة المسلمين فقد أمر بطريقة على دوارو أن يحفر خندقا فى الطريق المؤدية الى

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٩٢ - ١٠٩؛ محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ،ص ٣٦؛ حسن أحمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٥؛ فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ١٥٢؛ محمد عبدالله النقيرة ،نفس المرجع ،ص ٢٣١؛
Budge, op. cit., vol. I, P.333 Tamrat, op. cit., P. 173.

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٠٩؛ الشيلى ،نفس المصدر ،ق ٧٥٥ .

بلدة دل ميده وهي البلدة التي هزم فيها من قبل الامام محفوظ والسلطان محمد وقتل فيها من المسلمين اعداد هائلة .

كان يحكم دوارو البطريق بحر سجد ولكنه مات قبل وصول المسلمين فعين الملك لبنادنجل مكانه بطريقا يدعى عدليه فكمن للمسلمين على الخندق واستعد لخوض القتال . أما الإمام أحمد فقد أسر بعضا من الأحباش في طريقه وسألهم عن طريق آخر يعبره المسلمون غير طريق الخندق ،فدلوه على طريق ضيقة غير مشهورة ،فعبرها الجيش المسلم ووصل إلى دل ميده ،ففوجئ الأحباش بأن جيش الامام قد أصبح وسط البلدة فتركوا الخندق وتوجهوا إلى بلدة باب سري وعسكروا بها ،وأرسل الامام أحمد عيونه لتتقصى أخبار الجيش الحبشي فجاءته الأخبار بتجمعهم في باب سري وأن هذا الجيش من الجيوش الصغيرة التي يقصد بها ملك الحبشة تشتيت انتباه المسلمين وقوتهم . فقرر الامام أن يسير الى جيش الحبشة الرئيسي الذي أعده الملك لبنادنجل في انطاكية لمنازلته .

سار الامام بجيشه متجها إلى انطاكية وكان بها كنيسة ضخمة من كنائس الأحباش اجتمعوا حولها للدفاع عنها حتى لا يحرقها المسلمون . وكان يقود الجيش الحبشي البطريق أزماج دجلحان صهر الملك .

أما الامام أحمد فقد نزل بجيشه في وطمات أولا ثم واصل سيره قاصدا أيفرس وهي أقرب بلدة الى انطاكية وللوصول اليها لابد أن يعبر جيش المسلمين نهرا كبيرا يسمى نهر عاره ،وهناك طريقان لعبور النهر ، الطريق السفلي وهو طريق معروف يكمن فيه الأحباش أما الطريق العلوي فهو طريق غير معروف دل عليه المسلمين رجل يقال له حيدر فتقدم الإمام مع خمسة عشر فارسا من فرسان المسلمين لاستكشاف الطريق فلما تأكد الامام من سلامته عبر النهر وأرسل إلى باقي الجيش للحاق به وفي الليل تمكن جيش المسلمين من العبور وحملوا المدافع على رقاب الرجال وعبروا بها النهر . وفي اليوم التالي دخل المسلمون بلدة أيفرس وعسكروا بها .

أما البطريق أزماج دجلحان فقد أصابه الرعب من مواجهة الامام فأرسل

سرا إلى زوجته يطلب منها التوسط لدى أخيها ملك الحبشة ليعفيه من قيادة الجيش ويسند القيادة إلى بطريق آخر وبالفعل أعفاه ملك الحبشة من قيادة جيش انطاكية وأسند القيادة الى البطريق اسلاموا بطريق فطجار .

وقد وصل هذا البطريق إلى أرض انطاكية ومعه اعداد كبيرة من محاربي قبيلة الماية أصحاب السهام المسمومة .

أما الامام أحمد فقد سار بالجيش ودخل إلى انطاكية وعسكر بالقرب من الكنيسة فى مواجهة الجيوش الحبشية وخرجت كتيبة من المجاهدين للتحرش بالأحباش ،ووقعت معركة صغيرة انهزم فيها الأحباش وولوا هاربين وكان يقود الأحباش بالاضافة إلى البطريق اسلاموا بطريق آخر يدعى أبيت . وقد ارسل كتابا إلى الامام أحمد يتهدده ويقول له : " إن الحرب سجال أدلك الله علينا فى وقعة صمبر كورى وقتلت رجالنا وفرقت أبطالنا والآن اتركنا ويكفيك ما فعلت بنا ،والا أهلكك الله كما أهلك قرية لوط ولا تتكبر ." (١)

ولم يرد عليه الامام بل ضحك استخفافا مما ورد فى كتابه ثم جمع الامام كبار أصحابه من المجاهدين واستشارهم فى وضع خطة عسكرية لمواجهة الجيش الحبشى الذى انقسم الى فرقتين أحداهما بقيادة اسلاموا والأخرى بقيادة أبيت . فأشار عليه المسلمون أن يقسم الجيش الى فرقتين لمنازلة الأعداء ، احدى هاتين الفرقتين تكون بقيادة الوزير نور والأخرى بقيادة الامام نفسه واصبح الجيشان فى مواجهة بعضهما البعض ،وبلغ تعداد الجيش الحبشى ستة آلاف فارس ،ومائة ألف من المشاة تقريبا أما المسلمون فبلغ عدد فرسانهم خمسمائة والمشاة عشرة آلاف رجل .

واشتبكت مقدمة الجيشان فى معركة استمرت من الصبح حتى العصر ولم ينتصر أى من الجانبين وتراجع الطرفان للراحة .

وفى اليوم التالى لجأ المشركون إلى جبل يقاتلون من فوقه والمسلمون باقون فى مواقعهم اسفل الجبل وقد لحقهم من جراء ذلك أذى كبير حيث كان الموقع مكشوفا للأحباش ومدفعيتهم تصل إلى المسلمين بسهولة . لذلك استدعى

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١١٩ .

الامام المختصين باطلاق المدافع من قبيلة المهره وأمر رئيسهم سعيد بن صعبان المهرى أن يطلق المدفع على الأعداء فىالجبل وأمر جيشه بالهجوم بعد اطـــلاق المدفع مباشرة واستغرق اعداد المدفع واطلاقه مدة طويلة الا أن الطلقـــة الواحدة أفزعت المشكرين وسادت الفوضى بينهم فهجم عليهم المجاهدون انزلـوا بهم هزيمة ساحقة بعد أن صعدوا اليهم فى الجبل واستمر القتال حتى حـــل الظلام وافترق الفريقان ،وفى الليل هرب البطريق اسلاموا وفلول جيشه مستترين بالظلام فلما طلع الصبح لم يجد المسلمون لهم أى آثـــر .

سار المسلمون إلى كنيسة انطاكية وأمر الامام بإحراقها ثم سار الامـــام يتبع آثار البطريق اسلاموا فأدركه وهو هارب ووقعت معركة طاحنة بيـــن الطرفين انتصر فيها المسلمون وقتل من الأحباش اعداد هائلة حتى شبـــه المسلمون هذه المعركة بمعركة صمبر كورى ،وهرب البطريق ناجيا بنفسه بعـــد الهزيمـــــة .

وجمع المسلمون من الغنائم ما لا يحصى ومن الاسرى والماشية والخيـــل والأسلحة والخيام الشىء الكثير . وبقى الامام فى أيفرس للراحة وعانـــى المسلمون آنذاك كثيرا من شدة البرد وتوفى عدد منهم بسبب ذلك .(١)

السرايا بعد انطاكيـــــة :

وخلال بقاء الإمام فىأيفرس أرسل سرية بقيادة فرشحم دين إلى بلدة مجلـه بالقرب من أيفرس ففتحها وبقى بها أربعة أيام ثم عاد الى معسكر الامام .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٠٩ – ١٢٦ ؛ محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ص ٣٦ – ٣٧ ؛
Tamrat, op. cit., PP. 173 - 175; Budge, op. cit., vol.I, P. 333 .

ثم ارسل الامام سرية اخرى بقيادة الوزير عدلى وأمره بالتوجه إلى أرض جنبه وفتحها وهى منطقة بالقرب من شرخه ،وسار الوزير عدلى الى حيث أمره الامام وفتح جنبه وغنم منها غنائم كثيرة ،ثم أرسل الوزير عدلى فرقة من جيشه إلى شرخة وكان بها البطريق بدلى فيت وقد استعد لقتال المسلمين فى جيش مكون من خمسين فارسا وخمسمائة من المشاه ،وقد تحصن فوق ربوة عالية ولما وصل المسلمون إلى شرخه حاصروا البطريق وهو فوق الربوة ودارت معركة بين الجانبين صعد خلالها المجاهدون إلى الربوه واقتتلوا مع الأعداء قتالا شديدا انتهى بانتصار المسلمين وفرار البطريق بدلى فيت وغنم المسلمون غنائم كثيرة وأسروا اثنين من البطارقة ٠

ثم عادت الفرقة إلى جيش الوزير عدلى فى جنبه ٠ ثم جاءت الأوامر من الامام احمد إلى الوزير عدلى والوزير نور بفتح شرخه فتوجها اليها وفتحاها عنوة بعد معركة حدثت بين جيش المسلمين وجيش الحبشة بقيادة البطريق أزماج أركيه وانتهت المعركة بانتصار المسلمين وأسر كثير من بطارقة الاحباش كما أسرت زوجة البطريق أركيه وأولاده فلما علم البطريق بوقوع أسرته فى الأسر دخل فى الإسلام فأعاد اليه الامام زوجته وأولاده ٠ (١)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٢٧ – ١٣١ ٠

موقعة زرى :-

وقعت هذه المعركة في شهر رمضان من عام ٩٣٧هـ /١٥٣٠م نزل المسلمون فى عندوره وكان بها كنيسة ضخمة شاهقة البنيان بناها وسن سجد عم الملك لبنادنجل ،وقد استمر بناؤها احدى عشرة سنة ،فدخل المسلمون هذه الكنيسة بعد أن هرب حراسها من قبيلة الدبعة الوثنيين ،وغنموا ما فيها من البسط الرومية والأثاث والقماش والحرير وغيره ثم أحرقوها • ومكثوا فى عندوره ستة أيام ،ثم سمع الامام بوجود خزانة أموال وسن سجد فى منطقة جاتر فأرسل اليها بعض فرسان المسلمين للاستيلاء عليها فلم يجدوا الا نصف الخزانة وقد هرب الأحباش بنصفها عندما سمعوا بقدوم المسلمين ،ومعظم محتويات الخزينة كان من الأقمشة والحرير وغيره ولم يجدوا بها شيئا من الذهب •

ولما سمع الملك الحبشى لبنادنجل بهزيمة جيشه فى انطاكية ودخول المسلمين الى عندوره جمع جيشا ضخما منأهل التجراى وعين لقيادته تخلى سوس وأمره بالتوجه الى داورو للتصدى لجيش المسلمين ،وأمر البطريق اسلاموا المهزوم فى انطاكية بأن يضع نفسه وجيشه تحت امرة تخلى سوس ،كما توجه مع الجيش ثلاثون بطريقا من بطارقة التجراى ،ثم توجه ذلك الجيش باتجاه دوارو فعبر نهر عواش واجتمعوا مع البطريق اسلاموا فى زرى •

ثم قرر قائد الجيش الحبشى محاصرة المسلمين فى دل ميده على اعتبار أن الامام أحمد سوف يقود جيشه فى ذلك الاتجاه فى طريقه إلى بلده هرر• وفى تلك الأثناء وصل الخبر إلى الامام أحمد بما يدبره الأحباش عن طريق أثنين ممن اعتنقوا الاسلام حديثا وهربا من معسكر الأحباش وانضما إلى معسكر المسلمين ،فأرسل الامام أحدهما ويدعى عمر لتقص أخبار الجيش الحبشى ومكان وجوده وطبيعة الأرض التى يعسكر فيها هل هى واسعة تصلح لمجال الخيل أم لا ،وكم عدد الفرسان وكم عدد المشاة وغير ذلك من المعلومات ، فخرج عمر ،وعاد بعد يومين إلى الامام وأخبره بكل ما يريد من المعلومات

المطلوبة . فجمع الإمام قادة الجيش واستشارهم فأجمعت آراؤهم على مفاجأة الأحباش والهجوم عليهم فى موقعهم ،ثم سار الجيش من عندوره باتجاه زرى بعد صلاة المغرب وخلف الامام في معسكر المسلمين القائد عبد الناصر مع أربعين فارسا ومعهم مؤونة الجيش والغنائم والمدافع على أن يلحق بالإمام فى فجر اليوم التالى .

وسار المسلمون طوال الليل والفقهاء يقرأون القرآن والمجاهدون يستمعون فى خشوع حتى وصلوا إلى قرب المعسكر الحبشى وقت السحور ،وانتظروا حتى الفجر للراحة من مشقة السفر . وبينما المسلمون يأخذون قسطهم من الراحة خرج الامام مع بعض الادلاء ليتقصى أخبار الجيش الحبشى وأصلح الاماكن لتطويقه والهجوم عليه . وما أن انبلج الصبح صلى المسلمون صلاة الفجر وتوجهوا إلى وادى زرى المقابل للربوة التى يعسكر فوقها الأحباش ، ثم تقابل الجيشان وصعد كثير من فرسان المسلمين إلى الربوة وبدأ القتال ،ثم اختلط الجيشان وحقق الله النصر للمسلمين فاستطاع أحد المجاهدين قتل البطريق تخلى سوس كما قتل البطريق اسلاموا وكثير من البطارقة ،ودامت المعركة وقتا طويلا والجيشان مشتبكان حتى علم الأحباش بمقتل قائدهم فعمدوا إلى الفرار والمسلمون يلاحقونهم ويأسرون منهم ،وغنم المسلمون غنائم كثيرة ،وبعد هذه المعركة أسلم العديد من البطارقة وحسن اسلامهم وواصلوا الجهاد مع الامام أحمد .

ثم سار الامام أحمد بجيشه إلى منطقة تسمى جميت وعسكر بها ووزع الغنائم على المسلمين ثم كتب خطابا الى الملك الحبشى لبنادنجل وأرسله مع أحد البطارقة المأسورين وجاء فى ذلك الخطاب :

" بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله وحده ،والصلاة والسلام على النبى محمد الذى لا نبى بعده ،من الامام أحمد بن ابراهيم الغازى الى ملك الحبشة أما بعد :

السلام على من أتبع الهدى وأطاع الملك الأعلى ،فاذا وصل اليك كتابى

هذا أرسل إلى بالأسيرين اللذين أسرهما البطريق فان عيل احدهما أبو بكر بن مسلم والآخر جلتى ،فاذا أرسلت بهما إلى أفك لك البطارقة المأسورين وهم أربعة جرجيس وكفليه ونصر صاحب المرجاى وشوتلاى هؤلاء أربعة وأصحابى اثنان فان المسلم يعين المسلم والكافر يعين الكافر ،وأنت لا تحسبنا مثل الأول نغزو ونرجع ، وأما الآن فما نحن راجعون حتى يفتح الله لنا البلاد ان شاء الله تعالى أو نموت حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين"(١) كما خير الامام ملك الحبشة فى نفس الخطاب بين ثلاثة أمور وهى الاسلام أو الجزية أو الحرب . فلما وصل الخطاب إلى الملك لبنادنجل غضب غضبا شديدا ورمى التاج عن رأسه واستدعى الاسيرين المسلمين وأمر بقتلهما ولم يرد على خطاب الامام .(٢)

ثم سار الامام أحمد وجيشه من جميت الى قنبوره وهناك اجتمع بالامام كبار مسلمى دوارو الذين رحبوا بجيش الجهاد واستضافوه مدة سبعة أيام .

وبينما كان يقيم المجاهدون فى قنبوره وصل إلى الامام البطريق أزماج حيب فاراً من الملك الحبشى ودخل فى الإسلام وحسن اسلامه وشارك فى حركة الجهاد مع الامام أحمد كما توسط بعض من بطارقة الجيش الحبشى المأسورين لدى الامام فى إقامة الصلح بين الامام أحمد وبطارقة دوارو حتى تتوقف العمليات الحربية فى دوارو وتنجو المنطقة من الدمار ،وقد تمت الوساطة ووافق البطارقة على شروط الصلح وهى كما يلى :-

- تيسير السبل أمام مرور الجيوش الاسلامية من دوارو الى قلب الهضبة الحبشية لملاحقة الملك الحبشى .

- عدم تعاون بطارقة دوارو مع الملك الحبشى لبنادنجل وعدم الدخول فى حرب مع المسلمين وان أمرهم الملك بذلك .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٤٠ .

- ان يترك الامام دوارو بعد هذا الصلح ويسير إلى جبرجى على نهر عواش لمنازلة لبنادنجل فان انتصر الامام يسلم البطارقة فى دوارو أسلحتهم ومن أراد اعتناق الاسلام فله ذلك ومن أراد البقاء على دينه فعليه دفع الجزية .

- ألا ينتهز بطارقة دوارو وصول الامام إلى نهر عواش فيغيروا على بلاد المسلمين .(١)

وان نقض البطارقة هذا الصلح فسوف يعود الامام لقتالهم مرة أخرى .

بعد ذلك تقبل الامام أحمد هدية البطارقة دلالة على موافقته على الصلح ثم صار بجيشه من دوارو متوجها إلى أرض الماية ،وهذه الأرض يتحتم على المسلمين عبورها للوصول إلى نهر عواش لملاحقة الملك الحبشى وقد أمر الامام أحمد جنوده بعدم التعرض لمواشى وأملاك هذه القبيلة الوثنية حتى لا يتعرضوا للأذى خاصة وأن أرضهم وعرة وملبئة بالأحراش المتشابكة التى يسهل عليهم الاختباء بها واصطياد المسلمين بسهامهم المسمومة .

وبعد استراحة الجيش لاحظ الإمام كثرة الغنائم التى يحملها المسلمون من عبيد وخيام ومواشى وبغال وغيرها فنهض خطيبا فى الجيش وقال لهم :بأنهم قد خرجوا للجهاد فى سبيل الله وليس لجمع الغنائم وأن كثرتها ستعيق تحرك الجيش وأن على كل مجاهد أن يترك فى هذه الأرض ما جمعه من الغنائم ولا يخرج منها الا بسلاحه ودابته ، ومن خالف ذلك ضربت عنقه ، ووقف الامام من الضحى الى العصر وهو يراقب أفراد الجيش يلقون بغنائمهم فى طريق ضيق بين جبلين حتى انتهوا من ذلك فسار بالجيش إلى منطقة المرزير فى أرض الماية وكان يفصل بين جيش الامام وجيش الملك الحبشى مسيرة يومين فعلم الملك بوصول الامام وأنه سيتوجه إلى بادقى قرية الملك فأرسل بطريقا

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٤٤ .

من بطارقته إلى بادقى ليحرق بيوت الملك وبيوت أسرته بها حتى لا يسبقه المسلمون بحرقها ويلحق به العار ،ولما وصل المسلمون إلى بادقى وجدوا بيوت الملك وأسرته قد احترقت .

فسار المسلمون يتبعون الملك الحبشى الذى فر من أندوتنه وهى من قرى الملك ،فلما وصل المسلمون اليها غنموا ما فيها من بيوت الملك ثم أحرقوها . ورأى الملك عن بعد بيوته وهى تحرق فجمع الجيوش والبطارقة واستعد لمنازلة الامام أحمد .(١)

موقعة دخن دور :-

وقعت هذه المعركة فى شهر شوال من عام ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م.فر الملك الحبشى لبنادنجل من مطاردة الإمام أحمد وعسكر على أحد ضفتى نهر عواش وكان النهر فى وقت فيضانه والامطار غزيرة فى المنطقة فصعب على المسلمين اجتيازه للوصول إلى الأعداء ،ولما رأى الملك الحبشى جيش الامام فر بجيشه إلى منطقة ورب وتحصن بها وكان لدى الجيش الحبشى ثمانية مدافع تركوها على ضفة النهر حتى لا تعيق حركة الجيش أثناء الفرار .

وارسل الامام عيونه لتقص أخبار الجيش الحبشى واستعداداته للقتال واحوال البلاد فجاءته الأخبار بأن قلب الهضبة أى المنطقة التى ينزل بها الامام تعتبر مخزن ثروات ملوك الحبشة وهذه الثروات هى التى تمد ملك الحبشة بأسباب القوة والقدرة على تسيير الجيوش فأمر الامام أحمد جيشه بالإغارة على مناطق الهضبة عند نهر عواش وجمع كنوز الملك الحبشى من مخازن الذهب والفضة والحرير ،وبينما جيش الامام يقوم بمهمته مرض الامام

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٣٢ - ١٥٠؛محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ص ٣٦ ؛

Tamrat, op. cit., P. 173; Budge, op. cit., vol.I, P.333.

أحمد مرضا شديدا فى شهر رمضان حتى خشى المسلمون على حياته ،وبقى على فراش المرض مدة عشرين يوما استطاع الجيش خلالها أن يعبر نهر عواش ويستولى على المدافع التى تركها الجيش الحبشى على الضفة الاخرى للنهر ،ويصل جيش الامام الى جبرجى ويستولى على معظم ثروات الملك الحبشى ،وفى ذلك يدون عرب فقيه ما يلى :

" وغنم المسلمون فى عشرين يوما من رمضان شيئا لا ينحصر من الذهب والفضة والحرير واستغنى المسلمون صغيرهم وكبيرهم غنى لا فقر معه ." (١)

ولما علم الملك لبنادنجل بوصول المسلمين إلى جبرجى واستيلائهم على ثرواته فر الى ورب ولاحقه المسلمون اليها فتركها إلى نزار جح فى اقليم الداموت وهناك اجتمع بوسن سجد البطريق على الداموت وقررا تجهيز جيش بقيادة وسن سجد لمواجهة الإمام ،فكتب وسن سجد كتابا الى الامام يتهدده ويتوعده ويقول فيه :

" اما بعد أنتم المسلمون ونحن النصارى وقد كنا نسير الى بلادكم ونخربها ونحرقها والآن فقد أدالكم الله علينا ،والنصر لا يدوم كل يوم ،والآن يكفيك ما فعلت وارجع الى بلادك ،وأنت تقول فى نفسك وتحدثها أنك هزمت الملك فى صمبر كورى وتقول فعلت فى انطاكية وفعلت فى زرى وقتلت جيوش الملك والآن لا تغتر بنفسك وجيوش الملك عادها على حالها ومعه الآن جيوش كثيرة ما قد رأيتها قبل هذا ولا سمعت بها ،فمنهم جراجى والجافات والداموت وأهل أناريه والزيت وجمة وأمثالهم من عبيد الملك اكثر من ذلك والآن أرجع الى بلدك مع غنيمتك وذهبك ،فان أبيت ذلك فالميعاد بيننا وبينك يوم السبت ،فأنا أول قتلت أخاك الجراد أبون بن الجراد ابراهيم وهو اكبر منك سنا وهزمت جيشه وفعلت مرارا ،ولا تظن أنى مثل من لقيت قبل ذلك من البطارقة أنا وسن سجد ." (٢)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٥٣ .

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٥٥ .

وكان الامام فى ذلك الوقت لايزال مريضا فلما جاء رسول وسن سجد دخل على الوزير عدلى وأراد رؤية الامام لابلاغه الرسالة ،فتحامل الامام على نفسه وجلس فى مجلسه بدون أن يظهر ما به من المرض واستلم من الرسول الكتاب وعرف ما فيه وأجاب الرسول بقوله :

" قل لسيدك نحن تابعوك أينما كنت ونتبع سيدك أينما كان ،وأما ما ذكرت أنك تأمرنا بالرجوع فذاك شئ لا نراه ،وأما القتال فهو بغيتنا ومرادنا ولا لقينا من يحاربنا ،فان كنت رجلا قاتلنا عن نعمة الملك ،وأما هذه البلاد التى ملكناها فلا نتركها ،بل نملك الحبشة بأسرها ان شاء الله تعالى ." (١)

ولما رجع الرسول إلى وسن سجد وعرف جواب الامام داخله الخوف والجزع وكتب كتابا آخر إلى الامام يستعطفه ويقول :

" ما تكلمت بكلامى الأول الا خيفة من الملك والبطارقة والآن أنا ضعيف عن قتالك ولكن الملك والبطارقة يقولون لى قاتل المسلمين ،لأجل ذلك تكلمت وقد أعلمنى الرهبان أنى داخل تحت يدك فاذا دخلت أرحمنى ."

فجاء الرسول الى الامام وقرأ كتابه فضحك الامام وقال له :

" قل له اذا صرت فى أيدينا رحمناك " (٢)

وفى ٢٣ رمضان من عام ٩٣٧هـ شفى الامام أحمد من مرضه واستعد لملاحقة الملك الحبشى إلى منطقة الداموت فسار بجيشه الى ورب فى الداموت وارسل عيونه لتقصى اخبار الملك الحبشى فعلم أن الملك سيبقى فى الداموت وأما بطريقه وسن سجد فسوف ينزل إلى دوارو ويوهم المسلمين أنه سيهاجم هرر حتى يخاف المسلمون ويرجعون لمطاردة وسن سجد وبذلك يفك الحصار عن الداموت وقد ادرك الامام أن وسن سجد لا يستطيع بمفرده مهاجمة البلاد الاسلامية والعاصمة

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٥٦ – ١٥٧ .

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٥٧ .

هرر لذلك قرر مواصلة الزحف لمواجهة الملك الحبشي دون الالتفات الى الوراء .
ثم بدأ الامام وجيشه في فتح قرى ومناطق الداموت الواحدة تلو الأخرى والملك يفر أمامه حتى تحصن في جبل منيع في المنطقة يسمى دخن دور (مسكن الفيل) ولهذا الجبل طريق واحد جعل البطريق أورعى عثمان بن دار على - صاحب الفطجار المرتد - يحرس ذلك الطريق مع جيشه .

ووصل الامام مع جيشه لمحاصرة الجبل فوجد الطريق اليه مغلقا فقرر ترك الوزير عدلى على ذلك الطريق بفرقة من الجيش لمحاولة اقتحامه ،والتف بباقى الجيش إلى طريق آخرى ضيقة غير معروفة تؤدى الى الجبل ،ولم يعلم ملك الحبشة بوصول المسلمون الي الجبل .

ولدخن دور ثلاثة أبواب تحيط به محصنة بالأشجار والأشواك لمنع تسلقها فأمر الامام أحمد المجاهدين أن يصفوا فوق الشجر والأشواك تروسهم وأن يسيروا عليها لعبور الباب ،وبالفعل استطاع العبور عدة أفراد من الجيش ثم فتحوا الباب لبقية الجيش الذى استطاع الصعود إلى الجبل واشتبك الجيشان ووقعت معركة طاحنة بين الطرفين انتهت بانتصار المسلمين ،وخلال المعركة فر الملك الحبشى لبنادنجل تاركا منطقة الداموت وسار قاصدا جبرجى مع البطريق أورعى عثمان ولحقت به فلول جيشه .

وسار الامام أحمد بجيشه يتبع الملك الحبشى وكان ذلك الوقت هو فصل الخريف والأمطار الشديدة تهطل بغزارة ليلا ونهارا مع شدة البرد ووحول الأرض وعانى المسلمون كثيرا من رداءة الطقس وصعوبة السير على الأرض الموحلة بالجيش والعتاد والمدافع فقد ماتت الجمال التى تحمل المدافع فاضطر المسلمون الى ترك تلك المدافع والاستغناء عنها ، كما اضطروا إلى رمي كثير من الخيام التى يحملونها بسبب صعوبة السير .

ووصل الملك الحبشى إلى جبرجى واجتمع ببطريقه وسن سجد وتحصن فى موضع يقال له سوق ويزجبيه ،ولحق الامام بالملك وعسكر فى منطقة ورب بالقرب من

جبرجى ولما عرف الملك بقرب الامام منه هرب الى منطقة وج فتشاور الامام واصحابه فى إمكانية ملاحقة الملك حاليا أو تأجيل ذلك إلى فرصه أفضل ،واستقر الرأى على تأجيل المطاردة وأن يسير الامام بالجيش إلى منطقة شوى لأن بها خزائن الملك وثرواته وسار الجيش حتى وصل إلى منبع نهر عواش فعسكر الامام فى منطقة أبارت وأرسل السرايا لفتح شوى وبالفعل تم الفتح صلحا فى شوى وورب على أن تدفعا الجزية للامام ثم واصل الامام سيره فوصل إلى براره فدخلها وصالح أهلها .

وكان الملك الحبشى قد أرسل جيشه مع البطريق وسن سجد لمواجهة الامام عند نهر عواش فوصل إلى الفطجار وعسكر بها . واستأذن امراء الجيش المسلم الإمام فى البقاء فى براره حتى انحسار موسم الأمطار لتسهل حركة الجيش ولكن الإمام أصر على ملاحقة وسن سجد والقضاء عليه فورا ،وسار بجيشه متوجها الى الفطجار وترك فى براره فرقة من الجيش بقيادة أبو بكر قطين لحراسة عتاد الجيش والغنائم والنساء .

سار الإمام بالجيش ثلاثة أيام والسماء تمطر والأرض موحلة ولم يستطيعوا الركوب حتى لا تجهد الخيل والبغال فساروا على أقدامهم ووافق مسيرهم يوم عرفه وعيد الأضحى المبارك من عام ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م ،ولم يصدق وسن سجد بأن المسلمين يقاتلون فى موسم الأمطار وفى يوم عيدهم فلم يصدق من جاءه بخبر قدومهم فأرسل رجلين ليأتوه بالخبر اليقين وكان الامام قد أمر جيشه بألا يسير فى التلال بل يلتزم السير بجانبها فقط حتى لا يعلم بهم الأعداء وفى الطريق صادف الرجلين بعض أفراد الجيش المسلم يحتطبون فسألوهم عن جيش المسلمين ولم يعلموا بأنهم منهم ،فقبض المسلمين على أحدهما وفر الآخر وجاءوا بالأسير إلى الامام فسأله عن وسن سجد وعلم منه مكان وجوده .

ووصلت الأخبار إلى وسن سجد بوصول المسلمين إليه فتشاور مع أصحابه فقرروا الفرار إلى جبل فى المنطقة يدعى بوسات والاعتصام به ،وقسم الجيش إلى قسمين فسار وسن سجد بنصف الجيش فى المقدمة والنصف الآخر بقيادة البطريق

أورعى عثمان فى الساقه وعند وصول الامام الى معسكر الأحباش لم يجد الا نصف الجيش بقيادة أورعى عثمان وكان يستعد للرحيل فلما رأى المسلمين فر وترك المعسكر بما فيه من خيام وعتاد فغنمها المسلمون .

ثم قسم الإمام أحمد جيشه إلى ثلاث فرق ،فرقة لملاحقة البطريق أورعى عثمان وفرقة لملاحقة وسن سجد وفرقة تسير معه فى طريق آخر ،أما الفرقة التى تبعت وسن سجد فقد اشتبكت مع جيشه وهزمها عدة مرات حتى جاء المدد من الامام بقيادة الجراد شمعون ،واشتبكوا فى معركة طاحنة مع جيش وسن سجد ،وطلب الجراد عابد وسن سجد للنزال وتبارزا وكان مع البطريق رمح ومع الجراد عابد سيف ،واستطاع البطريق طعن الجراد عابد بالرمح فى يده اليسرى ،فعلق الرمح بها فلما أراد البطريق نزع الرمح انكسر فى يد الجراد عابد ،واستطاع الجراد عابد بيده الأخرى أن يضرب وسن سجد بالسيف ويقتله .

ولما علم الأحباش بمقتل البطريق انهزموا وتبعهم المجاهدون يأسرون ويغنمون . وقتل فى هذه المعركة البطريق جبر اندرياس Cabri Andreas وهو البطريق الذى قتل الإمام محفوظ فى آخر معركة له عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م.(١)

فتح أوفات ودرجه :

وصل الامام أحمد إلى منطقة جان زلق وبقى بها للراحة ثم أرسل السرايا فى جهات متعددة للفتح ،فأرسل القائد الجراد نصر وفرشحم دين لفتح بلدة شجرة وارسل الوزير عدلى إلى زقالة وإلى لال بلا . وقد استطاع قادته فتح تلك البلدان صلحا وأسلم أهلها .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٥٠ – ١٨٦ ؛محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ص ٣٦ ؛
Tamrat, op. cit., PP. 173 -174; Burton, op., cit., P. 180; Budge, op. cit., vol. I, PP. 333-334.

وعندما وصل الامام إلى جان زلق هرب أهلها إلى الجبال وتركوا البلد، فترك الامام قائده خالد الورادى لاخضاع أهلها وسار إلى انطيط ،فحاصر خالد الجبال فى جان زلق وخير أهلها بين الاسلام أو الجزية أو الحرب ،فاختاروا الاسلام واشترطوا أن يكون صلحهم واسلامهم على يد الامام أحمد شخصيا ،فأرسل خالد إلى الامام أحمد فحضر إلى جان زلق مرة أخرى وتوافد عليه أهلها ودخلوا فى الإسلام جميعا هم وبطارقتهم رجالا ونساء وأطفالا ،وكذلك جاء اليه أهل بلدة قوت جميعا فأسلموا وحسن اسلامهم وانضموا إلى جيش الجهاد .

وجمع خالد الورادى أموال الملك الحبشى المخبأة فى قوت وهى من الذهب والفضة والأسلحة وعاد بها إلى الامام أحمد .

ثم جهز الإمام سرية بقيادة الأمير على وأرسلها إلى بلاد درجة ودبر برهان لفتحها وسار هو بنفسه إلى شجرة وقد أسلم أهلها ،ومن شجرة أرسل جيشا بقيادة القائد شمسوا لفتح أوفات وأعطاه امارتها بعد الفتح ،فوصلها القائد وحاصرها ،وكانت أرضا جبلية ضيقة لا مجال لحركة الخيل بها ،فتحصن أهلها بالجبال فحاصرهم المسلمون بها وقاتل المسلمون على أرجلهم حتى فتحوها عنوة وأعلن الأهالى جميعا إسلامهم بعد الفتح ،وكان فى أوفات كنيسة للملك الاسكندر مملوءه بالذهب والفضة والأقمشة المطرزة بالذهب فأخرج المسلمون تلك الكنوز وأحرقوا الكنيسة وعادوا بالغنائم إلى الامام أحمد وتم تعيين القائد شمسوا أميرا على أوفات .

أما الأمير على فانه سار إلى درجة وفتحها صلحا بعد أن وافق أهلها على دفع الجزية ،ثم سار إلى دبر برهان وفتحها وبقى بها انتظارا لأوامر أخرى من الامام أحمد .

فى تلك الفترة كان البطريق المرتد عن الاسلام أورعى عثمان متحصنا ببلدة فى أوفات ومعه جيش كبير من جيوش الحبشة يستعد لمواجهة الامام ولما علم بفتح أوفات وقرب دخول الامام اليها داخله الفزع فكتب سرا إلى الامام يعلن فيه عودته إلى الاسلام وأنه تائب إلى الله عما فعلت يداه من أى أذى للمسلمين ،ومستعد للتعاون مع الامام ،فأجابه الامام بأنه يرحب

بعودته إلى الاسلام وأن له الأمان وأرسل له مسبحته دلالة على اعطائه الأمان وطلب الاجتماع به فى منطقة طوبيه . وما أن وصله جواب الامام حتى استطاع استمالة معظم جيشه وانضم بهم الى الامام أحمد فى طوبيه ،وأعلن اسلامه هو وجيشه على يد الامام أحمد وكان عددهم عشرون الفا مع نسائهم وأولادهم .

ثم أمر الامام قائده فرشحم على بالتوجه من دبر برهان الى بلدان تقلت ووقده ومجر لفتحها ،كما أمر قائده جراد أبجد بن أبون ،بالتوجه الى جدم لفتحها وضم اليه جيش أورعى عثمان فسار اليها وفتحها صلحا بعد أن أعلن أهلها جميعا دخولهم فى الاسلام .(١)

موقعة واصل (فتح أمحره) :-

وهذه المعركة هى واحدة من احدى المعارك التى واجه فيها الامام ملك الحبشة لبنادنجل ،فقد بقى الملك الحبشى فى منطقة وج ينتظر انتهاء موسم الامطار ،ووصلته أخبار مقتل بطريقه وسن سجد وهزيمة جيشه فقرر ترك وج والرحيل الى بيت أمحره فى قلب الهضبة الحبشية وهى منطقة واسعة تحيط بها الجبال من جميع الجهات ولها خمسة أبواب وتحصينات بناها الأحباش على الطرق المؤدية اليها ،فلما وصلها الملك الحبشى بعد مسيرة شهر وضع على كل باب قائد من قادته للحراسة وأحد هذه الأبواب كان على طريق يدعى واصل عسكر بقربه الملك الحبشى مع جيشه استعدادا لوصول الامام أحمد .

أما الإمام أحمد فإنه نزل فى منطقة تسمى جدم وعسكر فى بلدة كسايه ولم يكن معه سوى عدد يسير من الجند فقد ارسل جيوشه فى جميع الاتجاهات للفتح ،ولما وصلته الأخبار بوصول الملك الحبشى الى بيت أمحره وتحصنه به قرر اللحاق به وفتح أمحره، وعلم من عيونه الذين بثهم فى المنطقة أن المسافة

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٨٦ – ١٩٨؛
Tamrat, op. cit., P. 175; Burton, op. cit., P. 180;
Budge, op. cit., vol. I. PP. 333 - 334.

التى تفصل بينه وبين الملك لبنادنجل مسيرة ستة أيام ،فكتب الى الوزير عدلى كبير قواده الذى كان ينزل فى زقالة بأن يجمع له الجيوش المتفرقة ويرسلها اليه فى كساية .

بقى الامام مدة أربعين يوما انتظارا لوصول الجيش اليه ،ثم توافد الجيش مع القادة فرقة بعد فرقة واجتمعوا لدى الامام . فسار الامام بالجيش وتوجه الى أقرب باب من أبواب بيت أمحره وهو باب ميات وكان يحرسه البطريق دجلحان (ديجلهان) مع جيش كثير العدد والعدة ،وعسكر الامام فى مواجهة الجيش الحبشى الذى تحصن فى جبل مائع على الطريق وصعدت فرقة من المجاهدين الرماة الى الجبل وتقاتلوا مع أصحاب السهام المسمومة من الاعداء ،ولكنهم هزموا لان المشركين كانوا يدحرجون عليهم الصخور الكبيرة من الجبل ،فقتل كثير منهم فأمرهم الامام بالتراجع وقرر أن يتوجه فى اليوم التالى الى باب واصل لمحاولة فتحه ،لان هذا الباب وهو طريق ميات شديد الوعورة وسيبدد قوة الجيش المسلم فى اقتحامه ،ثم عسكر المسلمون ليلة واحدة امام الجبل وفى اليوم التالى قسم الامام جيشه الى قسمين : قسم فى المقدمة بقيادته ويتوجه الى باب واصل وقسم فى الساقة وعين على قيادته الوزير نور لحماية المقدمة من ملاحقة البطريق دجلحان وفى الطريق تقابل جيش الامام مع مدد ارسله الملك الحبشى لمساعدة دجلحان بقيادة أخيه حنطاس فقبض عليهم المسلمون وأسروهم واستولوا على اسلحتهم وكلما تقدم الجيش نحو واصل كلما ساءت الطرق واصبحت اكثر عسرا وضيقا ،فقسم الامام الجيش الذى معه الى ثلاث فرق : المقدمة والوسط والساقة ،وسار الامام فى مقدمة الجيش وامامه الادلاء ،فكان المسلمون يسيرون واحدا بعد الآخر لضيق الطريق وامتلائها بالأشجار حتى وصلوا الى جبال واصل ،ولم يتأكد الامام من وجود الملك الحبشى فوق جبال واصل فأرسل عيونه لتقصى الأخبار وهم أربعة فرسان فساروا باتجاه الجبل ،والتقوا فى طريقهم ببعض الرعاة من النصارى فقالوا لهم نحن من عسكر دجلحان ومعنا كتاب لملك الحبشة ونريد الوصول اليه فأخبروهم بأنه يعسكر فى أعلى جبال واصل .

ولما تأكد الامام من وجود الملك الحبشى بالقرب منه قرر السير اليه خفية مع ثلاثين فارسا وخمسين راجلا وأمر رجاله بأن يلبسوا زى النصارى وأن يتحدثوا باللغة الحبشية حتى لا يكشفوا عن هويتهم لمن يقابلهم من النصارى فان سألهم أحد عن هويتهم فليقولوا بأنهم من عسكر البطريق دجلحان وهم يقصدون الملك ،وتقدم الامام حتى اقترب من الجبال ورأى خيمة الملك المضروبة فى أعلاها ،ولم يعلم النصارى بوصول الامام ،ثم تشاور الامام مع أصحابه : هل يصعدون الى الجبل لمفاجأة المشركين أم يبقون تلك الليلة فى انتظار وصول باقى الجيش ،وأخيرا قرروا الصعود الى الجبل ومفاجأة الملك الحبشى ،ونظرا لوعورة الطريق فقد أخذ الامام وأصحابه فى تسلق الجبل وهم يحملون اسلحتهم ويقودون خيولهم ،وأثناء سيرهم كان أحد المسلمين من المولعين بتناول القات قد رأى كنيسة فى سفح الجبل فألقى عليهاما أشعل النار فيها ،وبذلك كشف عن وجود المسلمين مما أغضب الامام وأربك المسلمين،فلما رأى الاعداء اندلاع النيران عرفوا بأن المسلمين يصعدون اليهم فانتشر الذعر بينهم واختلط بعضهم ببعض كل يبحث عن سلاحه ،ومن حسن حظ المسلمين أنهم وصلوا الى القمة وهجموا على الأعداء ودارت معركة شديدة كان المسلمون فيها الظافرين وركب الملك الحبشى فرسه وأحاط بنفسه أربعمائة من فرسانه واستمرت المعركة فترة قصيرة انهزم بعدها الأحباش واخذوا فى تسلق جبل آخر يدعى حقه والمسلمون فى أعقابهم يغنمون خيولهم واسلحتهم وعتادهم ،وبينما المعركة تدور كان الامام يبحث عن الملك الحبشى يريد أسره أو قتله ،أما الملك فقد رأى الامام وعرفه لأنه كان يقاتل بيده اليسرى فصرخ فى أصحابه يقول لهم "جاءكم الشيطان بنفسه فدخل الامام وسط الفرقة المحيطة بالملك وفرق جمعهم بالضرب والطعن فأخذوا بالفرار ناحية الجبل وهم يجرون خيولهم فصرخ فيهم الامام : اتركوا خيولكم وانجوا بأنفسكم فقد ادركناكم ،فتركوا خيولهم ولاذوا بالفرار وغنم المسلمون تلك الخيول ".(١)

اما ملك الحبشة فقد هرب على رجليه من غير فرس ولا جند فلحقه المسلمون ولكنه اختفى بين الشجر وبحث عنه الامام كثيرا فلم يجده ،ولما حل الظلام نزل المسلمون الى اسفل الجبل للاجتماع ببقية الجيش ولما رآهم الملك

(١) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٢١٩ .

الحبشي يبتعدون خرج من مخبأه ورحل فارا الى العنبا فى منطقة القجام (الكوجام) فى نفس الليلة • وبات المسلمون فرحين بالنصر واجتمع باقى الجيش ووزع الامام الغنائم على من خاض المعركة فقط •

وبعد ثلاثة أيام سار الامام بالجيش الى بيت أمحره وكان الوقت شتاء فمات بعض المسلمين من شدة البرد ،وبعد دخول المسلمين بيتأمحرة سأل الامام أدلاءه عن عدد الكنائس الموجودة فى أمحرة وعن أعظمها وأهمها لملوك الحبشة فأخبروه عن كنيسة مكان الثلاثى وكنيسة أتروس مريم التى بناها زرع يعقوب وكنيسة دبر نقدقاد وكنيسة بيت سمايات وجميع هذه الكنائس تعتبر مخازن لثروات ملوك الحبشة ورجال الكنيسة فيها من الكنوز والذهب والمجوهرات ما لا يحصى وسقوفها من الذهب وأرضها مرصوفة من ألواح الذهب والفضة وبها مخازن للحرير والديباج ما لم يستطع المسلمون حملة فغنموا ما استطاعوا حمله من الذهب والفضة والمجوهرات واحرقوا الباقى مع الكنائس •

وبينما الامام يقيم فى بيت أمحرة أرسل جيشا بقيادة الجراد أحموشة لتتبع الملك الحبشى ،فسار أحموشة بجيشه مع الدليل حتى وصل الى جبال العنبا •(١)

حصار العنبا الاول :

جبال العنبا هى الجبال التى ينفى اليها أولاد ملوك الحبشة وأقرباؤه حتى لا يطمع أحد منهم فى الوصول الى العرش ،وهى ايضا جبال شاهقة كثيرة الوعورة لا يستطيع احد الصعود اليها الا بواسطة السلالم وعلى رؤوس هذه

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٩٨ - ٢٢٩ ،حسن أحمد محمود ؛ الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٥ ؛ محمد عبد الله النقيرة ،نفس المرجع ،ص ٢٣١ ؛
Budge, op. cit., vol. I, PP. 333-334; Burton, op, cit., P. 180; Tamrat, op. cit., PP. 174-175.

الجبال يوجد حوالى الف بيت يسكن فيها أولاد الملوك ،وقد وصل الجراد أحموشه الى تلك الجبال وحاصرها ،وحاول اقتحام الطرق الضيقة المؤدية الى قمة الجبل ففشل لشدة الحراسة واستمر المسلمون يهاجمون الجبال ليلا ونهارا دون فائدة ،ثم نصب المسلمون السلالم يريدون تسلق الجبل فكان الأعداء يقذفونهم بالصخور من أعلى الجبل فاستشهد كثير من المسلمين ،عندئذ طلب الجراد أحموشه المدد من الامام أحمد ،فتهيأ الامام للحاق به عند جبال العنبا .

وفى الوقت نفسه استنجد أولاد الملوك بالملك الحبشى وطلبوا منه المدد مخافة اقتحام المسلمين لتلك الجبال فأمدهم الملك الحبشى بثلاثة بطارقة مع جيوشهم ووصل المدد الحبشى قبل وصول الامام أحمد ،فحاصرت الجيوش الحبشية جيش الجراد أحموشة وهجموا على المسلمين وهزموهم بعد أن استبسل المسلمون واستشهد القائدان أورعى عثمان وعلى الورادى وكثير من المجاهدين أما الجراد أحموشه فقد أسره الأحباش وحملوه الى ملك الحبشة مع كثير من المسلمين الأسرى فأمر الملك بقتل جميع الأسرى وعلى رأسهم الجراد أحموشه .

وقعت المعركة والهزيمة فى يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر ربيع الآخر من عام ٩٣٨هـ / ١٥٣١م .(١)

موقعة عنقـــوت :-

لما علم الامام أحمد بمقتل قائده الجراد أحموشه حزن حزنا شديدا وبكى قائده وجمع بقيه المنهزمين من جيشه وأراد قتلهم جميعا من شدة غضبه ولكن تدخل الفقهاء وطلبوا من الامام العفو عنهم .

ثم عقد الامام أحمد مجلسا للشورى مع قادة جيشه للتشاور فى وجهة الجيش المقبلة فاستقر الرأى على أن يتوجه الامام مع جيشه لفتح منطقة العنقوت .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٢٩ – ٢٣٧ .

وبعد أربعة أيام من السير المتواصل وصل جيش الامام اليها ونزلوا عند بحيرة كبيرة تدعى بحر حيق وفى وسط البحيرة توجد جزيرة عليها كنيسة للأحباش وهى من الجزر الخضراء الجميلة الغنية بالمزروعات . فعسكر الامام عند البحيرة وارسل قائده زحربوى محمد الى كنيسة دبر أزهير وهى كنيسة ضخمة فخمة قد بناها الملك الحبشى سيف أرعد منذ سبعمائة وعشرين عاما فى أعلى جبل فى المنطقة وقد أمر قائده بعدم شنأى هجوم علىالجبل حتى يصل اليه وأن يكتفى بحصاره .

سار القائد زحربوى محمد الى الجبل فرأى جيش الحبشة بقيادة البطريق بدل نصر قد تحصنوا فوق الجبل ،وحفروا خندقا حول الكنيسة . فحاصر الجبل وأرسل الى الامام أحمد رسولا يطلب فيه القدوم اليه للقيام بالهجوم ،وما أن تلقى الامام الرسالة حتى سار من ساعته متوجها الى الجبل ،ثم أمر بالهجوم فصعد المسلمون الى الجبل واشتبكوا مع الأعداء وهزموا القائد الحبشى بدل نصر ففر مع فلول جيشه تاركا الجبل والكنيسة غنيمة للمسلمين ودخل المسلمون الكنيسة فدهشوا من ضخامة الثروات المخزونة فىالكنيسة عدا أن الكنيسة مكسوة من الداخل أرضا وجدرانا وسقوفا من صفائح الذهب هذا بالاضافة الى التماثيل المصنوعة من الذهب على هيئة العجل والأوانى والصحاف والأباريق المصنوعة من الذهب ،فغنم المسلمون تلك الثروات واخرجوها من الكنيسة ثم أحرقوها .

بعد ذلك توجه الامام الى بحر حيق وأرسل الى أهل الجزيرة رسولا يعرض عليهم الاسلام أو الجزية أو الحرب ،ووصل الرسول الى الجزيرة سباحة فقذفه أهلها بالحجارة ،ولم يسمحوا له بالصعود ،فذكر لهمرسالة الامام وهو فى الماء فردوا عليه بقولهم : " قل لسيدك لا نعطى الجزية ولا الطاعة ... يفعل الذى يقدر عليه فنحن عرفنا أنه يطلع الجبال بالخيل والرجال أما هذا بحر فان قدر فليدخل علينا ." (١)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

فرجع الرسول الى الامام وأخبره بمقالتهم ،فجمع الامام العرب من قبيلة المهرة المشاركين فى الفتح وعرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بصنع القوارب لعبور البحيرة وطلبوا توفير الأخشاب والحبال لهم ،فأمر الامام عسكره بجمع الأخشاب من النواحى والمجئ به الى أهل المهره فأخذوا فى صنع القوارب المربوطة بالحبال مدة أربعة أيام وجاءوا الى الامام يعرضون عليه ما صنعوا فأمرهم بتجربة أحد القوارب فى البحيرة ،فأنزلوا قاربا وركب فيه بعضهم فرأى الامام أنه يسير ببطء شديد فقال للعرب : " اذا ركبتم فى هذا القارب لن تصلوا اليهم الا وقد أهلكوكم برمى الحجارة والنشاشيب ولا هذا ينفع الا اذا كان معكم شغل آخر فاعملوا لنا " (١)

عند ذلك فكر العرب فى طريقة لزيادة السرعة فى تلك القوارب فطلبوا من الامام أن يأمر جنده بذبح البقر وعمل القرب من جلودها ثم قاموا بنفخ تلك القرب وربطوا فى أسفل كل قارب تسعة قرب ووضعوها فى البحيرة ،فاذا القوارب تسير كالسهام • ففرح المسلمون وكبروا ثم قرر الامام بدء الهجوم فى صباح اليوم التالى ،وفى تلك الليلة رأى الأحباش المسلمون يستعدون لعبور البحيرة بالقوارب فمالوا الى عقد الصلح مع الامام ،ومع اطلالة الفجر ارسلوا اليه أحد الأسرى المسلمين لديهم منذ ستة عشر عاما ويدعى حرب أرعد بن صبر الدين وطلبوا منه أن يتوسط لدى الامام ليعقد معهم الصلح على أن يخرجوا له كل ما حوت الكنيسة من كنوز وأن يتعهد الامام بعدم حرقها •

فوصل الأسير الى الامام فوافقه على طلب الصلح على أن يأتى رئيس الكنيسة لعقد الصلح وأن يفتح الجزيرة لدخول المسلمين لاخراج كنوز تلك الكنيسة ،فعبر الراهب فى قارب الى الامام أحمد وتم الصلح ،ثم عاد الراهب مع القائد زحربوى محمد الى الجزيرة ودخل الجيش الى الكنيسة وأخرج من الذهب والفضة ما يحير العقول ،فهناك الصلبان والتماثيل والقناديل والسلاسل والصحاف وكلها مصنوعة من الذهب الخالص هذا غير الحرير والأقمشة النفيسة كما دلهم الأحباش على حفر فى الأرض هى عبارة عن مخازن للملك الحبشى بها من

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٤٢ •

الذهب والفضة والحرير ما لا يمكن حصره فغنمها المسلمون وحملوا هذه الثروات على السفن والقوارب وعادوا بها الى الامام ، واستمرت السفن فى النقل ثلاث مرات ذهابا وعودة حتى استطاعوا اخراج كل تلك الكنوز ٠

ثم قرر الامام بعد ذلك العودة الى الوراء الى فطجار حيث الوزير عدلى٠ (١)

معارك عواش وجينه وعندوره وأرم :-

واصل الامام سيره بالجيش حتى وصل الى منطقة جدم ونزل فى بلدة كساية ومنها أرسل قائده أورعى أبون واليا من قبله على أوفات ٠

أما الوزير عدلى الذى أرسله الامام الى فطجار فقد ارسل جيشا بقيادة ، أورعى نور الى نهر عواش للتصدى للجيش الحبشى المرابط هناك بقيادة البطريق فان عيل ولما وصل أورعى نور الى النهر وجد مستوى الماء عاليا فلا تستطيع الخيول عبوره ،فعسكر على ضفة منه والاحباش على الضفة الاخرى ،وانتظر حتى انخفض مستوى الماء فى النهر بعد مدة فخاض المسلمون النهر بخيولهم وعبروا الى الضفة الأخرى حيث الجيش الحبشى ،ووقعت معركة بين الطرفين انتصر فيها المسلمون بعد قتال عنيف مع الأعداء ٠

ثم أنتقل الجيش بقيادة أورعى نور الى بلدة أخرى تدعى جينة للراحة ، وبينما هم يفكون سروج خيولهم اذا بالأحباش قد هجموا عليهم مرة أخرى فاشتبكوا معهم فى معركة أخرى وهزموهم شر هزيمة والجأوهم الى الفرار ٠

وفى اليوم التالى سار القائد أورعى نور الى بلدة ختاره وعسكر بها وأرسل عيونه لالتقاط أخبار الجيش الحبشى فجاءته الأخبار بأن هناك أربعة بطارقة يترصدونهم للهجوم عليهم فرحل الجيش ونزل فى بلدة أيفرس وهى

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٣٨ - ٢٤٧؛
Budge, op. cit., vol. I, PP. 333-334.

بلدة واسعة تصلح لمجال الخيل فعسكروا بها انتظارا لوصول الأعداء ،وأثناء انتظارهم وصل الى المسلمين فرشحم على حاكم احدى المناطق فى أيفرس من قبل الملك الحبشى ومعه ستة فرسان ومائتان من المشاة ودخل على القائد وأعلن اسلامه وانضم الى الجيش المسلم ،وكان هذا الحاكم مسلما من قبل وقد أسره الأحباش واجبروه على التنصر .

ثم علم المسلمون بأن جيش الأحباش نزل فى عندوره فلحقوا به واشتبك الجيشان وانتهت المعركة بانتصار المسلمين . بعد ذلك سار أورعى نور مع جيشه للحاق بالوزير عدلى فأدركه فى عجام جى .

ثم بعث الوزير عدلى جيشا بقيادة زحربوى عثمان الى أرض الماية لفتحها وهى منطقة قبائل الماية الوثنية ،فسار القائد حتى وصل الى بلدة أرم وهناك وجدوا جيشا حبشيا بقيادة البطريق وينداب فاشتبك الجيشان ودارت الحرب وقتل البطريق وينداب على يد القائد المسلم وانهزم الأعداء تاركين الغنائم ليجمعها المسلمون .

ثم سار زحربوى عثمان بجيشه للحاق بالوزير عدلى وعند عبوره نهر عواش أصابه سهم مسموم أطلقه عليه أحد محاربى الماية فاستشهد وعاد باقى جيشه الى الوزير عدلى فى فطجار . (١)

موقعة شجرة وكساية :-

وفى شهر جمادى الآخر من عام ٩٣٨هـ اجتمع الامام أحمد مع أمير القادة الوزير عدلى فى دبر برهان فى منطقة منز بعد أن افترقا مدة سبعة أشهر حيث توجه كل واحد منهم للفتح فى جهة مختلفة عن الآخر .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٤٩ - ٢٥٥ .

وأثناء بقاء الامام فى دبر برهان جاءته الأخبار أن واليه على أبونه المدعو سيموا قد ارتد وتنصر وجمع الجيوش الحبشية وصعد جبلا فى أبونه وتحصن به ،وفى الحال أرسل الامام جيشا بقيادة القائد شمسوا لمحاصرة سيموا والقضاء عليه ،فسار الجيش من طريق دبر برهان الى خلف الجبل ولم ينتبه النصارى لقدومهم ففاجأوا الأعداء والحقوا بهم الهزيمة ،فهرب سيموا الى كسم فى منطقة شوا ،وأرسل القائد شمسوا يعلم الامام بما جرى فتهيأ الامام للمسير الى شوا لملاحقة سيموا وأدركه فى الطريق وحاصر جيشه ووقعت معركة بين الطرفين وانتهت بهزيمة سيموا وفراره تاركا جيشه غنيمة للمسلمين .

وفى شوا عين الامام واليا جديدا على منطقة قوت بعد موت الوالى السابق خالد الورادى بالطاعون ،فعين على المنطقة الأمير بشارة .

ثم استدعى الامام قائديه ابسما نور والجراد شمعون وأمرهما بالتوجه الى بلاد شجرة لفتحها بعد أن احتلتها الجيوش الحبشية مرة أخرى بقيادة البطريق تخلى جورجيس وكان البطريق قد تحصن فى جبل فتبعه الجراد شمعون وأبسما نور وصعد اليه فى الجبل ووقعت معركة بين الطرفين أنهزم فيها جورجيس وهرب باتجاه أحد أبواب شجرة فلقيه القائد شمسوا فهزمه وقتله واحتز رأسه وأرسل به الى الامام أحمد فى دبر برهان .

وفى تلك الأثناء جاء الى الامام أحمد وفد من أهل الماية الحديثى عهد بالأسلام يطلبون منه الحماية لاراضيهم من غارات الأحباش عليهم فقالوا له : " خربت بلادنا ومن فوقنا أهل الوج والجنز ينزلون الينا وينهبوننا بالليل والنهار ." (١)

فأمر الامام قائده الجراد عثمان مع فرقة من جيشه بالذهاب مع أهل الماية واليا عليهم لحماية بلادهم .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٦٦ – ٢٦٧.

أما الملك الحبشى لبنادنجل فقد جهز جيشا بقيادة البطريق رأس بنيات وأمره بالتوجه الى أوفات لمنازلة جيش الامام بقيادة أورعى أبون وأمره بأسر القائد أورعى أبون والمجئ به اليه ،فسار البطريق حتى وصل الى كساية فى أرض أوفات ،وتواجه مع المسلمين ووقعت معركة بين الطرفين فهزمه المسلمون وغنموا من جيشه أسلحة وعتادا ضخما ،وتتبع المسلمون المنهزمين من الظهر حتى المغرب .(١)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٦٢– ٢٦٨ .

فتح أراضى الجنز ووج وجبرجى وزميت :

أرسل الامام أحمد قائده عبد الناصر الى منطقة الجنز (١) لفتحها وأمره أن يعرض على أهلها الاسلام أو الصلح مع الجزية أو الحرب. وصل القائد عبد الناصر الى وجهته وحاصر البلاد فصالحه أهلها وأقر عليهم الجزية ،وفر كثير من سكان الجنز وتحصنوا فى الجبال فلحقهم القائد وحاصرهم حتى طلبوا الصلح ورضوا بدفع الجزية .

كذلك أرسل الامام قائده الوزير مجاهد الى منطقتى وج وجبرجي (٢) لفتحهما ،فاستطاع الوزير مجاهد أن يفتحهما صلحا ويفرض عليهما الجزية وهرب البطريقان المكلفان بحماية المنطقتين ففر أحدهما ويدعى ويندا ب الى الملك الحبشى فى منطقة الداموت أما الآخر ويدعى أسلام دحر فقد هرب الى جراجي وأرسل الى الامام أحمد وفدا مكونا من ولده وأحد البطارقة وثلاثين آخرين يطلب من الامام الصلح على أن يدفع الجزية ويعتذر عن الدخول فى الاسلام ولكنه أرسل بولده الى الامام لكى يسلم وينضم اليه ،ولما وصل الوفد الى الامام وافق على ما عرضه البطريق وأعلن جميع الوفد اعتناقه للاسلام وانضمامه الى الامام أحمد .

ثم سار الامام الى منطقة وجوقضى بها شهر رمضان ،وفى شهر شوال من عام ٩٣٨هـ بعث الامام أحمد بجيش كبير بقيادة الأمير حسين لاعادة فتح منطقة دوارو فقد عاد اليها الجيش الحبشى بقيادة البطريق سافوا بن وسن سجد ولما وصل جيش الامام الى اطراف دوارو فر البطريق سافوا ولحق بالملك الحبشى فى عنقوت بمنطقة الداموت .

فسار الجيش المسلم الى منطقة زميت وفتحها ثم واصل الجيش فتوحاته فدخل الى منطقتى جان زجره وجراوراى وافتتحها صلحا واسلم بطارقتها عدا خمسة من البطارقة تحصنوا فى جبل فى المنطقة مع جيوشهم فحاصرهم المسلمون وانتصروا عليهم .

---

(١) الجنز : تقع الي الجنوب من منطقة شوا.
(٢) تقع هاتين المنطقتين الى الجنوب من شوا أيضا .

ثم سار الجيش بعد ذلك لتتبع آثار البطريق الهارب سافوا بعد أن أطمأن قائد الجيش الأمير حسين على أن جميع بطارقة دوارو قد اعتنقوا الاسلام .(١)

فتح هدية وشرخه :-

سار الامام أحمد بجيشه متجها الى منطقة هدية وهى من المناطق الاسلامية ويحكمها حاكم مسلم يخضع لملك الحبشة ،ولما وصل الامام الى هدية خرج حاكمها المسلم واستقبل الجيش المسلم استقبالا حافلا ،واجتمع بالامام أحمد وعاهده على الانضمام اليه فى الجهاد فى سبيل الله هو وجيشه ومن رغب من أهل هديه ،ثم أن الامام أنعم عليه هو وكبار رجال هديه وأكرمهم . ثم بقى الامام فى بلدهم مدة خمسة أيام للراحة وبعد ذلك سار بجيشه الى منطقة أيفرس وأمر قائده أحمد جويتا بالتوجه الى شرخه يعرض على الأحباش المقيمين بها الدخول فى الاسلام ،فأسلم جميعهم وعادت شرخه بلدا مسلما مرة أخرى .(٢)

موقعتا زله وبالى :-

ترك الامام أحمد منطقة أيفرس فى دوارو وبث عيونه فى البلاد ليأتوه بأخبار الجيوش الحبشية وأماكن تجمعها . ثم توجه الى منطقة جاتر وعسكر بالقرب منها فجاءته الوفود من جميع البلدان المجاورة له تعلن الطاعة والدخول فى الاسلام ،فولى على بلدانهم الولاة من قادته وبلغ عدد الولاة الذين وزعهم على البلاد خمسين أميرا .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٧٣ – ٢٨٠؛ محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ، ص ٣٦؛ Budge, op. cit., vol.I, PP. 333-334; Tamrat, op. cit., PP. 175-176.

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٨٠ – ٢٨٢؛ حسن أحمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٥ ؛محمد عبد الله النقيره ،نفس المرجع ص ٢٣١؛ فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ١٥٢ ، Trimingham, op. cit., P. 87.

ثم سار الامام الى عندوره ومنها الى جينه ثم ارسل رسولا الى الوزير عدلى فى دوارو يطلب منه الرجوع اليه للتوجه معا لفتح منطقة بالى حيث تجمعت بها الجيوش الحبشية للمرة الثانية بقيادة البطريق عدلوا ٠ فلما وصل اليه الوزير عدلى ولاه على بالى وأمره بفتحها مرة أخرى ٠

سار الوزير عدلى باتجاه بالى وعلم بوجود البطريق فى بلده زله احدى بلدان بالى فعسكر بقربها ، ووصلته الامدادات من الامام ،فجاء اليه القائد عبد الناصر والى الجنز مع جيشه وصاحب هديه مع جيشه والجراد صديق والى شرخه مع جيشه أيضا واجتمعوا فى مواجهة جيوش الحبشة فى زله ،ثم أرسل الوزير عدلى رسوله الى البطريق عدلوا يعرض عليه الاسلام أو الجزية فان أبى فالقتال ،فعاد اليه الرسول يحمل رفض البطريق للأمرين الأولين وأنه مستعد لمنازلة المسلمين ٠

فبات المسلمون ليلتهم وقد تهيأوا للقتال ،وعند طلوع الفجر أدوا الصلاة ثم تجهزوا للقتال ورفعوا الرايات ٠

اما البطريق عدلوافقد أمر أفراد جيشه باخراج نسائهم وأولادهم معهم أثناء القتال وأن يجعلوهم فى الساقة حتى لا يهرب الجنود من ميدان القتال بسهولة ٠

والتقت الفئتان ،وهجم المسلمون وهم يكبرون ويتشهدون ويصلون على الرسول صلى الله عليه وسلم ،والتحم الجيشان واقتتلوا أشد ما يكون القتال وكذلك شاركت نساء المسلمين فى القتال خلف الجيش وهن راكبات البغال فكانت الواحدة منهن تأسر ثلاث أو أربع أو سبع من نساء المشركين ،وأخيرا استطاع المجاهد فرشحم على الهجوم على البطريق عدلوا وقتله ولما علم باقى الجيش بمقتل قائدهم فروا هاربين من ساحة المعركة ،وقتل فى هذه المعركة مائة بطريق من بطارقة الحبشة أما الاسرى من البطارقة فكان عددهم مائتين ،وتبع المسلمون فلول المنهزمين حتى قاقمه وأسروا منهم اعدادا هائلة وغنموا اسلحتهم وخيولهم ،ثم عسكروا فى زله للراحة ٠

ثم أرسل الامام أحمد قائده الجراد جوشه لمساعدة الوزير عدلى وأمـــره بتطويق بالى من ناحية الجنوب بالقرب من باب داره حتى لا يستطيع أحد مـــن الاعداء الفرار من بالى ،وبالفعل وصل الفارون مع خمسة من البطارقة ولم تقــع معركة بينالطرفين بل استسلم الفارون للجراد جوشه .

وأرسل الوزير عدلى الى الامام أحمد يبشره بالنصر ففرح الامام وصلـــى لله ركعتين شكرا وأمر بضرب الطبول والنقارات احتفالا بالنصر ،ثم أمـــر ولاته على الجنز وهديه وشرخه بالرجوع الى بلادهم وحمايتها منأى هجوم لـملـــك الحبشة .

وأسلم الأحباش فى بالى جميعهم على يد الوزير عدلى وكان ذلك فى ذى الحجة من عام ٩٣٨هـ / ١٥٣١م.(١)

معارك وج والجنز وورب :-

استقر الامام أحمد فى منطقة أيفرس فى دوارو ثم بعث بالوزير مجاهد الـى منطقة وج للتصدى للأحباش وكذلك أرسل القائد فرشحم دينالى بلاد المايةلتولى منصب الامارة بها .

أما الوزير مجاهد فوصل الى منطقة وج فاستقبله المسلمون بها بالترحيب فأقام بينهم ،وسرعان ما أرسل الملك الحبشى جيشه الى وج بقيادة البطريـــق اسلام دحر صهر الملك الاسكندر ،وقد تحصن الجيش الحبشى فى جبل فى المنطقـــة فسار اليه الوزير مـــجاهد ،ولما رآهم الأحباش قادمين صاح القائد الحبشـــى فى جنوده بأن ينزلوا من الجبل لقتال المسلمين على أقدامهم لأن الجبـــل لا يصلح مجالا للخيل .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٩٠ - ٢٩٩ ؛محمد المعتصم سيد ،نفس المرجـع ص ٣٦-٣٧؛حسن أحمد محمود ،الاسلامو الثقافة العربية فى افريقية ،ص ٤٦٥؛
Budge, op. cit., vol.I, PP. 333-334; Trimingham, op. cit., P. 87; Tamrat, op. cit., P. 175.

أما المسلمون فقد أمر الوزير مجاهد المشاة بالسير فى مطلع الجيش وتأخير الخيل ،وهكذا دارت المعركة بين الطرفين والجميع يقاتلون على أقدامهم ،وانتهز بعض فرسان المسلمين فرصة انشغال الأعداء بالقتال فالتفوا خلف الجبل ووجدوا فيه طريقا ضيقة تصلح للصعود اليه فصعدوا الى أعلى الجبل وغنموا جميع الخيول التابعة للأعداء . ولما رآهم الأحباش وقد صعدوا الجبل ولوا هاربين تاركين ميدان القتال واستطاع المسلمون قتل البطريق اسلام دحر وكثير من بطارقة جيشه ،وغنم المسلمون فى هذه المعركة غنائم كثيرة ،واستطاعوا فى هذه المعركة أيضا تعزيز الفتح فى بلاد وج سهلها ووعرها ،وأسلم جميع أهلها ،وأرسل الوزير مجاهد الى الامام أحمد مبشرا بالنصر .

كان القائد عبد الناصر والى الجنز قد سار الى الجنز بعد انتهاء معركة بالى ،وفى الطريق علم بأن الملك الحبشى لبنادنجل قد أرسل قائده آيكر مع جيش ضخم الى الجنز فأسرع يقطع الطريق فى خمسة أيام حتى وصل الى الجنز ليلا دون أن يعلم بقدومه الجيش الحبشى ،ومع اطلالة الفجر هجم جيشه على البلاد فلما فوجىء الأعداء هرب قائدهم آيكر وترك جيشه فأسرهم المسلمون بدون قتال فعرض عليهم القائد عبد الناصر الدخول فى الاسلام فأسلموا جميعهم وحسن اسلامهم وشاركوا فى بقية الفتوح ،وأرسل القائد عبد الناصر مبشرا الى الامام يعلمه بالنصر والظفر على الأعداء .

ومن دوارو أرسل الامام أوامره الى القائد يعقيم الذى يرافق الوزير مجاهد فى وج يأمره بأن يسير الى منطقة ورب لتأمين فتحها وعينه واليا عليها.

وصل القائد يعقيم الى ورب فاستقبله المسلمون بها واحتفلوا بقدومه ولم يعلم القائد بوجود أحد البطارقة الأحباش وكان يسمى أكليل بالقرب من المنطقة التى ينزل بها ،وكان مختفيا فى منطقة وعرة مع جيشه ،ولم ينتبه المسلمون الا وخيول الأعداء تحاصرهم ،فركبوا خيولهم مسرعين واقتتلوا مع الأعداء حتى أجبروهم على الفرار وكبدوهم خسائر فادحة ،وغنم المسلمون منهم

غنائم كثيرة من الأسرى والأسلحة والخيول وغيرها .

ثم عرض القائد على أهل ورب الاسلام أو الجزية فاختاروا دفع الجزية وأقرهم الامام عليها ،وكان مقدار الجزية سنويا ما يلى : خمسة عشر الف حمل من الحنطة وألف أوقية من الذهب بالاضافة الى ألف قربه من العسل وألف قربه من السمن .
والملاحظ هنا المبالغة الشديدة في مقدار الجزية التي أوردها عرب فقيه .

وفى تلك الأثناء قرر الامام الاقامة النهائية فى الحبشة واتخاذها موطنا بدلا من هرر ،فأرسل الى السلطان عمر دين فى بر سعد الدين والى أخيه محمد بن ابراهيم يطلب زوجته وأولاده ونساء المسلمين وأولادهم للحاق بهم فى أرض الحبشة ،وأرسل كل مسلم الى زوجته ما يكفيها من الذهب اللازم للسفر فتجهزت زوجة الامام دلونبره مع نساء المسلمين وأرسل السلطان عمر دين معهن من يرافقهن فى السفر حتى وصلوا الى أيفرس موضع معسكر الامام أحمد . (١)

فتح الداموت :-

سار الامام أحمد بجيشه الى بلاد جبرجي واجتمعت هناك جميع جيوشه المتفرقة ،فأرسل وزيره عدلى الى بلاد الداموت لفتحها ،وأرسل معه أيضا القائد عبد الناصر مع جيشه . فلما وصل اليها المسلمون وجدوا بها بطريقا من بطارقة الملك الحبشى ويدعى دحرجويتا ،وما أن بدأوا بمحاصرته حتى هرب الى منطقة اخرى من مناطق الداموت تدعى بلاد الجافات وهى من المناطق الوثنية وأهلها قوم من الرعاة كانوا يكرهون الأحباش كرها شديدا ،فلما وصل اليهم دحر جويتا دخل بلادهم عنوة فاجتمع أهلها وقرروا استدراج جيشه ومهاجمته ، فعملوا كمينا للجيش الحبشى حيث استدرجوه الى منطقة موحلة ملآنة بالطين ولا تستطيع الخيول التحرك فيها ،ثم اختفوا حول الأشجار ،وما أن تقدم الجيش الحبشى حتى اصبح فى مصيدة أهالى الجافات فغاصت خيولهم فى الأرض وخرج اليهم المحاربون منخلف الأشجار (كانوا من المشاة لانهم لا يعرفون استخدام الخيل)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣٠٠ - ٣٠٧ ؛
Budge, op. cit., vol. I, PP. 333-334.

وأوقعوا بالجيش الحبشى هزيمة نكراء وقضوا على معظم أفراده ولم ينج منهم الا القليل .

أما الوزير عدلى فكان يواجه قائدا آخر فى منطقة الداموت يدعى بلو سجد أخوالقائد اسلاموا واستطاع الوزير عدلى أن يهزمه فهرب القائد الى انارية وهى بلدة اخرى من بلدان الداموت فقبض عليه حاكمها وأسره ومعظم أفراد جيشه وأرسل بهم الى الوزير عدلى ثم سار الى الوزير يعلن خضوعه مع دفع الجزية فأقره عليها الوزير عدلى وتركه حاكما لانارية .

ثم أرسل الوزير عدلى الى أهل الجافات يعرض عليهم الاسلام أو الجزية فدخل جميعهم فى الاسلام ،ففرح الوزير عدلى فرحا كبيرا وكسا كبراءهم وأنعم عليهم ثم أرسل البشائر الى الامام أحمد وهو فى أرض ورب يبشره بالنصر والفتح .(١)

حصار العنبا الثانى :-

واصل الامام أحمد سيره حتى وصل الى جبال العنبا حيث الحصون التى يعيش فيها أولاد الملوك فحاصرها لمدة شهرين وخلال تلك المدة أرسل الملك الحبشى لبنادنجل جميع جيوش وقادة التجراى لمقاومة جيش الامام أحمد ومنعهم من الوصول الى تلك الحصون ،وقاتلهم الامام طوال تلك المدة حتى استطاع جيشه الوصول الى أحد الحصون وفتحه بعد قتال مرير استشهد فيه كثير من المسلمين ولحقت الهزيمة بالجيش المدافع عن الحصن ،ولما رأى الاعداء سقوط أول الحصون انتقلوا الى الحصون الأخرى للدفاع عنها . وقد استخدم الأحباش فى هذه المعارك المدافع والبنادق ،حيث استعانوا ببعض النصارى من مصر أو الشام فى تشغيلها .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣٠٧ - ٣١٠ ؛
Tamrat, op. cit., PP. 173 - 174.

وبات الامام أحمد ليلته فى الحصن الاول وفى اليوم التالى هاجم الحصن الثانى واستطاع هزيمة الأحباش ففروا تاركين هذا الحصن ايضا ،فدخله الامام وتبع المسلمون فلول المنهزمين من الصبح حتى حلول الظلام .

وقد ارسل الامام أحمد الى زيلع يطلب شراء مدافع لضرب الحصون بها فجاءته ثلاثة مدافع أحدهم كبير والآخران صغيران ،وكان يقوم باطلاق تلك المدافع اثنان من الهنود وقد اجزل لهما الامام العطاء ولكن فى نفس الوقت كان الأحباش يستخدمون المدافع من أعلى الجبال بالاضافة الى الأحجار الثقيلة والبنادق مما أضر بجيش المسلمين ،وأدرك الامام عدم جدوى محاولة الاستيلاء على بقية الحصون مع تلك الخسائر الفادحة ،فقرر مهاجمة التجراى مكان وجود الملك الحبشى والقضاء عليه أولا ثم العودة الى الحصون مرة أخرى .

وهكذا أمر الامام جيشه بفك الحصار والرحيل عن جبال العنبا .(١)

فتح التجراى :-

توجه الامام أحمد الى منطقة التجراى فدخلها ووصل الى كنيسة تدعى لالبلا بعد أن عبر أشق الطرق وأصعبها فى جو قارس البرودة حتى مات بعض المسلمين فى الطريق واستطاع اخيرا الوصول الى الكنيسة وهى من الكنائس المنحوتة فى داخل الجبال فأحرقها المسلمون بعد أن كسروا ما بها من الاصنام والتوابيت ،وبينما المسلمون يواصلون السير هاجمتهم فرقة من الجيش الحبشى فاستطاع المسلمون هزيمتها بسهولة .

وقد علم الملك لبنادنجل بوصول الامام أحمد الى منطقة التجراى فجمع جيوشه تحت قيادة البطريق دجلحان وقال له : " لا يتجاوز عليك من

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣١٤ - ٣١٧ ؛
Burton, op. cit., P. 180; Budge, op. cit., vol.I, PP.333-334.

المسلمين الى التجراى أحد فما بقى من الحبشة الا هى وبقى مدر فاذا دخل اليها المسلمون ما يكون لنا ملجأ نلجأ اليه ." (١)

فسار البطريق وأقفل الطرق المحصورة بين الجبال والمؤدية الى التجراى. ولما وصل الامام أحمد وجد جميع الطرق محاصرة فكان يخرج فى كل ليلة مع بعض أصحابه ويتفقد الطرق ويعاينها للوصول الى أضعف نقطة يستطيع منها الوصول الى التجراى .

خاض الامام أحمد عدة معارك على هذه الطرق بغية فتح أحدها وأستشهد ابن عمه زحربوى محمد فى احدى تلك المعارك واخيرا استطاع المسلمون فتح احدى الطرق بعد هزيمة الجيش الحبشى فدخل المسلمون أرض التجراى ونزلوا فى بلدة تسمى قرقاره ،كثيرة الخيرات وفيرة الغذاء استطاع الجيش أن يجد مؤونته فيها بعد تعب ونصب شديدين ،بعد ذلك أغار المسلمون على بلدان التجراى الواحدة تلو الأخرى واستطاعوا هزيمة الجيوش الحبشية فى أندرته والتنبين وشوم عجامية بعد ذلك سار الامام الى أكسوم ودخلها فاتحا مظفرا وبعد أن عسكر الامام بها جاءته قبيلة بللو المسلمة التى تسكن اكسوم ،فرحبت به ودلته على أماكن تجمع الجيوش الحبشية وكان ذلك فى رمضان من عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م وعلم الامام أن الأحباش يتحصنون فى جبل فى المنطقة فقسم جيشه الى قسمين ،قسم بقيادة عبد الناصر والآخر بقيادة الامام أحمد نفسه ،وسارت كل فرقة فى طريق من طرق الجبل ،واستطاعوا بعد مجهود شاق الصعود الى الجبل ومهاجمة الحصون وفتحها بعد هزيمة الجيش الحبشى هزيمة منكرة .

ولما علم الملك لبنادنجل بهزيمة جيوشه سار على رأس جيشه وتوجه الى أكسوم فدخلها بعد أن رحل الامام عنها ،واخرج ثرواته منها ومن ضمنها صنم كبير من الحجر مرصع بالذهب حمله على أعناق أربعمائة رجل وأرسل به الى حصنه فى منطقة السراوى .

ولما علم الامام بوصول الملك الحبشى الى أكسوم سار من ساعته اليها

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣١٩.

ولكن الملك هرب من أكسوم الى مزجه (مسيجا) وهى مملكة مسلمة ويحكمها حاكم مسلم من قبائل البللو المسلمة (١) .

وهذه المملكة تقع بالقرب من منطقة بقى مدر عند الحدود مع بلاد النوبة ،وتخضع للملك الحبشى ،وتدفع جزية سنوية عبارة عن عدد كبير من الخيول . (٢)

وما أن وصل الامام الى أكسوم حتى جاءته الأخبار باستنجاد سلطان مزجه المدعو مكتر بالامام أحمد ضد ملك الحبشة الذى يحاصر بلاده ، فسار اليه الامام بجيشه سريعا واستمر فى السير ليلا ونهارا دون أن يريح الجيش او يتزود بالمؤن حتى استطاع الوصول اليه فخرج السلطان لاستقباله بجيش مكون من خمسة عشر الف مقاتل من النوبيين ،ولما علم الملك لبنادنجل بوصول الامام الى مزجه فر الى منطقة القجام .

وبقى الامام فى مزجه وتزوج ابنة السلطان مكتر واستراح الجيش عشرة أيام ثم توفى السلطان فعين الامام على مزجه ابنه نافع سلطانا مكان أبيه . (٣)

وجدير بالذكر أن الامام أحمد عندما أنجد سلطان مزجة لم يكن مريضا كما ذكر البعض وانما المريض هو السلطان مكتر فقد توفى بعد فترة قصيرة من وصول الامام اليه ،وقد حدث التباس لدى بعض الباحثين حول هذا الموضوع . (٤)

بعد ذلك قرر الامام ملاحقة ملك الحبشة وسار لمطاردته حتى وصل الى القجام ،ومن شدة الفزع الذى أصاب الملك وجيشه أنهم تركوا معظم أحمال

---

(١) يطلقون عليها في المراجع الاجنبية لفظ بللونو (Bellono) .

(٢) Alvarez, op. cit., PP. 352 - 353; Jones & Monroe, op. cit., PP. 66-67; Budge, op. cit., vol.I, PP. 333-334

(٣) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣٢٢ – ٣٢٧؛ عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ، ص ١٦٣ – ١٦٥ ؛
Budge, op. cit., vol. I, PP. 333-334.

(٤) انظر : ابراهيم محمد حسن ، الامام أحمد بن ابراهيم الصومالى ،ص ١٥٨.

الجيش فى الطريق فغنمها المسلمون كما تركوا قدورهم ملآنة بالطعام فكانت غذاء للجيش المسلم .

ولما أدرك الامام ساقة الجيش الحبشى مع حلول الظلام أمر أفراد جيشه بالتحدث باللغة الحبشية وعدم استخدام اسلحتهم والتوغل داخل الجيش بحثا عن الملك لبنادنجل وهكذا اختلط جيش المسلمين مع جيش الحبشة فى الظلام دون علم الأحباش بما يجرى ،فاذا حدث وأن شك أحد من الأحباش فى شخص من المسلمين وصاح : يا ملك أردع (أى غارة) أو يا بطريق أردع فكان الامام يصيح بلغتهم توتو (اى اتركوهم) . واذا سأل شخص الامام عن اسمه كان يقول أنا البطريق فلان وكذلك فعل أصحابه وهم ما يزالون يبحثون عن الملك الحبشى لبنادنجل حتى جاء الصبح فلم يعثروا عليه الى أن دلهم أحد المسلمين المرتدين من الذين يعملون فى الجيش الحبشى وأشار الى فارس يركض هاربا على حصانه وقال لهم هذا هو ملك الحبشة ،فلاحقه القائد أبسمانور فلم يلحقه ،فقد فر على جواد أصيل واختفى بين أشجار الغابات . ووقعت فى الاسر أخت الملك الحبشى وتدعى أمتى دنقل .

بعد ذلك ترك الامام أحمد منطقة القجام وعاد الى التجراى للاجتماع مع بقية الجيش والوزيرعدلى .(١)

فتح السراوى :-

أصاب أرض التجراى القحط وقلة الزاد منكثرة المعارك التى دارت على أرضها وعانى المسلمون معاناة شديدة منقلة الزاد ،ورغم ذلك بقى الامام بها عدة أيام للراحة .

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣١٧ - ٣٣٣،محمد المعتصمسيد،نفس المرجع ،ص ٣٧ ، ص ٤٦٥ .
Burtom, op. cit., P.180; Trimingham, op. cit., P.87; Tamrat, op. cit., P. 174.

وكان الوزير عدلى يعسكر فى التجراى عندما خرج الامام لملاحقه الملك الحبشى فى القجام ،وقد أرسل الوزير قائده الوزير عباس الى منطقة السراوى لفتحها ،وجاءت تعليمات الامام الى الوزير عدلى تدعوه للحاق بالوزير عباس الى السراوى لمساعدته ،فنفذ الوزير عدلى تعليمات الامام على الفور ٠

وكانت طبيعة الارض فى السراوى تساعد الجيش الحبشى على الاختفاء وعمل الكمائن حيث تكثر فيها الغابات المتشابكة وقد لحق بالمسلمين من جراء ذلك خسائر كبيرة ٠

وقبل قدوم الوزير عدلى اشتبك الوزير عباس مع بطريق السراوى ويدعى تسفولولو فى معركة وقعت وسط الغابات فهزم الوزير عباس حتى أتته النجدة مع الوزير عدلى ،وما أن سمع البطريق بقدوم عدلى حتى اختفى مع جيشه وسط الغابات ،فتقدم الوزير عدلى أمام الجيش الى طريق ضيقه وسط الغابات يريد عبورها الى أرض واسعة ،فكمن له الأحباش وهجموا عليه واثخنوه بالجراح حتى استشهد فحاول أحد المسلمين حمله والهرب به فوجده لم يمت بعد ولكنه لم يستطع اخراجه من الغابة حيث كانت السهام والحراب تنهال عليه كالمطر ،فقال له الوزير عدلى وهو فى النزع الأخير : " أرمنى عن ظهرك وانج بنفسك فما عاد فى روح " ، فحينئذ أنزله الرجل عن ظهره وهرب ،واستشهد مع الوزير عدلى أثنان آخران من قادة الامام هما كبير محمد والجراد هيجوا ٠ ولما أدرك المسلمون الكمين المنصوب لهم تراجعوا الى الوراء تاركين الغابة الى مكان فسيح ،وتقدم المشركون الى الوزير عدلى وقطعوا رأسه وأرسلوا به الى الملك الحبشى لبنادنجل ٠ وأرسل الوزير عباس خبر استشهاد الوزير عدلى الى الامام أحمد فحزن عليه المسلمون حزنا شديدا بينما احتفل الملك الحبشى وجنوده فرحين بمقتل الوزير عدلى فدقوا طبولهم ومزاميرهم وصعد البطريق دجلحان على منبر من حديد نصب له وخطب فى جيوشه وقال لهم : " يا معشر الرهبان ،والشمامسة والبطارقة والقسيسين أعلموا أن عدلى قتل ... وقد اقبلت دولتنا وراحت دولة الاسلام " (١)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣٣٦ ٠

ثم مكثوا يحتفلون بالنصر مدة ثمانية أيام ،عندئذ قرر الامام أحمد الذهاب بنفسه لفتح السراوى فوصلها عندما كان الوزيرعباس يشتبك مع البطريق تسفولولو فى معركة حامية ، انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا وقتل البطريق تسفولولو وأولاده وكثير من بطارقة الجيش الحبشى ،وبذلك تم فتح السراوى على أن يدفع الأحباش الجزية •

ثم أن الامام أحمد عين الوزير عباس فى منصب الوزير عدلي كقائد اعلي للجيش وكان ذلك فى عام ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م ثم عاد الى منطقة التجراى وبقى بها عاما كاملا وهو عام ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م وخلال ذلك العام اجتاح الطاعون منطقة التجراى ومات من المسلمين وقادتهم اعدادا كثيرة كما نفقت المواشى التابعة للجيش المسلم وكذلك الخيول والبغال فأصبحوا يحملون متاعهم على ظهورهم ،عند ذلك قرر الامام ترك التجراى والمسير الى آخر معقل من معاقل الملك الحبشى وهى بقى مدر •(١)

فتح بقى مدر Begemder :-

ترك الامام أحمد منطقة التجراى وتوجه الي بقي مدر• وفى الطريق اليها قصد مملكة مزجة (مسيجا)(٢) على حدود النوبة وصام بها رمضان من عام ٩٤١هـ /١٥٣٤م ،واستراح الجيش المسلم بها وبعد انقضاء عيد الفطر المبارك سار الامام أحمد بجيشه مرة أخرى متوجها الى بقى مدر ،ولما وصل الى الباب المؤدى اليها وجد الجيوش الحبشية مستعدة للدفاع وعلى رأسها البطريق ساول بن تسفوليسوس ،فقسم الامام جيشه الى قسمين أحدهما تحت أمرته والآخر بقيادة الوزير عباس وكان موضع القتال ضيقا جدا لا تستطيع الخيول الحركة فيه فقدم الامام المشاه أمام الفرسان فأشتبك الجيشان من الفجر حتى الظهر من غير أن تحسم النتيجة لصالح أحد الطرفين • وبينما المسلمون يقاتلون جاءهم أحد الجواسيس يخبرهم بوجود

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣٣٣ — ٣٤٠ ،
Budge, op. cit., vol.I, PP. 333-334.

(٢) تقع الي الشرق من بحيرة تانا•

طريق آخر ضيق بين الجبال يوصل الى بقى مدر ويستطيعون العبور منه ،فأخذ الامام معه فرقة من الجيش وترك باقى الجيش مع الوزير مجاهد على الباب الأول وسار مع فرقته حتى وصل الى الطريق الثانى الذى دله عليه الجاسوس فوجد فرقة من الجيش الحبشى تحرسه فتقدم المشاة من فرقة الامام أمام الفرسان وهاجموا الأحباش والجأوهم الى الفرار ثم عبروا الطريق الى المنطقة فلما رآهم الجيش الحبشى الموجود على الباب الأول تراجع فدخل باقى الجيش بقيادة الوزيرمجاهد ودارت معركة بين الجانبين انتصر فيها المسلمون وهزم الأحباش هزيمة منكرة ،ثم طلب أهالى بقى مدر الصلح مع دفع الجزية فوافق الامام على ذلك وعين على بقى مدر البطريق قنزاوى ولكنه هرب بعد ذلك الى الملك الحبشى ،فقسم الامام المنطقة الى ولايات ووضع على كل منها حاكما مسلما وبذلك استقر الفتح فى بقى مدر وبدأ المسلمون فى بناء المساجد والمدن فى المنطقة والمناطق المحيطة بها .

ثم توجه الامام بعد ذلك الى منطقة جبال سمين (١) . وهى منطقة يهود الفلاشة وهى من الأراضى الوعرة فى الحبشة وفتحها من أعسر وأصعب الفتوح ،حيث الطرق شديدة الوعورة ولا تتسع لاكثر من شخص واحد للصعود ،وكان اليهود فى سمين يخضعون للأحباش من أصحاب بحر عنبا وقد استولوا على بلادهم سمين وحولوهم الى عبيد يحرثون لهم الأرض منذ أربعين سنة فلما حاصر الامام سمين جاءه اليهود وأعلنوا انضمامهم اليه وساعدوه فى فتح سمين حيث أخذ اليهود فى مهاجمة أهل بحر عنبا وأسرهم وبذلك طردوا الأحباش من منطقة الفلاشة ،وأعلن اليهود خضوعهم للامام مع دفع الجزية ،وولى عليهم الامام الجراد عثمان بن جوهر وفرشحم عثمان .

ثم سار الامام الى منطقة دامبيا (دمبيه) بالقرب من بحيرة تانا Tana وهى من المناطق المشهورة بانتاج الذهب فى الحبشة وهى كثيرة الخيرات ففتحها الامام صلحا على أن تدفع الجزية ثم أتخذها الامام أحمد مقرا له فأمر ببناء المدن والمساجد وقسم المنطقة الى ولايات ولى على كل ولاية قائدا من قادة المسلمين ،ثم بدأ الامام بافتتاح الجزر الموجودة فى

---

(١) تقع على يسار نهر التكازى في المنعطف الكبير الذى يكونه النهر.

بحيرة تانا وعددها ثلاثون جزيرة ،فأمر بصنع القوارب للعبور اليها ،والى أن يفرغ المسلمون من صنع القوارب سار الامام بجيشه الى حدود بلاد النوبة مع مملكة الحبشة فهاجمها ولم يتوغل فيها ٠ ثم عاد ادراجه الى دامبيا فوجد أن القوارب قد تم صنعها ،فقاد المسلمين الى الجزر وافتتحها وولى عليها القادة من جيشه فأصلحها وبنى بها المساجد هذا بينما الملك الحبشى هاربا فى أحد الجبال فى منطقة القجام معوزا بائسا مريضا يطلب النجدة من البرتغاليين لمعاونته فى القضاء على الامام أحمد بن ابراهيم المجاهد ٠(١)

وبذلك استطاع الامام أحمد فتح جميع مناطق الحبشة ونشر الاسلام فى ربوعها واخراجها من التخلف والظلم والوثنية الى نور الاسلام والحرية والحضارة فانتشرت المساجد فى طول البلاد وعرضها ٠

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣٤٠ - ٣٤٨؛ جمال زكريا ،نفس المرجع ،ص ١٣٠ ؛
Burton, op. cit., P.180; Tamrat, op. cit.,PP. 175-176 ;
Budge, op. cit., vol.I, PP. 333-334.

ثالثا : استنجاد الامام أحمد بن ابراهيم المجاهد بالدولة العثمانية واستشهاده :-

لقد صور معظم الباحثين جهاد الامام أحمد بن ابراهيم تصويرا أجحف كثيرا من حق ذلك المجاهد وفتوحاته العظيمة فى مملكة الحبشة ،لقد أظهره هؤلاء بمظهر التابع الضئيل للدولة العثمانية وكأنما الدولة العثمانية هى التى دفعته لخوض غمار الفتوحات للقضاء على مملكة الحبشة حليفة البرتغال والعدوة اللدودة للدولة العثمانية فى القرن العاشر الهجرى ،وأشار هؤلاء الباحثون الى أن العثمانيين وضعوا أحدث الأسلحة النارية من بنادق ومدافع فى أيدى القبائل البدوية الساحلية فكان لها الفضل فى انتصارات الامام العظيمة والسريعة فى مملكة الحبشة . (١)

ونورد هنا مثالا لبعض هذه الآراء : " وقد أمده [الامام أحمد] الاتراك بناء على الاتفاقيات التى عقدت بينهم بالأسلحة الحديثة مثل البنادق والمدافع وهى أسلحة لم يكن الأحباش قد عرفوها بعد ولا عرفوا مدى قوتها أو حتى كيفية استعمالها . لذلك كان جنودهم يتساقطون بسرعة فرادى وجماعات أمامهم دون أن يشتبكوا مع المسلمين ... كما كان لتدريب الضباط الأتراك الذين حضروا مع هذه الأسلحة - لقواد الامام أحمد أثره الكبير فى الانتصارات التى احرزوها فيما بعد فقد أخذت الجيوش الامام أحمد تكتسح البلاد بدون توقف ولم تستطع الجيوش أن توقف زحفها المدمر ." (٢)

---

(١) انظر Budge, op. cit., vol.I, P.332; Trimingham, op. cit., P.77; Jones & Monroe, op. cit., PP. 81-82; Diffie & Winius, op. cit., P. 355;
زاهر رياض ،مصر وافريقيا ،ص ١٢١ - ١٢٢؛محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ص ٣٥ - ٣٧ ؛عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ،ص ١٨٩-١٩٠؛ ابراهيم محمد حسن ،نفس المرجع ،ص ١٥٤، ١٨٠، ١٨٢؛جمال زكريا ،نفس المرجع ،ص ١٢٩، ١٣١؛ يوسف أحمد ،نفس المرجع ،ص ٣٤ .

(٢) ابراهيم محمد حسن ،نفس المرجع ،ص ١٧٧ - ١٧٨ .

ولا شك أن هذا التصوير الذى أوردناه أمر بعيد كل البعد عن الصواب وعن الحقائق التاريخية التى وردت فى تاريخ فتوحات الامام أحمد والتى دونها بأمانة وصدق المؤرخ عرب فقيه [الذى رافق الامام فى فتوحاته] فى كتابه فتوح الحبشة ، فلم يرد ذكر الأتراك العثمانيين فى كتابه حتى نهايته أو على وجه الدقة حتى احداث سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م وهى السنة التى أتم فيها الامام أحمد فتح جميع أرجاء الحبشة تقريبا ،وكما ورد فى الفتوح فقد استخدم الجانبان الاسلامى والحبشى بعض قطع الأسلحة الحديثة التى كانوا يحصلون عليها من التجار فى الساحل أو من اليمن فمثلا أرسل الامام أحمد لشراء الأسلحة من اليمن وهى عبارة عن عدد من المدافع التى لا يتجاوز عددها أصابع اليدين .(١)

واستخدم الجانبان فى تشغيل تلك المدافع بعض المرتزقة من الهنود والترك أو المجاهدين من العرب بالنسبة للمسلمين .(٢)

وكانوا يعتمدون أساسا فى القتال على الاسلحة التقليدية التى تعتمد على الفروسية والبسالة مثل السيوف والرماح والسهام والدروع وغيرها أى أن القوة كانت متكافئة بين الطرفين . ولم يكن هناك قبائل بدوية مسلحة بأحدث الأسلحة وبكميات ضخمة كما صورها أولئك الباحثون ،ولم يكن الجنود الأحباش يتساقطون بسرعة فرادى وجماعات دون أن يشتبكوا مع المسلمين بل ان الأحباش قد امتلكوا المدافع الحديثة قبل قيام الامام بفتوحاته فى مملكة الحبشة فيذكر الفاريز Alvarez عن الأسلحة التى يمتلكها الأحباش بين عامى ١٥٢٠م - ١٥٢٦م : " كان لديهم فى البلاط أربعة عشر مدفعا متحركا اشتروها من الأتراك الذين قدموا بلادهم للتجارة ،لقد أمر

---

(١) ورد ذكر استعمال جيش الامام احمد لبندقية واحدة فى معركة من معارك منطقة دوارو وما عدا ذلك فلم يشر المؤلف الى استخدام جيش الامام للبنادق فى بقية صفحات الكتاب .، انظر عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٨٥.

(٢) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٣١٥ - ٣١٦ .

البرستر [نجاشى الحبشة] بأن يعطى للأتراك كل ما يطلبونه مقابل تلك المدافع ،كما أصدر أمره لرجاله بأن يتعلموا كيف يطلقون تلك المدافع . هذا بالاضافة الى أننا أحضرنا لهم عند رحيلنا مدفعين دوارين ." (١)

هذا مع التحفظ على رواية الفاريز حول هوية التجار فمن المحتمل أنه من غير الاتراك لان الاتراك المسلمين لايمدون ملوك الحبشة بالاسلحة بل الاحرى أن تكون الاسلحة المذكورة قد وصلت الي الملك الحبشي عن طريق الطلب من بعض التجار النصارى من الشام أو مصر وقد ظنهم الموءلف أتراكاً. كما يدلنا هذا على أن الأحباش كانوا يحصلون على الأسلحة من عدة جهات ولم يكن البرتغاليون وحدهم من يمدهم بالأسلحة.

ومن المعارك التى استخدم فيها المسلمون والأحباش المدافع هو الحصار الثانى لجبال العنبا .

ما أن فرض الامام أحمد سيطرته على معظم أرجاء الحبشة واصبح الملك لبنادنجل مطارا حتى بادر الملك الحبشى الى طلب النجدة والعون من البرتغاليين وكان الملك الحبشى لبنادنجل قد احتجز فى الحبشة الطبيب البرتغالى جواو برموديز Joao Bermudez الذى رافق بعثة رودريجو دى ليما عام ١٥٢٠م بديلا عن مبعوثه زاجازابو الذى أرسله الى البرتغال مع بعثة دى ليما عام ١٥٢٦م ،وسرعان ما بادر الملك بارسال برموديز عام ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م مبعوثا من قبله الى البرتغال طلبا للنجدة ضد الامام أحمد بن ابراهيم وفى مقابل ذلك رضى بالتنازل عن ارتباط الكنيسة الحبشية بكنيسة الاسكندرية وربطها بكنيسة روما وتعهد بتنفيذ كل ما يطلبه البرتغاليون منه فى مقابل امداده بالمعونة العسكرية .(٢)

والرسالة التالية توضح هذا الأمر وقد كتبها لبنادنجل فى عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م وهى موجهة الى برموديز ،كما تشير الرسالة الى الرسائل التى استلمها الملك الحبشى من ملك البرتغال ونائبه فى الهند والتى تؤكد على تصميم البرتغاليين على امداد الملك الحبشى بالمساعدة العسكرية للوقوف فى وجه الامام أحمد .

" لقد ثار جميع قادتى ضدى لمساعدة المسلمين فعاثوا فى البلاد فسادا واستولوا عليها عنوة ،وانى خشية ذلك طلبت من الملك أخى النجدة ،وها أنت تخبرنى أنه أمدنى بثلاثمائة مدربين . ان مملكة البرتغال هى لى كما

---

(١) Alvarez, op. cit., P. 410.

(٢) Castanhoso, op. cit., PP. 208 - 209 .

أن جميع بلادى هى ملك للملك أخى ، انى أرجوك أن تأتينى بالكثير من الرجال ..
لقد أحضر لى تانا قي مايكل Tanage Michael الحبشى رسالتك ومعها
رسالتان من الملك أخى ومن نائبه .... وكان كل ذلك مبعث سرور فى نفسى ....
ولذا فانى أرجو من نائب الملك وأدعو له من كل قلبى ،وسأوافق على كل
رغباته وبينى وبينه قديسو السماء والملاك جبريل ... حين سمع بعض من كانوا
قد تخلوا عنى بهذه الرسائل وبالأمل فى مجئ الأسطول النصرانى عادوا
وأعلنوا ولاءهم لى .(١)

سارت البعثة وعلى رأسها برموديز متجهة الى مصوع وبعد مشقة كبيرة
استطاع برموديز الافلات من قبضة المسلمين فى شرق افريقيه وركب اسطولا برتغاليا
كان موجودا آنذاك فى مصوع وتوجه الى البرتغال واستقبله فى لشبونه
الملك البرتغالى جواو الثالث Jodo III ،
وقرر الملك البرتغالى ارسال النجدة على الفور فأصدر
أوامره الى نائب الملك فى الهند دوم جارسيا دى نورونها Dom Garcia
de Noronha بارسال حملة عسكرية الى البحر الأحمر وانزال النجدة فى
مصوع مزودة بأحدث الأسلحة لمعاونة ملك الحبشة .

وحمل هذه التعليمات برموديز نفسه وانطلق الى غوا فى الهند عام
١٥٣٩م وقدم الرسائل الى نائب الملك الذى لم يبد تحمسا للموضوع حتى تم
عزله وتعيين نائب الملك الجديد استفاو دا جاما الذى قاد الحملة المطلوبة
الى البحر الأحمر حسب تعليمات الملك البرتغالى وذلك فى عام ١٥٤١م.

وأراد نائب الملك أن يستفيد من حملته من عدة وجوه أولها أن يحطم
قواعد الاسطول العثمانى فى السويس ثم تدمير الموانئ الاسلامية على ساحل

---

(١) Castanhoso, op. cit., PP. 107 - 108.

شرق افريقيه مثل سواكن وزيلع ومصوع .(١)

وفى مصوع انتقى نائب الملك فى الهند اربعمائة رجل من قوات اسطوله وعين أخيه كريستوفاو دا جاما قائدا عليهم كما أرسل معهم كمية ضخمة من الأسلحة الحديثة من بنادق ومدافع ودروع لا يخترقها الرصاص ثم نزلوا فى حرقيقو وتوجهوا الى داخل الأراضى الحبشية ليفاجأوا بنبأ موت ملك الحبشة لبنادنجل واعتلاء ابنه جلاديوس Galadewos (١٥٤٠م - ١٥٥٩م) للعرش ،وكان الأخير يتخذ من شمال شوا مقرا له ويقوم بتجهيز قواته لمواجهة الامام .

وقد كتب بعض الباحثين عن وجود حملتين برتغاليتين وصلتا الى الحبشة لنجدة الملك الحبشى جلاديوس احداهما بقيادة كريستوفاو دا جاما والأخرى بقيادة بيدرو ليونى .(٢)

والحقيقة أن المصادر والمراجع الأوروبية لم تشر الا الى حملة واحدة وصلت الى الحبشة فى عهد الملك جلاديوس وهى بقيادة كريستوفاو دا جاما وأن من أرسل فى طلب النجدة من البرتغال هو الملك الحبشى لبنادنجل ولكن وافته المنية قبل وصول النجدة التى استقبلها ابنه جلاديوس . أما بيدرو ليونى [أو بيرو دى لياو Pero de Liao كما ورد اسمه فى كتاب كاستانهوزو] الذى استشهد الامام أحمد على يديه فقد كان أحد جنود حملة كريستوفاو دا جاما .(٣)

---

(١) Budge, op. cit., vol. I, P. 335; Trimingham, op, cit., P. 77; Tamrat, op. cit., P. 181; Jones & Monroe. op. cit., P. 83; Diffie & Winius, op. cit., P. 355;

غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) انظر : جمال زكريا ،نفس المرجع ،ص ١٣١ ، ابراهيم محمد حسن ،نفس المرجع ،ص ١٨٨ .

(٣) Castanhoso, op. cit., PP. 192-193; Sousa, op. cit.,vol. II, PP. 54-59; Budge, op. cit., vol.I, P. 335; Tamrat, op. cit., P. 177;

غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٢٨٥ .

سار كريستوفاو دا جاما عبر الأراضى الحبشية واستقبله البحر نجش اسحاق حاكم المنطقة البحرية (بحر مدر) واستمروا فى السير مدة أسبوع فى طقس شديد الحرارة والرطوبة فكانوا يسيرون ليلا ويستريحون نهارا حتى وصلوا الى دباروا عاصمة البحر نجش حيث استقبلهم الأحباش بالترحاب الشديد وأرسل كريستوفاو من يبلغ الملك الحبشى بوصوله ،كما أرسل الى الملكة الأم [زوجة لبنادنجل] سابلا وينجل Sabla Wengel يطلب منها المجىء ومرافقته فى رحلته الى الملك لأنها كانت تعتصم بأحد الجبال القريبة من دباروا وبعد مدة وصلت الملكة مع حاشيتها الكبيرة من النساء والخدم وخرج لاستقبالها البرتغاليون وهم يطلقون المدافع . وتوجه لزيارتها القائد كريستوفاو معلنا لها أنه وضع نفسه وجنده تحت تصرفها وتصرف الملك وبناء على نصيحة البحر نجش اسحاق قرر البرتغاليون البقاء فى دباروا حتى انتهاء فصل الشتاء وحتى يصلهم جواب الملك جلاديوس .

ثم جاء الجواب أخيرا يطلب فيه الملك من القائد البرتغالى التوجه اليه مع بداية فصل الصيف ،وفى يناير من عام ١٥٤٢م (٩٤٩هـ) سار كريستوفاو متجها الى شوا وفى الطريق اصطدم بقائد من قادة الامام أحمد كان يترصد البرتغاليين مع فرقة من الجيش مكونة من ألف مقاتل ويتحصن فى جبل يدعى كانيتى Canete ، وقرر القائد البرتغالى مهاجمة المسلمين فى الجبل فحاصره وبدأ البرتغاليون فى اطلاق المدافع ونيران البنادق ولكن المسلمين كانوا يدحرجون عليهم الصخور الكبيرة من أعلى الجبل مما أدى الى فقدان عدد من أفراد الفرقة البرتغالية ،فتراجع البرتغاليون لعدة أيام ثم عادوا للهجوم فى ٢ فبراير من نفس العام ،ورغم الصخور المتساقطة عليهم من الجبل استطاع البرتغاليون الوصول الى البوابات الرئيسية الثلاث واقتحامها والوصول الى قمة الجبل بعد أن استشهد القائد وكثير من المدافعين عن الجبل .(١)

ويصف كاستانهوزو استبسال القائد المسلم الذى دافع عن ذلك الجبل قبل أن يستشهد بقوله : " لقد قاتل القائد المسلم الذى كان يتولى قيادة ذلك الممر بكل شجاعة وفداء ، ولقد رمى برتغاليا برمحه فاخترق درعه ليخرج

(١) Castanhoso, Op. Cit., PP. 35 - 36 .

من ظهره ثم استل سيفه وسدد به ضربة الى رأس برتغالى آخر فادخل خوذته في جمجمته فسقط على الأرض دون حراك ." (١)

واستولى القائد البرتغالى بمعاونة الأحباش على ذلك الجبل كما اسروا كثيرا من النساء والأطفال وعدد من الجياد وثمانين بغلا ،ثم قام دا جاما بارسال الأسيرات المسلمات الى الملكة الحبشية فرفضت رؤيتهن وأمرت بقتلهن جميعهن ،بعد ذلك أمر دا جاما بتحويل المسجد الموجود فى الجبل الى كنيسة سماها " سيدة انتصارنا " Our Lady Of Victory وأمر بدفن القتلى البرتغاليين فيه . ثم أمرت الملكة بوضع أحد قادتها لحراسة ذلك الجبل .(٢)

وبعد مضى شهر على تلك المعركة أرسل دا جاما فرقة من رجاله لاحضار الامدادات من الأسلحة وملح البارود والذخائر من الأسطول البرتغالى الذى وصل الى مصوع بقيادة مانويل دى فاسكو نسيلوس Manuel de Vasconcellos. ولكن عادت الفرقة بعد ذلك تجر أذيال الخيبة بعد أن استطاع الاسطول العثمانى المرابط فى البحر الأحمر مطاردة الاسطول البرتغالى واجباره على ترك مصوع والرجوع الى الهند قبل أن يؤدى مهمته .(٣)

وفى أبريل من عام ١٥٤٢م وصل الامام أحمد على رأس جيش كبير الى أناسا Anasa (بين أمبا آلاجى Amba Alagi وبحيرة أشانجى Ashangi) وهناك أرسل خمسة من فرسانه لاستطلاع موقع البرتغاليين واستعداداتهم الحربية ،بعد ذلك حاصر معسكر دا جاما وأرسل رسوله مع بعض الهدايا الى كريستوفاو دا جاما يعرض عليه أن يستسلم ويقول له بأن الأحباش قد غرروا به ليخوض حرباً بقوته الصغيرة أمام جيشه الضخم وأنه مستعد لأن يعفو عنه وعن

---

(١) Castanhoso, op. cit., P. 36.

(٢) Ibid, PP. 36 - 37 .

(٣) Ibid, PP. 37 - 38, 52.

رجاله فى حال استسلامهم له ،وان فضل دا جاما الرجوع الى الساحل والعودة الى بلاده فبإمكان الامام تسهيل مهمته دون أن يصيب البرتغاليين أى مكروه .(١)

ولكن دا جاما رفض عرض الامام ،فقرر الامام خوض القتال ضد جيش كريستوفاو ووقعت معركة بين الطرفين لم تحسم لأى من الجانبين ،ونظرا لقوة المدفعية والبنادق التى استخدمها البرتغاليون انسحب الامام الى أحد الجبال للتحصن فيه ،فتراجع البرتغاليون لنقص بعض الامدادات عنهم وخاصة الماء فلحقهم الامام ونزل من الجبل ،وارتكب بذلك خطأ كبيرا فقد انتهز البرتغاليون الفرصة وأطلقوا مدافعهم .وبنادقهم على جيش الامام وحصدوهم حصدا وأصيب الامام بطلقة نارية فى فخذه جعلته يتراجع مع جيشه بعد اصابة المسلمين بخسائر فادحة .

وبعد أسبوع واحد فقط هاجم البرتغاليون معسكر المسلمين القريب منهم فخرج الامام لقتالهم وهو محمول على محفة ،وخاض المسلمون القتال ولكن البنادق حصدتهم وتكبد الامام خسائر فادحة مرة أخرى فقرر التراجع الى جبال زابول Zabul المطلة على سهل دنكلى Dankali لاعادة ترتيب صفوفه مرة أخرى ،كما أن موسم الأمطار قد بدأ فحال بين الطرفين .(٢)

وكانت تلك الهزائم هى بداية النهاية لسلطان المسلمين فى الحبشة بقيادة الامام أحمد بن ابراهيم وايذانا بانتهاء عصر من أعظم وأشرف عهودهم فى ميدان التضحية والجهاد .

قرر الامام أحمد طلب المعونة من الأتراك الموجودين فى اليمن وكذلك من الأشراف فى الحجاز ،وأرسل الهدايا الى باشا زبيد مصطفى النشار ومن ضمنها ميناس Minas شقيق الملك جلاديوس الذى أسره عام ٩٤٦هـ/١٥٣٩م ،

---

(١) Castanhoso, op. cit., PP. 42-43.

(٢) Castanhoso, op. cit., PP. 45-51; Sousa, op. cit., vol. II, PP. 54-59; Trimingham, op. cit., PP. 88-89; Jones & Monroe, Op. Cit., PP. 83-84; Diffie & Winius, op. cit., PP. 355-356; Tamrat, op. cit., P. 181; Serjeant, op. cit., P. 19.

واثنان من أبناء عمومته ،وكذلك أرسل هداياه الى اشراف الحجاز ،وهكذا جمع العثمانيون الامدادات له فبلغت تسعمائة مقاتل من حاملى البنادق وعشرة مدافع . ووصلت الامدادات الى زيلع فأرسل الامام من يستقبلهم بالجمال والمؤن وكل ما يحتاجونه حتى وصلوا اليه فى جبال زابول .(١)

ثم سار الامام أحمد بجيشه وبرفقة الامدادات الى وادى وفلا Wofla فى منطقة سمين حيث يعسكر القائد البرتغالى كريستوفاو دا جاما وكان الأخير قد هاجم أحد الجبال التى يسكنها اليهود فى سمين وكان على حراسة ذلك الجبل أحد قادة الامام ويدعى سيدى محمد مع فرقة من الجيش ،وقد تمكن دا جاما من الصعود الى الجبل عن طريق ضيقة غير معروفة دله عليها أحد اليهود المعادين للمسلمين ،وهكذا فوجىء القائد المسلم بوجود البرتغاليين فى أعلى الجبل ،ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها دا جاما واستشهد القائد ومعظم أفراد فرقته . ثم نهب البرتغاليون الجبل واستولوا على الخيول والبغال اللازمة لتنقلات الحملة البرتغالية ،وعاد دا جاما مسرعا الى المعسكر البرتغالى قبل أن يبدأ الامام أحمد فى مهاجمته .(٢)

وقد وجد البرتغاليون أنفسهم فى مواجهة جيش الامام قبل أن يتمكنوا من الانضمام الى الملك الحبشى ،وأفزعتهم ضخامة الاستعدادات فى جيش الامام أحمد ففكر القائد البرتغالى دا جاما فى الفرار بجيشه ليلا ولكن خوفه من احتقار الأحباش له ومن احتمال انقطاع الامدادات عن جيشه التى كان يمده بها الأحباش ، كل ذلك أجبره على خوض المعركة .

وفى صباح الأربعاء الثامن والعشرين من شهر أغسطس عام ١٥٤٢م (٩٤٩هـ) تقدم جيش المسلمين لمهاجمة البرتغاليين ،ووضعوا فى مقدمة الجيش المدافع

---

(١) Castanhoso, op. cit., PP. 54-55; Sousa, op. cit., vol.II, P. 59; Budge, op. cit., vol. I, P. 342; Serjeant, op. cit., PP. 102 - 103; Jones & Monroe, op. cit., P. 84; Diffie & Winius, op. cit., P. 356;

محمد البحراوى ،فتح العثمانيين عدن ،ص ٦٧ .

(٢) Castanhoso, op. cit., PP. 58-59.

وحملة البنادق من العثمانيين ،ثم بدأ الهجوم باطلاق المدافع فالحق المسلمون بالبرتغاليين خسائر فادحة ،فقرر دا جاما اتباع اسلوب الكر والفر فى القتال ولكن ذلك لم يكن مجديا أمام قوة تسليح المجاهدين فأصيب دا جاما بطلق بندقية فى ساقه ،وما أن ولى النهار حتى تمكن جيش المسلمين من ابادة نصف عدد عدوهم ،وحاول القائد البرتغالى الانسحاب مع بقية جنده عند غروب الشمس ولكنه عجز عن ذلك بعد أن كسر ذراعه الأيمن وقتل أربعة من قادته ،وفر الراهب برموديز - الذى كان يتولى تشجيع البرتغاليين - الى أحد التلال القريبة من ميدان المعركة • وقد ارادت الملكة الحبشية المرافقة للحملة البرتغالية الهرب أيضا ،ولكن دا جاما منعها خشية أن يفر بقية المقاتلين من ميدان المعركة •

واستمر القتال حتى حلول الظلام ففر البرتغاليون والأحباش فى جميع الاتجاهات ولاحقهم المجاهدون فأسروا اعدادا كبيرة منهم• وتمكن دا جاما من الفرار مع أربعة عشر برتغاليا الى أحد الأودية ولكن تمكن المسلمون من ملاحقته وأسره فأمر الامام بقتله وأعطى رأسه للعثمانيين ليحملوه مع اثنا عشر أسير برتغاليا الى زبيد •(١)

وهكذا انتصر الامام أحمد انتصارا حاسما أعاد الثقة الى نفسه وبعد هذا الانتصار قرر الامام أحمد أعادة القوة العثمانية الى زبيد والاحتفاظ بمائتين منهم فقط ،وكان هذا تقديرا خاطئا من قبل الامام لأنه أعتقد أنه قضى تماما على قوة أعدائه ومن المحتمل أن الامام لم يقبل بمشاركة الأتراك له فى الجهاد خوفا من الامكانيات الهائلة التى يملكونها من الأسلحة الحديثة وقد تتيح لهم هذه الامكانيات فرض السيطرة العثمانية على دولته فى الحبشة بعد ذلك •

---

(١) Castanhoso, op. cit., PP. 61-70.

وظن الامام انه قد استطاع القضاء نهائيا على الاحباش وحلفائهم البرتغاليين فعاد الى مقر قيادته فى دامبيا بالقرب من بحيرة تانا .

وفى أكتوبر من عام ١٥٤٢م تمكن الملك الحبشى من الانضمام الى فلول البرتغاليين فى سمين والبالغ عددهم حوالى المائة وسبعون فردا . ثم قضى البرتغاليون والأحباش مدة أربعة أشهر فى تسليح أنفسهم من أحد مستودعات الاسلحة التى كان كريستوفاو دى جاما قد أقامها بجوار دباروا ،كما أن الكيميائى المرافق للبرتغاليين والذى تمكن من النجاة فى المعركة بادر الى صنع ملح البارود من الكبريت وملح البارود المحلى ،وعكف البرتغاليون على تدريب جيش جلاديوس على استخدام البنادق والمدافع وأمدوهم بالدروع الواقية من الرصاص . وكتجربة للجيش المجهز حديثا كان لابد لهم من خوض معركة ما ضد المسلمين وجاءتهم الفرصة عندما صادف الأحباش والبرتغاليون مددا كان قادما من هرر وزيلع للانضمام الى الامام أحمد ويبلغ تعداده سبعمائة فارس والفين من المشاه ،فتصدى لهم القائد البرتغالى انطونى كاردوسا Antony Cardosa فى منطقة دامبيا مع خمسين من رماة البنادق وفاجأوهم فقتل القائد المسلم وحدثت مذبحة فى جيش المسلمين شارك فيها الملك الحبشى جلاديوس والبحر نجش اسحاق وجنودهما كما استطاعوا ابادة ثمانمائة من أفراد المسلمين وهرب الباقون .

وفى ٢٢ فبراير من عام ١٥٤٣م تقابل الجيش الحبشى وحلفائه مع جيش الامام أحمد فى موقع يسمىويناديجا Woina - Dega بالقرب من بحيرة تانا .

كان جيش الامام يتألف من خمسمائة فارس وستة آلاف من المشاة وكعادة الامام فى جميع حروبه فقد كان فى مقدمة الجيش ويمتطى جواده الأبيض . وكان يقود البرتغاليين ايريس دياز Ayres Diaz ويقود الأحباش الملك جلاديوس ثم بدأت المعركة فكانت الجولة الأولى فى صالح الأحباش واستشهد كثير من فرسان المسلمين ،وافترق الفريقان مع حلول الظلام ،ثم تجدد القتال فى اليوم التالى وانتهز بيدرو ليونى – احد الجنود البرتغاليين – فرصة وجود الامام أحمد فى مقدمة صفوف المجاهدين فاقتنصه ببندقيته من مسافة بعيدة قبل بدء الهجوم

فقتله . واستشهد الامام على صهوة جواده ولم يسقط من على ظهره حتى فاضت روحه الى بارئها ،فلما رآه المسلمون متدليا من فوق الحصان أصابهم الذعر والخوف وفر بعضهم تاركين ميدان المعركة ،وحاول قادته متعهم من الفرار فاختلط الحابل بالنابل وعمت الفوضى فى جيش المسلمين وانتهز البرتغاليون والأحباش الفرصة فكروا على المسلمين وقتلوا منهم اعدادا هائلة ،وثبت أصحاب الامام المخلصين يقاتلون من بعده حتى استشهد معظمهم ، كما ثبت أفراد الفرقة العثمانية فى ميدان القتال حتى استشهد اكثرهم ،ولم ينج سوى أربعون نفرا من المائتين بعد أن الحقوا بالاحباش والبرتغاليين خسائر فادحة فى الارواح ،ووقع كثير من المسلمين فى الأسر ومن ضمنهم محمد ابن الامام أحمد بن ابراهيم .

ثم سارع الأحباش الى قطع رأس الامام وحملوه على الرماح وتنازعوا شرف قتله مع البرتغاليين فكل فريق ينسب الى نفسه هذا الشرف ولكن اجمعت المصادر البرتغالية على أن بدرو ليونى هو الذى قام بقتله .

وطافوا برأس الشهيد أرجاء الحبشة فرحين بالقضاء على ذلك المجاهد الذى روع الأسرة السليمانية وقضى على جبروتها وسلطانها فى الحبشة كما استطاع نشر الاسلام فى جميع أرجاء الحبشة .(١)

وهكذا يتضح أنه لم يكن هناك تحالف بين الدولة العثمانية والامام أحمد بن ابراهيم ،وقد أكد أورهنلو فى كتابه بأنه لا توجد وثيقة عثمانية الى الآن تثبت وجود ذلك التحالف . (٢)

---

(١) Castanhoso. op. cit., PP. 99,191-194; Sousa, op. cit., vol. II, PP. 59-61, 79-80; Budge, op. cit., vol. II, P.340; Trimingham, op. cit., P.89; Serjeant, op. cit., PP. 19-20; Jones & Monroe, op. cit., PP. 84-85; Diffe & Winius, op. cit., PP. 356 - 357;

بازل دافدسن ، افريقيا تحت اضواء جديدة ،ص ٢٨٦ .

(٢) Orhonlu, Habes Eyaleti, P. 24 .

وما يدل على ضعف الاعتقاد بوجود تحالف بين الطرفين هو اعادة الامام للقوة العثمانية الى زبيد بعد انتصاره فى معركة وفلا Wofla فلو كان هناك تحالف لما أرجع الامام القوة العثمانية أو لكان الأتراك قد رفضوا العودة الى زبيد . ولو كان هناك تحالف حقيقى بين الامام والعثمانيين لما هزم الامام لمجرد افتقار جيشه للتدريب على الاسلحة الحديثة . وما كان أحوج الامام أحمد الى تحالف فعال مع الدولة العثمانية ليحفظ له دولته من الانهيار .

ولو حاولنا الرجوع الى الاسباب التى ادت الى هزيمة الامام أحمد بن ابراهيم لرأينا أن الدولة التى أسسها فى خمسة عشر عاما أمضى معظمها مجاهدا كان مصيرها بإرادة الله الى الزوال .

ولو حاول المسلمون فى عصر الامام أحمد ايجاد وحدة شاملة بينهم وتعاون عسكرى واقتصادى مع حسن النية لربما تغيرت الأحوال والنتائج فى ذلك العصر .

وهكذا فقد ارتكب الامام خطأ فادحا عجل بنهاية دولته وهذا الخطأ هو عدم لجوءه الى التحالف مع الدولة العثمانية على غرار ما فعل الأحباش مع البرتغاليين رغم الكره السائد بين الطرفين لاختلاف المذهب الدينى بينهما بينما كانت العقيدة الاسلامية قادرة على توحيد المسلمين فى ذلك الوقت وهى قادرة على توحيدهم فى أى زمان ومكان ولو أن الامام نظر الى الصالح العام لمستقبل المسلمين فى الحبشة لما ذهب به سوء الظن بعيدا حتى أرجع القوات العثمانية الى مقرها فى زبيد .

وقد أدرك مسلمو شرق افريقيه أهمية هذا التحالف بعد انهيار دولة الامام فأقاموا تحالفا مع العثمانيين للدفاع عن الأراضى الاسلامية هناك منذ منتصف القرن العاشر الهجرى .

أيضا من الأمور التى ادت الى الهزيمة هو انعدام محاولة تطوير جيش الامام أحمد وادخال الاسلحة الحديثة اليه وتدريب جيشه على استعمالها ،وكان هذا الامر يستوجب على الامام عقد تحالف عسكرى مع الدولة العثمانية تقوم بموجبه بتطوير جيشه وهو ما لم يفعله ٠

وتطوير الجيش كان من الضرورات الملحة لمواجهة التحالف البرتغالى الحبشى ،وهناك عامل آخر يتعلق أيضا بالجيش الاسلامى وهو انهاك ذلك الجيش بالحروب الطويلة وفى أصعب الظروف الطبيعية وقد خاض المعارك مدة خمسة عشر عاما وقتل اثناءها من أفراد الجيش اعداد هائلة وكان لابد من فترة راحة لالتقاط الانفاس واعادة تقييم الموقف ،ووضع نظام للجيش يتيح له الراحة والقتال والتدريب وادخال أساليب حربية حديثة مثل بناء القلاع والأسوار للحاميات مع امدادها بالأسلحة الحديثة فقد كان النظام السائد لدى المسلمين فى شرق افريقيه هو وضع الحاميات على رؤوس الجبال للتحصن بها ،وكان هذا لا يكفى ولا يساير التطورات السريعة للعصر ٠

من العوامل التى أدت الى الهزيمة أيضا هو قيام التحالف البرتغالى الحبشى وادخال البرتغاليين الاسلحة الحديثة الى الحبشة وتدريب الجيش الحبشى عليها وتصنيع البارود من خامات محلية واستخدام الدروع الواقية من الرصاص ،بينما كان جيش الامام يستعين بمن يقدر على استعمال تلك الاسلحة من أتراك وعرب وغيرهم وهذا كما أسلفنا لا يكفى لحماية فتوحات عظيمة كفتوحات الامام فى الحبشة ٠

يضاف الى تلك العوامل انتشار الأمراض والأوبئة فى الحبشة نتيجة سوء الأحوال الجوية والحروب الطويلة مما أدى الى انهاك جيش الامام أحمد وضعفه عن مواصلة القتال لفترة طويلة فى ميادين الحرب ٠ كما أن انتشار هذه الأوبئة بين عامة المسلمين لم يكن ليوجد البديل الجيد من أفراد الجيش الذى كان يتناقص عدده باستمرار بالاستشهاد فى ميادين القتال أو بسبب الوفيات الناجمة عن الأمراض والأوبئة ٠

وقد جاء فى كتاب الامام (أحمد بن ابراهيم الصومالى) من ضمن أسباب هزيمة الامام أحمد هو استشهاد معظم قادته وأصحابه المخلصين وخاصة الوزير عدلى الذى استشهد برصاص بنادق البرتغاليين فى معركة وفلا .[١]

وقد مربنافى فتوحات الامام أحمد قصة استشهاد الوزير عدلى كما أوردها عرب فقيه والتى حدثت فى موقعة السراوى عام ٩٤١هـ / ١٥٣٤م ولم يكن للبرتغاليين وجود فى الحبشة آنذاك .

كما جاء فى نفس الموضوع قول الباحث أن من أسباب الهزيمة هو وفاة أبنه محمد والحقيقة أن ابنه محمد قد أسره الأحباش فى معركة وينادیجا بعد استشهاد الامام ،وبادله الملك الحبشى جلاديوس بأخيه ميناس وأثنين من ابناء عمومته من باشا زبيد فى عام ١٥٤٤م.[٢]

ولا نعتقد أن استشهاد قادة الامام أحمد أو أحد أبنائه سيكون سببا ذا تأثير على هزيمة الامام بسبب اصابته بالحزن الشديد فقد كانت للامام روح وثابة صلبة وايمان عميق بقضاء الله وقدره ،وبتلك الروح استطاع فتح معظم أرجاء الحبشة فى فترة قصيرة لا تتجاوز ست سنوات فقط .

لم ينصف الباحثون الامام أحمد بن ابراهيم المجاهد خاصة اولئك الذين تناولوا سيرته بالدراسة والبحث ،بل ان بعض الباحثين المسلمين كانوا أشد عليه من بقية الباحثين ،ولقد الصقوا بالامام الشبهات والاباطيل وأظهروه بمظهر القسوة والعنف والتدمير وسفك الدماء ،وهم فى ذلك يتبعون خطى الباحثين الاوروبيين الذين امتلأت نفوسهم حقدا وكراهية للاسلام والمسلمين

---

(١) انظر ابراهيم محمد حسن ،نفس المرجع ،ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) Budge, op. cit., vol. II, P. 342.

دون أن يحاولوا ارجاع الحق الي نصابه .

وأما من أنصفه فهم قلائل يعدون على الاصابع من المؤرخين العرب امثال عرب فقيه والعيدروسي وابن العماد الحنبلي ، فمثلا يصفه المؤرخ المسلم العيدروسي بقوله : " وفي سنة أربع وثلاثين وتسعمائة أخذ الامام الجواد أحمد مدينة هرر من بلاد الحبشة وضعف عن مقاومته سلطانها وكان من ولد سعد الدين ولم يزل أمر الامام يعظم حتي صار الي ما صار اليه ، واستفتح كثيرا من بلاد الحبشة وقهر الكفار وواظب على الجهاد والغزو في سبيل الله ونشر عنه في ذلك ما يبهر العقول حتي سمعت بعضهم يقول ما تشبه فتوحاته الا بمثل فتوحات الصحابة ...... وكذلك حكي من أمر شجاعته حكايات غريبة قالوا : وكانت أموره جميعا على قوانين الشريعة الغراء حتي أنه كان يخرج الخمس من الغنيمة ويصرفه الي أقارب النبي صلي الله عليه وسلم .... وبالجملة فكان هذا الرجل من آيات الله تعالي رحمه الله تعالي آمين ".(١)

ويورد نفس المؤرخ في موضع آخر يصف كرم الامام أحمد ونجدته فيقول : " وفي سنة تسع وثلاثين وتسعمائة قفل سيدى الشيخ الجد عبد الله العيدروسي الي عدن وأمر ولده سيدى الشيخ الوالد بالذهاب الي الامام أحمد الجواد بالحبشة بسبب دين لحقه ففعل وحصل المقصود على أحسن الوجوه وأجملها ، ورجع الى عند والده بعدن في مدة يسيرة جدا وقضي عنه ذلك الدين الذى كان استدانه في سفره الي الحج ورأيت بخط سيدى الوالد أن جائزة الجواد لهم كانت ألف وخمسمائة ذهب ".(٢)

---

(١) العيدروسي ، نفس المصدر ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) العيدروسي ، نفس المصدر ، ص ٢٠٣ .

وذكر ابن العماد الحنبلي من صفات الامام ما جاء في كتاب العيدروسي مؤيدا وشارحا ومنصفا للأمام . (١)

ونورد فيما يلي بعض ما دونه الباحثون الأوروبيون المغرضون حول فتوحات الامام أحمد وأثرها علي الحبشة . فقد ذكر البعض :

" ثار فى عدل أحمد بن ابراهيم ،وكان احمد منذ شبابه رجلا متطرفا لا يهدأ وحين أعلن أنه ضد السلطان تحلق حوله المتمردون والناقمون فشكل جيشا كبيرا ،حاول الحاكم قمعه ولكنه كان فى كل مرة يهزم الجيوش التى ترسل ضده . طبقت شهرته البلاد وغدا اسمه مبعث ذعر حتى فى قلوب مسلمى عدل ." (٢)

وفى موضع آخر يذكر نفس المؤلف : " كان العرب فى السنوات الأخيرة من حكم لبنادنجل قد فرضوا سيادتهم على ما يشكل عمليا جميع بلاد الحبشة ،وكانوا يعيثون فسادا فى كل مكان يحققون فيه النصر فيدمرون ويحرقون ويحيلون البلاد الى صحارى ... كانوا يذبحون كل نصرانى بالغ يجدونه ." (٣)

وأشار البعض الآخر :

" انابناء المناطق المنخفضة المتعصبين والنزاعين الى السلب والنهب ولجمع الأنصار (يقصد المسلمين) كانوايقومون باحراق الكنائس المسيحية وبذبح الكفار وباعدام القساوة مما كان يثير عداء دمويا يتصف بحدة غير مألوفة ." (٤)

---

(١) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ .

(٢) Budge, op. cit., vol.I, P. 327.

(٣) Ibid, vol. II, P.337.

(٤) Burton, op. cit., P. 178.

وعلق البعض الاخر على فتوح الامام بما يلى :ـ

" ومنذ ذلك الوقت تصبح قصة الفتح تتابعا للانتصارات والخراب والحرائق والمذابح "

" كان الفتح مهلكا فى تدميره ولا يمكن مقاومة وحشيته ومروعاً فى قسوته" (١)

وتناول البعض الاوضاع فى الحبشة وقتذاك فقال :

" تحطمت الجيوش الحبشية وولت الادبار كالقش فى مهب الريح .... وتقدم أحمد بشكل منظم لاخضاع القلاع الحبشية وتم الاستيلاء على حصون الخزينة ونهب ثروة المملكة المكدسة كما نهبت الكنائس والاديرة واحرقت ." (٢)

كما ذكر البعض :

" تولى ابنه جلاديوس ... واستطاع بمعونة البرتغاليين أن يتخلص من حكم العرب الذين كانوا قد احالوا البلاد الى صحراء مقفرة " (٣)

وفى موضع آخر لنفس المؤلف :

" ولبنادنجل فى هذه الأثناء ينتقل هاربا من مدينة الى أخرى وجرانى (الامام أحمد) يطارده ويقتل من الأحباش خلقا كثيرا ويحرق الكنائس ويخرب الآثار المسيحية ." (٤)

وتناول البعض قضية اعتناق الاحباش للاسلام قسرا بقوله :

" واكتسح الامام أحمد اثيوبيا ،وظلت ثورته ناشبة والنجاح فى قبضة يده حتى سنة ١٥٣٨م انقطعت فيها صلات اثيوبيا بمصر ... بل خربت البلاد خرابا كاملا ولا سيما وقد اتبعوا سياسة حرق الكنائس وتخريب الاديرة وارغام الناس

---

(١) Trimingham, op. cit., P. 87 .

(٢) Jones & Monroe, op. cit., P. 82.

(٣) عبد المجيد عابدين نفس المرجع ،ص ١٩٢ .

(٤) نفس المؤلف ،ص ١٩٤ .

على اعتناق الاسلام ." (١)

وعلق البعض الآخر :

" وقد سبق وأن اوضحنا أن هذه الحرب التى استمرت ما يزيد عن اثنتى عشر عاما لم تتمخض فقط عن تمزيق الحبشة وسكانها وانقسامهم الى معسكرين يحارب كل منهما الآخر وما ترتب على ذلك من الحاق ضرر بليغ باقتصاديات البلاد انما تمخضت عن دخول كل من الأتراك والبرتغاليين حلبة الصراع بين الاسلام والمسيحية فى الحبشة ." (٢)

كما ذكر بعضهم ما يلى :

" واشتبك مع النجاشي كلاديوس وحلفائه البرتغاليين فهزم عند وينادیجا قرب بحيرة تانا ،ومات وتفرقت جموعه ونجت الحبشة من كارثة محققة " (٣)

واشار البعض الى غزوات الامام فقال :

" لقد اتسمت غزوات الامام احمد بالسرعة والمفاجأة والحماس والشدة التى لا تقاوم وتخللتها كثير من مظاهر القسوة ." (٤)

وعند تناول قضية التخريب والتدمير التى نسبت الى الامام احمد بالدراسة يجب الاشارة الى الحقائق التاريخية الثابتة الآتية :ـ

كان الاحباش السباقون فى قضية احراق اماكن العبادة ،فقد سن هذا الامر ملوك الحبشة الطغاة على مدى قرون طويلة ،وعانى المسلمون من عسفهم وظلمهم الكثير فقد أراد هؤلاء الملوك فرض المسيحية بالقوة بين المسلمين عن طريق هدم المساجد واستبدالها بالكنائس فوق الأراضى الاسلامية ونقل المسيحيين

---

(١) زاهر رياض ،نفس المرجع ،ص ١٢٢ .
(٢) ابراهيم محمد حسن ،نفس المرجع ،ص ١٨١ .
(٣) حسن أحمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٧ .
(٤) فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ١٥٢ .

لسكنى مناطق المسلمين مثل دوارو وبالى وشرخه وهدية وفطجار وارابينى وداره وقد اشار المقريزى الى هذا الموضوع فى كتابه الالمام ٠(١)

كما يذكر الفاريز Alvarez وصفا لمملكة هدية فيقول فى سياق الوصف :
" ان الملك لبنادنجل ذهب شخصيا الى هديه لاحلال السلام واقام فيها الكنائس والاديرة وترك فيها القساوسة والرهبان ٠" (٢)

ويذكر بيرتون Burton عن الملك عمداصيون (١٣١٢م - ١٣٤٢م) ما يلى:
" قام باكتساح ونهب الاراضى المنخفضة من تيجوليت Tegulet الى البحر الاحمر وأمر الامهريين (سكان أمحره) بألا يبقوا على حياة أى شىء يتنفس ليحققوا بذلك نبوءة أنبأت بسقوط الاسلام ،وتنفيذا لذلك ارتكب الامهريون كل عمل شائن ٠" (٣)

أيضا مما يؤيد سبق الاحباش فى قضية التخريب والدمار ما جاء على لسان أحد كبار قادة الملك الحبشى المسمى وسن سجد فى الكتاب الذى بعث به الى الامام أحمد عام ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م يقول فيه :
" أما بعد أنتم المسلمون ونحن النصارى وقد كنا نسير الى بلادكم ونخربها ونحرقها والآن فقد أدالكم الله علينا والنصر لا يدوم كل يوم ٠٠٠٠٠" (٤)
وهكذا لم يصف أحد من الباحثين هؤلاء الملوك بالمخربين والنزاعين الى السلب والنهب ٠

وبناء على ذلك تأكد المسلمون أن العداء الدائم لهم والقسوة ضدهم سببها والمحرض عليها رجال الكنيسة لذلك من الطبيعى أن يرد لهم المسلمون الصاع صاعين وأن يدمروا ويحرقوا الكنائس التى أقيمت على أراضيهم وفرضت

---

(١) المقريزى ،الالمام ،ص ١٣ ٠
(٢) Alvarez, op. cit., P. 347.
(٣) Burton, op. cit., p. 178.
(٤) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ١٥٥ ٠

عليهم بالقوة أما حرق الكنائس فى قلب المناطق النصرانية فهى قضية أخرى فالمتتبع لفتوحات الامام أحمد فى مملكة الحبشة يلاحظ أنه كلما توغل المسلمون داخل الهضبة الحبشية وخاصة مناطق أمحرة والتجراى والداموت والعنقوت وبقى مدر والسراوى كانوا يستولون على الكنائس الفخمة التى اقامها ملوك الحبشة منذ مئات السنين وجعلوها مخازن للثروات فيخرجون ثرواتها ويضرمون فيها النيران . ولم يذكر المؤرخ عرب فقيه أن المسلمين تعرضوا لحرق الكنائس العادية والبسيطة التى يبلغ عددها الألوف فى تلك المناطق والا لاستغرق منهم ذلك وقتا طويلا وشتت جهودهم ولما واصلوا الجهاد خاصة وان الجيش الاسلامى كان يخوض المعارك بمعدل معركة كل شهر تقريبا .(١)

ومن أمثلة الكنائس التى استولى عليها المسلمون كغنيمة حرب ثم احرقوها كنيسة الملك ناعود وابنه لبنادنجل فى أمحره ،وقد وصف عرب فقيه الكنوز الموجودة فيها مما يبهر العقول . (٢)

وكنيسة الملك اسكندر فى ورب وكان هناك أيضا مخازن لكنوز الملك اسكندر بالقرب من الكنيسة ،وكنيسة " مكان الثلاثى " وكنيسة أتروس مريم التى بناها الملك زرع يعقوب وكنيسة دبر نقدقاد وكنيسة بيت سمايات وجميع هذه الكنائس فى منطقة أمحره وبناها ملوك الحبشة وكنيسة دبر أزهير التى بناها الملك سيف أرعد فى منطقة العنقوت وكنيسة وسن سجد فى جان زجره فى منطقة دوارو وكنيسة اكسوم وجميع هذه الكنائس كانت عبارة عن مخازن للكنوز وبالقرب منها أيضا مخازن للثروات سواء لرجال الكنيسة او ملوك الحبشة فاعتبرها المسلمون غنيمة حرب خاصة وأن معظم المعارك كانت تدور حول تلك الكنائس ويقف الجيش الحبشى حائلا بينها وبين المسلمين .(٣)

---

(١) انظر ما سبق : فتوحات الامام احمد بن ابراهيم المجاهد ص ١٨٨ وما بعدها

(٢) انظر عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٠٠ .

(٣) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٢٠٦ ، ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٧٨، ٣٢٣؛
Budge, Op. Cit., vol.I, P. 333.

هذا بالاضافة الى أن المسلمين اعتبروا الكنائس من ضمن أسباب قوة نجاشي الحبشة ،فهي تخصه ولا تخص الاحباش عامة ،فقد جاء في مؤلف عرب فقيه على لسان البطريق أبيل الذى توسط للصلح بين الامام أحمد والبطريق رأس بنيات في دوارو : " ولكن نشترط عليكم ألا تحرقوا هذه الكنائس التى عندهم فانها كنائس الملك ." (١)

ومما يؤيد أن الامام لم يحرق الكنائس لكونها أماكن عبادة للنصارى وانما لانها من أسباب قوة ملوك الحبشة وهم يستمدون منها اسباب السلطان والسيادة والجبروت هو أنه صالح على كثير من الكنائس ولم يحرقها على أن يخرجوا له ما حوت من كنوز في مقابل تركها وكذلك فعل قادته الذين أرسلهم للفتح في مناطق مختلفة فمثلا صالح الامير ابو بكر قطين على كنيسة دبر لبلنوس على شاطئ نهر أرومه في مقابل تسليم كنوزها للمسلمين ،كما صالح الامام احمد على كنيسة في جزيرة بحر حيق في منطقة العنقوت على أن يخرج له رهبان الكنيسة ما بها من كنوز وأموال ،وقد ألصق بدج بالامام تهمة نهب جزيرة بحر حيق .(٢)

وكما أسلفنا فانه لم يفتح الجزيرة عنوة بل صلحا ومن شروط الصلح تسليم الكنوز الموجودة في كنيسة الجزيرة كما سبق وأن ذكرنا .

وأما بالنسبة الى قضية تدمير القرى والريف فهي فرية أخرى ضد الامام فالمتتبع لمراحل فتوحات الامام أحمد نجد أنه خاض معارك كثيرة للفتح ولكنه صالح كثيرا من المناطق ودخلها سلما ،وكذلك فعل قادته لأنه كان قبل أن يخوض أى معركة يعرض على أهل المنطقة الاسلام أو الجزية أو الحرب .(٣)

---

(١) عرب فقيه ، نفس المصدر ،ص ٧٦ ،انظر ايضا الصفحات : ٣٧ ، ١٥٤ ،وبها نفس المعنى أى أن الكنائس هى للملك .

(٢) Budge, op. cit., vol.I, P. 333.

(٣) انظر عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٧٧ ، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٩٨، ٢٤١، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٠٩ ، ٣٤٥ .

ومن رفض الاسلام أو دفع الجزية كان على الامام أن يحسم الأمر بالقتال .

وهكذا كان الامام ينازل الجيوش الحبشية المنظمة ولم يكن يغير للسلب والنهب كما صوره الكتاب الاوروبيون الا أن تامرات Tamrat أشار الى النظرة الخاطئة التى نظر بها معظم الكتاب الى فتوحات الامام أحمد فيقول :

" كان الامام يبنى قاعدة عظيمة لقواته التى يعدها للجهاد ضد الامبراطورية ولم يكنذلك ليخطر على بال الامبراطور ،وحتى كتاب حولياته أساؤوا فهم ديناميكية وصول أحمد الى السلطة وشوهوها ." (١)

أما قضية أن الامام أحمد أجبر الاحباش على اعتناق الاسلام التى أشار اليها البعض.(٢)

فهى قضيةآثبتت بطلانها سيرة الامام أحمد فى فتوحاته الذى كان يخير الاحباش قبل بدء أى معركة بين الاسلام او البقاء على دينهم مع دفع الجزية أو الحرب وبعضهم اختار الامر الثانى وبقوا على نصرانيتهم مع دفع الجزية .

ورغم ذلك فقد اعتنق الاسلام كثير من سكان الحبشة عن اقتناع وبكامل حريتهم وكانوا دعاة مخلصين ومجاهدين فى ميدان الدعوة الاسلامية .

---

(١) Tamrat, op. cit., P. 171.

(٢) زاهر رياض ،نفس المرجع ،ص ١٢٢ .

الفصل الخامس

الجهاد الإسلامي في شرق أفريقية في عصر الإمام نور بن الوزير مجاهد

(٩٥٥هـ - ٩٧٥هـ / ١٥٥٠م - ١٥٦٧م)

أولاً : دور الإمام نور بن الوزير مجاهد في حركة الجهاد الإسلامي في القرن العاشر الهجري .

ثانيًا : تحالف الإمام نور بن الوزير مجاهد مع الدولة العثمانية

ثالثاً أثر النفوذ البرتغالي على الحالة الاقتصادية لدول شرق آفريقيا المطلة على المحيط الهندي وخمود حركة الجهاد .

أولا : دور الامام نور بن الوزير مجاهد فى حركة الجهاد الاسلامى فى القرن العاشر الهجرى .

بعد استشهاد الامام احمد بن ابراهيم المجاهد مكث بعض قادته يحاولون المحافظة على ما بقى فى ايديهم من مناطق الحبشة فى أسوأ الظروف وأقساها فقد اجتاحت أراضى الحبشة الأوبئة والمجاعات فى عام ٩٥١هـ/١٥٤٤م بينما أنهمك الملك جلاديوس فى اعادة تنظيم دولته وتشكيل جيوشه فى منطقة أجاى Agay .

وكان الوزير عباس أحد كبار قادة الامام أحمد قد حاول تشكيل دولة اسلامية فى المناطق الاسلامية مثل دوارو وفطجار وبالى ومن هذه المناطق واصل الجهاد متوغلا فى الاراضى الحبشية لمدة ثلاثة أشهر من عام ٩٥١هـ .(١)

وفى شهر اكتوبر من عام ١٥٤٤م (٩٥١هـ) ساق الملك الحبشى جلاديوس الى الوزير عباس جيشا ضخما بقصد القضاء على قوته المتنامية ، وتقابل الجيشان فى منطقة وج Wag ، ووقعت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة الوزير عباس واستشهاده (٢)، وتفرق جيشه فى كل اتجاه وعاد كثير منهم الى المناطق الاسلامية فى السهول وأغار الجيش الحبشى على مناطق دوارو وفطجار وبالى فنهبوها وأحرقوها ودمروا مساجدها والبيوت الجميلة التى شيدها المسلمون ثم أمر النجاشى جلاديوس بأن يبنى له قصر فى منطقة دوارو دلالة على ترسيخ أقدامه فوق الأراضى الاسلامية .

ثم توجه الملك الحبشى بعد ذلك لاحتلال منطقة هدية المسلمة فدخلها عنوة وارتكب جيشه مذبحة كبيرة بين المسلمين واسرا عددا كبيرا منهم وجعل ابناءهم وبناتهم عبيدا للملك ، ثم عين جلاديوس على هدية حاكما حبشيا

---

(١) تولى الوزير عباس الوزارة فى عهد الامام احمد بن ابراهيم عام ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢م بعد استشهاد الوزير عدلى فى موقعة السراوى وكان من أعظم قادة الامام احمد وشاركه فتح معظم ارجاء الحبشة . انظر عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص ٣٣٣-٣٤١ .

(٢) Castanhoso, op. cit., P. 120.

وفرض على المسلمين دفع الجزية .

وحاول المسلمون فى هدية بعد ذلك الثورة عدة مرات لخلع نير السيطرة الحبشية ولكن محاولاتهم جميعها باءت بالفشل ،واحدى هذه المحاولات تمثلت فى استنجاد أهل هدية بالمسلمين فى هرر ،فسار اليهم جيش اسلامى بقيادة بركات أخو السلطان عمر دين سلطان هرر وعلى الجراد ابن الامام أحمد من زوجته دلونبره ،ووقعت معركة بين المسلمين والاحباش فى منطقة دوارو وانتهت بهزيمة القائدين ووقوعهما اسيرين فى قبضة الملك الحبشى .(١)

وفيما بين عامى ٩٥٢هـ -٩٥٤هـ / ١٥٤٥م-١٥٤٧م خرجت جموع الغالا منجنوب الحبشة وانساحت فى بلاد المسلمين مكتسحة كل ما يقابلها من الأراضى الخصبة . ففى عصر الامام أحمد بن ابراهيم كانت قبائل الغالا تحتل أودية نهرى ويبى Webi وجوبا Juba وتمتد منطقتهم حتى الجبال الواقعة شرق بحيرة أبايا ،وبعد استشهاد الامام أحمد والتفكك السياسى الذى أصاب الحبشة فى الجانبين الاسلامى النصرانى نجد أن هذه القبائل قد انتهزت الفرصة واخذت فى الاغارة على دوارو وفطجار وبالى بعد وقت قصير من احتلال الجيوش الحبشية لتلك المناطق واستشهاد الوزير عباس .

وتوقفت جموع الغزاة فى بالى حيث المراعى الخصّبة والمياة الوفيرة وجعلوها منطقة لتجمعهم ثم انطلاقهم نحو منطقة هرر والسهول الساحلية .

ثم تصدى الملك الحبشى جلاديوس لمواجهة هذا الخطر الزاحف بأن ألقى بخيرة قواته أمام جموع الغالا وأوقع بهم عدة هزائم ولكنه لم يستطع ايقاف

---

(١) Budge, op. cit., Vol. II, PP. 340 - 342; Trimingham, op. cit., p. 91; Jones & Monroe, op. cit., P. 85; Tamrat , op. cit., p. 182;

حسن احمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤٦٨؛ فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ١٦٠؛ غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٢٩٦ .

زحفهم المستمر داخل مناطق الحبشة .

ويصف لنا صاحب كتاب " سيرة الحبشة "(١) قبائل الغالا فيقول :" اعلم أن هؤلاء القالة أمة شديدة البأس متينة المراس كثيرة العدد بعيدة الامد اذا توجهوا للحرب على أحد من الناس من الكفار وغيرهم كالمسلمين في جهة مدينة أوسة وما اليها ،فقد يبلغ عددهم نحو مائة ألف او ما يوازى ذلك . ثم انهم مع هذا أهل قوة فى أبدانهم وصبر على طول الاسفار واحتمال المضار .... ومنهم مسلطون على نصارى جهة الحبشة منجميع جهاتهم وأطراف بلادهم لا تجد جهة من جهاتهم خالية عنهم ." (٢)

وهكذا أخذ الغالا فىالهجوم على هرر مرات متتالية وانتصروا على سلاطينها مما أضعف من هيبتهم أمام المسلمين وبدأ النزاع يدب فى أوساط الأسرة الحاكمة واستطاعت جموع الغالا أن تستولى على القرى والمناطق القريبة من هرر مثل سيم وشوا ونجاب وجدايا ودكار وهرجايا وواصلوا زحفهم حتى ساحل البحر فقطعوا الطرق التجارية بين زيلع وهرر .

وفى تلك الظروف القاسية فى عام ٩٥٥هـ/١٥٥٠م تولى منصب السلطة فى هرر الامام نور بن الوزير مجاهد الذى حاول التصدى لهجمات الغالا فقام بتحصين مدينة هرر ببناء سور حولها وحاول اعادة مجد المسلمين فى الحبشة مترسما خطى الامام أحمد بن ابراهيم حتى أطلق عليه المسلمون لقب " صاحب الفتح الثانى " ،ولكن جميع الظروف من حوله كانت فى غير صالحه البتة .(٣)

---

(١) ألف الحيمى كتابه " سيرة الحبشة " بعد رحلة قام بها الى الحبشة عام ١٠٥٧هـ /١٦٤٧م بأمر من امام اليمن المتوكل على الله اسماعيل بن المنصور بالله القاسم بن محمد على رأس سفارة لمقابلة الملك الحبشى ملك سجد (فاسيلاداس بن سوسينيوس) (١٦٣٢م-١٦٦٥م) وانتهت رحلة المؤلف فى عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م . انظر الحيمى ،سيرة الحبشة ،ص ٧٧ - ٨٣؛ الشوكانى ، البدر الطالع ،جـ١ ،ص ١٨٩- ١٩١.

(٢) الحيمى ،سيرة الحبشة ،ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) Trimingham, op. cit., PP. 91-94;
محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ،ص ٤٠؛ حسن أحمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ،ص ٤١٨؛ فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ١٦٠-١٦٦؛ ابراهيم محمد حسن ،نفس المرجع ،ص ٢٠٢؛ غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٣٠٣.

وقد انتهز الامام نور فرصة توجه الملك الحبشى جلاديوس ناحية الغرب لاخضاع المناطق الوثنية فى الداموت والتى أعلنت انفصالها عن مملكة الحبشة فقاد الامام جيشه الى منطقة دوارو حيث يعسكر القائد الحبشى فان عيل (فانوئيل Fanuel) ولكنه هزم وقتل كثير من أفراد جيشه ،واستطاع النجاة بصعوبة كبيرة .

وقد تمكن الملك الحبشى من اخضاع مناطق الداموت فى مدة ستة أشهر من عام ٩٥٧هـ/١٥٥٠م وأعلن زعماء الوثنيين خضوعهم للملك . وفى تلك الاثناء تلقى أنباء انتصار فان عيل على الامام نور فأرسل له يأمره بمواصلة الهجوم على مناطق المسلمين فى بر سعد الدين ،وبالفعل هاجم فان عيل المناطق الاسلامية ونهبها ثم دمرها ،وبعد هذه الانتصارات التى حققها القائد الحبشى قتل فى ظروف غامضة ،فقرر الملك جلاديوس السير بنفسه للهجوم على هرر .وهكذا حاصر المدينة ثم اقتحمها بعد أن دافع المسلمون عنها دفاعا مستميتا ولكنهم هزموا فى نهاية الامر وهرب الامام نور فى قلة من اتباعه ودخل جلاديوس الى المدينة واستباحها الجيش الحبشى لمدة خمسة أشهر ثم تركوها ركاما ورمادا وكان ذلك فى عام ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م.(١)

ولكن المسلمين لم يستسلموا فى هرر للهزيمة فبعد ثلاثة أعوام استطاعوا تجميع قواتهم وبناء مدينتهم مرة أخرى ،وخرج الامام نور بن الوزير مجاهد فى عام ٩٦١هـ /١٥٥٣م بجيشه وهاجم قلب المناطق الحبشية وانزل بجيش الملك الحبشى هزيمة منكرة وكان الجيش الحبشى بقيادة أحد أقرباء الملك وتمكن الامام من قتله كما قتل أحد كبار قادة الملك ويدعى أفاوا دنجل Afawa Dengel ولم يحاول الملك الحبشى رد الضربة للمسلمين لانه كان منشغلا بمهاجمة قبائل الغالا .(٢)

---

(١) Budge, op. vol. II, PP. 342-344; Trimingham, op. cit., P. 91.

(٢) Budge, op. cit., vol. II , PP. 346-347.

ثم انشغل الملك الحبشى فى النزاع الدينى بينه وبين البرتغاليين بينما واصل المسلمون فى هرر تجميع قواتهم تحت قيادة الامام نور بن الوزير مجاهد لتوجيه ضربة قاضية للملك الحبشى جلاديوس .

قبل أن يخوض البرتغاليون معركة ويناديجا بجانب الاحباش ضد الامام أحمد بن ابراهيم بدأوا فى مطالبة الملك الحبشى جلاديوس بتنفيذ الاتفاق الذى عقده الملك لبنادنجل مع الراهب برموديز وهو نشر المذهب الكاثوليكى فى الحبشة واعلان الملك تبعية شعبه للكنيسة الرومانية فى مقابل المساعدات العسكرية البرتغالية .

وفى الحقيقة فقد تنصل الملك جلاديوس من جميع التعهدات التى التزم بها والده الملك لبنادنجل والتى وردت فى رسائله الى البرتغال فى عام ١٥٤٠ م ، وغضب غضبا شديدا من برموديز عندما واجهه متحديا بأن عليه أن يتحمل التزامات من سبقه امام البرتغاليين وأن عليه أن يعينه بطريركا على الكنيسة الحبشية وأن يتم ترسيم جميع رجال الدين على يديه ،وقد رفض الملك الحبشى بشدة خضوعه هو وشعبه للبابا فى روما . وردا على ذلك قام برموديز بتحريض البرتغاليين على عدم اطاعة أوامر الملك الحبشى والامتناع عن اسداء أى مساعدة له فى مواجهة اعدائه من المسلمين وهددهم باصدار قرار الحرمان في حقهم من الكنيسة فى حالة عدم تنفيذ أوامره ،فلجأ الملك الحبشى الى وسيلة اخرى لاستمالة البرتغاليين بأن اغراهم بكميات كبيرة من الذهب مقابل مساعدته فى معركته القادمة مع الامام أحمد ولكنهم رفضوا مديد العون له وقرروا تركه والعودة الى البرتغال ،عند ذلك تراجع الملك جلاديوس عن اصراره السابق واعلن رضاه عن كل ما يفرضه عليه برموديز من شروط وأقر علانية اعتناقه لمذهب الكنيسة الرومانية وخضوعه المطلق للبابا فى روما .

وبعد الانتصار الساحق الذى حققه البرتغاليون مع الاحباش ضد الامام فى معركة ويناديجا عام ١٥٤٣م ازدادت الهوة اتساعا وعمقا بين الطرفين البرتغالى والحبشى فيما يتعلق باعتناق الاحباش للمذهب الكاثوليكى .

فقد ارسل الملك جلاديوس سفيرا الى القاهرة لاستقدام مطران من الاسكندرية لرئاسة الكنيسة الحبشية وبذلك تحدى البرتغاليين مجددا واعلن صراحة تمسكه باليعقوبية عقيدة آبائه وأجداده ،وقد وصل من مصر الى دباروه المطران الجديد المدعو يوسف وخرج الملك لاستقباله فى احتفال مهيب على مرأى من البرتغاليين .

ولكى يقضى الملك جلاديوس على نفوذ القوة البرتغالية ويشتت جهودها قام بارسالهم مع جيوشه لميادين القتال ضد قبائل الغالا التى بدأت تغير على أطراف مملكة الحبشة ،كما منح بعضهم اقطاعات يعيشون فيها فى مناطق متفرقة فى مملكته ،ثم سجن برموديز تحت حراسة مشددة فى وادى كافا Kaffa ولكن برموديز استطاع الهرب من سجنه والتجأ الى حماية البحر نجش اسحاق الذى اصبح من اعداء الملك الحبشى جلاديوس بعد أن أعلن استقلاله عن سلطة الملك .(١)

وفى شهر مايو من عام ١٥٥٥م(٩٦٣هـ) وصلت بعثة بابوية من الهند الى الملك الحبشى برئاسة جونزالورودريجيز Conzalo Rodrigues الذى كان ينتظر فى الهند فرصة الذهاب الى الحبشة منذ عام ١٥٥١ م ،ثم رحل مع اسطول فرناو فارتو Fernao Farto ونزل فى حرقيقو بعد أن وجد فى ميناء مصوع قوة تركيه تحرسه .

كان الهدف من بعثة جونزالو رودريجيز هو التمهيد لوصول بعثة البطريارك جواو نونيز باريتو Joao Nunez Barreto بعد أن وافق البابا يوليوس الثالث Julius III (ت ١٥٥٥م) على اقتراح موءسس جماعة اليسوعيين اغناطيوس دى ليولا Ignatius de Loyola بالسماح لليسوعيين بالذهاب الى الحبشة لتحويل شعبها الى المذهب الكاثوليكى .(٢)

---

(١) Castanhoso, op. cit., PP. 208-210, 225-226; Kammerer, op. cit.,Iere partie, PP.263-271; Jones & Monroe, op. cit.,PP85-87.

(٢) اغناطيوس دى ليولا موءسس حركة الجزويت Jesuits (اليسوعيين) والتى اسسها فى لشبونة فى بداية عام ١٥٤٠م برعاية البابا بول الثالث (١٥٣٤م-١٥٤٩م) وهى موءسسة أهتم بها ملك البرتغال جواو الثالث Joao III الى درجة انه كتب الى سفيره لدى البابا فى روما ليقنع البابا بدفع اليسوعيين لنشر الكاثوليكية فى الهند والحبشة . انظر Kammerer, op. cit., Iere partie, P. 273; عبد العزيز الشناوى ،أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ،جا،ص ٥٥٦-٥٦٦.

وصل رودريجيز الى الملك الحبشى جلاديوس ومعه الهدايا وهى عبارة عن كوب من الذهب وسجادة ووسائد وأقمشة حريرية موشاة بخيوط من الذهب ورسالتين احداهما من ملك البرتغال جواو الثالث والاخرى من نائب الملك فى الهند بيدرو ماسكارينهاس Pedro Mascarenhas • وخلال مكوث البعثة لدى الملك عرض رودريجيز على الملك أن يتخلى عن عقيدته وأن يلحق نفسه وشعبه بكنيسة روما ،وقام السفير بتقديم عرض للاخطاء الدينية للاحباش من وجهة نظر البرتغاليين كما قدم اقتراحات لتصحيح عقيدتهم ،فلقى السفير من الاعتراض والرفض من جانب الملك وقادته ورجال الدين الاحباش ما أكد له أن الأحباش كانوا يفضلون الدخول فى طاعة المسلمين على أن يغيروا عقيدتهم وعاداتهم وتقاليدهم والارتباط بعقيدة وتقاليد روما •

وحدثت مجادلات دينية بين الطرفين حرر خلالها الملك جلاديوس وثيقة عرفت باسم " الاعتراف الدينى لجلاديوس ملك الحبشة " •
The confession of Faith of Claudius King of Abyssinia.

يورد فيها الحجج والبراهين التى تؤكد على أن عقيدته اليعقوبية التى تتبع كنيسة الاسكندرية هى العقيدة الصحيحة •(١)

وهكذا رفض الملك هذه المطالب بشدة وأبدى استياءه من خبر قدوم بعثة باريتو الى البلاط الحبشى فى العام التالى ،وأكد للمبعوث البرتغالى بأنه مصمم على التمسك بعقيدة اسلافه مهما كانت الظروف • ثم ان الملك اكرم وفادة البعثة ولم يعاملها كما عامل برموديز من قبل ،وسهل للبعثة مهمة الرجوع الى مصوع فوصلوها فى شهر فبراير من عام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م وهناك وجدوا برموديز ينتظر فرصة الرحيل فرحل معهم الى غوا فى الهند • (٢)

---

(١) Kammerer, op. cit., Iere partie, P. 280; Budge, op. cit., vol. II, PP. 353-356;

توماس ارنولد ،نفس المرجع ،ص ١٣٨ •

(٢) Budge, op. cit., vol. II, PP. 345-346; Jones & Monroe, op. cit., P. 87.

ثم انشغل الملك الحبشى بعد ذلك فى شن الحرب على جماعة تسمى الكومار Cumar فى جنوب فطجار وقد استمرت ثورتهم على الملك الحبشى مدة خمسة أعوام ،كما هاجم حلفاء الكومار فى وجام Wagam وقد هزم كلا من الكومار والوجام فى مدة ثلاثة شهور ونهب مناطقهم ودمرها وجعل من الغنائم هبات للكنائس .

ثم قاد عدة معارك ضد قبائل الغالا واوقع بهم عدة هزائم ولكنه لم يستطع ايقاف زحفهم على أطراف بلاده .

وفى عام ١٥٥٧م ابحرت البعثة الدينية البرتغالية الى الحبشة بقيادة الاسقف أندرو دى أوفيدو Andrew de Ovido وفى الحقيقة أن هذه البعثة قد قام بارسالها الملك البرتغالى جواو الثالث من البرتغال فى عام ١٥٥٤م بعد أن عين بطريركا كاثوليكيا لرئاسة الكنيسة الحبشية وكان هذا البطريارك هو جون نونيز باريتو John Nunez Barreto ويصحبه دى أوفيدو وملشيور كارنيرو Melchior Carneiro كأساقفة لمعاونته ،كما أرسل الملك البرتغالى الى نائبه فى الهند يأمره بأن يعززهم بقوة قوامها خمسمائة رجل .

ووصلت البعثة الى غوا فى الهند فى شهر سبتمبر منعام ١٥٥٤م . ومكثت البعثة هناك حتى عام ٩٦٥هـ/١٥٥٧م توفى خلالها جون نونيز باريتو وخلفه فى منصبه أندرو دى أوفيدو ثم أبحرت البعثة من غوا الى البحر الاحمر على ظهر أسطول مكون منأربعة سفن وأقدمت على مغامرة خطرة حين توقفت فى حرقيقو لانزال البعثة بعد أن أصبح ميناء مصوع فى أيدى القوات العثمانية التى كان يبلغ عددها خمسمائة جندى بقيادة القبطان اسماعيل الملقب بكيخيا (أى الشيخ) وكانت السفن العثمانية تجوب البحر الاحمر مما يشكل خطرا بالغا على أية سفينة برتغالية تدخله . وكان وصول البعثة الى حرقيقو فى ٢٩ مارس من عام ١٥٥٧م ، وبعد بضعة أيام من مرورهم بالميناء استطاع العثمانيون الاستيلاء عليه وبدأوا فى بناء قلعة ووضع حامية عثمانية به ،وبذلك أصبح مرور البعثات الدينية الى الحبشة من الامور المستحيلة .

وبعد خمسين يوما من السفر الشاق وصلت بعثة أوفيدو الى بلاط النجاشى فى منطقة شوا وقام الاسقف البرتغالى بتقديم الرسائل التى يحملها وهى الرسائل المرسلة من البابا بول الرابع Paul IV واغناطيوس دى ليولا وفرانسيسكو باريتو Francisco Barreto نائب الملك فى الهند .

ودارت مناقشات حادة بين الطرفين حول طبيعة المسيح وواجهت البعثة البرتغالية الحقد الهائج ضد روما من قبل الامبراطور الحبشى وحاشيته ورجال دولته ورجال الدين ،وأخذ كل من الطرفين فى ابراز الحجج والبراهين التى تؤيد وجهة نظره وصحة عقيدته ،وعرض الملك الحبشى الاعتراف الدينى الذى كتبه عام ١٥٥٥م وأكد لليسوعيين بأنه لن يتحول أبدا عن عقيدة الأحباش أو يخضع لسلطة روما أو يكون معترفا برأى المجمع الدينى فى أفسوس .(١)

وبذلك لم يستطع أوفيدو أن يحقق النجاح لبعثته كما أنه احتجز فى الحبشة بسبب محاصرة العثمانيين لسواحل البحر الاحمر فلم يستطع العودة الى البرتغال أو الهند ،وقد حاول نائب الملك فى الهند قسطنطين Constantin اختراق الحصار الذى فرضه الاتراك على البحر الاحمر بالقوة على أمل أن يلتقط بعثة أوفيدو من الحبشة فأرسل حملة مكونة من ثلاث سفن كبيرة تحت قيادة كريستوفاو بيريرا Christovao Pereyra فى عام ١٥٦٠م ولكن هذه الحملة لم تستطع اختراق الحصار أو الوصول الى حرقيقو فقد هاجم الاسطول العثمانى البرتغاليين بقيادة القبطان صفر واستطاعوا هزيمتهم واسروا احدى السفن وهربت السفينتان الاخريان مع القائد بيريرا الى الهند .

وتوفى أوفيدو فى الحبشة عام ١٥٧٧م. (٢)

---

(١) عقد مجمع افسوس (فى آسيا الصغرى) سنة ٤٣١م للنظر فى الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية وذلك الخلاف الذى قام حول تفسير طبيعة المسيح وادان المجمع الرأى القائل بفصل طبيعة المسيح الالهية عن طبيعته البشرية ،ومنذ ذلك الوقت ظهرت جماعة من رجال الكنيسة يتزعمهم أقطاب الكنيسة المصرية تمسكوا بمبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح ومن ثم أطلق على هذا المذهب : " الطبيعة الواحدة Monophysite .
انظر سعيد عاشور ،أوروبا العصور الوسطى ،جا ،ص ٦٩ .

(٢) Sousa, op. cit., vol. II, PP. 198-199, 203; Kammerer, op. cit., Iere partie, PP. 278, 284-289; Jones & Monroe, op. cit., PP.88-90; Budge, op. cit., vol.II, PP. 346-347.

وفى الفترة التى انشغل فيها الملك الحبشى بالنزاع الدينى مع البرتغاليين وبالتصدى لجموع الغالا كان المسلمون فى هرر بقيادة الامام نور بن الوزير مجاهد يتهيأون للقضاء على الملك جلاديوس ومحاولة اعادة فتح مملكة الحبشة مرة أخرى . واكتملت الاستعدادات فى عام ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م وخرج جيش الجهاد بقيادة الامام نور الى احدى مناطق فطجار بعد أن ترك فى هرر السلطان بركات بن عمر دين لحماية المدينة وكان جيش الامام يتكون من الف وثمانمائة فارس وخمسمائة من حملة البنادق وعدد كبير منحملة السهام وعشرات الآلاف من المشاة المسلحين بالسيوف والتروس والحراب وعدد من المدافع . ثم قام الامام بارسال رسالة تحد للملك الحبشى يطلب منه القدوم اليه لخوض المعركة وبالفعل خرج الملك الحبشى فى جيش ضخم مسلح بالبنادق والمدافع والفرسان لمنازلة جيش المسلمين رغم أن البرتغاليين حذروه من خوض هذه المعركة وطلبوا منه أن يترك الامام نور يتوغل داخل الأراضى الحبشية لاستدراجه وقطع طريق العودة عليه ولكن الملك اصر على الذهاب الى فطجار لخوض المعركة . وهنا تجمع المراجع الاوروبية على أن زوجة الامام أحمد دلونبره قد اشترطت على الامام نور بن الوزير مجاهد أن يأخذ لها بثأر زوجها من قاتله الملك جلاديوس ،وذلك فى مقابل رضاها عن الزواج منه ،وبالغوا فى اظهار هذا الأمر حتى بدا وكأن قضية الامام نور الاولى هى الثأر لمن يريد الزواج منها وليس الجهاد واعادة ما ضاع من المسلمين فى الحبشة من أمجاد بناها الامام أحمد بن ابراهيم المجاهد . (١)

وبما أن المصادر والمراجع الاسلامية لم تتعرض لهذه القضية فسوف تبقى دائما مجالا للشك فى صحتها .

سار الملك الحبشى مدة اثنا عشر يوما حتى استطاع الوصول الى فطجار وعسكر بالقرب من جيش المسلمين وبدأت المناوشات بين الطرفين فى الثلاثين من

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, P. 350; Burton, op. cit., P. 184; Trimingham, op. cit., P. 91.

شهر مارس عام ١٥٥٩م واستمرت اسبوعا لم يحرز النصر خلاله أى من الطرفين ،وفى يوم الجمعة قرر المسلمون الهجوم تيمنا بهذا اليوم المبارك ودارت المعركة الفاصلة بين الجانبين انتصر فيها المسلمون انتصارا ساحقا وحاصرت كوكبة من الفرسان الملك جلاديوس واستطاعوا قتله ،واحتزوا رأسه وحملوها على الرماح وسط التهليل والتكبير من جند المسلمين،وهرب باقى الجيش الحبشى ووقع كثير من أفراده أسرى فى أيدى المسلمين .(١)

وهنا يصف بيرتون Burton بمبالغة حاقدة بعيدة عن التصديق ما فعله المسلمون برأس الملك فيقول : " قطع الأمير نور رأسه والقاه عند قدمى دلونبره التى تزوجته وفاء بوعدها له وقامت ... بتعليق ذكرى انتصارهم من شعره على غصن شجرة مقابل مهجعها لكى تكتحل عيناها بمنظره صباح مساء."(٢)

ويبرر بدج Budge هزيمة الملك جلاديوس بأنه لم يكن يملك المدافع اللازمة للقتال بل أنه لم يسبق له أن استخدمها فى المعارك .(٣)

وهذا بالطبع أمر بعيد عن الحقيقة فقد مر بنا سابقا أن الجيش الحبشى قد امتلك المدافع قبل أن يمتلكها المسلمون .

---

(١) Sousa, op. cit., vol. II, PP. 198-199; Budge, op. cit., vol. II, PP. 349-350; Trimingham, op. cit., P. 93; Burton, op. cit., PP.183-184; Diffie & Winius, op. cit., P. 357;
محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ،ص ٣٩ .

(٢) Burton, op. cit., P. 184.

(٣) Budge, op. cit., vol. II, P. 350.

ثانيا : تحالف الامام نور بن الوزير مجاهد مع الدولة العثمانية وخمود حركة الجهاد .

بدأ الاتراك العثمانيون فى نشر نفوذهم على السواحل الغربية للبحر الاحمر بعد ضمهم لمصر والحجاز عام ١٥١٧م ، فقد ورث العثمانيون تركة الدولة المملوكية المثقلة بالاعباء وأول أعباء هذه التركة هى مهمة الدفاع عن البحر الاحمر ومنع دخول الاساطيل البرتغالية اليه ،وثانى هذه الاعباء هو القضاء على التحالف البرتغالى الحبشى ،وذلك بمنع وصول الامدادات العسكرية والبعثات الدينية الى الحبشة عن طريق موانىء البحر الاحمر ،وايضا بالدخول الى جانب مسلمى الحبشة كعنصر اساسى وفعال فى حركة الجهاد .

وضع العثمانيون أيديهم على سواكن فى الساحل الغربى للبحر الاحمر بعد فتحهم لمصر ،فقد ارسل السلطان العثمانى سليم الاول (٩١٨هـ - ٩٢٧هـ ١٥١٢م - ١٥٢٠م) قائده سنان باشا ليضم سواكن الى أملاك الدولة خاصة وانها كانت ميناءً تجاريا مزدهرا ومواردها الجمركية تدر ثروة لا بأس بها للدولة ،كما أنها تعد بمثابة قاعدة عسكرية ممتازة للأساطيل العثمانية للوقوف فى وجه السفن البرتغالية التى كانت تجوب أنحاء البحر الاحمر. واتخذ العثمانيون من السويس قاعدة رئيسية للاساطيل العثمانية فبدأ سنان باشا بانشاء اسطول عثمانى فىمدينة السويس للبدء فى إرسال الحملات لحماية سواحل الحجاز من الهجوم البرتغالى ،وعمل الصدر الأعظم ابراهيم باشا ٩٣١هـ/١٥٢٤م على تنظيم الشئون البحرية العسكرية بميناء السويس ،وهكذا اخذت الاساطيل العثمانية فى آداء مهمتها وهى حراسة البحر الاحمر ومحاولة ضم عدن مفتاح ذلك البحر .

وفى عام ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م استنجد الامام احمد بن ابراهيم بالدولة العثمانية لتمده بالمساعدات العسكرية للوقوف فى وجه التحالف البرتغالى الحبشى ،ورغم أن هذه المساعدات لم تحسم الصراع لصالح المسلمين فى الحبشة الا أنها نبهت الدولة العثمانية الى ضرورة التدخل بشكل رئيسى الى جانب مسلمى الحبشة

فقرر السلطان سليمان القانونى تأسيس ولاية الحبشة [أو ايالة الحبشى] بين عامى ١٥٥٤ - ١٥٥٥م وذلك بضم الموانىء الواقعة على الساحل الغربى للبحر الاحمر مثل سواكن ومصوع وحرقيقو ودهلك ووضعها تحتاسم ولاية الحبشة على أن يتم تعيين بكلر بك (اى أمير الامراء) لولاية الحبشة فى سواكن .(١)

وأول من فكرمن الولاة العثمانيين فى اليمن فى فكرة التحالف مع مسلمى الحبشة وعرضها على السلطان سليمان القانونى هو بكلر بك اليمن أزدمر باشا .

كان أزدمر باشا جركسى الاصل نشأ فى خدمة الدولة العثمانية بمصر وترقى فى مناصب الجيش حتى أصبح فارسا من فرسان سليمان باشا الخادم وتوجه معه الى الهند ثم رجع الى اليمن عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م وبقى أميرا عليها حتى عام ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م وفى سنة ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م عين ازدمر باشا بكلربك على اليمن من قبل السلطان سليمان القانونى واستمر فى هذا المنصب حتى عام ٩٦١هـ / ١٥٥٤م حيث طلب اعفاءه من منصبه فأجابه السلطان العثمانى الى طلبه،ثم توجه فى نفس السنة الى مصر عن طريق سواكن ثم الى استانبول حيث اجتمع بالسلطان سليمان القانونى وعرض عليه أن يفتح الحبشة بمساعدة مسلمى شرق افريقيه لأن البرتغاليين ألد أعداء الدولة العثمانية يشكلون تحالفا قويا مع الاحباش وللقضاء على هذا التحالف لابد من فتح الحبشة وجعلها ولاية عثمانية . وقد لقى أزدمر ترحيبا لدى السلطان سليمان وتأييدا كبيراً لآرائه فأصدر السلطان مراسيمه لوالى مصر على باشا بإمداد أزدمر باشا بكل ما يحتاجه من جيش وعتاد وأموال للبدء فى الجهاد والفتح فى

---

(١) يحى بن الحسين ، انباء ابناء الزمن ،ق ١٢٥؛ نفس المؤلف ،غاية الامانى ج٢،ص ٧٠٨؛ ابن المطهر ،نفس المصدر ،ق ٣٩ ؛ السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ،ص ٢٧ - ٣٢ ؛ احمد ابراهيم دياب ، العلاقة بين جده وسواكن مقال مستخرج من كتاب دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية ،ج٢،ص ٢٠٧؛
Orhonlu, op. cit., P. 33.

مملكة الحبشة .(١)

وعاد ازدمر باشا الى مصر لتجهيز الجيش الذى سيتوجه به الى الحبشة وقد صادف هناك كثيرا من العقبات فى تجهيز الجيش لان المتطوعين فى الجيش لم يبدوا الترحيب الكافى لخوض الحرب فى الحبشة نظرا لشدة الحرارة وسوء الاحوال المناخية ،واعتبروها أرضا مجهولة بالنسبة اليهم يصعب ارتيادها ورغم ذلك أكمل ازدمر باشا تجهيز جيشه فى عام ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م وكان يتألف من ثلاثة آلاف جندى وألف من حملة البنادق ،وفى نفس العام سار ازدمر باشا يقصد الحبشة عن طريق البر متجها الى جنوب مصر ،وقد عانى كثيرا من تمرد الجنود واحجامهم عن مواصلة التقدم نظرا لأن خروجهم كان فى فصل الصيف والحرارة على أشدها ،كما أن وعورة الطريق وبعد المسافة عن الحبشة كان من اسباب تراجع ازدمر باشا مرة اخرى الى مصر ومن ثم اعادة ترتيب قواته والاتجاه فى هذه المرة الى السويس ثم نقل القوات بحرا الى سواكن وكان عدد الجنود فى المرة الثانية خمسة آلاف جندى بين نظامى ومتطوع وقد صرفت للجنود والضباط مرتبات عالية جدا لاغرائهم بالتوجه الى الحبشة .(٢)

تأسست ولاية الحبشة (ايالة الحبش) فعلا فى عام ٩٦٢هـ / ١٥٥٥م وعين ازدمر باشا أول بكلربك لولاية الحبشة وكانت موارد الولاية خاصة فيما يتعلق بالانفاق على العسكر تأتى من خزانة مصر ومن واردات الجمارك فى سواكن ومصوع وحرقيقو ودهلك ،وكان مركز الولاية فى بداية تأسيسها فى سواكن ثم نقل الى حرقيقو فيما بعد .(٣)

ثم انشغل ازدمر باشا فى توطيد الاحوال الداخلية فى ولاية الحبشة والاتصال بالامام نور فهرر لتنظيم حملة حربية ضد الملك الحبشى جلاديوس

---

(١) النهروالى ،نفس المصدر ،ص ٩٨-١٢٠؛ يحي بن الحسين ، انباء ابناء الزمن، ق ١٢٩أ؛ نفس المؤلف ،غاية الامانى ،ج٢ ،ص ٧١٥؛ ابن داعر ،نفس المصدر، ق ١٩٠-١٩٣أ؛ Orhonlu, op. cit., PP. 35-36.

(٢) Orhonlu, op. cit., P. 40.

(٣) النهروالى ،نفس المصدر ،ص ١٢٠ ،أيضا Orhonlu, op. cit., PP. 36-41.

وبعد ذلك تمكن ازدمر باشا من الاستيلاء على ميناءى مصوع وحرقيقو فى عام ١٥٥٧م وضمهما الى ولاية الحبشة ،ثم تقدم الى دباروا شمال التجراى ففتحها وبنى بها حصنا وضع فيه حامية عثمانية ،ثم تقدم مع قواته الى منطقة أجامى Agame فى الشمال الغربى من وجيرات واستولى على دبرا دامو .

ووصلت أخبار التحالف القائم بين العثمانيين ومسلمى هرر الى الملك الحبشى جلاديوس ،فأخذ فى تحصين المناطق المهمة فى مملكته لصد هجمات الغالا ثم أمر قائده البحر نجش اسحاق بأن يعد العدة للتصدى للأتراك الذين تقدموا فى قوات ضخمة لمهاجمة التجراى بينما يتفرغ هو أى النجاشى لمواجهة الغالا فى منطقة بالى . وبالفعل تمكن البحر نجش من هزيمة القائد أزدمر باشا فى منطقة بور Bur الخصبة وذلك فى عام ١٥٥٧م.(١)

ولكن الهزيمة التى منى بها ازدمر باشا لم تثبط من همته بل عقد العزم على التوجه بجيشه لفتح مزجه (مسيجا) الواقعة الى الشمال من نهر التكازى ،وكان جيشه يتكون من ثمانمائة فارس وعدة آلاف من المشاة المسلحين بالبنادق والسيوف والتروس والأقواس وحين وصل الجيش الى مشارف مزجه ،كانت قد انهكته شدة القيظ وندرة الماء وانتشار الاوبئة ،فسقط ازدمر باشا مريضا بالحمى وكان على جنوده أن يحملوه على محفة ،وأصيب كثير من جنده بضربات الشمس مما أدى الى وفاة أعداد كبيرة منهم .

وفى نفس الوقت كان البحر نجش اسحاق قد حاصر دباروا وشدد عليها الحصار حتى سقطت فى يده وفرت منها الحامية التركية الى الساحل تجاه مصوع وحرقيقو ،وعاد أزدمر باشا بمن تبقى من جنده الى سواكن .

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, P. 348; Trimingham, op. cit., P. 92؛

السيد رجب حراز ،ارتريا الحديثة ،ص ٣٠ ؛ فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ١٦٠.

وفى عام ١٥٥٩م كان ازدمر باشا يقود حملة فى منطقة دوارو ولكن وافته المنية هناك ونقل العثمانيون جثمانه الى مصوع حيث دفن بها .(١)

وكانت وفاته فى نفس السنة التى هزم فيها الامام نور بن الوزير مجاهد الملك جلاديوس وقتله فى موقعة فطجار . ولا شك أن التسليح الكبير الذى حظى به جيش الامام نور كان الفضل فيه يرجع الى العثمانيين الذين كانوا يتولون الفتح فى مناطق التجراى فى تلك الفترة ،فقد كان جيش الامام يضم خمسمائة من حملة البنادق عدا المدافع ،ورغم أن المصادر لم تورد معلومات كافية عن كيفية التحالف الذى تم بين الامام نور والعثمانيين الا ان الدلائل تشير الى أن التسليح الذى حصل عليه الامام فى معركته الفاصلة مع جلاديوس كان للعثمانيين دور كبير فيه حيث أن حالة هرر الاقتصادية والعسكرية فى تلك الفترة لم تكن تسمح بتجهيز جيش ضخم كالذى قاده الامام نور فى عام ١٥٥٩م.

كذلك فان تدهور سلطنة هرر جعل العثمانيين يتحملون العبء الاكبر فى حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه منذ النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى . ومن الدلائل التى تشير الى قيام تحالف بين مسلمى شرق افريقيه والدولة العثمانية فى تلك الفترة أن أزدمر باشا الذى قضى سنوات طويلة فى ولاية اليمن كانت له اليد الطولى فى لفت نظر السلطان سليمان القانونى الى أهمية فتح الحبشة ومعاونة المسلمين بها ضد التحالف البرتغالى الحبشى .

وفى عام ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م اعتلى عرش الحبشة النجاشى ميناس Minas (١٥٥٩م – ١٥٦٣م) وكان عليه أولا أن يعيد الاستقرار داخل

---

(١) النهروالى ،نفس المصدر ،ص ١٢٠؛ يحي بن الحسين ،انباء ابناء الزمن ق ١٢٩؛ ابن داعر ،نفس المصدر ،ق ١٩٣؛ السيد رجب حراز ،ارتريا الحديثة ص ٣٠؛ غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٣٠٧– ٣٠٨؛
Budge, op. cit., vol. II, PP. 348-349; Trimingham , op. cit., P. 92.

الحبشة وبين الأحباش خاصة بعد سيادة الفوضى الدينية التى نشرها البرتغاليون لقد كان ميناس اكثر تشددا من آخيه جلاديوس ضد نشر عقيدة روما الكاثوليكية فى الحبشة ،وكان الملك جلاديوس قد سمح لزوجات البرتغاليين الحبشيات وعبيدهم باعتناق مذهب روما كما سمح للاحباش بحضور القداس فى الكنائس الكاثوليكية ولكن ميناس استدعى الاسقف أوفيدو Oviedo ودار لقاء عاصف بينهما فالنجاشى طلب بلهجة قاسية أن يتوقف الاسقف عن نشر المذهب الكاثوليكى وهدده بالقتل إن هو امتنع عن تنفيذ أوامره ،ولم يعبأ الاسقف بتحذير النجاشى وأجاب بأن هذه التهديدات لا تخيفه وأنه سوف يضحى بحايته من أجل نشر عقيدته فانتاب الملك غضب شديد وانقض على أوفيدو وأوسعه ضربا وانتزع شعر لحيته . وتدخل الحاضرون وحالوا بينهما ومنعوا الملك من قتله بكل صعوبة .

ثم أمر الملك بنفيه واصحابه من رجال الدين الكاثوليك الى أحد الجبال حيث بقوا هناك سبعة أشهر .

كما أصدر الملك أوامره بمنع البرتغاليين عن ارتياد الكنائس الكاثوليكية ومصادرة ممتلكات رجال الدين الكاثوليك وفرض حظرا على زواج البرتغاليين من الحبشيات ،ولكن البرتغاليين وعلى رأسهم أوفيدو امتنعوا عن تنفيذ هذه الاوامر . وفى مقابلة عاصفة اخرى بين أوفيدو والملك ميناس تحدى الاسقف الملك مرة أخرى ،فاستل الاخير سيفه يريد قتله لولا أن منعته من ذلك زوجته الملكة فنفاه الملك مرة أخرى الى احد الجبال هو وجميع الرهبان البرتغاليين والاحباش الذين اعتنقوا مذهبهم،وقد تمكن البرتغاليون فيما بعد من الفرار والانضمام إلى البحر نجش اسحاق الذى خرج على ميناس .(١)

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, P. 358; Kammerer, op. cit., Iere partie, PP. 286-287; Jones & Monroe, op. cit., PP. 90-91.

أعلن البحر نجش اسحاق ثورته على الملك ميناس بعد أن اشتدت الخلافات بينهما اذ رغب اسحاق فى أن يستقل بالمنطقة التى يحكمها ، فقرر ميناس أن يقضى على التمرد فى أولى مراحله وارسل قائده زرع يوحنا Zara Yohannes بجيش ضخم لاخضاع اسحاق ،ودارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة جيش ميناس وانسحابه بعد أن تكبد خسائر فادحة .

ثم قام اسحاق بالمناداة بابن أخ ميناس ويدعى تزكارو Tazkaro ملكا على منطقة دابر Dabr وحين سمع ميناس بما حدث سار على رأس جيش كبير لمهاجمة اسحاق وهزمه فى سهل وجرا Wagara فى يوليو من عام ١٥٦١م وأسر تزكارو وأمر بأن يلقى من فوق قمم أحد الجبال الشاهقة ليلقى حتفه .

وبعد هذه الهزيمة فر اسحاق إلى مصوع وطلب من العثمانيين الدعم والمساندة فى مقابل التنازل لهم عن دباروا والبلاد الواقعة بينها وبين مصوع ،ووافق عثمان باشا ابن ازدمر باشا (٩٦٩هـ - ٩٧٥هـ /١٥٦١م - ١٥٦٧م) على الاتفاق حيث أن منطقة دباروا تعتبر مفتاح منطقة التجراى ،وامتلاكها سوف يتيح للعثمانيين سرعة التوغل داخل الأراضى الحبشية . وفى تلك الفترة انضم اوفيدو واصحابه إلى اسحاق .

عكف الملك ميناس على حشد قواته لمنازلة عدوه اسحاق ،ولم يقف اسحاق مكتوف اليدين بل جمع قواته بدوره بمعاونة العثمانيين ،ودارت معركة بين الطرفين فى ابريل من عام ١٥٦٢م ،وقد اختلفت الروايات بشأن نتيجة هذه المعركة فبعضها يؤكد هزيمة الملك الحبشى وبعضها الآخر يشير الى انتصاره وانسحابه سريعا الى منطقة شوا .(١)

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, PP. 357 - 359; Jones & Monroe op. cit., PP. 90-91;

السيد رجب حراز ، ارتيريا الحديثة ،ص ٣٠-٣١؛ غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٣١١-٣١٢.

وفى عام ١٥٦٣م توفى ميناس متأثرا بالحمى فى منطقة وج تاركا العرش لابنه سرصادنجل Sarsa Dengel (١٥٦٣م – ١٥٩٧م) الذى واجه مشاكل داخلية عديدة ،فهناك تهديد الغالا وثورة الفلاشه والبحر نجش اسحاق وثورة هديه هذا عدا تمرد الجيش الذى قاده حملمال Hamalmal أحد أحفاد ناعود ،فقد انضم الجيش فى السنة الاولى من حكم سرصادنجل الى المتمرد السابق الذى كان يدعى أحقيته فى العرش الحبشى ثم هرب الى شوا وهناك أقام معسكره فى منطقة أندقبطن وشيد حصنا فيها ،وقد نصب أحد أحفاد الملك سيف أرعد ويدعى تكلا ماريام Takla Maryam ملكا على البلاد ثم أخذ فى الاستعداد لمواجهة الملك سرصادنجل .

ولم يضيع الملك وقته بل أرسل اليه جيشا ضخما بقيادة القائد تكلو Taklo واستطاع هذا الجيش الحاق الهزيمة بحملمال وتم اسره واستسلامه للملك سرصادنجل وكان ذلك فى عام ١٥٦٤م.

وفى العام التالى ١٥٦٥م أعلن الثورة ابن عم الملك ويدعى فاسيلو Fasilo وهاجم معسكر الملك الحبشى ونهبه وفر سرصادنجل ليلحق بقائده تكلو فى جبر جبان Gabar Gaban ويجمع قواته استعدادا لقتال فاسيلو .

وفى السنة التالية ١٥٦٦م تقابل الملك مع المتمرد فاسيلو فى منطقة الداموت واشتبك الجيشان لمدة اسبوعين دون أن يحقق أى منهما نصرا حاسما واخيرا دارت رحى معركة شرسة بين الطرفين انهزم فيها فاسيلو بعد أن وصلت الى الملك الحبشى امدادات هائلة من قادته ،وهرب فاسيلو للانضمام الى البحر نجش اسحاق ولكنه وقع فى كمين نصبه له الأحباش وقبض عليه وسجن؛ثم توجه الملك الحبشى الى منطقة الجافات Gafat حلفاء فاسيلو فأخضعهم وأعلنوا استسلامهم للملك .

ثم قرر الملك سرصادنجل فى عام ١٥٦٧م التوجه إلى هديه لاخضاعها كان حاكم هديه المدعو غازى قد امتنع عن دفع الجزية للملك الحبشى وحشد قواته من قبيلة الملساي الصومالية وقسمهم إلى قسمين أحدهما تحت قيادته والآخر بقيادة أخيه جوهر .

وقد هاجم جوهر مؤخرة جيش الملك والحق به خسائر فادحة أثناء سيره للقاء غازى .

واخيرا تقابل غازى وسرصادنجل فى أحد السهول القريبة من هديه ودارت معركة طاحنة بين الطرفين انهزم فيها الاحباش فى بادىء الامر ولكن لم تلبث أن جاءتهم الامدادات الضخمة من قادة جيوش الملك مما رجح كفة المعركة فى صالح الاحباش . وهكذا فر غازى مع بقية جيشه لاعادة تجميع قواته من جديد، وبعد أسبوعين تهيأ المسلمون للقتال ،فأرسل اليهم الملك الحبشى قائده تكلا جيورجس Takla Giyorgis واستبسل المسلمون فى هذه المعركة ولكنها انتهت بهزيمتهم وفر غازى مرة أخرى ودخل الملك الحبشى هديه وأجام ودمرهما تدميرا وفرض عليهما الجزية بعد أن أعلنتا الخضوع ،وأعلن غازى بعد ذلك خضوعه للملك الحبشى وتعهده بدفع الجزية ،وبقى الملك فى هديه مدة سنتين ليرقب الاوضاع هناك ويقضى على أية محاولة للثورة يقوم بها الملك غازى .(١)

وفى نفس العام ٩٧٥هـ /١٥٦٧م توفى الامام نور بن مجاهد فى هرر متأثرا بوباء الطاعون الذى اجتاح منطقة هرر عقب هجوم الغالا الذين اهلكوا الزرع والضرع فى غارات متتالية ودمروا مناطق سيم وشوا ونجاب وجدايا ودكار وهرجايا ،وتلا هذا الغزو انتشار وباء الطاعون وسادت المجاعة لمدة ثلاث سنوات .

وبعد وفاة الامير نور بدأ العد التنازلى لسقوط سلطنة هرر وانتقال مهمة الجهاد الى أيدى العثمانيين الذين حاولوا الحفاظ على نفوذهم فى الساحل ومنطقة شمال التجراى .(٢)

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, PP. 360-363; Trimingham, op. cit., P. 95.

(٢) Burton , op. cit., P.184; Trimingham, op. cit.,PP. 93-94;

يوسف أحمد ،نفس المرجع ،ص ٣٨-٣٩؛جمال زكريا ،نفس المرجع ،ص ١٣٢.

ثم انشغل الملك الحبشى سرصادنجل فى محاربة الغالا ففى عام ١٥٧٣م انطلق الملك بجيوشه الى وج التى اقتحمتها جموع الغالا وهناك وقعت بين الطرفين ثلاث معارك والحق بهم الملك فيها هزائم منكرة ذبح فيها اعدادا كبيرة منهم وغنم منهم اعدادا هائلة من المواشى .

ثم اتجه بعد ذلك إلى سمين للقضاء على ثورة يهود الفلاشة بعد أن رفض زعيمهم دفع الجزية للملك ،وحين سمع اليهود بقدوم الملك قاموا بتخريب الطرق المؤدية إلى منطقتهم حتى أصبحت غير صالحة لمرور الجيش ،كما قاموا بحرق المنازل والحقول حتى لا ينتفع بها الاحباش . وفى أحد السهول اصطدم جيش الملك بجيش الفلاشة فانهزم اليهود وتكبدوا خسائر فادحة على يد القائد الحبشى فكتور ابن القائد فان عيل ،ثم تراجع الفلاشة إلى الجبل فلحق بهم جيش الملك ولكنه تكبد خسائر جسيمة أثناء تسلق الجبال نتيجة دحرجة الصخور على جنود الملك واستمرت المعركة فترة طويلة بعدها قرر الملك الحبشى ضرب قلاع الفلاشة بالمدافع على أن يتقدم أفراد الجيش أثناء ذلك الى الممرات الجبلية ،وبالفعل نجحت الخطة فى الحاق الهزيمة بزعيم الفلاشة الذى ترك الجبال غنيمة سهلة للأحباش وهرب إلى نهر مرب ولم ييأس بل صمم على مواصلة القتال فحشد جيشا ضخما ،ولكنه هزم مرة أخرى وأعلن استسلامه للملك الحبشى. واستباح الاحباش منطقة سمين واعملوا فيها المذابح والحرق ولم تسلم من وحشيتهم النساء ولا الاطفال ولا الشيوخ ،ثم نصب رجال الكنيسة الحبشية ورهبانها الهيكل الكنسى المتنقل واحتفلوا بالقداس داخل حصن زعيم الفلاشة ،وفى اليوم التالى احتفل الملك بتحويل الحصن الى كنيسة نصرانية .

غير انه فى عام ٩٩٦هـ / ١٥٨٧م ثار يهود الفلاشة مرة أخرى بقيادة زعيمهم جوشن Gushan الذى هاجم المناطق النصرانية فى وجرا ونهبها وأحرقها فطارده الملك الحبشى إلى أحد جبال سمين المسماه جبال شكنا Shekena وحاصره فيها واستطاع هزيمته وقتله مع ستين نفرا من رجاله ثم أمر الملك بهدم قلاع سمين جميعها .

أما بالنسبة لموقف الملك سرصادنجل من رجال الدين البرتغاليين فلم يتغير كثيرا عن موقف من سبقه من ملوك الحبشة فقد كان متمسكا بمذهب كنيسة الاسكندرية ويعمل على تعزيزها فى الحبشة ،ولكنه لم يكن متشددا مع الرهبان البرتغاليين وعلى رأسهم أوفيدو ،فقد سمح لهم بالقاء المواعظ بسلام ،وقد استقرت بعثة أوفيدو فى عهد سرصادنجل فى منطقة فرمونا Fremona بالقرب من اكسوم حتى وفاته فى عام ١٥٧٧م .

وقد كتب الملك الحبشى رسالة الى الملك البرتغالى دوم سباستيان Dom Sebastian (١٥٥٧م -١٥٧٨م) يطلب منه إرسال خمسمائة جندى برتغالى لاعانته للوقوف فى وجه التقدم العثمانى فى بلاده وكان سباستيان ملك البرتغال قد سمع بالمعاملة السيئة التى عامل بها ملوك الحبشة البعثات الدينية البرتغالية لذلك لم يكتف بأن رفض تلبية طلب سرصادنجل بل وكتب الى البابا فى روما أن يرسل البعثات التبشيرية الى الهند بدلا من الحبشة .

ولكن الملك الحبشى لم ييأس وكتب مرة أخرى الى الملك الاسبانى فيليب الثالث Philip III يطلب منه أن يرسل له عمالا فنيين لصناعة المدافع والبنادق وملح البارود فى مقابل السماح بنشر المذهب الكاثوليكى ،وطلب ارسال بعثات تبشيرية جديدة ، الا أن شيئا من ذلك لم ينفذ فقد أحكم الاتراك قبضتهم على موانىء ساحل البحر الاحمر الغربى ،ولم تستطع أى حملة برتغالية الوصول الى مصوع او حرقيقو أو أى ميناء آخر منذ عام ١٥٥٧م.

ولما علم حاكم دامبيا زاسيلاسى Za Selase بنية الملك سرصادنجل لفتح الباب أمام البعثات الكاثوليكية لنشر مذهبها فى الحبشة دبر مؤامرة قتل فيها بقية الرهبان الكاثوليك الموجودين فى فرمونا وبذلك قضى على بعثة أوفيدو فى الحبشة .

واستمرت محاولات البرتغاليين لانزال البعثات الدينية الى الحبشة سرا

أو متخفيين فى زى التجار العرب ولكن جميع تلك المحاولات باءت بالفشل وآخرها كانت محاولة الاسبانى بيتر بايز Peter Paez عام ١٦٠٣م وقد اكتشف أمره الاتراك فاسروه وسجنوه فى اليمن لمدة سبع سنوات ،ولكنه تمكن من الفرار ونجح فى الوصول الى الحبشة وبنى فى فرمونا مدرسة للتبشير الكاثوليكى ،ومع ذلك فقد استمرت الحبشة متمسكة بقوة بمذهبها اليعقوبى رغم كل المحاولات التى بذلها البرتغاليون لنشر الكاثوليكية فيها حتى عام ١٦٣٣م حيث تم طرد البرتغاليين نهائيا من الحبشة والقضاء على دعوتهم .(١)

كانت سلطنة هرر فى خضم تلك الاحداث قد بدأت فى الاحتضار فقد دب النزاع على السلطة بعد موت الامام نور بن الوزير مجاهد ،واعتلى عرش السلطة بعد وفاة الامام واحد من عبيده ويدعى عثمان وهو عبد حبشى اعتنق الاسلام وترقى فى خدمة الامام حتى وصل الى اعلى المراتب العسكرية ،ثم حاول عثمان النهوض بهرر باذلا أقصى جهوده ففاوض الغالا وعقد معهم معاهدة للصلح على أن يمتنعوا عن مهاجمة هرر وسمح لهم بحضور أسواقها للتجارة وذلك لكى يكسبهم الى جانب المسلمين حتى يتعرفوا على الاسلام ويكونوا على اتصال بالدعوة الاسلامية .

ولم يبق عثمان طويلا فى السلطة حيث ثار عليه طلحة أحد أبناء الوزير عباس وأقصاه عن العرش ونودى به سلطانا عام ١٥٦٩م ثم عزل طلحة واستعادت اسرة عثمان العرش فتولى ابنه ناصر بن عثمان السلطة ،وبعد وفاته اعتلى العرش ابنه محمد الرابع وهو الذى عقد تحالفا مع العثمانيين عام ١٥٧٢م/١٥٧٣م ضد النجاشى سرصادنجل .

وفى عام ٩٨٥هـ / ١٥٧٧م تمكن السلطان محمد الرابع بمجهود شاق وبمعاونة العثمانيين من تجهيز جيش والخروج لمنازلة الملك الحبشى سرصادنجل فى محاولة يائسة للخروج من السيطرة الحبشية ،وقد بدأ بالاغارة على المناطق التى تتمركز بها الحاميات الحبشية ولكنه تقابل مع الملك فى شرخه على نهر

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, PP. 364-373,377; Kammerer, op. cit., Iere partie, PP. 287-290; Jones & Monroe, op. cit., PP. 91-93;

عبد الرحمن زكى ،نفس المرجع ،ص ٤٤٩؛ غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٣١٢-٣١٣.

ويبى Webi وبدأت المناوشات بين الطرفين واستمرت لمدة شهر ،وفى نهايته دارت المعركة الكبرى ولكنها لم تحسم الموقف وتكبد المسلمون فيها خسائر فادحة كما قتل جعفر حاكم هدية الذى انضم للملك محمد مع بعض حكام المناطق الاسلامية وعندما حاول الملك محمد التراجع والعودة الى هرر كمن له الاحباش فى طريق عودته والحقوا به هزيمة منكرة وأسروه هو وخيرة شباب المسلمين وقام الملك الحبشى باعدامهم .

وبهذه الهزيمة انتهت سلطنة هرر كقوة عسكرية ،ومركز لحركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى .

وبينماكان الجيش بعيدا عن هرر ومنشغلا فى تلك المعركة انتهز الغالا الفرصة فهاجموا مناطق هرر ودمروا مائة قرية وحاصروا هرر نفسها، ولكن استطاع خليفة الملك محمد الرابع المدعو منصور بن محمد من صد هجومهم وابعادهم عن هرر .

ثم اغتيل منصور وتولى السلطة من بعده الامام محمد جاسا احد افراد اسرة الامام احمد بن ابراهيم واول عمل قام به هو انه عين على هرر وزيرا لادارة شئونها ثم قام بنقل مقر السلطنة فى عام ١٥٧٧م من هرر الى واحة أوسه Aussa فى وسط صحراء الدناقل الشديدة الحرارة لكى تكون بعيدة عن هجمات الغالا . ولكن اثبتت الايام خطأ اعتقاده فقد هاجم الغالا أوسه مرات كثيرة وبشكل مستمر .

وفى عام ٩٩١هـ / ١٥٨٣م قتل محمد جاسا وتعاقب من بعده على السلطة فى أوسة ثمانية سلاطين .

وبمرور الوقت اصبحت أوسه منذ بداية القرن الحادى عشر الهجرى (١٧م) دولة تسيطر عليها قبائل عفار الرحل .(١)

---

(١) Trimingham, Op. Cit., PP. 95 - 97.

وهكذا انتهى مجد سلطنة هرر اقوى دولة مسلمة تزعمت حركة الجهاد الاسلامى فى القرن العاشر الهجرى لتنتقل المهمة من بعدها الى آيدى العثمانيين فيما تبقى من سنوات القرن العاشر الهجرى .(١)

---

(١) Budge, op. cit., vol.II, PP. 364-365; Trimingham, op. cit., PP. 95-97;

يوسف احمد ،نفس المرجع ،ص ٣٩ ؛ محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ،ص ٣٩؛ فتحى غيث ،نفس المرجع ،ص ١٦٨-١٦٩؛ محمد عبد الله النقيره ،نفس المرجع ،ص ٣١٤ .

ثالثا : أثر النفوذ البرتغالي على الحالة الاقتصادية لدول شرق آفريقيا المطلة على المحيط الهندى وخمود حركة الجهاد .

كان طريقا التجارة اللذان يمران بالخليج العربى والبحر الاحمر يشكلان أهمية حيوية فى اقتصاد الدولة العثمانية فطريق الخليج يمر بالعراق والشام حيث تنقل المتاجر بواسطة القوافل الى موانىء الشام المطلة على البحر المتوسط ، اما طريق البحر الاحمر فهو يصل بالمتاجر الى السويس ثم تنقل بواسطة القوافل الى الاسكندرية على البحر المتوسط .

وهكذا فان مصر والشام كانتا تمدان استانبول بكثير من السلع التجارية المهمة والضرورية فمثلا مؤن قصر السلطان العثمانى كالارز والقمح والشعير والتوابل والسكر بالاضافة الى الذهب تأتى من مصر، ومن الشام تصل الى استانبول الاقمشة والصابون عن طريق ميناء الاسكندرونه الواقع فى جنوب شرق الاناضول وكانت ترد الى خزينة الدولة العثمانية فائض الميزانية فى مصر ومقدارها مليون دوكات ذهبية سنويا .(١)

وبذلك كانت ولايتا مصر والشام تعتبران من المصادر الهامة لثروة الدولة العثمانية وشكلتا فى عام ٩٣٥هـ/١٥٢٨م خمس واردات الميزانية العامة للدولة .(٢)

وبالاضافة الى ذلك كانت تصل الى عامة التجار فى تركيا السلع المختلفة مثل السكر والتمور والعاج والاحجار الكريمة والحمضيات والقطن والمعادن والاصبغة اللازمة لصناعة النسيج والصوف والتوابل والعبيد والمنسوجات

---

(١) الدوكات : عملة ذهبية كانت مستخدمة فى البندقية وعرفها العامة فى مصر باسم البندقى وعرفها المؤرخون باسم المشخصة لما تحمله على وجهيها من صور الاشخاص ،ويبلغ وزنها بين ٣و٤٥ جرام و٤٥و٤جرام . انظر سامح عبد الرحمن فهمى ، الوحدات النقدية المملوكية ،ص ٢٥٧،٢٥٨،٢٩٤.

(٢) Inalcik, The Ottoman Empire, P. 128.

الحريرية والقطنية .

وقد قامت علاقات تجارية وثيقة بين جده وميناء سواكن فان السفن التجارية التى تحمل متاجر الهند والشرق الاقصى والخليج العربى وحضرموت وعدن كانت تنتقل بين جده وسواكن فى حركة شبه مستمرة ثم تنقل السلع التجارية من سواكن بواسطة القوافل الضخمة الى مصر والحبشة ،فالقافلة غالبا ما تكون من ثلاثة آلاف من البعير ،ثم تحمل السفن من سلع الحبشة مثل الذهب والرقيق لتعود الى جده وعدن .(١)

وكانت الدولة العثمانية تقدر اهمية تجارة الشرق المارة بالبحر الاحمر والمنافع العائدة اليها من وراء ذلك،بدأت فى فرض سيطرتها على هذا الطريق بعد ضم مصر مباشرة الى سلطانها ،فاعادت تنظيم مرور التجارة الشرقية عبر هذا البحر بعد ان استطاع البرتغاليون عرقلة حركة التجارة لسنوات عديدة فى كل من البحر الاحمر والخليج العربى،ولقد فرض البرتغاليون رقابتهم على التجارة حتى عام ١٥٢٥م عندما بدأ العثمانيون نشاطهم العسكرى لاحكام السيطرة على موانىء البحر الاحمر وخاصة عدن .

ولقد أصدر السلطان العثمانى سليم الأول أوامره بعد ضم مصر بانشاء اسطول بحرى فى السويس للتصدى للغزو البرتغالى للبحر الاحمر . وفى عامى ٩٢٣هـ / ١٥١٧م و ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م تمكن الأمير سلمان العثمانى من صد الهجوم البرتغالى على جده ،ثم حاول فى السنة الأخيرة الاستيلاء على عدن ولكنه فشل .

غير انه بعد ذلك تمكن العثمانيون بقيادة سليمان باشا الخادم فى عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م من ضم عدن بعد عودته من رحلته الى الهند .

---

(١) Orhonlu, op. cit., PP. 2 - 4.

وفى عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م وصلت الاساطيل العثمانية الى البصرة فى الخليج العربى لمقاومة النفوذ البرتغالى هناك .(١)

وأمام جهود العثمانيين المتواصلة فى محاربة البرتغاليين فى البحر الاحمر فشل البرتغاليون فشلا ذريعا فى تأسيس مراكز تجارية فى البحر الاحمر وتؤكد الوثائق العثمانية أن العثمانيين استطاعوا منذ عام ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م، فك الحصار البرتغالى عن التجارة فعادت المتاجر للمرور بالبحر الاحمر كما كانت عليه قبل قدوم البرتغاليين وبناء عليه فان موانئ مخا وعدن وجده وينبع وسواكن والطور والسويس باتت من انشط الموانئ التجارية فى ذلك الوقت .(٢)

وكان للعثمانيين فى ميناء الطور فى عام ١٥٤٨م مبنى للجمارك عينوا فيه ما يسمى بأمين التوابل وكان يتسلم السلع الشرقية من التجار ويسلمها بدوره الى ناظر الاموال ثم تنقل هذه السلع برا الى القاهرة والاسكندرية فموانئ البحر المتوسط .

أيضا كانت جده تقوم بتصدير التجارة الشرقية برا بواسطة القوافل الى موانئ الشام على البحر المتوسط مثل ميناء طرابلس ،وكان العثمانيون يفرضون رسوما جمركية فى ميناء طرابلس تقدر قيمتها بـ ٥٪ من مجموع أرباح المتاجر وعلى رأسها التوابل .(٣)

---

(١) Inalcik, op. cit., p. 126; Parry, " The Reign of Sulaiman The Magnificent" In A History of the Ottoman Empire, edited by Cook, P. 90;

الشاطر بصيلى ،تاريخ وحضارات السودان ،ص ٤٦٠-٤٦٢؛ السيد رجب حراز افريقيه الشرقية والاستعمار الاوروبى ،ص ١٨-١٩.

(٢) Orhonlu, op. cit., PP. 9-10.

(٣) Orhonlu, op. cit., P. 9.

وتلقت الاسكندرية حوالى عام ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م شحنات من البهارات تتفوق فى كميتها على الشحنات التى وصلت الى لشبونة فى نفس العام . وهكذا استمرت التوابل فى الوصول من الهند والشرق الأقصى قبل منتصف القرن العاشر الهجرى ببضع سنوات الى البحر الاحمر والخليج العربى ، وقد كانت السفن التجارية المحملة بالتوابل والعقاقير والاقمشة تدخل الى البصرة شهريا فى عام ٩٩١هـ / ١٥٨٣م.(١)

فاذا كان البرتغاليون قد نجحوا فى عرقلة التجارة الشرقية فى مطلع القرن العاشر الهجرى فانهم لم يستطيعوا منعها أو القضاء عليها نهائيا وذلك بفضل جهود العثمانيين المتواصلة فى البحر الاحمر والخليج العربى والمحيط الهندى .

وقد ادعى بعض الكتاب الاوروبيين أن البرتغاليين قضوا نهائيا على الازدهار التجارى الاسلامى فى القرن العاشر الهجرى باكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح وأن هذا الكشف جعل من منطقة الخليج العربى والبحر الاحمر منطقة لا اهمية لها اقتصاديا بالمقارنة مع لشبونة لان الطرق البرية التى تتخلل طرق التجارة القديمة تضاءلت أهميتها أمام الطريق البحرى الجديد الذى يمر عبر رأس الرجاء الصالح ولا تتخلله أية طرق برية ،فضلا عن أن جهود العثمانيين لاستعادة التجارة المفقودة باءت كلها بالفشل .(٢)

وكما اسلفنا فان جهود العثمانيين فى البحر الاحمر هى التى الحقت الفشل بخطط البرتغاليين لتأسيس مراكز تجارية وعسكرية فى البحر الاحمر كما أنها أزالت الحصار المضروب على تجارة المسلمين فى الخليج والمحيط الهندى نتيجة الحملات المتتابعة التى ارسلتها الدولة العثمانية الى هناك.

أما طريق رأس الرجاء الصالح فبالرغم من مزاياه فهو من الطرق

---

(١) Inalcik, op. cit., P.127; Parry, op. cit., P.100.

(٢) Stripling, op. cit., PP. 104-106.

الطويلة التى تستغرق السفن فى قطعه شهورا خاصة وأن سفن القرن العاشر التجارية كانت تعتمد فى سيرها على قوة الرياح ،لذلك فهو لا يغنى أبدا عن طريق البحر الاحمر والخليج العربى الاقل كلفة والذى يستغرق مدة أقل فى نقل المتاجر الشرقية الى البحر المتوسط ثم اوروبا .

كما الصق بعض الباحثين بالعثمانيين تهمة أنهم كانوا يمارسون القرصنة فى البحر الاحمر كما مارسها البرتغاليون وانالاساطيل العثمانية التى كانت تجوب البحر الاحمر كانت تهاجم سفن التجار .(١)

ولا يوجد لهذا الاتهام ما يؤيده أو يبرره فى المصادر العربية التى تناولت تاريخ العثمانيين فى البحر الاحمر فلم تشر تلك المصادر الى أى عملية قرصنة ضد سفن تجار المسلمين ،وانما اشارت فقط الى عمليات القرصنة والنهب البرتغالية وان العثمانيين كانوا يتصدون لهم ويلحقون بهم الهزائم .(٢)

أما عن الحالة الاقتصادية فى ساحل شرق افريقيه المطل على المحيط الهندى فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى فهى ترتبط بمدى التغيير الذى أحدثه البرتغاليون على تجارة ذلك الساحل وكما اشرنا سابقا فقد كان هناك كثير من السلع التجارية التى يتم تصديرها من الساحل الى الهند التى تعتبر السوق الأولى لسلع شرق افريقيه وكذلك الى البحر الاحمر والخليج العربى والشرق الاقصى ، وأهم هذه السلع الذهب والعاج والعبيد والعنبر والاخشاب وقشور

---

(١) Budge, op. cit., vol. I, P. 330 ;
محمد المعتصم سيد ،نفس المرجع ،ص ٣٤ .

(٢) انظر ما سبق من ص (١٣٤) ،وانظر ايضا ما يلى من ص (٢١٣) .

السلاحف وشمع العسل والعسل والارز والحبال المصنوعة من لحاء شجر النارجيل والقطران والحبوب والسمسم ،وكان تجار الساحل الافريقى الشرقى يجنون ارباحا طائلة من وراء هذه التجارة ، اذ كان الهنود يستخدمون العاج كثيرا فى صنع الشطرنج ومقابض السيوف والخناجر والاثاث .

اما الذهب فكان يلقى اقبالا عليه فى جميع الاقطار . اما بالنسبة الى البضائع المستوردة الى الساحل الافريقى الشرقى فهى الاقمشة القطنية المختلفة الاشكال والالوان فمنها المنقط والمقلم والبعض الآخر أبيض وأزرق ،وكذلك الاقمشة الحريرية المتنوعة ،وكميات كبيرة جدا من الخرز الملون كالرمادى والأحمر والأصفر .

وأيضا من السلع المستوردة الحديد والمسابح والقطن والأرز ،فكان كبار التجار فى دويلات الساحل يدفعون ثمن هذه السلع ذهبا بالوزن ،ثم يقومون بتسويق تلك البضائع الى المستهلكين من سكان ساحل شرق افريقيه بواسطة المراكب الكبيرة ،ويقوم تجار سفالة بتخزين كثير من هذه السلع ثم يحملونها فى قوافل برية الى داخل القارة لبيعها للوثنيين المنتجين للذهب ،ومن السلع المفضلة لدى الوثنيين الاقمشة القطنية والحريرية وانواع الخرز المختلفة ،ويأخذ التجار فى مقابل تلك السلع الذهب بدون وزن وكذلك العاج .

ويبيع التجار العاج فى سفالة وموزامبيق وغيرهما الى تجار مملكة كمبايا فى الهند بسعر خمسة او ستة كروزادو للقنطار الواحد ،أما العنبر فيحصل عليه التجار ايضا من الشعوب الوثنية داخل القارة وهو من النوع المشهور بأنه فائق الجودة .

ويصدر أهالى سفالة ايضا عاج فرس النهر لان انياب هذه الحيوانات اجود من عاج الفيلة فهو انصع بياضا واكثر صلابة ولونه لا يتغير ،كما يقوم اهالى سفالة بصناعة الاقمشة القطنية البيضاء من القطن المستورد من

الهند .(١)

كان هذا حال التجارة عند غزو البرتغاليين للساحل فى بداية القرن العاشر الهجرى واستمر ذلك حتى عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م عندما زارها دوارت باربوسا عامل الملك البرتغالى فى كنانور على الساحل الهندى ،ولكن الحال بدأت فى التدهور عندما اخذ البرتغاليون يسلبون المسلمين مقاليد التجارة وخاصة تجارة الذهب والعاج والعبيد .

أما بالنسبة الى تجارة الذهب فقد أقام البرتغاليون فى سفالة محطة تجارية عسكرية وحالوا بين المسلمين وبين المتاجرة بالذهب بالقوة ،لذلك لجأ تجار المسلمين الى طرق اخرى لفك الحصار عن تجارتهم فكانوا يتاجرون بالذهب خفية مع القبائل الوثنية داخل القارة ويتحاشون بذلك المرور بسفالة بعد فرض الحصار الاقتصادى عليها من قبل البرتغاليين واتجهوا الى مدينة ساحلية اخرى تدعى انجوكسا Angoxa (أو انجوش) تقع الى الشمال من سفالة وهى مدينة اسلامية مزدهرة ولكنها ليست ذات أهمية قصوى لدى البرتغاليين لذلك لم يدخلوها تحت سيطرتهم بالقوة ونجت من التدمير مؤقتا .(٢)

كما أن لهذه المدينة روابط قديمة تربطها مع نهر الزمبيزى حيث توجد مملكة الميناميتابا الوثنية التى تنتج الذهب ومن انجوكسا يحمل التجار المسلمون السلع التى سيقايضون بها على الذهب الى مصب نهر الزمبيزى عند قرية كواما Cuama ثم يواصلون سيرهم الى مسافة أربعين كيلو متر تقريبا الى اعلى النهر وينزلون عند ملك مسلم يدعى مونجوالو Mongualo وهو على صداقة وطيدة مع تجار الساحل ويتم لديه بعض التبادل

---

(١) Barbosa, op. cit., PP. 6 - 9; Oliver & Mathew, op. cit., vol. I, PP. 149 - 150;
بازل دافدسن ،نفس المرجع ،ص ٢٣٧-٢٣٨،٢٤٧-٢٤٨؛ جيان ،نفس المرجع ص ٢١٦-٢١٧،٣٤٣-٣٤٦.

(٢) يصف باربوسا مدينة انجوش فى عام ١٥١٨م بأنها مدينة للمسلمين الذين يتاجرون بالذهب والعاج والحرير والاقمشة القطنية وغيرها ويأتى اليها تجار سفالة وممبسه ومالندى وكلوه للتجارة وهم

.../=====

التجارى ،وكان التجار المسلمون يدفعون الرسوم لمونجوالو مقابل تزويدهم بزوارق مصنوعة من الشجر لحمل بضائعهم الى اعلى نهر الزمبيزى حيث يصلون الى جبل يدعى أوتونجا Utonga وتقع بالقرب منه اسواق كبيرة للوثنيين يتم فيها التبادل التجارى بين المسلمين والوثنيين فيأخذ تجار المسلمين العاج والذهب والعنبر ويعطونهم الاقمشة الحريرية والقطنية والخرز والارز والدخن ،ثم يقوم التجار بواسطة القوارب الصغيرة التى تدعى السنابك (مفردها سنبوك) بتسويق الذهب والعاج بين دويلات الساحل بعيدا عن انظار الرقابة البرتغالية •

ثم شعر البرتغاليون بتدهور تجارة الذهب فى سفالة فاخذوا فى تتبع خطى التجار المسلمين ومراقبتهم لوضع حد لتجارة الذهب المستترة لذلك قرروا الاستيلاء على أهم مركزين للتبادل التجارى على نهر الزمبيزى وهما مدينتا سينا وتيت ،وقد اسس البرتغاليون محطتهم التجارية فى سينا (الواقعة على بعد مائة ميل تقريبا من الساحل) عام ٩٣٨هـ / ١٥٣١م وفى تيت عام ٩٥١هـ / ١٥٤٤م كما أقاموا محطة تجارية فى كليمانى لمراقبة الزوارق الصغيرة الداخلة الى مصاب نهر الزمبيزى • وبحلول عام ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م اصبحت كلا من سينا وتيت اسواقا برتغالية هامة فى داخل القارة الافريقية •

وبذلك تدهورت تجارة الذهب والعاج المستترة التى مارسها المسلمون سنوات عديدة بعد أن لحق بهم الحصار البرتغالى فى الداخل • (١)

وهكذا حل البرتغاليون محل المسلمين كتجار يستوردون الاقمشة والخرز ليقايضوها بالذهب والعاج ولكن البرتغاليين فشلوا فيما نجح فيه المسلمون

=== يحملون السلع فى قوارب صغيرة جدا ليخفوها عن اعين البرتغاليين ويتحدث أهالى انجوش اللغة العربية بالاضافة الى اللغة السواحلية وهم غير خاضعين للنفود البرتغالى فى الساحل • انظر

Barbosa, op. Cit., PP. 14 - 15 .

(١) Barbosa, op. cit., PP. 9-14; Alpers, op. cit., PP. 42-44; Chttik, op. cit., PP. 215-216; Serjeant, op. cit., P. 14;

جيمس دفى ،نفس المرجع ،ص ٨٧ •

فبينما كان التجار المسلمون يرسلون قوافلهم الى داخل القارة للمتاجرة مع القبائل الوثنية اصبح البرتغاليون يحتفظون بالسلع التجارية القادمة من الهند فى مستودعاتهم فى المدن الساحلية منتظرين القبائل لتأتى اليهم للمتاجرة وحمل البضائع وهذا ما لم يحدث مطلقا ،فتدنت تجارة الذهب الى ادنى حد لها فى القرن العاشر الهجرى وقد أشار الى هذا الامر وكيل سفالة التجارى دوم لوبو دى الميدا Dom Lopo de Almeida فى رسالته الى الملك البرتغالى فى ٢٧ اغسطس من عام ١٥٢٧م ،كما يشرح فى هذه الرسالة إعراض التجار المسلمين عن المتاجرة فى سفالة وهجرتهم منها (١) .

وقد بلغت الصادرات من الذهب فى سفالة قبل الغزو البرتغالى حسب تقديرات البرتغاليين ما يزيد عن مليون مثقال (حوالى ستمائة ألف جنيه استرلينى) بينما وصلت الصادرات فى عام ١٥١٣م ما بين ستة وسبعة آلاف مثقال (حوالى أربعة آلاف جنيه استرلينى) وهذا يبين مدى التدهور الذى اصاب التجارة على ايدى البرتغاليين .(٢)

ورغم ان البرتغاليين استولوا على مدينتى سينا وتيت على نهر الزمبيزى، داخل القارة للقضاء على نشاط التجار المسلمين الا أنهم لم يكتفوا بذلك بل إن اطماعهم امتدت على التفكير فى الاستيلاء على مصادر الذهب الافريقى فى مملكة بيناميتابا التى تقع فى وادى نهر الزمبيزى [والتى كانت تعرف الى عهد قريب باسم روديسيا ويطلق عليها الان زمبابوى] فأرسل الملك البرتغالى سباستيان (١٥٥٧م - ١٥٧٨م) حملة عسكرية بقيادة فرانسيسكو باريتو Francisco Barreto عام ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩م مع قوة قوامها

---

(١) " Letter From D. Lopo de Almeida to the King, Sofala 27 August 1527" In Documents on the Portuguese, vol. VI, Doc. No. 23, PP. 277-279.

(٢) Coupland, op. cit., PP. 49-50; Chttik, op. cit.,P. 215; Marsh & Kingsnorth, op. cit., P. 14;
صلاح العقاد ، جمال زكريا ،نفس المرجع ،ص ٢٣ .

ألف رجل .(١)

ولكن الحملة تأخرت فى الساحل حتى عام ٩٨٠هـ/١٥٧٢م ثم قاد باريتو جنوده الى مملكة بيناميتابا الوثنية ولكن هذه الحملة انتهت بكارثة حيث هلك معظم الجنود البرتغاليين داخل القارة بسبب الحمى وان كان قد حقق نصرا على إحدى قبائل البانتو ودمر مدينة سينا بعد أن أباد من فيها من المسلمين والوثنيين . واخيرا مات هو ايضا بالحمى فى موزامبيق عام ١٥٧٣م وهكذا فشلت حملته فشلا زريعا .

ثم واصل القائد هوميم Homem خليفة باريتو الزحف الى داخل القارة واستطاع أن يعقد اتفاقا مع احدى القبائل الوثنية وتسمى تشيكانجا Tshikanga لكى تسمح للبرتغاليين بالاتجار معهم فى الذهب مقابل هدايا سنوية من الاقمشة يقدمها البرتغاليون ،وفيما عدا ذلك لم تحقق حملة هوميم اى تقدم يذكر نحو مناجم الذهب .

وهنا توقف البرتغاليون عن المغامرة من أجل الاستيلاء على مواطن الذهب واكتفوا بالتعامل التجارى مع القبائل الوثنية فى الداخل مقابل الهدايا المتفق عليها من الاقمشة والعقود والاساور الرخيصة .(٢)

أما بالنسبة إلى تجارة العبيد فعندما غزا البرتغاليون الساحل فى بداية القرن العاشر الهجرى وجدوا أن التجار المسلمين فى ساحل شرق افريقيه المطل على المحيط الهندى يبقون على اعدادا كبيرة من الرقيق للعمل فى

---

(١) كان فرانسيسكو باريتو يتولى منصب نائب الملك البرتغالى فى الهند بين عامى (١٥٥٥م - ١٥٥٨م) ثم منحه الملك البرتغالى سباستيان عام ١٥٦٩م لقب " خاكم بيناميتابا وفاتح المناجم " . انظر
Gray op. cit., PP. 35-36.

(٢) Coupland, op. cit., PP. 50-51; Gray, op. cit., PP. 36-38;
صلاح العقاد - جمال زكريا ،نفس المرجع ، ص ٢٣ .

فى المزارع ،كما كانوا يستخدمون كثيرا منهم كجنود ،وأما الباقى فكان يصدر الى جزيرة العرب ومصر وتركيا وفارس والهند ،ومع هذا كله كانت تجارة الرقيق قبل قدوم البرتغاليين تجارة ثانوية اذ أنها لم تكن السلعة الرئيسية عند تجار المسلمين ،كما أن علاقة المسلمين بالقارة الافريقية كانت تعتمد اساسا على تجارة العاج والذهب والعنبر والحديد فلما وصل البرتغاليون قلبوا الموازين القديمة فى تجارة الساحل وجعلوا من تجارة الرقيق أهم انواع التجارة واصبحت علاقتهم بالقارة الافريقية سواء فى شرقها أو غربها تعتمد على سرقة الافارقة وشحنهم فى السفن وتصديرهم الى الامريكتين للعمل فى المزارع، وعلى أيدى الاوروبيين ازدهرت هذه التجارة والحقت الضرر بشعوب غرب القارة الافريقية وشرقها ،هذا على الرغم من أن بعض الكتاب الأوروبيين الصقوا تهمة ازدهار تجارة الرقيق بالمسلمين فى محاولة للتخلص من وزر ما فعله الاوروبيون منذ القرن العاشر الهجرى (١٦م). (١)

وبعد ان كان تجار المسلمين يحصلون على الرقيق عن طريق الشراء فى البر الافريقى وهذا الرقيق غالبا ما يكون نتيجة الحروب بين القبائل الوثنية فى الداخل، أصبح البرتغاليون يقومون بعمليات الصيد والأسر للسكان الافارقة ومن ثم المتاجرة بهم باعداد هائلة. (٢)

لقد حاول المسلمون فى ساحل شرق افريقيه مقاومة السيطرة البرتغالية على المدن الساحلية وكسر احتكارهم للتجارة ولكنهم كانوا يهزمون باستمرار ولم يهتم البرتغاليون بأمر تلك المدن بأى شكل من الاشكال فلم يكن يهمهم ازدهار المدن بقدر ما كان يهمهم الحصول على اكبر قدر من الثراء الفاحش القائم على السلب والنهب والقرصنة واحتكار التجارة غير المشروع ،فمنذ

---

(١) انظر Coupland, op. cit., PP. 34-35.

(٢) بازل دافدسن ،نفس المرجع ،ص ٢٤٩؛
Oliver & Mathew, op. cit., vol. I, PP. 151-152;
Gray op. cit., P. 41.

أن دخلت الاساطيل البرتغالية إلى ساحل شرق افريقيه وهى تمارس عمليات القرصنة بمهاجمة سفن التجار ونهبها ومنعها من ممارسة التجارة فى مدن الساحل وهو أمر قام به القادة والضباط والجنود على السواء وبتأييد من ملوك البرتغال ،فقد أمر ملك البرتغال مانويل بمنع المسلمين من مزاولة التجارة فى السلع الثمينة مثل الذهب والعاج والعنبر التى هى قوام التجارة فى ساحل شرق افريقيه ونتج عن هذا القرار ان استعمل البرتغاليون جميع انواع الشدة والعنف والقسوة والعدوانية ضد المسلمين لمنعهم من مزاولة التجارة ،وكانت النتيجة الحتمية لهذه المعاملة أن هجر كثير من السكان مدن الساحل وأصاب تلك المدن الدمار والانحطاط ،كما تضرر ملوك وحكام تلك المدن لأنهم كانوا مطالبين بدفع جزية سنوية باهظة بينما اقفلت فى وجوههم كل الطرق لممارسة التجارة والكسب وبالتالى تعطلت موارد مدنهم ،ولقد شكا حكام تلك المدن مر الشكوى من عمليات النهب التى نفذها البرتغاليون فها هو ملك مالیندی عائل بن على يبعث برسائل تجأر بالشكوى الى ملك البرتغال مانويل من معاملة البرتغاليين للمسلمين عموما وللتجار منهم خصوصا فيقول : " اننا اذ نرى رجالكم نضعهم على رؤوسنا اكراما ،ومع ذلك فقد كانت افعالهم واقوالهم فظة نحونا كما كان سلوكهم سيئا مع من يفد الى الميناء فقد احتجزوهم ... وبودنا أن نعلمكم ان رجالكم قد استولوا على الكثير من الاقمشة بالاضافة الى بضائع الهنود والمسلمين ."

ويضيف ملك ماليندى فى رسالة اخرى الى الملك مانويل ان هناك سفينتين تابعتين لملك البرتغال بقيادة القائدين البرتغاليين روى لورنزو Ruy Lourenzo وجوام فرنانديز Jhoam Fernandez وصلتا الى ميناء ماليندى واشاعتا فيه الفوضى واتلفتاه وعندما طلب منهم ملك ماليندى الكف عن ذلك اجابه القائدان بأن الملك البرتغالى قد أمرهم بذلك .(١)

---

(١) " Letters from Ale king of Malindi to the King, 1500-1521" In Documents on the portuguese, vol. VI, Doc. No. 6, PP. 45-47.

وفى عام ٩٢٥هـ / ١٥١٩م كتب فرانسيسكو دى بريتو Francisco Brito وكيل سفالة التجارى الى الملك مانويل يخبره بالترتيبات التى اتخذها البرتغاليون فى سفالة للقضاء على تجارة المراكب الصغيرة (او تجارة السنابك) التى زاولها التجار المسلمون للهروب من السيطرة البرتغالية على التجارة فيقول : " قرر سانشو دى توفار Sancho de Tovar أن يبنى سفينة وزورقا لوضعهما فى كواما (نهر الزمبيزى) بحيث لن يكون فى مقدور أى سنبوك ان يمر من ماليندى الينا ."

كما جاء فى رسالته ذكر لكميات العاج التى كانت تحملها السفينة البرتغالية المسماه ساوتومى Sao Tome ومقدارها مائة وخمسون قنطارا من العاج وهى كمية ضخمة اضرت بمخزون العاج فى الساحل .(١)

ومن احدى السبل البرتغالية لافقار الساحل الشرقى لافريقيه بجانب فرض الرسوم الجمركية الباهظة على انواع المتاجر المصرح بها والجزية التى يدفعها الحكام: اطلاق حرية التصرف للقادة العسكريين فى مدن الساحل الذين يقطنون القلاعوعلى رأسهم القائد العام فى موزامبيق ،فقد كان هذا المنصب يباع فى لشبونه لمن يتعهد بدفع مبالغ باهظة معينة فى بداية تعيينه فى منصبه ومدة التعيين تستغرق ثلاث سنوات فكان هوءلاء القادة يحققون ثروات فاحشة فى هذه الفترة بالاضافة الى تسديد المبالغ المستحقة للتاج البرتغالى ونتج عن كل ذلك انتشار الفضائح والرشاوى واعمال العنف والظلم والارهاق فى سبيل جمع المبالغ الطائلة من السكان .(٢)

ويصف اليسوعى مونكلارو – الذى زار الساحل الشرقى لافريقيه فى عام

---

(١) " Letter from Francisco de Brito Factor of Sofala to the King, Sofala 8 August 1519" In Documents on the Portuguese, vol. VI, Doc. No. 2, PP. 17 - 19.

اورد باربوسا فى كتابه نفس المعنى الخاص بمنع تجارة السنابك بين عامى ١٥١٧م – ١٥١٨م ،انظر ، Barbosa, op. cit., P. 9.

(٢) جيمس دفى ،نفس المرجع ،ص ٨٦–٨٧؛ جيان ،نفس المرجع ،ص ٣٤١–٣٤٦ ؛ ترمنجهام ،نفس المرجع ،ص ٥٤ ؛ Gray, op. cit., P. 43.

٩٧٧هـ / ١٥٦٩م - الحالة الاقتصادية التى وصلت اليها الدويلات الاسلامية فيقول:
" وبعد ان مضى على وجودنا هنا ثلاثة أو أربعة أيام ذهبنا الى جزيرة اخرى لها ملكها الخاص بها وتدعى زنجبار .. ان فيها مدينة كانت ذات يوم بحجم كلوه ولكن معظمها الآن خرائب واطلال "

وفى موضع آخر يقول : " لقد كان ملكا كلوه وماليندى هما زعيما ملوك هذه المنطقة ولكنهما الآن حاكمان صغيران تافهان فقيران وليس لهما اية سلطة ويستحقون ان يلقبوا شيوخا اكثر من تسميتهم ملوكا ، ان اهالى جميع هذه المناطق تقريبا هم فى الغالب من الفقراء والمساكين ." (١)

ويصور نفس الحالة جاسبار دى برناديبنو Caspar de Bernadino الذى زار الساحل فى عام ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م فيقول عن ممبسه : " ان سكان المدينة من المسلمين وكانوا سابقا من الأثرياء ويعيشون الآن فى فقر مدقع ان حرفتهم الاكثر انتشارا هى صناعة الحصير والسلال وقبعات القش ." (٢)

ولم يكتف البرتغاليون بتدمير اقتصاد الساحل بل عملوا على نشر النصرانية فيه بارسال البعثات التنصيرية وبناء الكنائس بجانب القلاع وخاصة فى الجزء الجنوبى من الساحل فى سفالة وموزامبيق ،وسار المنصرون على خطى التجار داخل القارة ومن أشهر هؤلاء سانت فرانسيس اكسافيير Sant Francis Xavier الذى قضى ستة اشهر فى موزامبيق بين عامى ١٥٤١ - ١٥٤٢م يزاول مهمة التنصير ،ايضا من هؤلاء المنصرين جونزالو دى سيلفيرا Conzalo de Silvera الذى وصل إلى دويلات الساحل الشرقى لافريقيه فى عام ١٥٦٠م مع عدد من اليسوعيين للتنصير ويعتبر سيلفيرا من أشهر النصارى الذين عملوا فى شرق افريقيه ،ومن المنصرين

---

(١) Father Monclaro, op. cit., PP. 139 , 143 .

(٢) Bernadino, A Journey Along the Coast in 1606, Tr: by John Gray" In East African Coast(Select Documents) edited by Freman - Grenville" P. 157.

أيضا مونكلارو الذى عمل فى الساحل فى عام ١٥٦٩م ،وهناك ايضا القس جواو دوس سانتوس Joao Dos Santos الذى عمل فى موزامبيق وضفاف نهر الزمبيزى بين عامى ٩٩٥هـ - ١٠٠٦هـ / ١٥٨٦م - ١٥٩٧م.

وفى عام ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦م أقيم دير للنصارى فى ممبسة على يد القائد فرانسيسكو دى جاما (حفيد فاسكو دى جاما) وانشىء هذا الدير لنشر النصرانية بين السكان ،كما انتشر القساوسة فى كثير من مدن الساحل وجزره

ولكن نظرا لقسوة المعاملة التى لاقاها السكان من البرتغاليين وتمسك المسلمين بعقيدتهم الاسلامية ،فقد نفروا من اعتناق النصرانية ولم تنتشر بشكل واسع بينهم فى القرن العاشر الهجرى رغم الجهود الجبارة التى بذلها المنصرون .(١)

وقد نجح البرتغاليون فى ابعاد المسلمين عن تعاليم الاسلام عن طريق الغزو الفكرى ونشر الموبقات والرذائل فمثلا يذكر اكسافيير مبعوث البابوية الى غوا الذى زار الساحل عام ١٥٤٢م أن شيخا فى ماليندى أخبره أن المسلمين لا يؤمون المساجد كما كانوا سابقا فهم يترددون على ثلاثة مساجد فقط من المساجد السبع عشرة الموجودة فى ماليندى .(٢)

كما يشير جاسبار دى برناردينو الى ان مستوى الاخلاق قد تدهور بين سكان الساحل وذلك لان البرتغاليين يعيشون فى تلك المنطقة كما يحلو لهم وتنتشر بينهم الرذائل .(٣)

---

(١) Gray, op. cit., PP. 44-46; Coupland, op. cit., PP. 51-52;

جيمس دفى ،نفس المرجع ،ص ٩٥ ؛جيان ،نفس المرجع ،ص ٣٤٤ .

(٢) Xavier, A Visit to Malindi and Socotra in 1542, Tr. by W. E Allen " In East African Coast (Select Documents) edited by Freeman - Grenville." P. 136

(٣) Bernadino, op. cit., PP. 155-156.

وهكذا ونظرا للاوضاع المتردية للمسلمين من جميع النواحى فقد انتفضت مدن الساحل فى ثورة كبرى بقيادة القبطان التركى على بك فى نهاية القرن العاشر الهجرى ،ولكن قدر أيضا لتلك الثورة ضد البرتغاليين أن تفشل لانها لم تقم على اساس متين من الوحدة الاسلامية الشاملة التى تضم جميع مدن الساحل ،هذا بالاضافة الى ان الدولة العثمانية لم تستطع ان تواصل جهودها فى تلك المنطقة مثلما حدث فى البحر الاحمر والخليج العربى نظرا للظروف السيئة التى كانت تواجه الدولة فى ذلك الوقت .

...

الفصل السادس

العثمانيون وحركة الجهاد الإسلامي في شرق أفريقية
« في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري »

أولاً : تحالف العثمانيين مع مسلمي شرق أفريقية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري.

ثانياً : تدهور النفوذ البرتغالي في شرق أفريقية في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر للهجرة.

أولا : تحالف العثمانيين مع مسلمى شرق افريقيه فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى .

أدرك العثمانيون أهمية ساحل شرق افريقيه اثناء الصراع الدائر بينهم وبين البرتغاليين فى البحر الاحمر والخليج العربى والمحيط الهندى ،ولكى يحكم العثمانيون سيطرتهم على البحر الاحمر كان لابد لهم من احكام السيطرة على الموانىء التجارية فى شرق افريقيه مثل سواكن وزيلع ودهلك ومصوع وحرقيقو هذا بالإضافة إلى أهمية تلك الموانىء فى الحصول على منتجات شرق افريقيه وخاصة الذهب والرقيق والعاج ،بالإضافة الى اهمية تلك الموانىء فى قطع الاتصالات بين الحبشة وحليفتها البرتغال .

ولكى تتم السيطرة على الموانىء السابقة انشأ العثمانيون ولاية الحبشة (إيالة الحبش) بين عامى ١٥٥٤م - ١٥٥٥م وهى الولاية التى تضم موانىء سواكن وزيلع ودهلك ومصوع وحرقيقو ،وأول من تولى منصب البكلربك فى ولاية الحبشة هو أزدمر باشا الذى كان له الفضل فى اقناع السلطان العثمانى سليمان القانونى بتأسيسها .

وكان الهدف من تأسيس هذه الولاية بالاضافة الى احكام السيطرة على الموانىء السابقة - هو محاولة فتح الحبشة ومساندة الدويلات الاسلامية المحيطة بالحبشة ،وقد استطاع ازدمر باشا فتح دباروا وبناء حصن بها ثم توغل فى منطقة أجامى واستولى على دبرا داموا فى عام ١٥٥٧م ،ثم واصل تقدمه حتى وصل الى مشارف مزجه ولكنه هزم وعاد الى سواكن .

ثم تحالف العثمانيون مع الامام نور بن الوزير مجاهد فى هرر فأمدوه بالاسلحة والجنود المدربين ليخوض معركته الفاصلة مع النجاشى جلاديوس فى عام ١٥٥٩م حيث انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا .

كما انتهز العثمانيون فرصة نشوب النزاع بين الملك الحبشى ميناس وبين البحر نجش اسحاق - الذى اعلن الثورة ضد مملكة الحبشة - للدخول

فى ذلك الصراع الى جانب البحر نجش اسحاق واستخدامه فى اضعاف موقف الملك الحبشى خاصة بعد تدهور سلطنة هرر ، فبعد أن هزم اسحاق على يد الملك الحبشى ميناس فى موقعة وجرا عام ١٥٦١م فر اسحاق إلى مصوع وعقد حلفا مع عثمان باشا بكلربك ولاية الحبشة (١٥٦١م - ١٥٦٧م) الذى تولى بعد وفاة ابيه أزدمر باشا، ومن شروط هذا الحلف أن يساعد العثمانيون اسحاق على استرجاع ملكه فى مقابل التنازل لهم عن دباروا والبلاد الواقعة بينها وبين مصوع .

وبفضل تلك المساندة استطاع اسحاق أن يسترد عرشه ويعاود الثورة ضد الملك الحبشى سرصادنجل كما أمد العثمانيون عام ١٥٧٧م السلطان محمد الرابع سلطان هرر بالمعونة العسكرية ليخوض المعركة ضد سرصادنجل على نهر ويبى ، ورغم الهزيمة ومقتل السلطان محمد الرابع إلا أن العثمانيين لم يتوقفوا عن مجابهة الملك الحبشى فى أكثر من ميدان .

ففى عام ١٥٧٨م أمد العثمانيون حليفهم البحر نجش اسحاق بالبنادق والذخائر والمدافع وسار معه بكلربك ولاية الحبشة أحمد باشا وتقابل مع جيش الملك سرصادنجل فى عدى كورو Addi Qorro فى منطقة التجراى وكان يقود ميمنة وميسرة جيش الملك الحبشى قائدان هما تكلا جيورجس Takla Giyorgis ودحارجوت Daharagot فهجم القائدان على قلب الجيش العثمانى واشتبك الفريقان فى معركة شرسة قتل فيها من الطرفان اعدادا كبيرة وكان لمدفعية العثمانيين تأثير هائل على سير المعركة حيث تم إبادة عدة فرق من الجيش الحبشى .

وكان يحيط باسحاق ثلاثون فارسا عثمانيا اثناء القتال ولكنه بعد فترة انفصل عنهم بعد اشتدادالمعركة فتعرف عليه آحد قادة الملك الحبشى ويدعى تكلا يوحنا Takla Yohannes فانتظر مروره بجانبه وقذفه بحربته التى اخترقت ظهر اسحاق وقتلته عند ذلك تراجع جيش اسحاق وبدأ افراده فى الفرار تاركين العثمانيين وحدهم فى ميدان القتال ، واستمرت المعركة زمنا طويلا بين العثمانيين والاحباش حتى استشهد القائد أحمد باشا وفر بقية

جنده باتجاه سواكن ومموع ثم اقتحم سرصادنجل قلعة دباروا وأمر جنوده بنهبها فحصلوا على كميات كبيرة من المدافع والبنادق والخيول والبغال والدروع والخوذ والسيوف والرماح والملابس ثم أمر الملك بتدمير القلعة ومسجدها .(١)

وبعد هزيمة عدى كورو تولى رئاسة ولاية الحبشة البكلربك خضر باشا عام ١٥٨٠م .(٢)

وحاول خضر باشا اعادة ما خسره العثمانيون داخل الحبشة فاعاد فتح دباروا وجدد بناء القلعة العثمانية بها وعندما حاول سرصادنجل مهاجمة حرقيقو ودباروا لحقت به الهزيمة على أيدى القوات العثمانية ، وبعد وفاة خضر باشا تولى مصطفى باشا منصب بكلربك ولاية الحبشة ،وفى عهده تم التحالف بين العثمانيين والبحر نجش ولدا عزوم Walda Ezum الذى استدعى القوات العثمانية إلى اقليم التجراى حيث وقعت معركة عنيفة بين العثمانيين وحلفاءهم وجيش الملك سرصادنجل بقيادة دحار جوت انتصر فيها العثمانيون .

ولما علم الملك الحبشى بهزيمة قائده جرد جيشا ضخما من جميع انحاء مملكته وقاده الى دباروا وبالقرب من نهر مرب وقعت معركة بين الطرفين انهزم فيها العثمانيون وتراجع مصطفى باشا إلى داخل حرقيقو وتحصن فى قلعتها فحاصر الملك الحبشى قلعة حرقيقو وهاجمها عدة مرات ولكن قوة التحصينات العثمانية والمدفعية الموجودة فى القلعة وفى السفن المحيطة بها فى الميناء ردت الاحباش على اعقابهم إلى داخل اقليم التجراى .

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, PP. 365-366; Trimingham, op. cit., PP. 97-98; Orhonlu, op. cit., PP. 50-60;

السيد رجب حراز، ارتريا الحديثة ،ص ٣١؛ يوسف احمد ،نفس المرجع ، ص ٣٩ – ٤٠؛ غسان الرمال ،نفس المرجع ،ص ٣١٥-٣١٦.

(٢) ابن المطهر ،نفس المصدر ،ق ٥٦ .

ثم توجه الملك الحبشى لمعاقبة البحر نجش ولدا عزوم وامر قواته بنهب أراضى الفلاحين فى التجراى كتعويض عن خسائره فى حرقيقو . وعند وصوله إلى دباروا وصله مبعوث بكلربك ولاية الحبشة الجديد هداوردى باشا (١٥٨٩م- ١٥٩٣م) يحمل رسالة يعرض فيها الباشا عقد الصلح مع الملك الحبشى فقبل الملك عرض الصلح وتقبل الهدايا المرسلة اليه ثم تفرغ للانتقام من ولد اعزوم فحاصره فى قلعة دباروا ، ولكن ولد اعزوم استطاع الهرب من القلعة فى جنح الظلام ، فأدركه القائد الحبشى عقبا ميكائيل اثناء فراره وقتله .(١)

وقد عقد الاتراك هذا الصلح مع الملك الحبشي نظر اللضعف الذى اصاب الدولة العثمانية في تلك الفترة وانشغالها في ميادين عديدة في أوربا الشرقية .

ولم يستطع البرتغاليون فى خضم تلك الاحداث إمداد الاحباش باية معونة عسكرية كما أنهم لم يتمكنوا من إرسال المزيد من البعثات الدينية بعد بعثة أوفيدو بعد أن أحكم العثمانيون سيطرتهم على ساحل شرق افريقيه وأصبحت عودة أوفيدو إلى الهند مستحيلة بسبب السفن العثمانية الكثيرة التى تنزل بالموانىء وتراقبها وتحرسها فكتب أوفيدو للبابا ولملك البرتغال يحذرهما من مغبة هذا الحصار العثمانى ويلفت أنظارهما الى الخطر المحدق بامبراطورية البرتغال فى الهند من جراء النفوذ العثمانى المتزايد فى البحر الاحمر .(٢)

كما كتب البابا بيوس الرابع Pius IV (١٥٥٩م - ١٥٦٥م) الى ملك البرتغال سباستيان فى السادس من فبراير من عام ١٥٦٣م يحذره من أن فقدان الحبشة وانقطاع صلتها بالبرتغاليين سوف يعرض ممتلكات البرتغاليين فى الهند للضياع ايضا .(٣)

بعد الصلح الذى عقده الباشا هداوردى مع الملك الحبشى تتوقف الحملات

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, PP. 370-371; Trimingham. op. cit., P. 98; Orhonlu, op. cit., PP. 60-68;

السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ، ص ٣١-٣٢، غسان الرمال ، نفس المرجع ص ٣١٨-٣١٩.

(٢) Kammerer, op. cot., lere partie, PP. 287-289.

(٣) Stripling, op. cit., P. 96.

العثمانية داخل الحبشة بعد أن دب الضعف فى القوات العثمانية المرابطة فى شرق افريقيه ،ووجدت الدولة العثمانية أن خسائرها فى الحبشة قد تضاعفت وأن النتائج الايجابية من جهود ها فى ولاية الحبشةلم تتحقق ،هذا بالاضافة الى إنشغالها فى أوروبا والبحر المتوسط وشمال افريقيه وفارس،وبدأ التفكك يدب فى بنية الدولة العثمانية لقد قتل الصدر الاعظم صوقللى محمد باشا اعظم وزراء الدولة العثمانية عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م مما أحدث الخلل والاضطراب فى الوزارة فى الدولة العثمانية وتعاقب على منصب الصدر الاعظم منذ مقتله عشرة وزراء بين عامى ٩٨٧هـ - ١٠٠١هـ / ١٥٧٩م-١٥٩٢م وقد بدأ تمرد الانكشارية فى عام ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م وعظم ضررهم على عاصمة الدولة استانبول،وأعلنت أقطار أوروبا الشرقية الخاضعة للدولة العثمانية الثورة فقد نشبت الحرب بين النمسا وتركيا عام ١٥٩٣م وأدت تلك الحرب الى مقتل حاكم البوسنه العثمانى وفى عام ١٥٩٥م تحالف سجسموند أمير ترانسلفانيا وميخائيل أمير ولاشيا مع امبراطور النمسا رودولف ضد الدولة العثمانية وهاجم جيش المتحالفين العثمانيين فى المجر وفى عام ١٥٩٨م تمكنت النمسا من الوصول إلى عاصمة المجر وفرض الحصار عليها.وزاد من ضعف الدولة العثمانية قيام الثورات ضدها فى آسيا الصغرى .(١)

ودفعت هذه الظروف المحيطة بالدولة فى السنوات الاخيرة من القرن العاشر الهجرى إلى الاستعانة بالزعماء المحليين فى موانئ شرق افريقيه لإدارة ولاية الحبشة فاسندت إدارة مصوع وحرقيقو إلى زعماء قبيلة البللو المحليين [وهى قبيلة من قبائل البجا وسميت بعد ذلك بأسرة النواب] لشغل منصب نائب الحكومة العثمانية فى الساحل وكان مقر " نائب البر " فى حرقيقو ويتقاضى مرتبا شهريا ومبلغا معينا من إيرادات جمرك مصوع فى مقابل امداده جزيرة مصوع بالماء العذب من آبار حرقيقو ،وكان النائب يخضع لولاية جدة ويتم تعيينه بفرمان يصدره الباشا العثمانى فى جده .

---

(١) محمد كمال الدسوقى ،الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ٨٨-٨٩.

وكانت أسرة النواب قد تزعمت قبيلة البللو فى اقليم السمهر Samhar (١).

ولما استولي العثمانيون علي مصوع وحرقيقو انعزلت القبيلة فى المناطق الداخلية تاركة الساحل للعثمانيين .

وكان النائب يقوم بالإضافة إلى مهام الادارة فى مصوع وحرقيقو بمهمة تحصيل أموال الزكاة من القبائل النازلة فى اقليم السمهر ،ورسوم المرور من القوافل المتجهة الىالهضبة الحبشية والقادمة منها ،وفض المنازعات حول مناطق الرعى بينالقبائل .(٢)

وهكذا أصبحت السلطة الفعلية فى يد النائب بينما تحولت سلطة العثمانيين إلى سلطة اسمية فى الساحل الشرقى لافريقيه مع بداية القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) .

اما بالنسبة إلى الساحل الشرقى لافريقيه المطل على المحيط الهندى فلم تستطع الدولة العثمانية فرض سيادتها عليه لانشغالها فى عدة ميادين وأهمها حماية البحر الاحمر و الخليج العربى إلا أن ذلك لم يخرج المنطقة من حسابها نهائيا ،بل كانت تخطط من أجل استغلال كره السكان المسلمين للمحتل البرتغالى لكى تمد لهم يد العون وتساعدهم على خلع نير السيطرة البرتغالية .

ولو رجعنا إلى الأسباب التى أدت بسكان الدويلات فى شرق افريقيه الى التضامن فى ثورة عامة ضد المستعمر البرتغالى لوجدنا أنها أسباب عديدة أهمها عدم تنازل سكان الساحل عن حريتهم فى أوطانهم تلك الحرية التى قضى عليها البرتغاليون باستيلائهم على مقاليد التجارة وقيامهم بعمليات السلب

(١) يضم الاقليم مصوع وحرقيقو والمنطقة الممتدة الي الداخل حتي حدود الهضبة الحبشية .
(٢) السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ، ص ٣٢ – ٣٤؛
Trimingham , op. cit., P. 98.

والنهب والقرصنة حتى وصلت الدويلات إلى درجة الفقر والعوز بعد أن فرض المحتلون احتكارهم على البحر وعلى التجارة ،وهاجموا السفن الاسلامية وطردوها من ميادين التجارة فى الساحل الافريقى والمحيط الهندى وقطعوا العلاقات التجارية القديمة مع الهند وحتى عمليات التجارة بواسطة القوارب الصغيرة والتى كانت تتم خلسة لم تسلم من شرهم فقضوا عليها .

وينبغى أيضا أن نشير إلى أنه من أسباب ثورة السكان فى الساحل هو ابتزاز البرتغاليين للجزية السنوية من دويلات الساحل رغم الظروف السيئة التى كانت تمر بها بعد ان تراجع ازدهارها التجارى والحضارى على ايديهم.

لقد كان البرتغاليون فى معاملتهم للمسلمين عدوانيين بعيدين عن الرحمة ويغلب عليهم الصلف والكبرياء ولم يكن للجنود البرتغاليين فى تلك الدويلات من عمل سوى الاضرار بالسكان واذلالهم وارتكاب الفضائح والرذائل فكانوا يحصلون على جميع احتياجاتهم المعيشية من المسلمين دون مقابل،ففى بمبا كان الجنود البرتغاليون يفرضون على المزارعين طلباتهم التى لا تنتهى مما أدى الى تدهور حالة المزارع ،هذا بالاضافة إلى عمليات السرقة التى يمارسونها علانية فمثلا اذا دخلت دجاجة أحد المسلمين فى بمبا منزل احد البرتغاليين وجاء المسلم يطلبها اجابه البرتغالى أن الدجاجة جاءت الى منزله لانها تريد أن تتنصر ولذا فانه لا يستطيع ردها اليه وبهذا الاسلوب يسرقون الماشية والاغنام وغيرها . واذا ما مر نصرانى أمام بيت احد المسلمين وحدث أن تعثر بحجر او أصابه مكروه فالمسؤول عن ذلك المسلم رجلا او امرأة وعليه بالتالى أن يدفع تعويضا باهظا عما أصاب البرتغالى وغالبا ما يكون هذا التعويض من الاقمشة أو الحبوب او الأرز او الدجاج او غيرها حسبما يحلو للبرتغالى أن يحصل عليه ،وقد أطلق مسلمو بمبا على البرتغاليين اسم " محتالو بمبا " .(١)

---

(١) Gray, op. cit., PP. 57-58.

كما تعود أهالى الساحل عموما أن يطلقوا على الحاكم البرتغالى اسم الشيطان .(١)

وكره السكان فى الساحل السيطرة البرتغالية البغيضة لأنها نجحت فى استغلال الخلافات القديمة القائمة بين الدويلات لبث الفرقة والمنازعات بينها ،ولكن هذه الوسيلة لم تفلح فى إخماد شعلة الكراهية المتقدة ضد البرتغاليين بين جموع المسلمين .

وقد تزعمت ممبسة حركة الجهاد ضد الاحتلال البرتغالى فدمرها البرتغاليون عدة مرات : فى المرة الاولى على يدى كابرال عام ١٥٠٠م ،وفى المرة الثانية على يدى الميدا عام ١٥٠٥م وفى الثالثة على يدى نونو دى كونها عام ١٥٢٨م، ورغم ذلك فقد كانت تنهض فى كل مرة وتعيد بناء نفسها وتجدد تسليحها استعدادا لخوض غمار الجهاد ضد البرتغاليين رغم أنها كانت تقف أمامهم وحيدة فى معظم الاحيان بعد أن انحازت جاراتاها ماليندى وزنجبار إلى جانب العدو البرتغالى وقامتا بتحريضه ضد ممبسة .

وعلى الرغم من أن ممبسة بقيت بعد تدميرها عام ١٥٢٨م سنوات طويلة دون أن تخوض حربا علنية ضد البرتغاليين إلا أنها كانت مستمرة فى حربها الخفية ضد الحامية البرتغالية والقلعة وذلك بشن الهجمات على المنشآت العسكرية واغتيال البرتغاليين ممن يجرؤون على التجول خارج حدود القلعة

وكانت ممبسة تتحين الفرصة فى تلك السنوات التى بلغت حوالى نصف قرن من الزمان لإعلان ثورتها ضد الاحتلال البرتغالى حتى حانت تلك الفرصة فى عام ١٥٨٦م .

كان أهالى بمبا يشاركون أهالى ممبسة فى كفاحهم العلنى والخفى ضد البرتغاليين فبالاضافة الى تهربهم المستمر من دفع الجزية للبرتغاليين كانوا لا يسمحون لهم بانتهاك حرمات أهالى الجزيرة وذلك باقتناصهم فى أماكن تواجدهم وتدمير ممتلكاتهم .

---

(١) احمد المعمرى ،نفس المرجع ،ص ٥٢ .

وهكذا اخذ اهالى ممبسة وبمبا وزنجبار ولامو ومافيا وبات وبراوه ، وفازا وكيلفى يتهيأون لانتهاز أى فرصة للانقضاض على البرتغاليين . (١)

وفى عام ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م كلف السلطان العثمانى مراد الثالث (٩٨٢هـ/ ١٠٠٤هـ/ ١٥٧٤م - ١٥٩٥م) الامير على قبودان بالتوجه إلى الساحل الشرقى المطل على المحيط الهندى للتصدى للأساطيل البرتغالية هناك وتشجيع الدويلات الاسلامية على الانضمام إلى الدولة العثمانية ،وكانت للأمير على مجهودات كبيرة فى حماية البحر الأحمر واسترداد مسقط من البرتغاليين فى عام ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م ولما اتضح للسلطان العثمانى قدرات هذا القائد وشجاعته كلفه بالمهمة السابقة ،فخرج الأمير على فى عام ١٥٨٦م بسفينة حربية واحدة عليها ثمانون رجلا وذلك لاستطلاع أحوال الساحل ومعرفة الرأى العام للسكان فيه ومدى استعداداهم للثورة ضد البرتغاليين وقبول السيادة العثمانية .

وصل الامير على فى أول الأمر إلى مقديشو حيث استقبله مشائخها مرحبين وأعلنوا عن استعدادهم للخضوع للسلطان العثمانى مراد الثالث ووعدهم الأمير على بأن الدولة العثمانية سترسل أسطولا ضخما إلى الساحل الشرقى لتأمين الحماية له من الاساطيل البرتغالية وتحريرهم من الاحتلال البرتغالى .

بعد ذلك ترك الأمير على مقديشو وتوجه إلى بقية مدن الساحل مثل براوه وكسمايو وفازا وبات ولامو وكليفى وممبسة واستطاع الأمير على فى فترة بسيطة أن يشعل نار الحماس والثورة فى المدن التى مر بها، وطلب منه ملك ممبسة أن يبنى قلعة تركية فى مدينته دلالة على قبوله السيادة العثمانية ووضع حامية عثمانية فى تلك القلعة لتأمين حماية المدينة، ولكن الامير على وعد تلك المدن بالعودة اليها مرة اخرى فى أقرب فرصة بأسطول مجهز

---

(١) Coupland, op. cit., PP. 57-58; March & Kingsnorth, op. cit., PP. 14-15;
احمد المعمرى ،نفس المرجع ،ص ٥١-٥٢؛ صلاح العقاد - جمال زكريا نفس المرجع ،ص ٢٦؛ جيمس دفى ،نفس المرجع ،ص ٨٠-٨١؛ ترمنجهام ،نفس المرجع ،ص ٥٥ .

تجهيزات عسكرية ضخمة لتنفيذ كل ما وعدهم به وفى طريق عودته تصدى لكثير من السفن البرتغالية وانتصر عليها ودمرها واستولى على كثير من الغنائم وعاد وفى قبضته كثير من الأسرى البرتغاليين حيث بلغ عددهم خمسين اسيرا وصل بهم إلى اليمن ومن هناك بعث بهم إلى الباب العالى .(١)

ولم تلبث أخبار هذه الثورة أنوصلت إلى نائب الملك فى الهند دوارت دى مينزيس Duart de Meneses (١٥٨٤م – ١٥٨٨م) عن طريق ملك ماليندى حليف البرتغاليين ،فقرر نائب الملك إرسال اسطول ضخم بقيادةمارتن الفونسو دى ميلو بومبيرو Martin Alfonso de Pombeyro ويتكون أسطولهمن ثمان عشرة سفينة تحمل ستمائة وخمسين جنديا وتوجه إلى الساحل لاخضاعه مرة أخرى وذلك فى عام ١٥٨٧م .

لقد خشى البرتغاليون أن يستولى العثمانيون على مواطن الذهب فى كواما .

وعندما وصل القائد البرتغالى إلى الساحل بدأ بمعاقبة ممبسة فحاصرها ودارت معركة غير متكافئة بين أهالى المدينة والبرتغاليين هزم فيها المدافعون عن المدينة واقتحمها البرتغاليونوأباحوها للسلب والنهب ثم أضرموا فيها النيران بعد أن هرب ملكها الى البر الرئيسى .

أما مقديشو فقد خشى مارتن الفونسو الاقتراب منها لأنه كان متيقنا من هزيمته أمامها إن حاول الاقتراب منها نظرا لحصانة موقعها وبسالة سكانها أما بات ولامو فقد أعلنتا الاستسلام للبرتغاليين بعد ان شاهدتا تدمير ممبسة وفازا .

---

(١) ابن المطهر ،نفس المصدر،ق ١٧٣؛جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٧٨–٢٧٩؛ احمد المعمرى ،نفس المرجع ،ص ٥٢ – ٥٣؛ الشاطر بصيلى ،تاريخ وحضارات السودان ،ص ٤٦٢–٤٦٣؛شوقى الجمل ،نفس المرجع ،ص ١٧٢، انظر ايضا ؛
Coupland, op. cit., P. 58; Parry , op. cit., PP.99-100; Oliver & Mathew , op. cit., vol.I. PP. 137-138.

اما بالنسبة لفازا فقد صب البرتغاليون جام غضبهم عليها لان ملك فازا اعدم قائد الحامية البرتغالية المدعو جواو رابيلو Joao Rabelo بعد أن استولى على القلعة البرتغالية فى المدينة .

هاجم البرتغاليون المدينة وبعد مقاومة عنيفة واستبسال السكان واستشهاد كثير من المدافعين اقتحم البرتغاليون المدينة وقتلوا ملكها وأعملوا فيها المذابح ولم ينج النساء والاطفال من وحشيتهم ثم اباحوها للسلب والنهب والأسر مدة عشرة أيام ثم احرقوا المدينة والمزارع والغابات وثمانية آلاف شجرة نخيل مزروعة حول المدينة وتم تدمير الميناء ثم رحل البرتغاليون عن فازا بعد أن ساووها بالأرض وحملوا رأس الملك معهم الى غوا على سارية السفينة وطافوا بهسواحل الهند نشوة بالنصر .(١)

وفى عام ١٥٨٨م عاد الأمير على إلى الساحل مرة أخرى باسطول مكون من خمس سفن بعد أن استنجدت به دويلات الساحل وأرسلت رسلها اليه وهو فى قاعدته عدن ،وما أن وصل حتى استقبلته الدويلات الاسلامية مرحبة ومعلنة الثورة من جديد ضد الاحتلال البرتغالى رغم أنه لم يمض وقت طويل على الدرس الذى لقنه البرتغاليون لمدن الساحل ،وكانت كل مدينة يتوقف عندها الامير على تعلن انضمامها اليه منمقديشو شمالا الى ممبسة جنوبا عدا ماليندى التى اتخذت موقفها المعتاد المتخاذل أمام المسلمين لذلك قرر الأمير على محاصرة ماليندى والاستيلاء عليها بالقوة ولكن قائد القلعة البرتغالية فى ماليندى المدعو ماثيوس دى فاسكونسيلوس Matheus de Vasconcalos تصدىللامير على وقاومه مقاومة اضطرته إلى الانسحاب والتوجه الى ممبسة لاعادة تجهيز قواته ومعاودة حصار ماليندى .

---

(١) Father Joao dos Santos, Ethiopia Oriental (1586-1597) Tr. by E. Axelson, in East African coast (Select Documents) edited by Freeman - Grenville. P. 150 ; Sousa, op. cit., vol. III, PP. 38-40; Coupland, op. cit., PP. 58-59;
انظر ايضا جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٨٠؛ جيمس دفى ، نفس المرجع ،ص ٨٢؛ صلاح العقاد – جمال زكريا ،نفس المرجع ،ص ٢٦ – ٢٧؛ احمد المعمرى نفس المرجع ،ص ٥٣ .

وفى تلك الاثناء اعلنت جزيرة بمبا الثورة على البرتغاليين وفى احدى الليالى هجم الاهالى على ملكهم الخاضع للبرتغاليين وارادوا قتله ولكنه استطاع الفرار مع بعض اعوانه الى احد الزوارق الراسية فى الميناء وتوجه الى ماليندى حيث لقى الحماية من ملكها .

كما هاجم الاهالى القلعة البرتغالية ودمروها وقتلوا معظم البرتغاليين فيها .(١)

ثم وصلت أنباء قدوم العثمانيين إلى الساحل مرة اخرى الى نائب الملك فى الهند مانويل دى سوزا كوتنهو Manuel de Sousa Coutinho (١٥٨٨م – ١٥٩٠م) فبادر بارسال نجدة عبارة عن أسطول مكون من عشرين سفينة تقل تسعمائة مقاتل ووضعها تحت قيادة أخيه توم دى سوزا كوتنهو Tom de Sousa Coutinho، ووصل الاسطول البرتغالى فى بداية عام ١٥٨٩م ومر على مدن براوة وفازاولامو وماليندى ثم تقدم الى ممبسة وحاصرها ،وكان الأمير على موجودا بها وأثناء الحصار وصلت قبيلة متوحشة من أكلة لحوم البشر تدعى قبيلة الزمبا وحاصرت المدينة من ناحية البر الرئيسى .

كان هؤلاء الزمبا قد نزحوا من موطنهم الأصلى فى شمال نهر الزمبيزى وكان من عادة هذه القبيلة أن تأكل اسراها وعبيدها ممن لا يصلحون للعمل ،وأثناء زحفهم اكتسحوا المناطق التجارية العربية فى وادى نهر الزمبيزى فى سينا وتيت وقضوا عليها ثم واصلوا زحفهم نحو شمال الساحل مدمرين جميع المناطق التى يمرون بها ،وكانت مدن شمال الساحل فى تلك الفترة قد أعلنت الثورة ضد البرتغاليين وفى عام ١٥٨٧م وصلت هذه القبيلة المتوحشة الى كلوه وحاصرتها من ناحية البر وكان يبلغ عدد أفراد القبيلة خمسة آلاف نفر وكان البحر يفصلهم عن جزيرة كلوه ولذلك انتظروا حتى انخفض مستوى المياه فى

---

(١) Gray, op. cit., P. 58; Oliver & Mathew, op. cit., P. 138; Coupland, op. cit., P. 59.

المضيق بسبب عملية الجزر فعبروا البحر ودخلوا كلوه فجأة دون علم سكانها واخذوهم على حين غرة وذبحوا ثلاثة آلاف منهم ونهبوا المدينة ثم تركوها وتوجهوا لمحاصرة ممبسة فوجدوا فى الخليج المحيط بالجزيرة أربعة سفن من سفن القائد العثمانى الأمير على وتصدت لهم تلك السفن واطلقت عليهم المدافع فقتلت اعدادا كثيرة منهم ولكن قدوم القائد البرتغالى توم دى سوزا وحصاره للمدينة وانشغال العثمانيين بمقاومته أعطت للزمبا الفرصة لاستعادة قواتهم والاقتراب من المدينة اكثر وتمكن البرتغاليون من هزيمة العثمانيين وتدمير ممبسة بكاملها أمام اعين قبيلة الزمبا ،فأرسل رئيس القبيلة الى القائد البرتغالى دى سوزا يهنئه على انتصاره ويطلب منه السماح لقبيلته بالعبور الى ممبسة لنهبها وأسر من نجا من سكانها أثناء الهجوم البرتغالى ،فوافق على طلبه دى سوزا وبدأ هجوم القبيلة فاصبح أهالى ممبسة والعثمانيين بين نارين فمن ينجو من سهام الزمبا لا ينجو من بنادق البرتغاليين وأخذ كثير من السكان والعثمانيين يلقون بأنفسهم الى البحر ليحصدهم البرتغاليون وكان من ضمن هؤلاء الأمير على فقد أسره البرتغاليون وأرسلوه الى لشبونه حيث مات تحت التعذيب بعد أن فشلوا فى اجباره على التنصر.(١)

ثم ترك القائد البرتغالى دى سوزا ممبسة وتوجه إلى لامو لاخضاعها فاعدم شيخها وشقيق شيخ كليفى واثنين من أعيان بات ،وفرض على مدن الساحل جزية بقدر ما أنفق البرتغاليون على هذه الحملة من أموال .

ثم سار دى سوزا بعد ذلك إلى جزيرة ماندا فنهبها وأمر بقطع اشجار النخيل والتى تحيط بها والتى بلغ عددها الالفين ذلك لان هذه الجزيرة قد اعترضت على رسو اسطوله فى مينائها عند قدومه لحصار ممبسة .

---

(١) Dos Santos, op. cit., PP. 147-149; Alpers, op. cit., P. 50; Coupland, op. cit., PP. 60-61; Oliver & Mathew, op. cit., vol. I, PP. 138-139; Milles, op. cit., P. 181;

انظر ايضا جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٨٠-٢٨٣؛ احمد المعمرى ،نفس المرجع ص ٥٢ - ٥٤ .

ثم فرض دى سوزا معاهدة على مدن الساحل تمتنع بموجبها هذه المدن عن مديد العون للعثمانيين مرة اخرى .

اما قبيلة الزمبا فقد تركت ممبسة وتوجهت الى ماليندى وحاصرتها برا فتصدى لها الملك وحامية الجزيرة من البرتغاليين بقيادة ماثيوس دى فاسكونسيلوس ولكنهم لم يستطيعوا القضاء عليهم واصبحت المدينة على وشك الوقوع فى قبضتهم عندما انقضت قبيلة وثنية اخرى وتدعى قبيلة السيجيجو Segegu على قبيلة الزمبا من الخلف وابادوهم عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم سوى مائة نفر مع زعيمهم ففروا عائدين إلى موطنهم شمال نهر الزمبيزى .

ثم وصل إلى ماليندى القائد البرتغالى توم دى سوزا فعمل على إرجاع ملك بمبا الهارب بعد الثورة الى عرشه بالقوة وعلى الرغم من كره الاهالى له فأرسله مع القائد دى فاسكونسيلوس الذى لم يلق معارضة من السكان بسبب الذعر الذى اكتنفهم مما أحدثه البرتغاليون وقبيلة الزمبا فى مدن الساحل ولكن لم يلبث اهالى بمبا أن ثاروا ضد الملك الالعوبة وطردوه من المدينة عام ١٥٩٣م فلجأ الى قلعة يسوع فى ممبسة والتى أنشئت فى نفس العام حيث تنصر وتزوج من يتيمة برتغالية .(١)

وبعد رحيل توم دى سوزا الى الهند قام ملك ماليندى بالهجوم على شيخ كليفى الذى كان من اقارب ملك ممبسة واستخدم فى هجومه القوات البرتغالية المرابطة فى حصن ماليندى بالاضافة الى اعدادا كبيرة من قبيلة السيجيجو .

قتل شيخ كليفى اثناء الهجوم واستولى ملك ماليندى على المدينة ولما علم ملك ممبسة بما حدث جمع جيشا من الوثنيين فى البر الرئيسي وهاجم

---

(١) Dos Santos. op. cit., P. 150; Coupland, op. cit., P. 61; Alpers, op. cit., PP. 50-51; Gray, op. cit., PP. 58-59; Oliver & Mathew, op. cit., vol.I, P. 139;

جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٨٣–٢٨٥؛ ترمنجهام ،نفس المرجع ،ص ٥٣–٥٤.

ماليندى فتصدت له قبيلة السيجيجو وهزمته هزيمة منكرة قتل فيها هو وأبناؤه الثلاثة وعاد المنهزمون الى ممبسة والسيجيجو فى آثارهم حتى دخلوا المدينة فنهبوا وأسروا وفر من نجا من السكان إلى الادغال والأحراش فى الجزيرة .

ثم أرسل رئيس قبيلة السيجيجو إلى ملك ماليندى الشيخ احمد يخبره بالظفر ،وأرسل اليه أيضا وجهاء ممبسة وأعيانها وأحد أبناء الملك المقتول ليقدموا اليه فروض الطاعة والولاء وكان ذلك فى عام ١٠٠١هـ / ١٥٩٢م.

وهكذا تم لماليندى ما كانت تتمناه طوال قرون عديدة وهو فرض سيطرتها على ممبسة .

وبعد أن خضعت ممبسة لماليندى وفقدت استقلالها الذاتى نهائيا ،وبعد أن شعر البرتغاليون بخطر العثمانيين الزاحف من الشمال قرروا تكثيف وجودهم فى شمال الساحل المطل على المحيط الهندى ونقل مقر السيادة البرتغالية من موزامبيق فى الجنوب الى ممبسة فى شمال الساحل ،كما قرروا بناء قلعة ضخمة حصينة سموها قلعة يسوع Fort Jesus .(١)

بدأ البرتغاليون فى بناء قلعة يسوع فى الحادى والعشرين من ابريل عام ١٥٩٣م وجاءوا لهذا الغرض بمهندس معمارى ايطالى كان يعمل لدى البرتغاليين فى الهند كمشرف على قوة التحصينات البرتغالية ،ويدعى هذا المعمارى جون باتيست كايراتو John Batist Cairato وقد ارسله نائب الملك فى الهند ماثيوس دى البوكيرك Matheus de Al buquerque برفقة اسطول برتغالى بقيادة ماثيوس دى فاسكونسيلوس وطلب اليه دراسة موقع الحصن وعمل مخطط له على ان يصادق دى فاسكونسيلوس على ذلك المخطط .(٢)

---

(١) ترمنجهام ،نفس المرجع ،ص ٥٤- ٥٥؛ جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٨٩؛ السيد رجب حراز ،افريقيه الشرقية والاستعمار الاوروبى ،ص ١٨ - ٢٠ ؛
Gray , op. cit., PP. 92-93.

(٢) Boxer & Azevedo, Fort Jesus, PP. 89-95.

واستخدم البرتغاليون فى بناء هذا الحصن الفنيين من الهند والعمال من ماليندى وتم بناؤه عند مدخل الميناء ،وقبل أن يستكمل البناء وضع البرتغاليون فى قلعة يسوع قوة برتغالية قوامها مائة جندى وعلى رأسهم قائد تمتد سلطته من براوه حتى رأس دلجادو ،ثم أصبحت ممبسة مركزا للبعثات التنصيرية فى شرق افريقية وصدرت الاوامر من لشبونة بتشجيع البرتغاليين على الاستيطان بها وتوزيع الأراضى الزراعية على المستوطنين البرتغاليين وتشغيل العبيد فى زراعتها .

وبالتدريج اخذت ماليندى فى الاضمحلال بعد أن تركزت الادارة البرتغالية فى ممبسة فنقل ملك ماليندى المدعو حسن بن احمد مقر سلطته من ماليندى الى ممبسة وكافأه البرتغاليون بأن منحوه ثلث دخل الجمرك فيها .

وفى عام ١٥٩٦م وصل الى ممبسة دوم فرانسيسكو دى جاما Dom Francisco de Gama نائب الملك فى الهند فأمر بزيادة رقعة مبانى حصن يسوع لتقوية المراكز الدفاعية ثم نظم الجمارك فى الميناء وصار البرتغاليون يرغمون السفن على التوقف فى ممبسة لدفع الرسوم الجمركية التى تقدر ب ٦٪ من قيمة السلع المحمولة على السفن .

وفى عام ١٦٣٠م استكمل بناء القلعة فأصبحت أقوى الحصون البرتغالية فى شرق افريقيه .(١)

اذن نجد انه فى الفترة التى تراجع فيها العثمانيون عن مواصلة الجهاد فى فتح الحبشة تراجعوا أيضا عن مد نفوذهم فى الساحل الشرقى المطل على المحيط الهندى مما أتاح للبرتغاليين فرصة بناء قلعة يسوع ونقل مركز ادارتهم الى ممبسة .

---

(١) Coupland. op. cit., PP.61-62; Marsh & Kingsnorth, op. cit., PP. 15-16; Oliver & Mathew, op. cit., vol.I, PP. 139-140;

جيان ،نفس المرجع ،ص ٢٩١؛ ترمنجهام ،نفس المرجع ،ص ٥٥؛ السيد رجب حراز افريقيه الشرقية والاستعمار الاوروبى ،ص ٢٠-٢١؛ جمال زكريا ،نفس المرجع ص ١٠٢-١٠٣.

وهكذا ظن البرتغاليون بانهم قد ثبتوا اقدامهم فى ساحل شرق افريقيه المطل على المحيط بعد تدمير ممبسة ولكنهم لم يهنأوا بالامر طويلا فقد تدفقت سفن الدول الاوروبية الاخرى مثل هولندا وانجلترا وفرنسا الى الساحل تزاحمهم مع بداية القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى .

...

ثانياً: تدهور النفوذ البرتغالى فى شرق افريقيه فى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر للهجرة.

مع نهاية القرن العاشر الهجرى وبداية القرن الحادى عشر بدأ النفوذ البرتغالى فى شرق افريقيه فى التراجع وبدأت قوتهم فى الانحطاط ، وذلك لاسباب خاصة تتعلق بسياسة البرتغال فى الشرق واسباب عامه تتعلق بتطور الاحداث فى أوربا وأثرها على تدهور السلطة البرتغاليه فى الشرق عامة وشرق افريقيه خاصة.

فمن الاسباب الخاصة :فساد الادارة البرتغالية فى الشرق حيث كان يتم تعيين نائب الملك فى الهند لمدة ثلاث سنوات وفى هذه المدة كان يتفرغ هو وموظفوه لجمع الثروات بالطرق غير المشروعه قبل أن يحل مكانه نائب آخر، وسرى هذا النظام على جميع حكام القلاع فى الهند والخليج العربى وشرق افريقيه. أما بالنسبه لشرق افريقيه فكان يباع فى لشبونه منصب القائد العام فى موزامبيق لمن يتعهد بدفع مبالغ باهظة فى بداية تعيينه فى منصبه الذى يستمر لمدة ثلاث سنوات ،فكان على القائد الذى يحصل على المنصب أن يسدد المبالغ المستحقه للتاج البرتغالى بالاضافة الى جمع ثروته الخاصة كل ذلك كان يتم عن طريق النهب وأعمال الظلم والقسوة تجاه سكان شرق افريقيه ، وبالتالى إفقارهم والوصول بهم إلى درجة العوز والفاقه كما دب الفساد فى العناصر العسكريه من الضباط والجنود البرتغاليين الذين كانوا يشكلون النسبة الرئيسية من البرتغاليين فى الشرق ،فقد انشغل هؤلاء الضباط والجنود بأعمال التجارة لتحقيق الثراء السريع وتركوا واجباتهم العسكريه وبالتدريج تحول القادة إلى تجار وبدأ زمام السيطرة على الساحل يفلت من ايديهم.(١)

كما ساهمت حركات المقاومه العنيفة المتتالية التى قام بها مسلمو شرق افريقيه ضد البرتغاليين فى اضعاف النفوذ البرتغالى مع نهاية القرن

---

(١) السيد مصطفى سالم، نفس المرجع ، ص ٤١٩- ٤٢٠

العاشر الهجرى .

فقد كانت تلك الثورات تكلف البرتغاليين الكثير من الأموال والرجال .

أيضا من أسباب تدهور النفوذ البرتغالى هو إهمال البرتغاليين لاقتصاد الدويلات الاسلاميه وتدهور الأمن والاستقرار فيها والقضاء على حرية العقيدة لسكانها المسلمين.(١)

فقد فرض البرتغاليون الديانه النصرانية على المسلمين بالقوة مما أثار ضدهم جوا من الكراهية والحقد وجعل المسلمين ينتهزون ادنى الفرص للانقضاض عليهم والتخلص منهم. وقد أدرك البرتغاليون متأخرين أن العقيدة الاسلامية لاتقهر أمام موجات البعثات التنصيريه التى دفعوا بها الى شرق افريقيه .

ومن الاسباب التى أدت الى سرعة انهيار النفوذ البرتغالى فى الشرق ضآلة القوة البشرية للبرتغال فان صغر حجم دولة البرتغال وقلة عدد سكانها ساهم فى عدم مقدرتها على تنفيذ جميع خططها الاستعمارية فى الشرق فلم يكن هناك اعداد كافية من الجنود لإرسالهم الى مستعمراتها للمحافظة عليها ممادفع بالبرتغاليين إلى الاستعانة بالمرتزقة والعبيد ليشكلوا جزءا كبيرا من الحاميات فى المراكز التجارية، هذا بالاضافة الى صعوبة خطوط المواصلات الطويلة بين البرتغال وشرق افريقيه ممايجعل تجهيز الاساطيل وارسالها الى الهند يستغرق وقتا طويلا.(٢)

---

(١) Marsh & Kingsnorth, op. cit., PP. 16-17.

(٢) Ibid., P. 16. ; Chttick , op. cit., P. 231.

ومن اهم الاسباب التى ساهمت فى ضعف النفوذ البرتغالى فرض العثمانيين نفوذهم فى البحر الاحمر والبحر العربى وتصديهم للبرتغاليين خلال القرن العاشر الهجرى وقطع اتصالاتهم مع مملكة الحبشة النصرانية واحباطهم لمحاولات البرتغاليين تكوين جبهة نصرانية مع الاحباش فضلا عن نجاح العثمانيين فى كسر الحصار الذى فرضه البرتغاليون على التجارة المارة بالبحر الاحمر فى منتصف القرن العاشر هذا بالاضافة الى أن الحملات البحرية العثمانية فى الخليج العربى والمحيط الهندى قد الحقت خسائر فادحة بالاساطيل البرتغاليه المتجولة فى تلك البحار.

أما الاسباب العامة التى ساهمت فى تدهور النفوذ البرتغالى فى الشرق هو استيلاء اسبانيا على عرش البرتغال عام ١٥٨٠م بعد وفاة ملكها سباستيان وانقراض الذكور من الاسرة المالكه البرتغالية، وقام نزاع الوراثة بين اسبانيا والبرتغال ذلك النزاع الذى نشأ من الزيجات المتعددة بين الاسرتين البرتغالية والاسبانيه.

وتمكن فيليب الثانى Philip II (١٥٥٦م - ١٥٩٨م) من الوصول الى عرش البرتغال والاحتفاظ به حتى وفاته عام ١٥٩٨م، واستمرت اسبانيا تحتفظ بعرش البرتغال حتى عام ١٦٤٠م حينما استطاع جون الرابع John IV من بيت براجانزا Braganza البرتغالى تحرير البرتغال من السيطرة الاسبانيه التى استمرت ستين عاما. ونتيجة لهذا الخضوع وجدت البرتغال نفسها قد زج بها فى نزاعات اسبانيا مع هولندا وانجلترا، فقد أعلنت هولندا استقلالها عن التاج الاسبانى وأغلق الملك فيليب الثانى موانئ اسبانيا والبرتغال فى وجه الهولنديين ، لذلك قرر الهولنديون ضرب الاحتكار البرتغالى للتجارة الشرقية باعتبارها جزء من اسبانيا.

كما ان انجلترا استطاعت هزيمة الاسطول الاسبانى الارمادا واغراقه عام ١٥٨٨م أمام الشواطئ الانجليزية ووجدت البرتغال نفسها فى هذه الحرب بجانب اسبانيا ضد انجلترا طوعا او كرها. وبعد أن قرر الانجليز محاربة

الهولندية قد هاجمت موزامبيق ثلاث مرات متتالية فى الاعوام١٦٠٤م و ١٦٠٧م و ١٦٠٨م.(١)

ولم يلبث أن وفد منافسون جدد الى الشرق هم الانجليز فكانت الضربة الاقوى الموجهة ضد النفوذ البرتغالى فى شرق افريقيه ،ودارت أول سفينة انجليزية حول راس الرجاء الصالح عام ١٥٩١م بقيادة سيرجيمس لانكستر Sir James Lancaster وتوقفت فى زنجبار على الساحل الشرقى لافريقيه لمدة ثلاثة أشهر فى انتظار تغير هبوب الرياح الموسميه لمتابعة رحلتها الى الهند. وفى الحال تصدى لهم البرتغاليون وأخذوا فى تحذير الاهالى فى الساحل منهم متهمين الانجليز بالوحشية وأكل لحوم البشر، ولكن سرعان ما أدرك السكان بطلان هذا الادعاء بعد أن لمسوا تصرفات الانجليزالوديه.(٢)

ورغم ذلك فلم يثق الاهالى بالانجليز وقد أدركو بأنهم اعداءجدد قدموا للسيطرة على بلادهم ،فتعرض ربان سفينة لانكستر وبحارته فى جزر القمر للهجوم ،فقتل عددمنهم قبل أن يتوجه الى زنجبار.

وعاد لانكستر الى انجلترا عام ١٥٩٤م حاملا معه مايؤكد على أن البرتغاليين ينفردون باحتكار ثروات الشرق وتصديرها إلى أورباوأن على انجلترا أن تخوض خوضهم وتبعدهم عن ذلك الميدان مهما كلف الامر.كماكشفت رحلته عن ان مخاطر الطريق البحرى الطويل الى الهند اضعاف مخاطر طريق البحر المتوسط الا أن فرص الحصول على الثروة كبيرة جدا.(٣)

---

(١) جيان ، نفس المرجع ،ص ٢٧٠ – ٢٧١؛ السيد رجب حراز، افريقيه الشرقيه والاستعمار الاوربى ،ص ٢٥–٢٦، نوال حمزة الصيرفي ،نفس المرجع ، ص ١٨٢ .

(٢) James Lancaster, The First English Visit 1591-92, " In East African Coast (Select Documents) edited by Freeman - Grenville" PP. 152 - 153; Gray , op. cit., PP. 38-40;

انظر ايضا:
احمد المعمرى ،نفس المرجع ،ص ٥٤– ٥٥؛ السيد رجب حراز،بريطانياوشرق افريقيه ،ص ٣–٤.

(٣) السيدرجب حراز،بريطانيا وشرق افريقيه ،ص ٤.

ولم تلبث السفن الانجليزيه أن تتابعت الى الشرق عن طريق راس الرجاء الصالح.

وفى عام ١٥٩٩م تقدم نفر من التجار الانجليز بطلب الى الملكه اليزابيث الاولى للموافقه على اعطائهم حق ممارسة التجارة فى الشرق .

وفى عام ١٦٠٠م وقعت الملكه اليزابيث الأولى المرسوم الخاص بتأسيس شركة الهند الشرقيه الانجليزيه تحت اسم" حاكم وشركة تجار لندن للعمليات التجارية فى الهند والاقطار المجاورة"
" The Governor and Comany of Merchants of London Trading into the East Indies. " .

وأعطى هذا المرسوم الشركة الحق فى احتكار التجارة الشرقية لمدة خمسة عشر عاما ، وحق امتلاك الأراضى فى المنطقة الواقعة الى الشرق من راس الرجاء الصالح.

ثم بدأ الانجليز فى تأسيس مراكز لهم على الساحل الهندى والخليج العربى وساحل شرق افريقيه.

واخذت الشركة الانجليزية فى مزاحمة الهولنديين،ثم تعاون المتنافسان على القضاء على الاحتكار التجارى البرتغالى ،ولم يعد البرتغاليون يشكلون خطرا حقيقيا على التجارة منذ منتصف القرن الحادى عشر الهجرى(١٧م) بل انتقل التنافس فى هذا الميدان بين الهولنديين والانجليز،وفى عام ١٦٦٤م أسس الفرنسيون شركتهم التجارية وانضموا الى بقية المتنافسين الاوربيين للخوض فى ميدان الاستعمار لبلدان الشرق .(١)

---

(١) Coupland, op. cit., PP. 52-56;

انظر ايضا

مصطفى النجار،شركة الهند الشرقيه ،مجلة دراسات الخليج،العدد(١٦)لعام ١٩٧٨م ،ص ١٠٢؛ جيان، نفس المرجع ،ص ٢٧٢؛ السيد رجب حراز، افريقيه الشرقية والاستعمار الاوربى ، ص ٢٨؛ نفس المؤلف ،بريطانيا وشرق افريقيه، ص ٤-٥؛ نوال حمزة الصيرفي ، نفس المرجع ،ص ١٨٤ - ١٨٦ .

ورغم تلك الظروف السيئة التى واجهت الدويلات الاسلامية فى شرق افريقيه بعد تتابع الأمم الاوربية الأخرى الى الساحل فلم ييأس المسلمون وأخذوا يتطلعون فى القرن الحادى عشر الهجرى إلى دولة اسلامية فتية تعينهم على التخلص من جميع أشكال السيطرة الأوربيه فاتجهوا إلى سلاطين مسقط فى عمان يطلبون نجدتهم بعد أن دب الضعف فى القوى البحرية العثمانية .

وهو موضوع جديد من موضوعات حركات الجهاد في العالم الاسلامي .

الخاتمة

مر بنا فى الدراسة السابقة أهمية الموقع الذى تحتله منطقة شرق افريقية من الناحية التجارية فهى تشرف على البحر الاحمر ذلك المعبر المائى القديم ذى الاهمية القصوى لمرور تجارة السلع الشرقية الى مصر والبحر المتوسط ثم الى اوروبا ،وأيضا إطلالة الجزء الجنوبى من الساحل الشرقى لافريقية على المحيط الهندى وهو أحد مسارح التجارة القديمة بين الهند والشرق الاقصى وساحل شرق افريقية ، كما أن غنى المنطقة اقتصاديا وخاصة فى الذهب والعاج والعنبر والرقيق ،جعلها احدى المناطق التى يطمع فيها المستعمر البرتغالى ويسعى لفرض سيطرته عليها فى القرن العاشر الهجرى .

وبعد أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح وتمكنوا من الوصول الى الهند بادروا بفرض نفوذهم المباشر على دويلات الساحل المطلة على المحيط الهندى ،بينما سعوا إلى تكوين جبهة صليبية مع دولة الحبشة النصرانية فى الجزء الشمالى من الساحل ،وذلك لضرب النفوذ الاقتصادى الاسلامى فى البحر الاحمر والمحيط الهندى .

وأوضحت الدراسة أن مسلمى شرق افريقيه كانوا ضمن المخطط الصليبى الذى استهدف القضاء على الاسلام والمسلمين خاصة بعد أن وجد الصليبيون الأوروبيون أن انتشار الاسلام آخذ فى الازدياد على حساب مملكة الحبشة النصرانية التى انحصرت داخل الهضبة بعد أن أُحاط بها الاسلام من جميع الجهات ،وأصبحت الموانىء التجارية المطلة على البحر الاحمر ضمن الدويلات الاسلامية الواقعة الى الشرق من الهضبة ،وهذه الممالك هى : أوفات ودوارو وبالى وهدية وأرابينى وشرخة وداره ،وكان على تلك الممالك أن تعلن الجهاد فى سبيل الله لعدة قرون من أُجل الوقوف فى وجه العدوان الحبشى .

ومرت هذه الممالك بمراحل كثيرة تتأرجح بين الضعف والقوة ،ففى فترات الضعف كانت تعلن خضوعها لملوك الحبشة وتدفع الجزية لهم . أما فى فترات القوة فكانت تعلن استقلالها وتجاهد للتخلص من السيطرة الحبشية .

والقت الدراسة ضوءا هاما على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين في الممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة ،ومدى التقدم الحضارى الذى أحرزه المسلمون فى الحياة الاجتماعية والثقافية والمعاملات التجارية ومقارنتها بالاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى مملكة الحبشة التى كانت تعيش اوضاعا متخلفة لا تقارن بالحياة المتقدمة لجيرانهم المسلمين ،وترجع أسباب ذلك إلى سيطرة الكنيسة على الحياة الاجتماعية فى الحبشة فقصرت التعليم على كبار رجال الدين هذا بالاضافة إلى سيطرة ملوك الحبشة واستيلائهم على مقاليد الاقتصاد والتجارة داخل البلاد .

كما تبين الدراسة مدى التطوير الذى أدخله المسلمون أو من عاش فى كنفهم من نصارى مصر على المظاهر الملكية الحبشية ،وتطوير الجيش الحبشى فى القرن التاسع الهجرى ،فكان لذلك دور مؤثر على ميزان القوى بين المسلمين والأحباش ،حيث تمكنت الجيوش الحبشية من احراز انتصارات عديدة على المسلمين فى ذلك القرن .

كما شرحت الدراسة الأوضاع الحضارية الرائعة التى كان يعيشها مسلمو دويلات الساحل الشرقى لافريقية المطل على المحيط الهندى من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية وذلك قبل وصول البرتغاليين الى الساحل فى بداية القرن العاشر الهجرى ،تلك الحضارة التى بهرت البرتغاليين واثارت جشعهم للاستيلاء على الدويلات الاسلامية والقضاء على أسباب رفاهية المسلمين فيها واستقرارهم وأمنهم .

واستطاعت الدراسة أن تثبت أن مسلمى شرق افريقية فى القرن العاشر الهجرى تصدوا لعدوين صليبيين شرسين هما البرتغال ومملكة الحبشة النصرانية وقد وحدت الأهداف الصليبية المشتركة بينهما ،ووقع على عاتق الممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة عبء الجهاد من أجل المحافظة على حرية عقيدتهم واستقلالهم بينما انشغل مسلمو الدويلات المطلة على المحيط الهندى بمجاهدة المستعمر الصليبى البرتغالى .

ولم تكن حركة الجهاد الاسلامى فى القرن العاشر الهجرى وليدة ظروف طرأت فى نفس القرن ولكنها جاءت نتيجة ظروف قاسية تحفل بالاضطهاد والعنف عانى منها المسلمون المحيطون بالحبشة قرونا عديدة (من القرن السادس الهجرى حتى القرن العاشر الهجرى) . ونتيجة مؤمرات صليبية حيكت ضدهم من مملكة الحبشة وحلفائها الصليبيين فى أوروبا .

لقد تزعمت حركة الجهاد فى شرق افريقية مملكة اسلامية بقيادة أُسرة ولشمع لعدة قرون ،هى مملكة أوفات التى سميت بعد ذلك بمملكة عدل ،وقد تعرضت تلك المملكة للتدمير عدة مرات على أيدى الأحباش ولكن ذلك لم يفت فى عضدها بل كانت فى كل مرة تعود لمواصلة الجهاد.

ولم يقف المسلمون فى العالم الاسلامى موقف المتفرج مما يحدث لاخوانهم فى شرق افريقيه بل أمدوهم بجميع أُشكال العون والمساندة لمواصلة جهادهم فهناك ملوك اليمن الذين لم يبخلوا طوال قرون عديدة عن إمداد المسلمين فى شرق افريقية بالأُسلحة والعتاد واستضافة ملوك أُسرة ولشمع الذين اضطرتهم الظروف الى الهجرة من بلادهم والالتجاء إلى بلاد اليمن .

أيضا وقفت دولة المماليك فى مصر تؤيد وتناصر مسلمى شرق افريقيه وهى الدولة التى كان لها تاريخ مشرف فى الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين وطردهم من سواحل الشام ومصر ،واتخذ سلاطين المماليك من حاجة الكنيسة الحبشية لمطران من كنيسة الاسكندرية وسيلة ضغط على ملوك الحبشة لتخفيف حدة اضطهادهم للمسلمين المجاورين لهم .

كما استطاعت الدارسة أن تبين مراحل التحالف البرتغالى الحبشى حيث تمت الاتصالات بين الأحباش والأوروبيين فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) لوضع مخطط صليبى لمهاجمة دولة المماليك فى مصر والقضاء عليها حتى يتسنى لهم العودة الى سواحل الشام . ثم تطورت هذه الاتصالات فى نهاية القرن التاسع الهجرى (١٥م) وبداية القرن العاشر الهجرى (١٦م) بين

البرتغاليين والأحباش على شكل سفارات متبادلة بين الطرفين ،واصبحت مهمة الاتصال بين الجانبين سهلة وميسورة بعد أن وصل البرتغاليون إلى الشرق ،واتفق الطرفان على البدء فى تنفيذ مخططهم الصليبى لضرب المسلمين فى البحار الشرقية بالتعاون بينهما ،بحيث يتولى الأحباش القضاء على الممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة بينما يتولى البرتغاليون مهمة التصدى لدولة المماليك - ثم الدولة العثمانية من بعدها - ومد يد العون والمساندة للأحباش بمهاجمة الموانىء الاسلامية الواقعة على الساحل المطل على البحر الاحمر مثل سواكن ومصوع وزيلع وحرقيقو ،وامداد مملكة الحبشة بالأسلحة والذخائر التى سوف ترجح كفتهم على جيرانهم المسلمين .

وقد أدى هذا التحالف القائم بين البرتغاليين والأحباش الى تدخل البرتغاليين الفعلى قبيل منتصف القرن العاشر الهجرى الى جانب الأحباش ضد الامام المجاهد أحمد بن ابراهيم . فأمدوهم بفرق عسكرية برتغالية متطورة استطاعت قلب الموقف لصالح الأحباش .

ولكى يحكم البرتغاليون سيطرتهم على منطقة شرق افريقيه بدأوا فى عمليات غزو متتابعة لجميع المراكز التجارية فى البحر الأحمر والساحل المطل على المحيط الهندى .

وشرحت الدراسة شرحا وافيا تفاصيل عمليات الغزو الوحشية التى تعرضت لها دويلات الساحل من قبل البرتغاليين ، تلك الدويلات الممتدة من مقديشو شمالا حتى سفالة جنوبا ،وانتهك البرتغاليون خلال عمليات الغزو حرمات المسلمين من تدمير للمدن واحراق للمساجد والفتك بالشيوخ والاطفال والنساء واحراق السفن فى الموانىء ونهب سفن التجار المسلمين .

وركزت الدراسة على ابراز دور أهالى الساحل المسلمين فى مواجهة ذلك الغزو المدمر بكل بسالة وفداء وصمودهم امام الوحشية الصليبية ورفضهم

الخضوع أو الاستسلام لسيطرة البرتغاليين ،وانتهازهم جميع الفرص للثورة ضد المستعمر البرتغالى .

كما شرحت الدراسة المحاولات البرتغالية العديدة للاستيلاء على عدن المتحكمة فى مدخل البحر الأحمر ثم توغلهم فى ذلك البحر حتى جده والسويس ،لولا يقظة الدولة العثمانية التى قضت على كل تلك المحاولات .

اما الدويلات الاسلامية فى شرق افريقية والمطلة على المحيط الهندى فلم تتيسر لها قوة اسلامية كبرى مثل قوة الدولة العثمانية للدفاع عنها لذلك وقع عبء الجهاد ضد الغزو البرتغالى على مسلمى الساحل انفسهم ،وقد استخدم البرتغاليون فى قمعهم للمسلمين أبشع أنواع الاضطهاد والقسوة وانتهاك حقوق الانسان .

وكان من نتيجة ذلك أن حاق الدمار بالدويلات وتدهورت تجارتها وحضارتها قبيل منتصف القرن العاشر الهجرى ،ولكن روح الجهاد التى اتصف بها المسلمون هناك كانت اقوى من كل ذلك ولم تعرف اليأس أو الاستسلام .

وبرهنت الدراسة على أن الأسباب التى دفعت المسلمين فى شرق افريقية الى خوض غمار الجهاد فى القرن العاشر الهجرى أسباب حيوية تتعلق بمصير الاسلام والمسلمين فى تلك المنطقة ووجودهم هناك ذلك الوجود الذى هددته المؤامرات الصليبية الأوروبية فكان على المسلمين التصدى للعدوان الصليبى والمحافظة على المجتمعات الاسلامية بتطبيق الشريعة الاسلامية والمحافظة على كرامة المجتمع المسلم ضد أى امتهان يمارسه الأحباش ،وتأمين الحرية له ، وفك القيود على سبل نشر العقيدة الاسلامية تلك القيود التى فرضتها مملكة الحبشة ،واخيرا الحفاظ على الازدهار الاقتصادى للممالك والدويلات الاسلامية فى شرق افريقية

وقد اعد المسلمون فى شرق افريقيه العدة منذ السنوات الاولى من القرن العاشر للبدء فى حركة الجهاد الكبرى ،وقد تطلب توحيد القوى والصفوف الى

المرور بمراحل عديدة واستعدادات عظيمة على أيدى الأئمة من أمراء هرر الذين انتقلت السلطة الفعلية الى ايديهم بعد أن ضعف شأن الملوك من أسرة سعد الدين ،وكان أشهرهم الامام محفوظ والجراد أبون بن آدش والامام أحمد بن ابراهيم المجاهد الذى بذل جهودا جبارة فى اصلاح الأحوال الداخلية للمجتمع المسلم وتوحيد القبائل الصومالية وضمهم الى جيش الجهاد ،وتقريبه للعلماء والفقهاء وحثهم على توعية المسلمين وبث حب الجهاد فى سبيل الله الى نفوسهم وبذلك تمكن الامام أحمد بن ابراهيم من فتح صفحة جديدة مشرفة فى تاريخ الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه .

وأثبت البحث أن فتوحات الامام أحمد بن ابراهيم فى مملكة الحبشة فتوحات عظيمة كانت لها آثارها الجليلة على نشر الاسلام فى مملكة الحبشة وتثبيت اقدامه فيها الى الأبد .

وتصدى البحث لهذه الفتوحات بالشرح المفصل بحيث يوضح عظمة ذلك القائد وجهوده الجبارة فى فتح الحبشة . وقد تجاهل معظم الباحثين الأوروبيين والعرب تلك الفتوحات ولم يتناولوها الا بشكل عابر ولم يولوها الأهمية التى تستحقها ،فقد استطاع الامام بفتوحاته التى استغرقت ست سنوات فى وسط أصعب الظروف الطبيعية أن يجعل من مملكة الحبشة دولة اسلامية ،ويعمل على نشر الاسلام بها سلما ،وذلك عن طريق تخيير الأحباش بين الاسلام ودفع الجزية بالاضافة الى جهود الدعاة المرافقين لجيوش الفتح .

وكان الإمام أحمد بن ابراهيم فى فتوحاته متتبعا السنة النبوية الشريفة وسيرة الخلفاء الراشدين وذلك فى معاملة أهالى المناطق المفتوحة ،وتقسيم الغنائم ،وتعبئة الجيوش الاسلامية روحيا وعسكريا .

كما كان الامام أحمد قائدا فذا ومقداما بالاضافة الى أن حدة الذكاء كانت احدى ابرز صفاته ،ونلمس ذلك من براعته فى وضع الخطط العسكرية بحيث كسب جميع المعارك التى خاضها ضد الملك الحبشى لبنادنجل وجعله مطاردا الى ان وافته منيته .

وبرهنت الدراسة على أن الامام أحمد بن ابراهيم لم يقم تحالفا مع الدولة العثمانية عندما بدأ الأحباش يضغطون عليه قبيل استشهاده ،بل استنجد بهم لإمداده بفرق عسكرية مسلحة تسليحا حديثا يواجه به التحالف البرتغالي الحبشي . ولما تم له ما أراد وأحرز انتصارا باهرا على اعدائه أرجع القوات العثمانية الى زبيد ،وكان ذلك خطأ فادحا أدى الى انهيار دولة المسلمين الناشئة فى الحبشة .

كما فندت الدراسة الآراء والشبهات التى أحاطت بسيرة الامام أحمد والمبالغة الحاقدة التى أحاطه بها الكتاب الأوروبيون ومن سار على نهجهم .

واستطاعت الدراسة أن تلقى ضوءا هاما على دور الامام نور بن الوزير مجاهد - الذى لقب بصاحب الفتح الثانى - فى مواصلة حركة الجهاد الاسلامى بعد استشهاد الامام أحمد بن ابراهيم وتمكنه من احراز انتصارات عديدة على جيوش الملك الحبشى جلاديوس وسعيه لعقد تحالف مع الدولة العثمانية لامداد جيشه بالأسلحة الحديثة وتدريب أفراده عليها ،وقد تمكن بفضل ذلك الجيش المعد اعدادا جيدا من هزيمة الملك الحبشى جلاديوس وقتله فى عام ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م. ورغم عظمة انتصاره الا أنه لم يتمكن من إعادة أمجاد المسلمين فى مملكة الحبشة مرة أخرى ،وذلك للظروف السيئة التى أحاطت به ،وأول هذه الظروف هجوم الغالا الذى اكتسح جميع المناطق الاسلامية ومحاصرتهم لعاصمته هرر ، وانتشار الاوبئة واخيرا تدهور الحالة الاقتصادية فى المناطق الاسلامية .

وقد تحملت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن العاشر الهجرى عبء الجهاد فى شرق افريقيه بجانب المسلمين هناك فأحرزت كثيرا من الانتصارات ،وهزمت عدة مرات . وبعد وفاة الامام نور بدأ التدهور يدب فى سلطنة هرر المسلمة التى قادت الجهاد فى شرق افريقيه فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى ولم يكن حال مملكة الحبشة بأفضل من حال المسلمين ، فرغم الانتصارات العديدة التى احرزها الملك سرصاد نجل على المسلمين والفلاشة والغالا والثائرين عليه من الاسرة السليمانية وثورة البحر نجش اسحاق ،الا أن الثورات الداخلية لم تهدأ والصراع الدينى بين البرتغاليين والأحباش ازداد شدة ،وهجمات

الغالا لم تتوقف عن التوغل داخل المناطق الحبشية ٠

وأكدت الدراسة على النتائج الهامة التى ترتبت على فرض العثمانيين لنفوذهم فى البحر الأحمر ،فقد استطاعوا رفع الحصار عن التجارة المارة بالبحر الأحمر والخليج العربى ،وذلك بفضل جهودهم فى التصدى للنفوذ البرتغالى فى البحر العربى والخليج العربى والمحيط الهندى ٠

الا أن هذه لجهود لم تمتد الى ساحل شرق افريقيه المطل على المحيط الهندى ،لذلك كان أثر السيطرة البرتغالية على تجارة ذلك الساحل مدمرا وقضى على ازدهار المدن التجارية فيه ٠

وبرهنت الدراسة على أن دور الدولة العثمانية فى حركة الجهاد الاسلامى فى القرن العاشر الهجرى كان دورا مشرفا : استطاعت الدولة فيه أن تحافظ على البحر الأحمر بحرا اسلاميا ،وتتصدى للسيطرة البرتغالية على تجارة الشرق وتقطع سبل الاتصال بين الحليفين النصرانيين الحبشة والبرتغال ،وتؤسس ولاية الحبشة على ساحل شرق افريقيه لتمديد العون للمسلمين المجاهدين فى مملكة الحبشة ،كما قامت بمحاولات عديدة فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى لفتح مملكة الحبشة ٠ ورغم عدم نجاحها فى تحقيق هذا الهدف الا أنها استطاعت تخفيف الضغط الواقع على مسلمى شرق افريقيه من مملكة الحبشة ،خاصة بعد أن أصابهم الضعف وتغلغل فى قواتهم نتيجة الظروف السيئة التى أحاطت بهم بعد موت الامام نور بن الوزير مجاهد ٠

كما حاولت الدولة العثمانية مد نفوذها الى جنوب الساحل الشرقى لافريقيه فى نهاية القرن العاشر الهجرى ومديد العون للمسلمين هناك ،الا أن انشغال الدولة فى أوروبا والبحر المتوسط حال دون مواصلة تلك الجهود ٠

ومع بداية القرن الحادى عشر الهجرى (١٧م) بدأ الانحطاط يصيب السيطرة البرتغالية فى الشرق لعدة أسباب من أهمها : مواجهة العثمانيين لهم فى تلك

البحار والمقاومة الاسلامية التى واجهتهم من المسلمين فى شرق افريقيه والخليج العربى والساحل الهندى ، وانتقال عرش البرتغال الى اسبانيا عام ١٥٨٠م ووفود القوى الأوروبية الأخرى مثل هولندا وانجلترا وفرنسا الى بحار الشرق ومزاحمتهم للبرتغاليين هناك ٠

وقد ترتبت على حركة الجهاد الاسلامى فى شرق افريقيه فى القرن العاشر الهجرى عدة آثار ونتائج :

أهم تلك النتائج أن نجاح حركة الجهاد الاسلامى فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى قد أدى الى التقارب البرتغالى الحبشى الذى من شأنه أن بادر الطرفان الى وضع بنود التحالف القائم بينهما موضع التنفيذ ،فقام البرتغاليون بمهاجمة المراكز التجارية فى البحر الأحمر وتدميرها ،وتوغلوا فيه شمالا حتى تمكنوا من الوصول الى السويس ،كما استطاعوا انزال قواتهم العسكرية لنجدة الملك الحبشى بعد أن تراجعت سلطته على الحبشة تحت ضربات المسلمين ٠

وقد سمح ملوك الحبشة للبرتغاليين فى مقابل المعونة العسكرية بنشر المذهب الكاثوليكى فى الحبشة ،وأن تتحول تبعية الأحباش الدينية الى كنيسة روما بدلا من كنيسة .الاسكندرية، وكماهومعروف فأن تشدد ملوك الحبشةورجال الكنيسةالحبشية بمذهبهم اليعقوبى كان أحد الأسباب التى أدت الى قيام الصراع الدينى فى الحبشة بين الأحباش والبرتغاليين ، فبعد الانتصار الذى أحرزه الملك جلاديوس وحلفائه على الامام أحمد بن ابراهيم ،بدأ البرتغاليون يطالبونه بتنفيذ الشروط المتفق عليها بين الطرفين فيما يخص السماح بنشر المذهب الكاثوليكى ولكن الملك الحبشى رفض بشدة وبدأ فى معاملة رجال الدين البرتغاليين معاملة سيئة ،وتطور الصراع الى انقسام بين نصارى الحبشة حتى بلغ الأمر ببعض القادة الأحباش أن صرحوا بأن من الخير لهم أن يخضعوا للمسلمين من أن يظلوا على محالفة البرتغاليين ٠ واستمر هذا الصراع حتى عام ١٦٣٢م عندما طرد الأحباش البرتغاليين نهائيا من الحبشة ٠

أيضا كان لحركة الجهاد الاسلامى فى القرن العاشر أثر واضح فى اضعاف قوة دولة الحبشة النصرانية وسقوط هيبة الاسرة السليمانية لدى عامة الاحباش ٠

ورغم الانتصارات التى حققها ملوك هذه الأسرة على المسلمين فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى على عهد جلاديوس وميناس وسرصاد نجل ، الا أن حالة الفوضى التى سادت البلاد أكدت على أن الفتوح الاسلامية قضت على نظرة التقديس التى كان ينظر بها الأحباش الى ملوكهم بعد أن عاصروا نوعا جديدا من الحياة فى ظل المسلمين حياة تتصف بالكرامة والحرية والغنى بعكس ما كانوا يعيشون فيه من قبل فى ظل سيطرة الكنيسة والأسرة الحاكمة حيث كانوا يتعمدون ابقاء عامة الأحباش فى حال من الفقر والمذلة لكى تستمر السيطرة عليهم .

كما ترتبت على حركة الجهاد الاسلامى التى قام بها مسلمو الدويلات المطلة على المحيط الهندى سرعة تدهور النفوذ البرتغالى على الساحل فى نهاية القرن العاشر الهجرى .

واخيرا فان اعظم واهم الآثار التى ترتبت على حركة الجهاد الاسلامى فى القرن العاشر الهجرى هو انتشار وتغلغل الاسلام فى الحبشة ،وقد أرجع عدد من الباحثين الأوروبيين أسباب اعتناق معظم الأحباش للدين الاسلامى ان ذلك راجع الى خوفهم من المسلمين وأنهم اعتنقوه تحت التهديد .(١)

ولا شك أن بقاء الاسلام فى الحبشة بعد انحسار دولة المسلمين واستمرار الدخول فيه أكبر دليل على بطلان ذلك الا دعاء ،فقد كان اقبال الاحباش على الاسلام سابقا لعصر الفتح ،فها هو عرب فقيه يورد رواية عن فتح الامام أحمد منطقة بالى وهى من اوائل الغزوات التى خاضها الامام لفتح الحبشة فيقول:
"وسار الامام غير بعيد من الطريق الأخرى فاذا برجال من النصارى من اهل بالى نازلين الى بلاد المسلمين ليسلموا فاستخبرهم الامام من أى بلد أنتم ؟

---

(١) Budge, op. cit., vol. II, P. 337;
توماس أرنولد ،نفس المرجع ،ص ١٣٧ .

فقالوا : نحن من أهل بالى نريد جلب لنكون مسلمين وندخل فى دينكم .... فقال الامام أحمد : أما سمعتم بنا ؟ فقالوا : ولا أحد أخبرنا بكم ،ولا مع أهل البلد خبركم ،فاستخبروهم عن البلد ومن فيها من البطارقة ." (١)

كما يورد بدج فى احداث عام ١٥٧٤م - ١٥٧٥م على عهد الملك سرصا دنجل بأن الملك ذهب الى الداموت ومنها الى بزامو Bizamo وفيها أعاد تنظيم الجيش ،فقد وجد أن الجنود قد اقاموا علاقات ودية مع المسلمين وأن كثيرا منهم اعتنق الاسلام فأصدر أمره بجمع هؤلاء الجنود ويقدر عددهم بثلاثة آلاف ثم أمر بقتلهم جميعا .(٢)

وهكذا نرى أن العقيدة الاسلامية من القوة بحيث تستطيع الصمود والانتشار بين الشعوب فى أسوأ الظروف وأحلكها وبالرغم من تراجع النفوذ السياسى للمسليمين . ويعود ذلك لعدة أسباب : أهمها أن العقيدة الاسلامية هى الدين الحق المنزل من خالق الكون ومبدعه عز وجل لذلك تتقبله الفطرة الانسانية بسهولة ويسر ويفهمها المتعلم والجاهل على حد سواء فهى لا تحتاج الى قدر معين من الثقافة والتعليم للاقتناع بوحدانية الله عز وجل .

ثانيا : علو مكانة المسلمين الاجتماعية والأدبية ،فهم يتمتعون بالحرية والكرامة بالاضافة الى غناهم الاقتصادى ،وحرية التعليم لديهم ،فالمسلمون يعلمون أبناءهم جميع فروع العلم الدينية والدنيوية ،ومن أهمها أصول التجارة وقواعد التعامل التجارى ،بينما نصارى الحبشة يعيشون فى أدنى حالات الفقر والعوز والجهل نظرا لسيطرة الكنيسة والملوك على التعليم والاقتصاد ،فالنصرانى لا يتعلم الا عندما يقرر الانضمام الى الهيئة الكنسية التى اقتصرت مناهجها التعليمية على تعاليم الكنيسة المتصفة بالجمود .(٣)

---

(١) عرب فقيه ،نفس المصدر ،ص ٩٤ .

(٢) Budge, op. cit., vol. II, P. 364.

(٣) توماس أرنولد ،نفس المرجع ،ص ١٣٩ .

لذلك فان اعتناق الاحباش للاسلام كان يعنى الارتفاع بمكانتهم الاجتماعية والخروج الى الحرية .

هذا بالاضافة الى جهود التجار والدعاة المسلمين المنبثين فى جميع أرجاء الحبشة ،فقد كان سلوكهم الاسلامى وحسن معاشرتهم ونظافتهم وانتهاجهم سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ،كل ذلك كان من أهم الأسباب التى جعلت الاحباش ينظرون الى المسلمين نظرة تقدير واعجاب وبالتالى اندفعوا للدخول فى الاسلام

وعندما قاد الامام أحمد حركة الفتح فى بلاد الحبشة فى القرن العاشر الهجرى رافق جيوش الامام كثير من الدعاة والأئمة والفقهاء الذين أخذوا ينشرون الاسلام بين الأحباش ويعلمونهم الدين الاسلامى ويبنون المساجد .

وبعد هزيمة المسلمين وانقضاء عهد دولتهم فى الحبشة سادت الفوضى جميع أرجاء الحبشة مثل التفكك السياسى ،وهجوم الغالا،والصراع الدينى بين نصارى الحبشة والبرتغاليين ، كل ذلك اتاح للاسلام الفرصة للانتشار أكثر فى مملكة الحبشة رغم عمليات الاضطهاد التى مارسها ملوك الحبشة ضد من أسلم فى عصر الفتح لاجبارهم على الارتداد .

ويورد الحيمى فى رحلته الى الحبشة عام ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م أنه وجد فى أمحرة قرية قريبة من مقر الملك الحبشى أهلها جميعهم من المسلمين ، وفيها مسجد ومكتب لتعليم أبناء المسلمين القرآن . (١)

وهذه الرواية تدل على مدى تغلغل الاسلام فى الحبشة وبقائه هناك بعد تراجع النفوذ السياسى للمسلمين .

---

(١) الحيمى ،نفس المصدر ،ص ٩٧ .

وكان الاسلام من القوة بحيث احتوى قبائل الغالا المغيرة على المناطق الاسلامية والحبشية ، فقد احتكت هذه القبائل بالمسلمين فى الأسواق وتعاملوا معهم وخاصة فى منطقة هرر وما حولها ،فوجدوا من المسلمين التسامح وحسن المعاملة مما رغبهم فى الاسلام فدخلوا فيه أفواجا ،كما كان لجهود الدعاة المسلمين أثر كبير على نشر العقيدة الاسلامية بين تلك القبائل واجتذابهم الى الدين الاسلامى ،خاصة وأن الجنس الأمحرى الحاكم الذى اتصف بالعنصرية والتعالى على غيره من الشعوب المجاورة له أبعد تلك القبائل عن مخالطتهم واتجهوا الى ساحة الاسلام الواسعة التى تتسع لجميع بنى البشر وتمنحهم الحرية والمساواة .

وهكذا قلب الاسلام الهزيمة التى حاقت بالمسلمين قبيل منتصف القرن العاشر الهجرى الى نصر مؤزر ،فحقق المسلمون نجاحا منقطع النظير فى مجال الدعوة الاسلامية ونشر الاسلام فى مملكة الحبشة .

....

الملاحق

ملحق الوثائق

الوثيقة رقم (١) باللغة البرتغالية

CARTAS DE ALE, REI DE MELINDE, PARA EL-REI

[1500-1521]

Senhor

Este he ho trelado da carta do rey de Milindi que emvia a Vossa Alteza de que ho teor dela he o que se segue.

Item, diz esta pressente letra he do rey de Milindi Aale filho d'Alle ao grande rey principi de gram lustre de gram fama el rey Dom Manuell rey de Portugal e dos Algarves e senhor de Guinee emventor e sogigador das alimas e provencias e senhor das Indias e das Persias. Depois desto fazemos vos saber como el rey de Melindi e el rey de Portugal he huma cousa mesma sem nenhuma duvida nem divisam e pois tanto amoor e tam esforçado temos a hum rey de tam grande esforço e fama e tam poderosso que outro tal he duvida ser achado neste pressente tenpo e mundo e ser tanto dado per suas grandes virtudes a nos teer afeyçam e amoor o que nos asy ho temos e seu amoor continuamos e muito folgamos com vossas cousas e requados vossos porque este porto de Milindi he sem duvida vosso e asy todo Melindi he vosso sem nenhuma duvida nem contradiçam e seja vossa grandeza contente de Milindi. E vossas gentes quando as vimos os poemos sobre nossas cabeças e contodo suas palavras e hobras sam asperas pera nos e fazem o que nom devem aos que vem a nosso porto e os tomam e pois este porto he vosso nom se devia tal fazer e quando ja se tal fezer faça se *(1 v.)* em minha auzenssa e nom em minha pressença e pera esto vo lo notifiquamos asy e como as vossas gentes fazem muitas tomadias de fazendas e averes de mouros e de yndios que em minha mão fiquaram 9 mil e quinhentos xarafees de merquadorias as quays tomaram e asy que esto todo vo lo fazemos a saber.

Finda

Item, outra carta outrosy do rey de Milindi do teor desta outra susu esprita se nom diz mais que viram suas naos e que receberam sua carta com que muito folgaram a qual emtenderam e com ella ouveram muito contentamento e a posseram sobre suas cabeças dezendo nom ha outro rey no mundo senom el rey Dom Manuell rey de Portugal. E depois desto vieram vimos *(sic)* 2 naos — a saber — a Tafarea de que era quapitam que se dezia Ruy Lourenço e outra nao de que se dizia ser seu quapitam Jhoam Fernandez os quays vieram a este porto de Melindi e o conrronperam e destruyram e tomaram as fazendas nelle pupricamente dezendo que Vossa Alteza veja esto se ho ha asy por bem que *(2)* se dane ho porto de Melindi. E quando lhes requeremos que tal cousa nom fezessem respondiam el rey no lo mandou e asy se emcontravam com outros navios que lhes diziam himos pera Melindi tomavanos e davam nelles e lhes faziam muito mal dezendo que Vossa Alteza veja em todo e faça o que della se espera de fazer. Esta he a tençam desta etc.

Finda

الوثيقة رقم (١) باللغـــــــــة الإنجليزية

٧

LETTERS FROM ALE, KING OF MALINDI, TO THE KING

[1500-1521]

Sire,

This is the extract of the letter from the king of Malindi which I send to Your Highness, and of which the tenor is as follows.

Item, it says: this present letter is from the king of Malindi, Vale son of Alle, to the great king, prince of great lustre of great fame, King Dom Manuell, king of Portugal and the Algarve and Lord of Guinea, leader and subduer of souls and provinces and lord of the Indies and of the Persias. After this we make known to you how the king of Malindi and the king of Portugal are one and the same, without any disagreement or dissention, for so great and firm is our affection for a king of such great valour and fame, so powerful that it is doubtful if another can be found in this present time or world, and one who, by his great virtues, shews us affection and friendship such as we have from him; and this affection we shall maintain and we shall take pleasure in your affairs and messages, for this port of Malindi is unquestionably yours, as is the whole of Malindi without any doubt or contradiction, and may your greatness be pleased with Malindi. And when we see your peoples, we carry them on our heads; however, their works and words are rough towards us and they behave badly towards those who come to our port and capture them and, since this port is yours, this should not be done and, if it is, let it be done during my absence and not in my presence; wherefor we notify you that your peoples capture much cloth here, as well as the goods of the Moors and Indians, so that they captured 9 thousand five hundred *xerafins* worth of merchandise that I held, wherefor we desire that you should be advised of this.

Ends

Item, another letter, also of the same tenor as the above which says nothing more, save that they saw your *naos* and received your letter which pleased them greatly and which they well understood; and it gave them much pleasure and placed it on their heads saying that there is no other king in the world but king Dom Manuell, king of Portugal. And after this came saw *(sic)* 2 *naos* — namely — the Cafarca of which was captain, it was said, Ruy Lourenço, and another *nao* whose captain was said to be Jhoam Fernandez, who came to this port of Malindi and corrupted and destroyed him and captured his cloth, saying publicly that Your Highness should look to this and see whether it is your pleasure that the port of Malindi should suffer this. And when we required them to stop doing such things, they replied: the king so ordered us; and in this way they met other ships, who said to them: we go to Malindi, and they captured and beat them, doing them great harm, saying the Your Highness should look to all this and do as it is hoped should be done. This is the tenor of this one etc.

Ends

ترجمة الوثيقة رقم (١) الى اللغة العربيـــــة (١)

سيـــــــــدى

هذه خلاصة رسالة ملك ماليندى التى ارسلتها الى سموكم والتى مفادها التالى :
الموضوع كما تقول الرسالة : هو أن هذه الرسالة الماثلة امامكم من ملـــك ماليندى عائل بن على الى الملك العظيم ، امير المجد والشهرة الكبيرة ،الملك مقام مانويل ملك البرتغال والالجارف وسيد غينيا ،قائد الناس والاصقـــاع وقاهرهم ،وسيد بلاد الهند وفارس .

وبعد ، نعلمكم ان التعاون كبير بين ملك ماليندى وملك البرتغـــال ولا يوجد بيننـا اى اخلاف او نزاع ،لان حبنا كبير وراسخ لملك فاقت شهرتـــه وبسالته الآفاق ،ولا يوجد من ينازعه سلطانه فى عصرنا الراهن ،ولأنه يتميـــز بمناقب حميدة فقد أبدى لنا كل المحبة والصداقة ،ونحن بدورنا سنحافظ علـــى هذا الود ،ولكم يسعدنا أن نهتم بشؤونكم التجارية ورسائلكم ،وهذا الميناء فى ماليندى هو لكم دون ريب ،كما أن ماليندى كلها بلا منازع هى لكم وآمـــل أن تكون ماليندى موضوع سرور عظمتكم . واننا اذ نرى رجالكم نضعهم علـــى رؤوسنا ،ومع ذلك فقد كانت افعالهم واقوالهم فظة نحونا ،كما كان سلوكهـــم سيئا مع من يفد الى الميناء ،فقد احتجزوهم ،وبما أن هذا الميناء ملككـــم فان شيئا من هذا ينبغى أن لا يحدث ،وحتى لو حدث فيكن ذلك فى غيابى وليـــس فى حضورى ، وبودنا أن نعلمكم أن رجالكم قد أستولوا على الكثير من الأقمشة بالاضافـــة الى بضائع الهنود والمسلمين وأنهم قد غنموا ما يقدر ثمنه بتسعة آلاف وخمسمائة أشرفـــى من السلع التى املكها لذلك نحيكم علما بما حدث .

انتهـــــــى

---

(١) وردت الوثيقتان رقم ١ ،٢ فى كتاب الوثائق
Documents on the Portuguese in Mozambique and Central Africa .

الموضوع : تصنيف رسالة أخرى لها نفس مضمون الرسالة أعلاه ، أنهم قد رأوا سفينتين للنقل تابعتين لكم واستلموا رسالتكم التى سروا بها ايما سرور كما فهموا محتواها جيدا ووضعوها على رؤوسهم قائلين : ان ليس هناك ملك فى العالم سوى الملك مقام مانويل ملك البرتغال ،وبعد ،فانه قد جاءت (Sic كذا ،نص منقول حرفيا) سفينتان للنقل هما على وجه التحديد تافريا بقيادة روى لورنزو Ruy Lourenzo كما قيل ،والاخرى بقيادة المدعو جوام فيرنا نديز Jhoam Fernandez جاءتا الى ميناء مالبندى واشاعتا فيه الفساد واتلفتاه ،كما استولوا على الاقمشة فيه معلنين جهرة أن سموكم قد أمر بذلك ،ونريد أن نعرف فيما اذا كانت رغبتكم أن يعانى ميناء مالبندى هذا من وضعه الراهن .

وقد أجابونا عندما طلبنا منهم أن يكفوا عن فعل تلك الامور ان الملك قد أمرهم بذلك وبنفس الاسلوب استولوا على سفن صادفوها فى طريقهم ،وقد ذكرت لهم أنها فى طريقها الى مالبندى فأشبعوا اصحابها ضربا وسببوا لهم أذى كثيرا ، ونحن نريد من سموكم الاهتمام بالأمر ،وانكم ستفعلون ما هو مأمول منكم .

هذه هى خلاصة الرسالة .

انتهى

الوثيقة رقم (٢) باللغة البرتغالية

REGIMENTO DADO POR DIOGO LOPES A D. RODRIGO DA CUNHA, ENVIADO COMO EMBAIXADOR À CORTE DO PRESTE JOÃO

Massuá, 1520 Abril 25

Esta he a maneira que vos Dom Rodrigo
tereis nesta yda em que hys

1 — Primeiramente vos encomendo que nossas cyrymonias façaes sempre e goardando aqueles seus custumes como eles goardam porque no all avera grande deferença e nam desputares com eles nem apertrares asy vos como as outras pessoas que comvosquo vam sobre nosos custumes he seus nem sobre outra coussa mas toda paaz e booa concordia guardareis como homens que vam a terra nova e que lhe ham d'oulhar pelo que fazem.

2 — Item, direis ao Preste como ao tenpo de minha partida de Purtugall el rey meu senhor cuidava que esta embaxada era em sua casa e eu ao tenpo que cheguey a Indea achey morto o embaxador Duarte Galvão que vinha com Mateus seu enbaxador e asy Lourenço de Cosmo he outros que aquy mataram em Dalaqua. E porque el rey meu senhor me emcarregava muyto que viese aquy a Maçua receber a reposta de sua embaxada posto que soubese que tudo era desbaratado pela morte do dito embaxador eu me corregy e aparelhey e trouve ho dito seu enbaxador comiguo e lhe contares como perdy Sant'Antonio e que comtudo quis chegar aquy porque tinha novas *(1 v.)* qu'estas ilhas tinham guerra com Arquiquo e nam estavam a sua obediencia e as despejey da gente que nelas estava.

3 — E tambem lhe dires que el rey meu senhor desejando sua amizade pelo serviço que se pode fazer a Noso Senhor queria que se fezese huma forteleza junto de suas terras per se milhor poder fazer e sermos dele ajudados e providos de mantimentos e hirmos daquy buscar nosos imiguos mais perto do que ho vimos fazer da Indea. E porque aquy nesta terra me parece mais conveniente que nenhuma a nam quis fazer sem lho primeiro fazer saber e lhe dires que nam levaes as cartas del rey porque se perderam em Dalaqua co a morte daqueles homens e lhe contares como os reix de Portugall pasados conquistaram senpre os mouros e tomaram muytas cidades em Afriqua per força d'armas e asy de sesenta anos a esta parte descobriram muytas terras e ylhas e sobre todos com mais continoança e desejos o fez el rey meu senhor depois de reynar e tomou muitas cidades em Afriqua mais do que tomaram seus antepasados e alem diso lhe dares conta do descobrimento da Indea e dos reynos e cidades que tem conquistados e tomados desde Çofalla the hos chyns muyto particularmente.

4 — *(2)* Item, seres avysado e vos trabalhares de saberdes muy particularmente a grandeza do dito rey e seus senhorios e das riquezas e minas d'ouro que nos dizem que tem e de seus tratos e do poder que tem e por honde s'estendem seus senhorios e dos reix a ele sogeytos e quantos sam e do que pode cada hum e quantos sam christãos e quantos mouros e das rendas que tem e em que coussas e quanto valem por anno.

Item, da maneira da justiça como se menystra e per quem.

E se tem guerra e com quem se com o Soldam e se com outrem e se com o Soldam estaa em guerra ou em paaz e se em alguma maneira reconhece o Soldam e quanto ha da sua terra ao Cayro e que caminho fazem.

E do patryarqua que diz que tem e do poder que ussaa no stpri-tuall e do acatamento que lhe fazem e das cirimonias daa fee que fazem.

E os modos dos bautismos confysões jejuns coresmas oficeos deles festas principaes particularmente doutras cerimoneas que tem e guar-dam.

E se ha hy arcebispos e bispos e quantos sam e se em todo obe-decem ao patriarqua e que rendas tem.

(2 v.) Item, a maneira que se tem no provimento nos arcebispa-dos e bispados e as provisões como pasam se ho rey entende nyso ou soomente ho patriarqua per sy soo.

Item, das igrejas e moesteiros como sam servidos e da crerezia se ho rey tem sobre ella alguma jurdiçam ou somente ho patriarqua.

Item, se ha hi mosteiros e de que Hordem se ha hy alguns da grandeza que nos qua dizem e número dos relegiosos.

5 — E asy todo o caminho que fezerdes desde que daquy par-tirdes te emboora tornar stpreveres poendo os nomes das cidades e villas e igrejas que em cada hum haa e os mantimentos que em cada hum haa asy fruitas como quaesquer outras e a gente deles quejanda he e per quem sam governados.

6 — Item, saberes do Preste se vier a caso a jente que querera dar a el rey meu senhor per ajuda da conquista do Cayro e asy os mantimentos e vos enformares da terra per que podem vir se se hos hy haa e nam vindo a quaso falar nyso nam lho falares.

(3) Item, todas estas coussas muy particularmente saberes e vos emformares e doutras coussas muitas que vos aquy nam aponto por-que ho ey por escusado.

7 — Item, a rainha Ylena dares conta de todas estas cousas e da carta que lhe el rey mandava e como em todas suas cousas se remetia a ella por saber por Mateus seu enbaxador o desejo que tem do acre-centamento da fe de Jhesu Christo e como por yso mandava esta sua armada a saber e descobrir estes portos como agora louvores a Noso Senhor sam descubertos.

Item, yso mesmo hires visytar ho patriarqua e dar lh'es minha carta e dir lh'eis as mesmas palavras e quanto prazer el rey meu senhor e toda a christandade recebeo de suas vertudes e lhe dizey que encite el rey e o mova a fazer a guerra aos mouros como temos per enformaçam que senpre fez e faaz.

Item, se tambem alguns reix ou grandes senhores esteverem na corte do Preste vysyta los hes da minha parte e saberes seus nomes e suas terras honde sam e pera que parte e que rendas tem nam o pre-guntando a elles mas a outras pessoas de que vos parecer que ho pos-saes saber.

8 — *(3 v.)* Item, vos encómendo e peço que antre as outras cousas tenhaes em especiall cuidado que vos e os que forem em vosa conpa-nhia vivaes tam onestamente que de vos se nam posa tomar nenhum mao enxempro que bem sabes que pelo que vos virem fazer avemos todos de ser julgados asy que vos deves trabalhar por vosa vida e dos que comvosquo vam ser tam onesta he boa que se tome de vos boo enxempro.

9 — Item, vos trabalhares de saberdes a maneira dos seus bautismos — a saber — em que ydade se bautizam e que palavras dizem e se com aguoa e se poem como noso custume ou de que maneira.

Item, hos cassamentos de que maneira os fazem e com que palavras e se depois de huma molher ou homem viuvar se torna a casar outra vez e se com as molheres se daa casamento como custumamos.

Item, se herda o filho ou filha a fazenda do pay ou sobrinho filho d'irmão ou irmãa e se ho mais velho tudo como morgado ou todos irmãamente.

10 — Item, dires a el rey que na costa de Zeilla na terra firme posto que seja carecida d'aguoa se quiser fazer guerra pelo sertão aos mouros que eu lhe tomarey a cidade e a entregarey a huma pessoa de sua casa *(4)* quall ele hordenar e ysto se lhe nyso fezer serviço porque el rey meu senhor ha de folgar com todo serviço que lhe fezer.

11 — Item, teres aviso asy no caminho como la na corte que a jente que comvosquo vay durma de noyte em huma casa e nam ande fazendo alguma travesura nem dano a ning[u]em pois hes em terra alhea.

12 — Item, vos levaes quoatro panos d'armar e huma espada com hos cabos forrados d'ouro e punho e contra d'ouro e hum punhall goarnecido d'ouro e humas couraças he escarcelas postas em veludo cremesym he hum capacete as quaes cousas vam entreg[u]es a Jam Gonçalvez feitor. Apresenta las hes da minha parte a el rey Preste João e lhe dires que yso lhe mando como seu servidor e que ho que lhe el rey meu senhor mandava hira pera o ano.

13 — Item, enformar vos eis de todas as merquadorias da terra e asy das da Indea como de Purtugall do que la valem e as que valem mais e que cantidade delas se podera gastar e de todas estas cousas fara voso stprivam lyvro.

14 — E alem das cousas que vam neste regimento mandares stprever todalas cousas mostruosas e d'antiguidade que virdes e tambem saberes hos nomes dos senhores e suas *(4 v.)* dinidades e se sam sogeitos ao Preste e se sam todos christãos ou se ha alguns mouros ou judeus antr'eles e como sam tratados e se vivem todos juntos e o modo dos seus tragos e se comem carne senpre ou pesquado e o que fazem na Coresma.

15 — Item, trabalhar vos es de saber do Rio Nillo honde nace e se saem dele alguns braços ou se vem todo jumto e asy dalguns rios outros e se ho Cabo de Boa Esperança se he em seu senhorio ou se tem noticia de nossa navegaçam por outra parte senam por esta.

16 — Item, se ouver laa algum alicorne trabalhar vos eis por ho aver pera el rey meu senhor todo quanto poderdes e nam consyntaes que nenhuma outra pessoa o aja senam todo pera el rey.

17 — Item, vosa despesa asy dinheiro com'a mercadoria que levaes vay entregue a João Gonçalvez feitor da quall fara despesa per vosos mandados e asento do stprivam.

Item, se vos nam despacharem a tenpo que possaes vir aquy per todo Março que prazendo a Deus sera minha vinda aquy mandareis qua o voso fetor e stprivam que venham dar conta do que la passaes e as pessoas que comvosquo ficarem per vosa licença m'escrevereis per averem seus hordenados o mais tempo do que lhe vay limitado em seus alvaras.

(5) Item, toda provisam que poderdes fazer em voso gasto vos encomendo que melhor sera que vos sobeje dinheiro que verdes vos em necesydade em terra alhea.

E se perventura per o Preste ou per outro qualquer senhor vos for feita alguma merce pera vosos mantimentos sera entregue ao dito feitor e carregada em recepta sobr'elle pelo stprivam.

E asy quallquer outro serviço que se fezer pera el rey meu senhor ou merce pera mim tambem sera entregue ao dito feitor e carregada sobr'elle em recepta e pasaram do que for hum conhecimento que vos trareres em vosa mão pera mo entregardes.

18 — Item, se se la o enbaxador do Preste agravar de nam ser qua tam bem tratado e favorecido como convinha a enbaxador de tam gram senhor dir lh'eis que foy por algumas duvidas e cizanyas que hy ouve que ho Diabo semeou porem que tudo se emendara prazendo a Noso Senhor.

19 — Item, per este me praz vos dar poder e jurdiçam sobre todos os que vam nesta embaxada comvosquo pera os castigardes segundo suas culpas merecerem *(5 v.)* mandando fazer dos erros que cometerem auto pelo stprivam e ysto nam sendo morte naturall nem cortamento de membros. E per este mando a todos os que vam comvosquo que em todo vos obedeçam e goardem vosos mandados como se per mim lhe fosem mandados sob as penas que lhe poserdes das quaes ho stprivam de voso carrego fara auto e asento.

Item, este regimento levara ho stprivam e vos dara o trelado pera o vos senpre verdes e oulhardes muy a miude e fazerdes o que vos nele encomendo com aquella deligencia que eu creo que vos fares.

Fecto no porto de Maçua a 25 d'Abrill de 1520.

No verso:

A el rey nosso senhor.

Istruçam que levou o embaxador que Diogo Lopez mandou ao Preste Yoão.

Regimento que levou Dom Rodrigo ao Preste.

الوثيقة رقم (٢) باللغة الانجليزية

١

INSTRUCTIONS GIVEN BY DIOGO LOPES TO D. RODRIGO DA CUNHA. SENT AS AMBASSADOR TO COURT OF PRESTER JOHN

Massawa, 1520 April 25

This is the manner that you, Dom Rodrigo,
shall have on this going upon which you go

1 — Firstly I charge you to follow our ceremonial always and respect their customs as they do, since there should be no great difference, and you shall not argue with them nor insist with them, you and the others who go with you, about our customs and theirs, or about any other thing, but you shall maintain entire peace and good concord as men who are going to a new land and must look to what they do.

2 — Item, you shall tell the Prester how, at the time of my departure from Portugal, the king, my lord, thought that this embassy was already in his house, and how I, arriving in India, found that the ambassador Duarte Galvão had died, who was coming with Mateus, his ambassador, and also Lourenço de Cosmo and others who were killed here in Dalaqua. And, because the king, my lord, had urgently charged me to come here to Massawa to receive the reply of his embassy, I, having learned that everything had been upset by the death of the said ambassador, made ready and fitted out and brought his said ambassador with me; and you shall tell him how I lost Sant'Antonio but, nevertheless, pressed on here because I had advice that these islands were at war with Arquiquo and were not under his obedience, and how I emptied them of the people who were there.

3 — And you shall also tell him that the king, my lord, desiring his friendship for the service of Our Lord, would like to build a fortress adjoining his lands the better to maintain it and so that he may give us help and supplies and enable us to go from here in search of our enemies nearer than we do from India. And since this land seems to me to be the most suitable of all, I did not want to build it without first advising him of it, and you shall tell him that you do not carry the King's letters because they were lost in Dalaqua with the death of those men, and you shall recount to him how the past kings of Portugal always conquered the Moors and took many cities in Africa by force of arms, and how, in the past sixty years, they have discovered many lands and islands and how the King, my lord, has during his reign, continued more assiduously than all others and taken many more cities in Africa than his ancestors and, furthermore, you shall give him account of the discovery of India and of the reigns and cities he has conquered, more especially from Sofala as far as the Chinamen.

4 — Item, you shall seek advice, and try hard to learn in great particular, of the greatness of the said king and his lordships and of the riches and gold mines that, we are told, he possesses, and of his trade and of the power he holds and the extent of his lordships and of the kings subject to him, and how many there are, and the power that each one holds, and how many are Christians and how many Moors, and of the revenues he receives and how much they are worth yearly.

Item, the manner of the justice and how it is administered, and by whom.

And whether he is at war, and with whom, whether with the Sultan or another, and if he is at war or at peace with the Sultan, and whether he recognises the Sultan in any way, and the distance from his land to Cairo, and the way they take.

And of the patriarch that he says he has, and his spiritual power, and the respect they shew him, and of the ceremonies of the faith they practise.

And the manner of their baptisms, confessions, fasts, lents, offices, their main feasts in particular and other ceremonies they practise and keep.

And whether they have archbishops and bishops there, and how many, and if everyone obeys the patriarch, and the revenue they have.

Item, the manner they have in making appointments to archbishoprics and bishoprics, and how the appointments are made, if it is the king who has a hand in this or only the patriarch by himself.

Item, of the churches and monasteries, how they are served, and whether the king has any jurisdiction over the clergy, or only the patriarch.

Item, whether they have monasteries there, and the Order, and whether there are any of great size, as they tell us here, and the number of friars.

5 — You shall also write down the whole route you follow from the time you leave here until you duly return, noting the names of the cities and towns and the churches there are in each of them, and the supplies to be found in each, such as fruit or any other, and the kind of people in them, and by whom they are governed.

6 — Item, you shall learn from the Prester, if the occasion should rise, the men he is prepared to give to the king, my lord, to help in the conquest of Cairo, and also the supplies, if there are any, and you shall learn the region through which they can come, and if you do not see occasion to speak of it, you shall not mention it to him.

Item, you shall learn and inform yourself of all these things in great particular, and of many others that I do not mention here, seeing no reason for it.

7 — Item, you shall give account to queen Ylena of all these things and of the letter that the King was sending to her, and how he entrusted everything to her, having learned from Mateus, her ambassador, the desire she has in furthering the faith of Jesus Christ and how, therefore, he was sending this fleet of his to see and discover these ports which have now, praised be Our Lord, been discovered.

Item, you shall also go to visit the patriarch and give him my letter and speak the same words to him, saying how great was the pleasure with which the king, my lord, and all Christianity heard of his virtues, and you shall tell him to incite the king and persuade him to make war against the Moors, as we have heard is, and has always been, done.

Item, if there are any kings, or great lords, in the court of Prester John, you shall visit them on my behalf, and learn their names and where their lands are, and in what region, and the revenues they have, though you shall not address the question to them but to other people from whom you think you can learn it.

8 — Item, I charge and enjoin that, among other things, you take particular care that you and those who go in your company live a life so honest that no bad example may be set, for you know well that it is by your behaviour that all of us will be judged, wherefore you and those who go with you, shall strive to lead a life so honest and upright that a good example will be set.

9 — Item, you shall try to learn the manner of their baptisms — namely — the age when they are baptised and the words they say, and if with water, and whether the imposition is like ours, or the manner of it.

Item, the manner in which marriages are performed and with what words and whether, after a woman or man is widowed, they marry again, and whether the women are given in marriage in the way customary with us.

Item, whether the son or daughter inherits the father's estate, or a nephew, child of a brother or sister, and whether the eldest inherits everything, or all share alike.

10 — Item, you shall tell the king that, if he wishes to make war upon the Moors of the interior on the mainland of the coast of Zeilla, I shall capture the city for him and give it to whatsoever person of his household he desires, and that I shall do this to be of service to him because the king, my lord, shall take pleasure in any service I render him.

11 — Item, you shall take care that, both on your way and at the court, the men who go with you sleep at night in a house, and that they do not go about causing annoyance or ill to anyone, remembering that you are in a strange land.

12 — Item, you are taking four suits of armour and a sword with the grips lined with gold and the guard and the hilt of gold, and a dagger adorned with gold, and some cuirasses with crimson velvet aprons, and a helmet, which articles you shall deliver to Jam Gonçalvez, the factor. You shall present them in my name to the king Prester John and tell him that I am sending them as his servant, and that the articles the king, my lord, is sending him will go next year.

13 — Item, you shall learn about all the merchandise of the land, and also of the value there of that which come from India and from Portugal, and which are worth more, and the amount that can be used, and your clerk shall make a notebook of all these things.

14 — And, over and above the things contained in these instructions, you shall order to be set down in writing everything you see that is uncommon and ancient, and you shall also learn the names of the lords and the dignities they hold, and whether they are subjects of the Prester, and whether they are all Christians or whether there are any Moors or Jews among them, and how they are treated, and whether they all live together, and the manner of their dress, and whether they always eat meat, or fish, and what they do at Lent.

15 — Item, you shall try to learn where the River Nile rises, and whether any arms issue from it or whether it runs all in one, and whether there are any other rivers, and whether the Cape of Good Hope lies within his lordship, or whether he has advice of our navigation from any other source than this.

16 — Item, if there are any unicorns there you shall use every means to capture one for the king, my lord, and you shall not allow any one else to have it, but it shall be wholly the King's.

17 — Item, your expenses, both of the money and the merchandise that you carry, are entrusted to João Gonçalvez, the factor, who shall make disbursements in accordance with your orders and registration by the clerk.

Item, if they do not dispatch you in time to come here during the whole of March which, please God, is when I shall come here, you shall send here your factor and clerk to give account of how you have fared, and you shall write to me saying who are the men who, with your leave, have stayed with you so that they may have their wages for a longer period than that to which they are limited in their warrants.

Item, I charge you to be as provident as you may with your expenses, for it is better for you to have money to spare than to find yourself in need in a strange land.

And if, by chance, some favour be shewn you by the Prester or by any other lord in the matter of supplies, these shall be delivered to the said factor and entered to his credit by the clerk.

Also, any other service done to the king, my lord, or favour shewn to me shall likewise be delivered to the said factor and entered to his credit, and an acknowledgement shall be made of whatsoever it is, for you to bring and deliver to me by hand.

18 — Item, if, once there, the Prester's ambassador should complain that he was not treated and favoured here as befitted an ambassador of so great a lord, you shall say that the reason was that any doubt and discord that there may have been was sown by the Devil, but that everything will be set right, if it please Our Lord.

19 — Item, it is my pleasure hereby to give you power and jurisdiction over all those who go with you upon this embassy, to punish them as their faults deserve and a report of their errors taken down by the clerk when this does not involve the capital charge or the cutting of members. And, by these presents, I order all those who go with you to obey you and to respect all your orders as if they were given by me, under such penalty as you may impose upon them, of which the clerk of your office shall make report and register.

Item, these instructions shall be taken by the clerk, who shall give you a copy thereof so that you may always have them before you and follow them strictly and do as I charge you therein with such diligence as I know you shall.

Done in the port of Massawa, on the 25th April, 1520.

On the reverse:
To the king, our lord.
Instructions taken by the ambassador sent by Diogo Lopez to Prester John.
Instructions taken by Dom Rodrigo to the Prester.

ترجمة الوثيقة رقم (٢) الى اللغة العربية .

تعليمات مقدمة من دييجو لوبيز الى مقام رودريجو داكونها المبعوث كسفير الى بلاط برستر جون (الملك الحبشى) .

مصوع ٢٥ أبريل ١٥٢٠م .

هذا هو السلوك التى ستعمل بموجبه يا مقام رودريجو فى ترحالك .

١- آمرك ،بادىء الامر ،باتباع شعائرنا على الدوام واحترام عاداتهم التى يتبعونها طالما أنه لن يكون هنالك فارق جوهرى ،وعليكم أن لا تتجادلوا معهم او تلحوا عليهم فى السؤال سواء كنت أنت أو من معك حول عاداتنا وعاداتهم ،أو أى شىء آخر ،بل ستحافظون على السلام التام والوفاق الكامل كرجال ماضين الى أرض جديدة عليهم أن ينتبهوا الى ما يفعلون هناك .

٢- الموضوع : يجب أن تطلعوا ملك الحبشة كيف أن سيدى الملك وضع فى حسبانه عند مغادرتى البرتغال أن هذه البعثة قد وصلت الى دياره ، وكيف أننى اكتشفت عند وصولى الى الهند أن السفير دوارتيه جالفا وقد مات أثناء حضوره مع سفيره ماثيو ،كما مات معهم هنا فى دهلك كل من لورنزو دى كوزمو والآخرون . ولما كان مولاى الملك قد كلفنى أن أحضر الى هنا فى مصوع على وجه السرعة لأتلقى رد بعثته ،فلقد علمت أن كل شىء هنا كان فى فوضى عارمة بسبب موت السفير المذكور ، لذلك تهيأت وتجهزت واحضرت سفيره المذكور معى ،وعليك ايضا أن تخبره كيف فقدت سان انطونيو ،ولكنى مع ذلك اسرعت بالمجىء الى هنا لأننى علمت أن هذه الجزر كانت فى حالة حرب مع حرقيقو ولم تكن خاضعة لسلطانه ،وكيف أننى أفرغتها من سكانها .

٣- وعليك أن تخبره أيضا أن مولانا الملك الراغب فى صداقته لخدمة ربنا ، يود بناء حصن مجاور لأراضيه لما فى ذلك من خير للحفاظ عليها ،ولذلك فقد يقدم لنا المساعدة والمؤن ويمكننا أن ننطلق من هناك بحثا عن أعدائنا فذلك اقرب لنا من القدوم من الهند . ولما كانت هذه

الأرض تبدو لى أفضل من غيرها ،لذلك لا أريدكم أن تبنوا عليها دون اخطاره ،كما يجب أن تخبروه أنكم لا تحملون رسائل الملك لان هذه الرسائل قد فقدت منكم فى دهلك مع موت اولئك الرجال ،واسرد له كيف كان الملوك السابقين يغزون المسلمين على الدوام ويحتلون العديد من مدن افريقيا بقوة السلاح ،وكيف أنهم اكتشفوا خلال الستين سنة الماضية العديد من الأراضى والجزر ،وكيف ثابر مولاى الملك وبكل جد طوال فترة حكمه اكثر من سابقيه ،وكيف أنه أخذ العديد من المدن الاخرى فى افريقيا والأهم من ذلك كله أن تقدم له وصفا عن اكتشاف الهند والممالك والمدن التى استولينا عليها وعلى وجه الخصوص من سفالة حتى الصين ·

٤- الموضوع : عليك أن تتسقط الأخبار ،وأن تسعى جاهدا لمعرفة قوة الملك المذكور واقطاعيوه على وجه الدقة ،وأيضا ثرواته ومناجم الذهب التى قيل لنا أنه يمتلكها ،وعن التجارة والسلطات التى بيده ،وعن مدى اقطاعياته والملوك الخاضعين له وكم عددهم ،وما هى السلطة التى بيد كل منهم ،وكم هنالك من النصارى وكم هنالك من المسلمين ،وعن العائدات التى ترده وما مقدارها سنويا ·

الموضوع : اسلوب القضاء وكيف يدار ومن قبل من ؟

وهل الملك فى حالة حرب ،ومع من ،سواء كان السلطان أو غيره ، وهل هو فى حالة حرب أو سلم مع السلطان ،وفيما اذا كان يعرف السلطان بطريقة ما ،والمسافة ما بين بلاده والقاهرة ،والطريق التى يسلكونها ·

وعن المطران الذى يقول عنه انه عنده ،وما هى سلطته الدينية ،والاحترام الذى يبدونه له ،وما هى طقوس العقيدة التى يمارسونها ، وعن طريقتهم فى التعميد والأعتراف والصيام والصوم الكبير والمكاتب، ولائمهم الرئيسية والشعائر الأخرى التى يمارسونها ويحافظون عليها · وهل يوجد لديهم رؤساء للأساقفة ومطارنة وكم عددهم ،وفيما اذا كان الجميع يخضعون للمطران،ومصادر دخلهم ·

الموضوع : الطريقة التى ينصبون فيها رؤساء الأساقفة والمطارنة وكيف تجرى هذه التوظيفات وهل للملك يد فى هذا أو أن المطران وحده الذى يقوم بها ٠

الموضوع : عن الكنائس والأديرة ،وكيف تتم خدمتها ،وهل هناك للملك سلطة تشريعية على رجال الكنيسة أو على المطران فقط ٠

الموضوع : هل يوجد لديهم أديرة هناك ،وما هى طقوسها الدينية ،وفيما اذا كان فيها أديره ضخمة كما قالوا لنا هنا ،وعدد الاخوة الرهبان ٠

٥ ـ وعليك أن تدون أيضا كل المسالك التى اتبعتموها منذ رحيلكم وحتى عودتكم بشكل واف ،ذاكرا اسماء المدن والبلدان والكنائس الموجودة فيها والمؤن أو أى شئ آخر ،وماهية السكان فيها ومن الذى يحكمهم ٠

٦ ـ الموضوع : وعليك أن تستعلم من الملك الحبشى فيما اذا كان الوقت قد حان ليقدم الى مولانا الملك الرجال الذين قد أعدهم للمساعدة فى غزو القاهرة ،وأيضا المؤن اذا ما وجدت ،ويجب أن تتعرف على المنطقة التى يمكن لهم أن يصلوا منها الينا ،واذا لم تجد فرصة للحديث عن ذلك فيجب أن لا تشير بها اليه ٠

الموضوع : يجب أن تستعلم عن كل هذه الامور وبشكل دقيق ،وبأمور أخرى كثيرة لم أذكرها هنا لأنه لا ضرورة لذكرها ٠

٧ ـ الموضوع : يجب أن تقدم وصفا بكل هذه الأمور الى الملكة هيلينا وأن تقدم أيضا رسالة الملك المرسلة اليها ،وكيف أن يعهد بكل شئ اليها بعد أن عرف من مبعوثها ماثيو برغبتها فى نشر دين عيسى المسيح وكيف أنه لذلك أرسل اسطوله هذا كى يطالع ويستكشف هذه الموانئ والتى تم اكتشافها ٠

الموضوع : يجب أن تذهب لزيارة المطران ايضا وأن تسلمه رسالتى وأن تقول له نفس الكلام متحدثنا عن السرور البالغ الذى حبا مولانا الملك وكل

المسيحيين عند سماعهم فضائله ،ويجب أن تخبره بأن يحث الملك ويقنعه بشن الحرب على المسلمين كما سمعنا بأنه حدث ويحدث دائما .

الموضوع : اذا كان هنالك ملوكا آخرين أو اقطاعيين كبارا فى بلاط الملك الحبشى ،فيجب أن تزورهم بالنيابة عنى وأن تتعرف على اسمائهموواين تقع أراضيهم وفى أى البقاع ومصادر دخلهم ،وانتبه أن لا تلقى اليهم بالأسئلة وانما للأشخاص الذين تعتقد أنهم يعرفون الاجابة عنها .

٨ - الموضوع : آمرك وأكلفك بالاضافة الى ذلك أن تراعى وبكل دقة أنت ومن معك فى الرحلة أن تسلكوا حياة شريفة كى لا يضرب بكم أى مثل سوء لأنك تعرف تماما أنه بسلوككم أنتم يجرى الحكم علينا جميعا ،ولذلك عليك أنت ومن معك أن تسلكوا حياة شريفة وقويمة بحيث يضرب بكم المثال الحسن .

٩ - يجب أن تتعرف على طرق تعميدهم وبالأخص العمر الذى يتم عنده التعميد والكلمات التى يتلفظونها وما اذا كان التعميد بالماء ،وسواء كان الوضع شبيها بما عندنا او الطريقة التى تتبع بها .

الموضوع : طريقة عقد الزواج وما هى الكلمات التى تقال ،وهل يتزوج الأر مل او الأرملة مرة ثانية ،وهل تزف المرأة بالطريقة التى نألفها عندنا .

الموضوع : فيما اذا كان الابن أو الابنة يرث أملاك الأب ،أو ابن الأخ أو ابن الأخت ، وهل يرث الابنالأكبر سنا كل شىء أو تتوزع الحصص بالتساوى بين الجميع .

١٠- الموضوع : عليك أن تخبر الملك أنه اذا كان يرغب فى شن حرب على المسلمين فى المناطق الداخلية للبر الرئيسى لشاطىء زيلع فاننى سأحاصر المدينة لأجله وأسلمها الى من يشاء من أهل بيته ،وأننى انما أفعل ذلك لخدمته ،ولأن مولانا الملك سيسره أن أقدم له أى خدمة أستطيع .

١١- الموضوع : عليك أن تحذر أنت والرجال الذين معك من المبيت داخل البيوت سواء كان ذلك فى الطريق أو فى البلاط ، وأن لا ينتشر الرجال الذين معك مسببين الأذى أو المرض لاحد من الناس وتذكروا أنكم فى بلاد غريبة .

١٢- الموضوع : انكم تحملون معكم اربعة أطقم من الدروع وسيف قبضاتها موشاه بالذهب أما جراب السيف والمقبض فهى من الذهب أيضا ،وخنجر مطعم بالذهب وبعض الدروع المحفوظة فى اقمشة مخملية قرمزية ،وخوذة ،ويجب عليكم تسليم هذه الاشياء الى جام جونزالفيز Jam Gonzalvez الوكيل ،عليك أن ترسلهم بأى طريقة الى الملك الحبشى وتخبره أننى أبعث اليه بها وأننى رهن اشارته ،وأن الأشياء التى ارسلها له مولانا الملك ستأتى السنة القادمة .

١٣- الموضوع : يجب أن تتعرف على كل أنواع المتاجرة فى البلاد ،وعن قيمة السلع التى تأتى الى هناك من الهند ومن البرتغال ،وعن قيمتها والمقدار الممكن استخدامه ،واجعل كاتبك يدون مذكرة بكل هذه الأمور .

١٤- والأهم والأولى من كل الأمور الواردة فى هذه التعليمات هو أن تأمر بتدوين كل ما هو غير مألوف وقديم ،وعليك أن تتعرف على اسماء ملاك الأراضى والاقطاعيات التى بأيديهم وما اذا كانوا خاضعين للملك ،وهل هم من المسيحيين أم أن بينهم من المسلمين أو اليهود ،وكيف تتم معاملتهم ،وما اذا كانوا يعيشون كلهم معا ،وما هو طراز لباسهم ،وما اذا كانوا دوما يأكلون اللحم أو السمك ،وماذا يفعلون فى صومهم الكبير.

١٥- الموضوع : يجب أن تسعى لمعرفة من أين ينبع نهر النيل ،وهل هناك فروع تنبثق عنه أو أنه يجرى كله فى خط واحد وهل هناك أنهار أخرى وهل يقع رأس الرجاء الصالح ضمن أملاك الملك وهل يعلم شيئا عن أسطولنا البحرى من أى مصدر آخر سوانا .

١٦- الموضوع : اذا كان يوجد هناك وحيد القرن فعليك ان تطرق كل سبيل

لاقتناص احدها لمولاى الملك وان لا تسمح لاى كان باخذها ،بل تكون باكملها من حصة الملك .

١٧- الموضوع : يعهد بمصاريفكم من المال والسلع التى تحملونها الى جواو جونزالفيز Joao Gonzalvez الوكيل الذى سيتولى الانفاق بحسب طلباتكم ويقوم الكاتب بتسجيل ذلك .

الموضوع : اذا لم يرسلوك فى الموعد المحدد الينا خلال شهر مارس كله حيث سأكون هنا بمشيئة الرب فعليك أن تبعث الينا بوكيلك وكاتبك ليقدموا وصفا بما قد حدث لكم ،وعليك أن تكتب لى لتقول من هم الرجال الذين بقوا عندك فى رحلتك حتى يتاح لهم الحصول على أجور عن فترة أطول مما هو محدد لهم .

الموضوع : آمرك أن تبقى مقتصدا فى نفقاتك قدر المستطاع لأنه من الافضل لكم ان تجدوا مالا للانفاق من أن تجدوا انفسكم فى ذل الحاجة وفى بلد غريب . واذا حدث أن قدم اليكم معروفا من قبل الملك الحبشى أو أى مالك آخر فيما يخص المؤن فان هذه يجب أن تسلم الى الوكيل المذكور وأن يقوم الكاتب بتدوينها فى سجلاته وايضا فأن اى هدايا مقدمة لمولاى الملك أو لى فيجب أن تسلم أيضا الى الوكيل المذكور وأن تدون فى سجلاته مع الاعلام عنها مهما كانت لكى تقوم باحضارها وتسليمها الى باليد .

١٨- الموضوع : واذا حدث هناك أن اشتكى سفير الملك الحبشى بأنه لم يعامل معاملة حسنة أويكرم عندنا كما يليق بمبعوث سيد عظيم مثله فيجب أن تقول أن السبب كان د ون شك من وساوس الشيطان وأن كل شئ سيجرى اصلاحه ان شاء ربنا .

١٩- الموضوع : وبالمناسبة فان من دواعى سرورى أن أوكل اليك القوة والسلطة على كل من يرافقك فى هذه البعثة بأن تعاقبهم اذا أوجبت أخطاءهم ذلك ،وأن يدون الكاتب اخطاءهم التى لا تمس التعليمات الاساسية .

وبموجب هذه الوثيقة آمر كل من يذهب معك أن يطيعك ويحترم أوامـــــــرك كلها كما لو كانت معطاه من قبلى ،وأن يخضع لعقوبتك التى تفرضهـــــــا عليهم ، وليدون كاتبك التقرير ويسجله ٠

الموضوع : هذه التعليمات يحملها الكاتب الذى سيعطيك نسخة منها بحيـــث تجعلها دائما نصب عينيك وان تنصاع لها حرفيا ،وأن تفعل ما آمرك بـــــه هناك بالاخلاص الذى أعرفه عنك ٠

حرر فى ميناء مصوع فى الخامس والعشرين من شهر ابريل من عام ١٥٢٠م٠

الى مولانـــــــــــا الملك

تعليمات يحملها السفير المبعوث من قبل دييجو لوبيز الـــــــــــــــى برسترجون (الملك الحبشى) ٠

تعليمات يحملها مقام دوريجو الى البرستر ٠

الوثيقة رقم (٣) باللغة الانجليزية

Letter dated March 13th, 1546, from D. João III, King of Portugal, to the King of Abyssinia.

MOST powerful King, I, D. João, by the grace of God King of Portugal, send you much greeting. I have seen the letter that you wrote to me in which you give me an account of the condition of your affairs, and of the death of the King your father, which grieves me deeply; since our Lord has so arranged it you must conform your will to His, and give Him for this as much praise and thanks as are due to Him for all His works, trusting that after such a loss and so great afflictions He will give you the rest and contentment that you desire, and which He always gives to those who wish to serve Him. As to what you say that I should help and assist you against your enemies, I rate your affairs so highly, and I am so well disposed towards them, that you will never need my help and assistance but you will obtain it from me or from my commanders; and it grieves me much that there is no way by which I can, as often as I desire, learn the state of your affairs, and how they progress, and what help and assistance you receive from my Commander and my Governor of India, and what action in your service my subjects are taking, by which I can learn more than I have from Miguel de Castanhoso, through whom I received another letter from you which gave me great pleasure. Although the loss of these men is a matter to cause much grief, I consider them well expended, as they died in the service of Our Lord and the defence of your country, which I regard as if it were my own; you may rest assured that you will always be assisted by me and by my people and captains, conformably to this my will and the love I bear you. As to your subjects whom you say are captives in the power of the Portuguese, who sell them to the Moors, I have ordered my Commander and Governor not to permit this. As to what João Bermudez has done there, whom the King your father sent to me as his Ambassador, I disapprove greatly, for they are things very contrary to the service of Our Lord, and by reason of them it is clear that he cannot be given any help or assistance, nor do I know more of him than that he is a mere priest (*clериguo simpres*). Of the powers which he says the Holy Father granted him I know nothing; from the letters of His Holiness you will learn better what has passed in the matter; although for this he merits very severe punishment, it appears to me that you should not inflict it, except in such a way that, his life being saved, he may be punished according to his errors; for, if it be otherwise, he still assuming the dignity of a patriarch, which he wishes to usurp, though no one has given it to him, and exercising such powers even unjustly, it would be a great discredit to Christianity to learn that you had punished him in any other way. And because I

desire that all your affairs may be so well carried out, that, in the execution, your design in doing them may be manifest, and also in order that in some matters which appertain to our Holy Catholic Faith, the due and proper remedy may be applied to what is necessary for the true knowledge of it, and the salvation of souls, I have determined to, next year, send to you and for your kingdom, with the permission of God, a person for patriarch, who shall be such and of such zeal and good walk of life, that in these matters he may be able to know how to serve our Lord well, from whom you may receive great contentment, and with whom you may discuss more fully the matter of João Bermudez, and take concerning him the course that seems right to you. And in order that here we may learn more quickly concerning you and the condition of your affairs, you should enquire as to some road or way from your lands and lordships to the coast by Melinde, or some other place along that shore, through which there may be a more speedy communication between us. This, according to the information sent to me, appears very easy to arrange. I have ordered the Portuguese, my subjects in your country, not to return, but to serve you in all the affairs of your state, and rejoice to do this as they would in my own service; and it is reasonable that, as they do this, they should receive from you help to meet their necessities, which are great, as they must be, so far removed from their own country. I beg you to support them and watch over them, as you ought to do, as they are my subjects, who with their lives have so greatly helped and assisted you in defending your kingdoms from your enemies. May our Lord always have your person and royal estate in His holy keeping. Written in Almeirim. Lopo Roiz wrote it. March 13th, 1546.

ترجمة الوثيقة رقم (٣) الى اللغة العربية (١)

رسالة مؤرخة فى الثالثة عشر من مارس عام ١٥٤٦م من دوم جواو الثالث ملك البرتغال الى ملك الحبشة .

أيها الملك العظيم أنا دوم جواو من هو بنعمة الرب ملك البرتغال أُرسل لك تحيات كثيرة . لقد اطلعت على الرسالة التى كتبتها لى والتى تسرد لى فيها وصفا لأحوالكم العامة وتخبرنا عن وفاة الملك والدكم وذلك مما بعث أعمق الحزن فى نفسى . وحيث أن تلك هى مشيئة ربنا فعليك أن تنصاع وترضخ لمشيئته وأن تحمده وتشكره كثيرا شكرا يليق بجلاله وأن تكون واثقا من أنه سيهبك بعد هذه الخسارة وهذا المصاب الجلل ما تتمناه من راحة البال والطمأنينة اللتين ينعم بهما دوما على الراغبين فى خدمته .

وبخصوص قولك أن على أن أعينك وأساعدك على اعدائك فان شؤونكم تلقى منى الاهتمام الكبير والرعاية بحيث انك ما أن تحتاج عونى ومساعدتى الا وتحصل عليهما منى أو من قادتى . انه ليحزننى جدا ألا تكون هناك وسيلة استطيع بها ـ كلما رغبت فى ذلك ـ أن أعرف احوالكم وكيف تسير ،وماهية العون والمساعدة اللتين تتلقاهما من قائدى ونائبى فى الهند ،وما هى الاعمال التى يقوم بها رعاياى فى خدمتكم واستطيع بها أن أعرف ما هو اكثر مما نقله لى مجويل دى كاستانهوزو الذى حمل لى رسالة اخرى من طرفك بعثت فى نفسى سرورا عظيما ومع أن فقدان هؤلاء الرجال مدعاة حزن شديد ، الا أنى لا أعتبر أنهم ذهبوا هباء فقد ماتوا فى خدمة ربنا ودفاعا عن بلادكم التى اعتبرها بلادى . يمكنك أن تطمئن الى انك ستلقى دوما العون منى ومن بنى قومى ومن قادتى امتثالا لمشيئتى وللحب الذى اكنه لك . وفيما يتعلق برعاياكم الذين ذكرت لى

---

(١) وردت الوثائق رقم ٣ ،٤ ،٥ فى كتاب
Castanhoso, The Portuguese Expedition to Abyssinia.

أنهم اسرى لدى البرتغاليين ويقومون ببيعهم للمسلمين فقد أصدرت أوامرى لقائدى ونائبى بألا يسمحا بحدوث هذا . واما بخصوص ما قام به جواو برموديز الذى كان الملك والدك قد أرسله سفيرا لى فانى لا أقره أبدا على ما قام به حيث أن ما قام به يتنافى مع خدمة ربنا ولذا فانه لن يلقى منا اى عون أو مساعدة ، هذا كما أننى لا أعرف عنه اكثر من كونه راهبا وحسب . اننى لا أعلم شيئا عن تلك السلطات التى يقول أن الأب المقدس (البابا) قد منحه اياها ،وستعلم جيدا من رسائل قداسته ما فى الأمر . ومع أنه يستحق على هذا عقوبة شديدة جدا الا أنى أرى ألا توقع عليه تلك العقوبة وأن تبقى على حياته لينال العقوبة التى تتناسب وما ارتكبه من أخطاء حيث أنه من العار الكبير على النصرانية أن يبلغنا أنك عاقبته على أى وجه فهو مهما يكن لازال ينتحل لنفسه لقب البطريرك الذى يرغب فى اغتصابه ما لم يمنحه اياه احد ، وهو كذلك لازال يمارس مثل تلك السلطات حتى ولو كان دون وجه حق .

وحيث أننى أود أن تسير جميع اموركم على ما يرام وأن تكون خطتكم فى تنفيذها واضحة ،ولكى يتم فى بعض الامور المتعلقة بمذهبنا الكاثوليكى المقدس تطبيق العلاج الملائم والناجح لما هو ضرورى لمعرفته حق المعرفة ولخلاص الأرواح ، فقد عقدت العزم أن أرسل لكم ولمملكتكم فى العام المقبل شخصا ليكون بطريركا عنده من الحماس والسلوك الحسن فى الحياة ما يمكنه من معرفة كيف يخدم ربنا جيدا فى جميع هذه الأمور ،وهو من سيحوز على رضاكم ويمكنكم مناقشة مسألة جواو برموديز معه بشكل أوفى واتخاذ ما ترونه صوابا بحقه .

ولكى يتسنى لنا الوقوف على كل ما يتعلق بكم وبأحوالكم بسرعة أكبر فان عليكم البحث عن طريق يمتد من بلادكم وممتلكاتكم الى ساحل ماليندى أو الى أى مكان آخر على ساحل البحر وذلك ليكون الاتصال بيننا أسرع . ان هذا حسب ما وردنى من معلومات يبدو أمرا يسيرا ، ولقد أصدرت أوامرى الى البرتغاليين فى بلادكم بألا يعودوا وأن يبقوا عندكم ليقوموا على خدمتكم فى كل

شؤون دولتكم ،هذا وقد طلبت اليهم أن يؤدوا ذلك بكل طيب خاطر كما لو كانوا يخدمونني شخصيا ،ومن الطبيعي أن يلقوا منكم أثناء قيامهم بذلك كل عون لتلبية احتياجاتهم التي ستكون كثيرة نظرا لكونهم بعيدين عن ديارهم ولذا فاني أرجوك أن تكون عونا لهم وأن تسهر عليهم كما ينبغي منك أن تفعل وذلك لأنهم رعاياى الذين طالما ساندوك وأيدوك بأرواحهم في سبيل الدفاع عن ممالكك ضد اعدائك .

انى أسأل مولانا أن يكلأكم برعايته المقدسة .

كتبت فى الميريم Almeirim كتبها لوبورواز فى الثالث عشر من شهر مارس عام ١٥٤٦م .

الـوثـيقة رقـم (٤) باللغة الانجليزيــــــــة

Letter of 1550 *from the King of Abyssinia to the King of Portugal.*

IN the name of the Holy Trinity, our Eternal Life, in which we believe, and in which is our salvation. This letter is sent from the presence of the King of Ethiopia, Asnaf Sagad, son of King Wanag Sagad, second son of King Naod, son of King Bdemâryâm, son of King Zara Yakub, of the race of David and Solomon, Kings of Israel, greeting, to the King of Portugal, D. João, son of King Emanuel. I have heard, and remind you to do all you promised. May God make you a great lord in the land, and place in your hand the sea, the islands, and the continent. May He make you a greater lord in the heavens for all eternity, as He does to His friends and holy men. Through your prayers God worked us great good; with the help of your men we conquered the Moors, and have always been victorious over them. The Captain, D. Christovão, landed from the sea, and entered my country with four hundred Franks, and many bombards and matchlocks and other arms. Numerous Moors collected against him. Our men were few, so that the day was not ours. I did not arrive in time to join the Captain, for I was far away in another country called Seoa. While D. Christovão was in Tigré, he sent me a messenger to ask me to come quickly, as it was necessary that we should both meet. The messenger reached me, he was called Ayres Dias, a servant of the Captain, called by the people of this country Marcos. When I heard the message I began to march in haste, that we might join. On the way I heard that Garâd Ahmad had killed D. Christovão and many Franks, and captured all the bombards, munitions, and weapons they had; and that the Franks who escaped were scattered over the country. At this news I was so sorrowful that I wept with sadness and passion. Garâd Ahmad, with his own men alone, could not defeat them. Besides his own men, he got over six hundred Turks, with whose assistance, as they were many, he obtained the victory. I marched at once to the country of Tigré, and collected the Franks who were scattered over the district: they were one hundred and thirty. Some others had gone to Bdebarrua, to seek shipping to return to their country. I made Ayres Dias, whom the people of this country call Marcos, Captain of the one hundred and thirty Portuguese, in place of D. Christovão, and all the Franks were satisfied. After this we fought thrice with the Moors,

and God gave us the victory. Once they came against us with two hundred and ten Turks, and with the bombards and the pikes of the Franks, which were captured when D. Christovão was killed. Another time they came against us with eighty Turks, who were all killed, and also Garâd Ahmad was killed. After his death, the people of the Moors elevated another called Bao. In the end the Moors were so destroyed that very few of them remained, and nearly all the Turks were killed; and all their bombards and arms came into our power, and the power of the Franks of Portugal. All this benefit and these riches, and all this good fortune came to us from our Brother, and our Friend, our Blood, and our Life: Jesus Christ. D. Christovão with four hundred Franks could not destroy the Moors; the fortunate Ayres Dias, his servant, with one hundred and thirty Franks, defeated and destroyed them entirely, although D. Christovão had fought very valiantly against the Moors. May God pardon his soul, and place him among the martyrs. Amen. I made Ayres Dias great among my people, and gave him valuable estates. He suffered with us much toil and labour in the war, fighting against the Moors. This Ayres Dias had previously

come to this country of Ethiopia in the time of the King, my father, Wanag Sagad, who was a great friend of the Franks, when D. Rodrigo de Lima and Jorze Dabreu went with the ambassador, Abaza Guazaado, who carried a letter from my father, Wanag Sagad, to the King, your father, Emanuel. This ambassador died. May God take his soul, and receive it into the kingdom of the heavens. The Franks who are here live with me at their pleasure; they have much property and riches, which I have given them where they desired it. After the death of Ayres Dias, I appointed Gaspar de Sousa in his place, who very speedily does all that is required of him. [Here follow two and a-half lines which the Portuguese translator failed to render. He says they appeared to be praises of Gaspar de Sousa.] The Franks who went to seek shipping are in Bdebarrua. Fernão de Sousa does this well. He welcomes those who come from foreign parts; he receives them with good will, and serves me well, and delights to do all I order. He is the brother of Gaspar de Sousa, who lives with me, and is very diligent in all I order. To Fernão de Sousa, brother of Gaspar de Sousa, I have given much land and property, and have made him Commander of my Guard and a trusted leader. He has left all this to go to you, so much is he your servant. Believe all this. Written in the year of Christ's birth, 1542, according to the count of Ethiopia and Egypt, and according to the count of the Franks, 1550; on the 6th day of the month of Christmas.

ترجمة الوثيقة رقم (٤) الى اللغة العربية .

رسالة عام ١٥٥٠م من ملك الحبشة الى ملك البرتغـــــــال

باسم الثالوث المقدس ،حياتنا الأبدية ، الذى نؤمن به وفيه خلاصنـــــا . هذه الرسالة مرسلة من حضرة ملك اثيوبيا اسناف سجد ابن الملك وناج سجد الابن الثانى للملك ناعود ابن الملك بيئد ماريام ابن الملك زرع يعقوب من سلالـة داود وسليمان ملوك اسرائيل ، تحية الى ملك البرتغال دوم جواو ابن الملك مانويل ،لقد سمعت ما جاءنا منكم وانى اذكركم بعمل ما وعدتم به . أننى لادعـو الرب أن يبوأكم السيادة العظمى فى الأرض وأن يؤتيكم ملك البحر والبر والجزر وانى لأدعوه أن يبوأكم المنزلة العالية الأبدية فى السماوات التى ينزلها اولياءه والقديسين .

لقد نفعنا الرب كثيرا بدعواتكم ،كما أننا بمساعدة رجالكم هزمنـا المسلمين وحققنا النصر الدائم عليهم . لقد نزل القائد كريستوفاو من البحر ودخل بلادنا مع اربعمائة من الفرنجة ومعهم الكثير من القذائف والبنـادق وسواها من الأسلحة . لقد حشد المسلمون قواتهم ضده وكان رجالنا قلة فهزمنا . لم أتمكن من الوصول فى الوقت المحدد للانضمام الى القائد اذ كنت بعيدا فى بلاد اخرى تدعى سيوه Seoa (شوا) بينما كان كريستوفاو فى التيجـراى ارسل رسالة لى يطلب منى الحضور على وجه السرعة حيث كان الامر يقتضى لقيانـا وصلنى رسوله وكان واحدا من خدمه يدعى ايريس دياز ولكن الاهالى كانوا يسمونه ماركوس . حين سمعت رسالته بدأت المسير على عجل لانضم اليه ،وفى الطريـق سمعت أن جراد أحمد قد قتل كرستوفاو وكثيرا من الفرنجة واستولى على جميـع القذائف والذخائر والأسلحة التى كانت بحوزته ،وان الفرنجة الذين تمكنوا مـن الفرار تفرقوا فى جميع أنحاء البلاد . لقد تأسفت جدا لهذه الأخبار فبكيـت حزنا وتأثرا ،لم يكن بمقدور جراد أحمد ورجاله وحدهم أن يهزموهم ولكن كـان فى صفه علاوة على رجاله اكثر من ستمائة تركى ،فتمكن بمساعدتهم من تحقيـق الانتصـــار .

وفى الحال سرت الى بلاد التيجراى ،وجمعت الفرنجة المشتتين فى المنطقة

وكان عددهم مائة وثلاثين رجلا اذ أن الآخرين توجهوا الى دباروه بحثا عن سفينة تقلهم الى بلادهم . نصبت ايريس دياز الذى يدعوه أهالى هذه البلاد ماركوس قائدا للمائة والثلاثين برتغاليا مكان القائد كريستوفاو وارتضى الجميع ذلك . خضنا الحرب بعد ذلك ثلاث مرات ضد المسلمين وانعم الله علينا بالنصر. حدث مرة أن هاجمونا بمأتين وعشرة أتراك وبالقذائف والرماح التى استولوا عليها من الفرنجة فى الموقعة التى قتل فيها كريستوفاو . وفى مرة أخرى هاجمونا بثمانين تركيا قتلوا جميعا كما قتل أحمد . بعد مقتل أحمد عين المسلمون مكانه رجلا آخر يدعو باو Bao . [نور Nur] .

واخيرا تم تدمير المسلمين ولم ينج منهم سوى القليلين ،وأما الاتراك فقد قتلوا جميعهم تقريبا ووقعت جميع قذائفهم واسلحتهم فى ايدينا وأيدى الفرنجة من البرتغال . لقد أصبنا كل هذه المكاسب وكل هذه النفائس وهذه الثروة بفضل أخينا وصديقنا ودمنا وحياتنا عيسى المسيح . فلم يستطع كريستوفاو على الرغم من استبساله فى القتال بأربعمائة من الفرنجة أن يدمر المسلمين ،ولكن المحظوظ خادمه ايريس دياز تمكن بمائة وثلاثين منهم أن يهزم المسلمين ويقض عليهم قضاءا مبرما . رحم الله روحه والحقه بالشهداء آمين .

لقد انزلت ايريس دياز منزلة رفيعة بين قومى ووهبته اقطاعات كثيرة فقد لاقى من المشقة والعناء فى حربه معنا ضد المسلمين . لقد كان ايريس دياز هذا قد جاء سابقا الى بلاد اثيوبيا هذه فى عهد والدى الملك وناج سجد الذى كان صديقا حميما للفرنجة ، وكان ذلك حين ذهب رودريجو دى ليما وجورزى دابرو مع السفير أبـــــازا [أبا زاجازابو] الذى حمل رسالة من والدى وناج سجد الى والدكم الملك مانويل . ان الفرنجة الذين هنا يعيشون معى فى هناء فهم يمتلكون املاكا واموالا كثيرة وهبتهم اياها لانهم جديرون بها .

بعد وفاة ايريس دياز عينت جاسبار دى سوسا مكانه فلم يتوانى عن القيام بما عهد اليه (يلى هذا سطران ونصف لم يتمكن المترجم البرتغالى من ترجمتها، ويقول أنها على ما يبدو عبارات ثناء على جاسبار دى سوسا) .

ان الفرنجة الذين ذهبوا للبحث عن سفينة تقلهم الى بلادهم موجودون في دباروه . ان فيرناو دى سوسا يقوم على خدمتى وهو يرحب بالقادمين من مناطق خارجية ويستقبلهم بكل طيبة خاطر ويقوم على خدمتهم ،ويسعده أن يفعل كل ما آمره به . انه شقيق جاسبار دى سوسا الذى يعيش معى ،وهو مجتهد فى كل ما آمره به . لقد وهبت فيرناو دى سوسا شقيق جاسبار دى سوسا آراضى وأملاكا كثيرة وجعلته قائدا لحرسى وقائدا مؤتمنا . لقد ترك كل ما هو عليه ليتوجه اليكم ،فهو حريص على خدمتكم ،وأريدك آن تصدق كل ما آقول .

كتبت فى العام الميلادى ١٥٤٢م حسب التقويم الاثيوبى والمصرى الموافق العام ١٥٥٠م حسب التقويم الافرنجى ،فى اليوم السادس من شهر عيد الميلاد . (ديسمبر) .

الوثيقة رقم (٥) باللغة الانجليزية

Letter from the King of Abyssinia to the Governor of India, which was despatched in 1551.

IN the name of God the Father, God the Son, and God the Holy Ghost, one God all powerful. Amen. I, Asnaf Sagad, King of Ethiopia, send this letter to the Governor of India, under the King D. João, son of the King D. Manuel, who is in glory, honour of the world and grace to the heavens. Peace be upon you. As you have command over the sea, the earth, and the islands, by the favour of God you shall participate in the crown of the kingdom of heaven for all eternity. Amen. Senhor brother, I received here a letter from India sent by Abaa, my ambassador, who is in Goa, which was sent by Jaquaria merchant, who started from Cananore, giving me an account of the great powers he was bringing from all christianity; since then I have learned from other letters that Abaa has died and left his papers and his powers to his chaplain. I therefore ask you, as a well-loved brother, and beg on the part of Jesus Christ that you will do me this much pleasure, namely, to despatch this chaplain and his men, in order that they may bring me the papers which I value highly and wish to see; this will please me greatly, and Our Lord will favour you in whatever you can do. The news here is that D. Christovão landed from the sea in the territories of my dominions, with four hundred Portuguese and many bombards, matchlocks, and other things necessary for the war. With all this he did not conquer the Moors, because their time and hour had not yet come; we, too, were distant from him and he from us, as we were in Axenaa (? Xeuaa—Shoa) and he in the kingdom of Tigré; thence he sent me his message by Ayres Dias, and hearing it I moved my camp to join him. On the road I heard the news that D. Christovão and many Portuguese had been killed fighting with Garâd Ahmad, who defeated them and captured all their arms, bombards, and matchlocks, and all the powder. Some Portuguese escaped, flying to Amaçua and Daonoo, which are sea ports. In truth this news caused great sorrow and weeping among us, and we bitterly wept for the death of so many Christian strangers who had come to help us. Garâd Ahmad, had he been alone, would not have won this victory, but he brought over six hundred Turks to help him, from Zebide, and thus succeeded. When I reached Tigré, I had the Portuguese who were scattered sought out and collected, and there were found and brought together one hundred and thirty men, who

wandered seeking shipping to return to their country, and when collected we selected, to the general satisfaction, Ayres Dias as Captain. After this we made war on the Moors altogether three times, and once we conquered them. In our first battle with Garâd Ahmad he had two hundred and ten Turks and many other people, the bombards and matchlocks of the Turks, and those they captured from D. Christovão at the time of his death. The second time he had six hundred Turks, and of these not one escaped. Garâd Ahmad ended his life and died in this battle, and his gozil (wazir) Abaaz also. Further we captured all the bombards, matchlocks, and other arms by the favour and mercy of God, and the help and assistance of the men of the King of Portugal. D. Christovão began and Ayres Dias ended it. D. Christovão died like a very valiant and courageous martyr of Jesus Christ, fighting the Moors. May our Lord give him the crown he merited, and to those who remain His favour and pity.

Those who are here with me are well supplied, and receive from me daily fresh favours. Some of the Portuguese who are in Baroa waiting to go thence, to their homes, will, when they reach these, receive, I beg on the part of our Redeemer and Saviour Jesus Christ, love and good reception, as they have been very loyal and true. Senhor brother, I beg you not to forget to carry out what I have asked.

Seven days after Christmas, 1551.

ترجمة الوثيقة رقم (٥) الى اللغة العربية ٠

رسالة من ملك الحبشة الى حاكم الهند ،أرسلت عام ١٥٥١م ٠

باسم الرب الآب ،والابن ،والروح القدس المجتمعين فى الرب الواحد القوى ،آمين ٠

أنا أسناف سجد ملك اثيوبيا ،أرسل هذه الرسالة الى حاكم الهند نائبا عن الملك دوم جواو ابن الملك دوم مانويل الذى هو فى مجده شرف للدنيا ورحمة للسماء ٠ السلام عليكم ٠، وحيث أن لك السلطة فى البحر والبر والجزر فانك ستشارك باذن الرب فى تاج مملكة السماء والى الأبد ،آمين ٠

آخى السنيور لقد تلقيت هنا رسالة من الهند أرسلها لى آبا سفيرى الموجود فى جوا مع التاجر جاكواريا الذى انطلق من كنانور وفيها تقرير عن القوات العظيمة التى أحضرها من جميع بلاد النصرانية ٠ ومنذ ذلك الحين علمت من رسائل أخرى بأن أبا قد توفى وانه ترك جميع أوراقه وقواته فى عهدة قسيسه ولذا فانى أطلب اليك بصفتك أخا حبيبا ،وأرجوك باسم عيسى المسيح أن تصنع لى هذا المعروف ،أى أن ترسل لنا هذا القسيس ورجاله لكى يحضروا لنا تلك الاوراق ذات القيمة الكبيرة عندى والتى أود الاطلاع عليها ٠ ان هذا سيكون مبعث سرورى وسوف يوفقك الرب فى كل ما تفعل ٠ ان الأخبار هنا هى ان كريستوفاو نزل من البحر فى المناطق الواقعة ضمن ممالكى ومعه أربعمائة برتغالى والعديد من القاذفات والبنادق وسواها من مستلزمات الحرب ٠ انه لم يتمكن بكل ما معه من هزيمة المسلمين لأن أجلهم لم يقترب بعد ، وكنا نحن بعيدين عنه وكان هو أيضا بعيدا عنا ٠ لقد كنا فى اكسينا (اكسوا ـ شوا) وكان هو فى مملكة التيجراى ومن هناك ارسل لى رسالته مع ايريس دياز ٠ حين سمعت رسالته تحركت للانضمام اليه ، وفى الطريق سمعت خبر مقتله والعديد من البرتغاليين فى حربهم ضد الجراد أحمد الذى هزمهم واستولى على اسلحتهم ومدافعهم وبنادقهم وملح البارود ٠

تمكن بعض البرتغاليين من الفرار الى مصوع وداونو وهما ميناءان بحريان. وفى الحقيقة أن الخبر بعث فى نفوسنا الحزن الشديد وابكانا بكاءاً مراً على مقتل ذلك العدد الكبير من النصارى الغرباء الذين كانوا قد جاؤوا لمساعدتنا . ما كان لجراد أحمد لو كان لوحده ان يكسب هذا النصر ،ولكنه أحضر لمساعدته اكثر من ستمائة تركى من زبيد ،وهكذا انتصر .

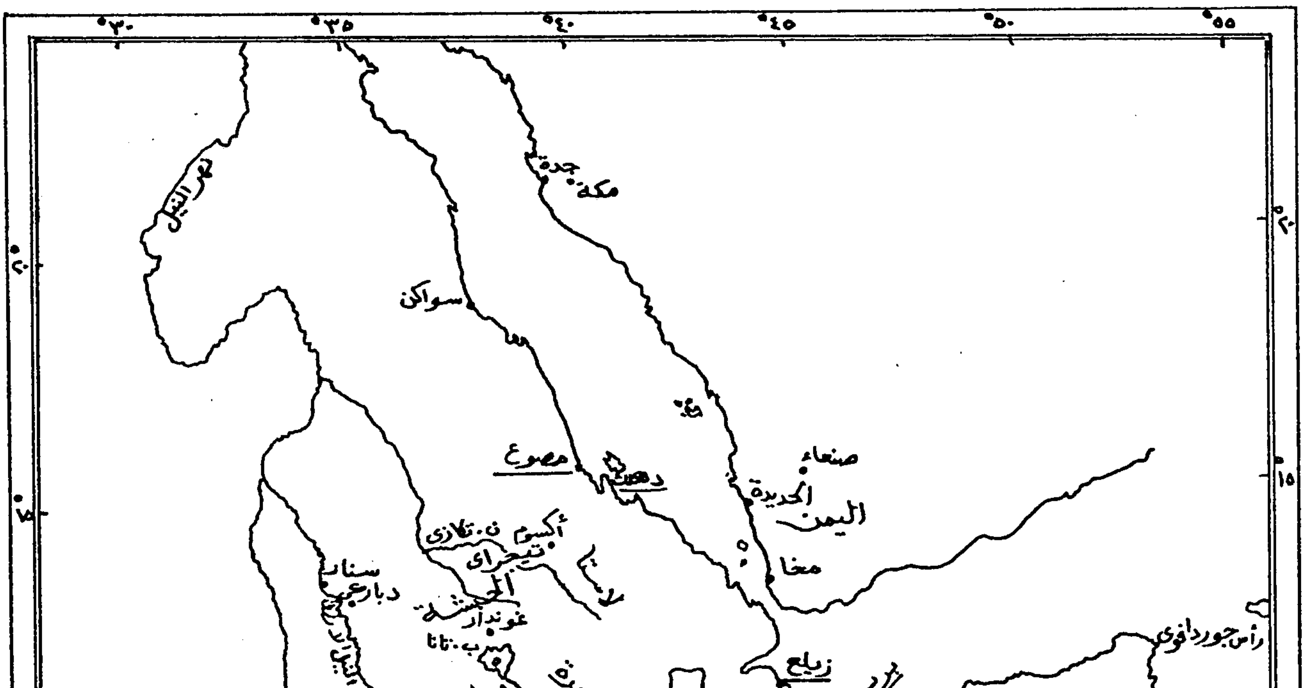
حين وصلت الى التيجراى أمرت بالبحث عن البرتغاليين الذين كانوا قد تشتتوا ،فجمعتهم وكانت حصيلة من عثر عليهم وجيىء بهم مائة وثلاثين رجلا كانوا يهيمون على وجوههم بحثا عن سفينة تقلهم الى بلادهم . وبعد ان تم جمعهم اخترنا لهم وبرضاهم جميعا ايريس دياز قائدا . بعد هذا خضنا الحرب ضد المسلمين مجتمعين ثلاث مرات ،وتمكنا فى احدى المرات من هزيمتهم ،كان مع جراد أحمد فى أول معاركنا ضده مائتان وعشرة أتراك وخلق آخرون كثيرون ومدافع وبنادق الأتراك وتلك التى كانوا قد استولوا عليها من كريستوفاو فى الموقعة التى قتل فيها .

وفى الموقعة الثانية كان مع أحمد ستمائة تركى لم ينج منهم احد كما قتل هو ووزيره عباس أيضا . استولينا علاوة على ذلك ، وبفضل الرب ورحمته وبمساعدة وعون جنود ملك البرتغال على جميع المدافع والبنادق وسواها من الاسلحة لقد بدأ كريستوفاو الحرب ،وكان ايريس دياز هو من ختمها . لقد سقط كريستوفاو فى حرب المسلمين شهيدا باسلا فى سبيل عيسى المسيح ودعواتى له بأن يمنحه الرب التاج الذى يستحق وبأن يمنح الباقين عطفه ورحمته

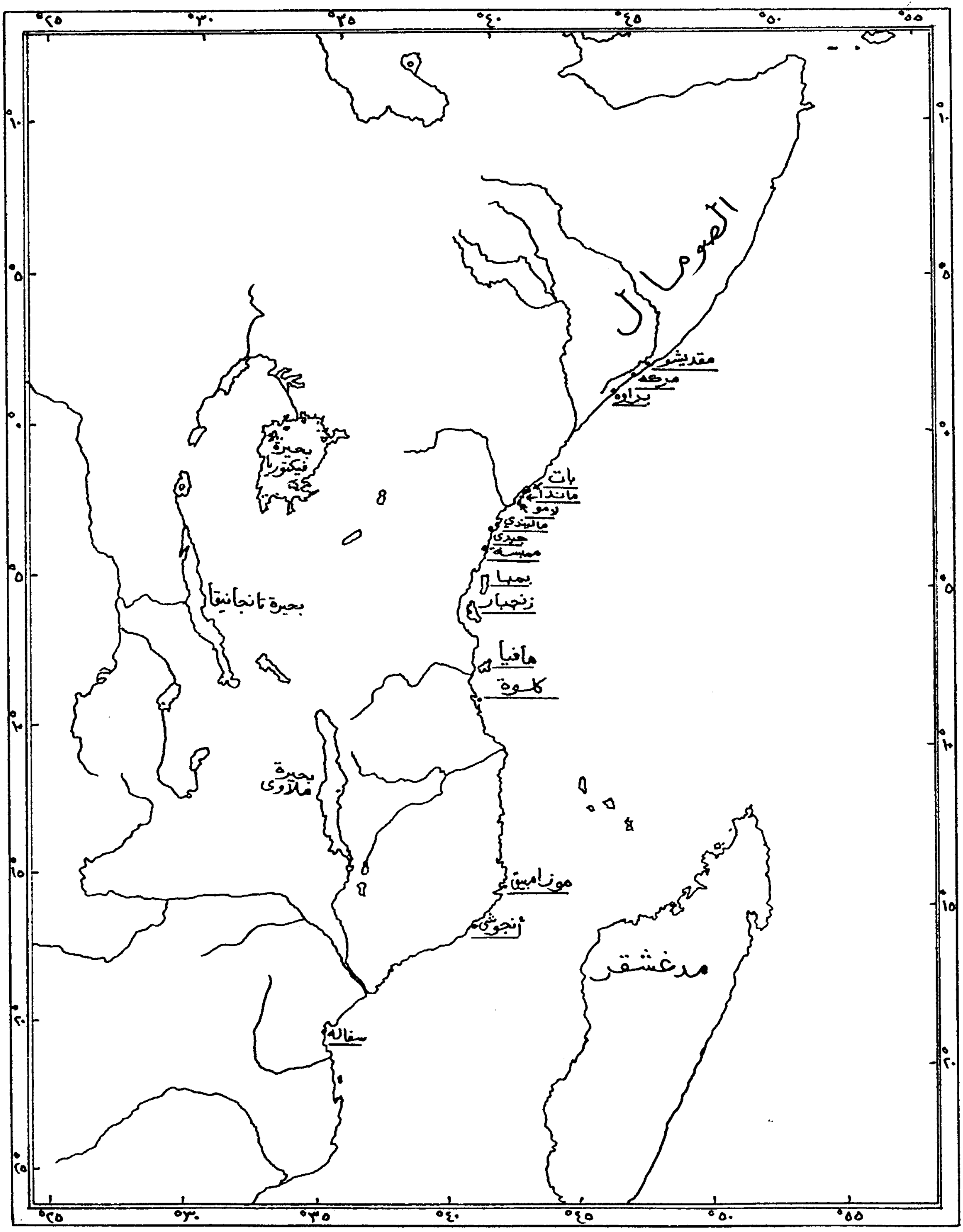
ان الموجودين هنا معى يلقون رعاية جيدة ويلقون منى فى كل يوم عطفا جديدا ،وأما بعض البرتغاليين الموجودين فى دباروه فى انتظار العودة الى بلادهم من هناك فارجوك باسم مخلصنا ومنقذنا عيسى المسيح أن تستقبلهم أحسن استقبال وبكل حب فقد كانوا مخلصين جدا وصادقين . آخى السنيور ارجوك ألا تنسى تنفيذ ما طلبته منك .

سبعة أيام بعد عيد الميلاد ،عام ١٥٥١م.

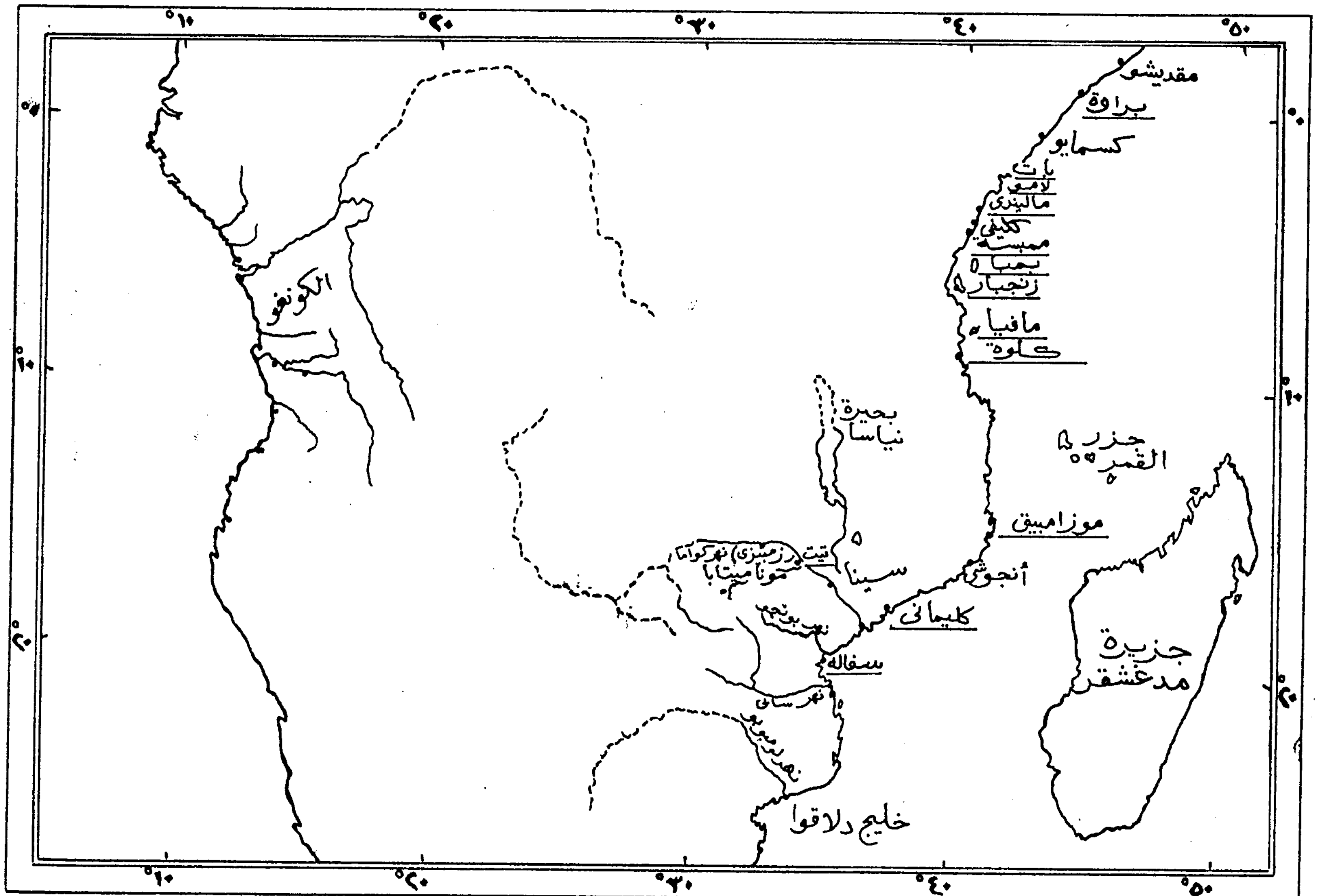
ملحق الخرائط



الممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة والمطلة على البحر الاحمر



الدويلات الإسلامية فى ساحل شرق أفريقيه المطل على المحيط الهندى



مواطن الذهب بالقرب من ساحل شرق افريقيه المطل على المحيط الهندى

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصـــــــــــــــــادر

أ ـ المصادر العربية :

- إبن أبى السرور البكرى (أبو عبد الله محمد ،ت ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م)
" نصرة أهل الايمان بدولة آل عثمان "
مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهـــــرة ،
برقم ٢١٣٢ تاريخ ٠

- ابن اياس (محمد بن أحمد ،ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)
" بدائع الزهور فى وقائع الدهور " تحقيق محمد مصطفى ،ج٣ ،٤ ،٥ ،
القاهرة ،١٩٦٠م٠

- ابن بطوطة (محمد بن ابراهيم اللواتى ،ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
" تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "
بيروت ،١٩٦٤م٠

- ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف ،ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)
" النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " ج١١،١٤،القاهرة ،١٩٥٦م٠

- ابن الديبع (عبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر ،ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م)
" بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد " تحقيق عبد الله الحبشـــى
،صنعاء ،١٩٧٩م٠

" الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيـــــــد "
تحقيق يوسف شلحد ،بيروت ،١٩٨٣م٠

" قرة العيون بأخبار اليمن الميمون " تحقيق محمد الأكوع الحوالــــى
ج ٢ ،القاهرة ،١٩٧٧م٠

- ابن داعر (عبد الله بن صلاح الدين ،ت ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م)
" الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية "
مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ،القاهرة
برقم ٣٥٦ تاريخ ٠

- ابن طولون (شمس الدين محمد ،ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)
" مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان " تحقيق محمد مصطفى
جا ،٢ ،القاهرة ،١٩٦٤م٠

- ابن عبد الظاهر (محى الدين ،ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م)
" الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر "
تحقيق عبد العزيز الخويطر ،الرياض ،١٩٧٦م٠

" تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور "
تحقيق مراد كامل ،القاهرة ،١٩٦١م٠

- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى ،ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)
" شذرات الذهب فى أخبار من ذهب "
جـ٨ ،القاهرة ،١٩٣٣م ٠

- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ،ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)
" تاريخ ابن الفرات " تحقيق قسطنطين زريق ،جـ٧ ،بيروت ،١٩٤٢م٠

- ابن القاسم (يحى بن الحسين ،ت ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨م)
" أنباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن "
مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة
برقم ٢/٣٥٦ تاريخ ٠

" غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى " تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ،جا ،٢ ،القاهرة ١٩٦٨م٠

- ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر ،ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م)
" الاجتهاد فى طلب الجهاد "
تحقيق عبد الله عسيلان ،الرياض ،١٩٨٢م٠

- ابن ماجد (شهاب الدين أحمد ،ق ١٠ هـ)
" ثلاث أزهار فى معرفة البحار "
تحقيق شيودور شوموفسكى ،ترجمة محمد منير مرسى ،القاهرة ،١٩٦٩م٠

" كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد "
تحقيق ابراهيم خورى وعزه حسن ،دمشق ،١٩٧١م٠

- ابن المطهر (عيسى بن لطف الله ،ت ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م)
" روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح "
مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٢/٢٦٢ تاريخ ٠

- أبو الفداء (اسماعيل بن محمد بن عمر ،ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
" تقويم البلدان " باريس ،١٨٤٠م٠

- بامخرمه (عبد الله الطيب بن عبد الله ،ت ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م)
" قلادة النحر " مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٦٧ تاريخ ،حقق بعض اجزاء القسم الثالث من المخطوطة محمد عبد العال أحمد تحت عنوان : البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ،الاسكندرية ،١٩٨٠م٠

- حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله ،ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)
" كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " ج ١ ،بغداد ،١٩٤١م.

- الحموى (ياقوت بن عبدالله ،ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
" معجم البلدان " ج٢ ،بيروت ،١٩٨٤م.

- الحميرى (محمد بن عبد المنعم ،ت ق ٨ هـ / ١٤م)
" الروض المعطار فى خبر الأقطار " تحقيق احسان عباس
بيروت ،١٩٧٥م.

- الحيمى (الحسن بن أحمد ،ت ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م)
" سيرة الحبشة " تحقيق مراد كامل ،القاهرة .

- السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد ،ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)
" التبر المسبوك فى ذيل السلوك " القاهرة .

- الشوكانى (محمد بن على ،ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)
" البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،ج١ ،بيروت .

- الشيلى (جمال الدين أبى العلاوى ،ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م)
" السنا الباهر بتكميل النور السافر عن أخبار القرن العاشر "
مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية
بالقاهرة ،برقم ٦٩٩ تاريخ .

- عرب فقيه (أحمد بن عبدالقادر ،ت ق ١٠هـ / ١٦م)
" فتوح الحبشة " تحقيق محمد فهيم شلتوت ،القاهرة ،١٩٧٤م.

- العسقلانى (الحافظ بن حجر ،ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
" انباء الغمر بأنباء العمر " تحقيق حسن حبشى ،ج٢ ،٣ ،القاهرة ١٩٦٩م٠

- العيدروسى (عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ،ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م)
" النور السافر عن أخبار القرن العاشر "
تصحيح محمد الصفار ،بغداد ،١٩٣٤م٠

- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ،ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
" صبح الأعشى فى صناعة الانشا " جـ ٨ ،١٣،القاهرة ٠

- المقريزى (أحمد بن على بن عبد القادر ،ت ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)
" الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام "
القاهرة ،١٨٩٥م٠

" السلوك لمعرفة دول الملوك " تحقيق سعيد عاشور
ج٣ ،٤ ،القاهرة ،١٩٧٣م٠

- المهرى (سليمان أحمد بن سليمان ،ت ق ١٠هـ)
" كتاب العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية "
تحقيق ابراهيم خورى ،ج١ ،دمشق ،١٩٧٠م٠

" المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر " تحقيق ابراهيم خورى ،ج٢ ،دمشق ،١٩٧٠م٠

- الملبارى (الفقيه الشيخ زين الدين ،ت ق ١٠ هـ)
" تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتكاليين "
لشبونة ،١٨٩٨م ٠

- النهروالى (قطب الدين محمد بن أحمد ،ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م)
" البرق اليمانى فى الفتح العثمانى " تحقيق حمد الجاسر،الرياض ،١٩٦٧م٠

ب ــ الوثائق والمصادر الاجنبيـــــــــــــــــة :

- Alvarez, Francisco :
  Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia, 1520 - 1527, translated into English by Lord Stanley (New York 1970)

- Barbosa, Duarte:
  The Book of Duarte Barbosa, Translated into English by M.L. Dames, Volume I. (London 1918).

- Castanhoso, Miguel:
  The Portuguese Expedition to Abyssinia by R.S. Whiteway (London 1967).

- Documents on the Portuguese In Mozambique and Central Africa, Volume VI. (Lisbon 1969).

- Freeman & Grenville:
  The East African Coast (Select Documents). (Oxford 1962).

- Khalifeh, Haji :
  The History of the Maritime Wars of the Turks, Translated into English by James Mitchell. (London 1831).

- Sousa, Faria:
  The History of The Discovery and Conquest of India by the Portuguese, Translated into English by John Stevens, Volumes 1 , 2 , 3 . (London 1894).

***

ثانيا : المراجع

أ ـ المراجع العربية والمعرّبة ٠

- أحمد ابراهيم دياب
" العلاقة بين جدة وسواكن فى فترة الحكم العثمانى "
دراسات تاريخ الجزيرة العربية ،ج٢ ،الابحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية من ٢٣ ـ ٢٨ أبريل ١٩٧٧م،الرياض ١٩٧٩م٠

- أحمد جودت باشا
" تاريخ جودت " ترجمة عبد القادر الدنا ،بيروت ،١٨٩٠م٠

- أحمد الحفنى القنائى
" الجواهر الحسان فىتاريخ الحبشان "
القاهرة ،١٩٠٣م٠

- أحمد حمود المعمرى
" عمان وشرقى افريقيه " ترجمة محمد أمين عبد الله ،القاهرة ،١٩٨٠م٠

- أمنه حسين جلال
" علاقة سلاطين بنى رسول بالحجاز "
رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى ،١٩٨٠م٠

- ابراهيم على طرخان
" الاسلام والممالك الاسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى "
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،العدد ٨ ،لعام ١٩٥٩م٠

- ابراهيم محمد حسن
" الامام أحمد بن ابراهيم الصومالى وفتوح الحبشة "
رسالة ماجستير ،جامعة القاهرة ٠

- اسماعيل سرهنك
" حقائق الأخبار عن دول البحار "
ج ١ ، القاهرة ،١٩٨٤م٠

- باذل دافد سن
" افريقيا تحت أضواء جديدة "
ترجمة جمال أحمد ،بيروت ٠

- توماس أرنولد
" الدعوة الى الاسلام " ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين
القاهرة ،١٩٧٠م٠

- جيمس دفى
" الاستعمار البرتغالى فى افريقيه "
ترجمة الدسوقى حسنين المراكبى ،القاهرة ،١٩٦٣م٠

- جيان
" وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية " ترجمة يوسف
كمال ، القاهرة ،١٩٢٧م٠

- جمال زكريا قاسم
" الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية " القاهرة ،١٩٧٥م٠

- حسن أحمد محمود
" الاسلام والثقافة العربية فى افريقية " القاهرة ،١٩٦٣م٠

" التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب "
مجلة المؤرخ العربى ،العدد ١٢ ،١٩٨٠م٠

- زاهر رياض
" مصر وافريقيا " ،القاهرة ،١٩٧٦م٠

- سعيد بن على المغيرى
" جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار " تحقيق عبد المنعم عامر ،يحتوى الكتاب على مخطوطة السلوة فى آخبار كلوه (من القرن ١٠ هـ) القاهرة ١٩٧٩م٠

- سعيد عبد الفتاح عاشور
" بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى العصور الوسطى " مقال ورد فى كتاب للمؤلف بعنوان : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ،بيروت ،١٩٧٧م٠

" الحركة الصليبية " ج ١ ،٢ ،القاهرة ،١٩٧٦م٠

" اوروبا العصور الوسطى " ،ج٢ ،القاهرة ،١٩٧٢م٠

"العصر المماليكى فى مصر والشام " القاهرة ،١٩٧٦م٠

- سامح عبد الرحمن فهمى
" الوحدات النقدية المملوكية " جده ،١٩٨٢م٠

- سعاد ماهر
" البحرية فى مصر الاسلامية " ،القاهرة ،١٩٦٧م٠

- السيد رجب حراز
" افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبى " ،القاهرة ،١٩٦٨م٠

" ارتريا الحديثة " القاهرة ،١٩٧٤م.

" بريطانيا وشرق افريقيه من الاستعمار الى الاستقلال " القاهرة ،١٩٧١م.

- السيد مصطفى سالـــــــم

" الفتح العثمانى الأول لليمن " القاهرة ،١٩٦٩م.

- سبنسر ترمنجهـــــام

" الاسلام فى شرق افريقيه " ترجمة محمد عاطف النواوى ،القاهرة ،١٩٧٣م.

- الشاطر بصيلى عبد الجليل

" تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط " القاهرة ،١٩٧٢م.

" الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال "

المجلة التاريخية المصرية ،مجلد ١٢ لعام ١٩٦٤ - ١٩٦٥م.

- شوقى الجمـــــل

" تاريخ كشف افريقيا واستعمارها " القاهرة ،١٩٧١م.

- صلاح العقاد ،جمال زكريا قاسم

"زنجبـــــــار " القاهرة ،١٩٥٩م.

- صالح اللحيـــــدان

" الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع "

الرياض ،١٩٨٠م.

- على أحمد نـــــور

" النزاع الصومالى - الاثيوبى "

القاهرة ،١٩٧٨م.

- عبد الرحمن زكى
" الاسلام والمسلمون فى شرق افريقيا "
القاهرة ،١٩٦٥م.

- عبد المجيد عابدين
" بين الحبشة والعرب " القاهرة .

- عبد العزيز الشناوى
" الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها "
ج٢ ،القاهرة ،١٩٨٠م.

" اوروبا فى مطلع العصور الحديثة "
ج ١ ،القاهرة ،١٩٧٧م .

- غسان على الرمال
" صراع المسلمين مع البرتغاليين فى البحر الأحمر "
رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى ،عام ١٩٨٠م.

- فائق بكر الصواف
" العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز "
القاهرة ،١٩٧٨م.

- فتحى غيث
" الاسلام والحبشة عبر التاريخ " القاهرة .

- محمد حسين الزبيدى
" هجرة العرب والمسلمين الى شرق افريقيا "
مجلة المؤرخ العربى ،بغداد ، العدد ٢٣ ،عام ١٩٨٣م.

- محمد صالح ضـــــرار
" تاريخ سواكن والبحر الأحمر " ،دمشق ،١٩٨١م٠

- محمد عبدالله النقيرة
" انتشار الاسلام فى شرق افريقيه ومناهضة الغرب له "
الرياض ،١٩٨٢م٠

- محمد عبد اللطيف البحراوى
" فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولى من البر الى البحر "
القاهرة ،١٩٧٩م٠

- محمد فريد بك
" تاريخ الدولة العلية العثمانية " ،بيروت ،١٩٧٧م٠

- محمد كمال الدسوقى
" الدولة العثمانية والمسألة الشرقية "
القاهرة ،١٩٧٦م٠

- محمد المعتصم سيد
" دول اسلامية فى شرق افريقية "
مجلة دراسات فى الاسلام ،القاهرة ،العدد ٣٦ ،يوليو ١٩٦٤م٠

- محمود محمد على
" الجهاد فى التشريع الاسلامى " القاهرة ،١٩٧٧م٠

- مصطفى عبد القادر النجار
" شركة الهند الشرقية " مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربيـــــة
العدد ١٦ ،عام ١٩٧٨م٠

- نوال حمزة الصيرفي ٠
" النفوذ البرتغالي في الخليج العربى " الرياض ،١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ٠

- وليم موير
" تاريخ دولة المماليك فى مصر " ،ترجمة محمود عابدين وسليم حسن
القاهرة ،١٩٢٤م٠

- يوسف أحمـــــد
" الاسلام فىالحبشة " القاهرة ،١٩٣٥م٠

ب ـ المراجع الاجنبيـــــــــــــة

- Alpers, Edward:
  Ivory and Slaves in East Central Africa. (London 1975)

- Atiya, Aziz S. :
  The Crusade in the Later Middle Ages. (New York 1970)

- Bell, Christopher:
  Portugal and the Quest for the Indies. (London 1974)

- Boxer & Azevedo :
  Fort Jesus and the Portuguese in Mombasa. (London)

- Burton, Richard:
  First Footsteps in East Africa. (London)

- Budge, Wallis:
  History of Ethiopia Nubia and Abyssinia, Volumes 1 , 2. (London 1928)

- Cook, M.A :
  History of the Ottoman Empire. (London 1976)

- Coupland , R :
  East Africa and Its Invaders. (London 1938)

- Diffie & Winius :
  Foundations of the Portuguese Empire.(Oxford 1977)

- Gray, John :
  History of Zanzibar (London 1962)

- Hamilton , Genesta :
  In the Wake of da Gama. (London 1955)

- Inalcik, Halil :
  The Ottoman Empire. (London 1975)

- Jones & Monroe :
  Ahistory of Ethiopia. (London 1978)

- Kammerer, Albert :
  La Mer Rouge , Iere Partie. (Le Caire 1949)

- Macmichael, H.A :
  Ahistory of the Arabs in the Sudan , Volume I.
  (Cambridge 1922)

- Marsh & Kingsnorth :
  An Introduction to the History of East Africa.
  (London 1961)

- Milles , S.B :
  The Countries and Tribes of the Persian Galf.
  (London 1966)

- Oliver & Mathew :
  History of East Africa Volume I. (Oxford 1971)

- Orhonlu, Cengiz :
  Habes Eyaleti. (Istandul 1974)

- Serjeant, R.B :
  The Portuguese offthe South Arabian Coast.
  (Beirut 1974)

- Stripling, G . W :
  The Ottoman Turks and the Arabs.(Illinois 1942)

- The Cambridge History of Africa, Volume 3.
  (London 1977)

- The Encyclopaedia of Islam (London 1960)

- Trimingham, J.S :
  Islam in Ethiopia(London 1976)

***

فهرس محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة